المقالات السعيدية

على الأحداث العصرية

بقلم

سعيد عبد العظيم



المقالات السعيدية على الأحداث العصرية

تأليف

سعيد عبد العظيم


الدار العالمية للنشر والتوزيع

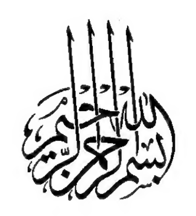

بسم الله الرحمن الرحيم

المقالات السعدية

على

الأحداث العصرية

المقالات السعيدية
على
الأحداث العصرية



الطبعة الأولى
١٤٣١هـ ـــ ٢٠١٠م
رقم الإيداع: ٢١١٦٥/٢٠٠٩م
الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-6326-39-2



الدار العالمية للنشر والتوزيع
ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية
محمول: ٠١٠٦٥٥٢١١٨ +٢/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٣ ٢٠٣+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٣ ٢٠٣+
E-mail: alamia_misr@hotmail.com

مُقَدِّمَة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد،

فالأحداث سريعة متلاحقة وبعد أن كانت الدنيا أشبه بقرية صغيرة تعبيرًا عن سهولة الاتصال صارت أشبه بحجرة صغيرة وتندر البعض أكثر وأكثر بأنها أصبحت عبارة عن جهاز صغير، وإذا كانت ملاحقة تتبع الأحداث يُصعب ويُعسر، فكيف بضبطها بالضوابط الشرعية ثم التفاعل معها أو الاستجابة لمقتضياتها، وقد كان البعض يرمي إخوانه بالجمود والانغلاق والعيش في الزمن الماضي وعدم التواكب مع مجريات العصر، وحسبنا جميعًا أن نسأل الله من فضله عساه أن يجبر كسرنا ويرحم ضعفنا ويقبل عثراتنا ويلهمنا رشدنا ويوفقنا لطلب العلم النافع ولمتابعته بعمل صالح، فالخير كله بيديه سبحانه والشر ليس إليه والمهم أن تكون على بصيرة من أمرنا وأمر الناس وأن نتعرف على السنن الشرعية والسنن الكونية وأن نرتفع لمستوي إسلامنا علمًا وعملًا واعتقادًا، وأن تتكاثف الجهود لسد الثغرات وإقامة الواجبات وتأدية حقوق الله والنفس والعباد، حتى ننتقل من هذه الدار بسلام إلى دار السلام، وأن نعلم أن التوفيق بيد الله وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وقد قالوا إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر أين أقامك، والمرء يتمني لنفسه وللخلق من حوله أن نقف عند حد العدل والاعتدال بعيدًا عن الإفراط والتفريط، فليس هو بالذي ينسى الدنيا من حوله ولا يهتم بأمر المسلمين برغم حفظ الكتاب ودراسة المنهج ولا هو أيضًا بالذي يستغرقه الواقع بلا زاد ويكون في أحسن أحواله كالشمعة التى تنير لغيرها وتحرق نفسها، فالعدل أساس الملك وبه قامت السماوات والأرض، إن تقديم الأهم على المهم أمر واجب في العلم والعمل والدعوة إلى الله، وما يطالب به الكبير لا يطالب

به الصغير وما يصلح للرجل قد لا يتناسب مع المرأة ولا يخاطب الجاهل بما يخاطب به العالم، ولكل مقام مقال ولكل حدث حديث، والإنسان بحاجة لأن يتعلم ما لا يسع المسلم جهله وأن يتابع العلم النافع بعمل صالح، وأن يهتم بوالديه وأسرته وذوي رحمه، وأن يتقن صنعته وحرفته وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويهتم بأمر المسلمين.... واجبات كثيرة وعديدة والواجبات تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها وقد يحتاج لإعمال الضوابط الشرعية مثل تقديم أعظم المصلحتين بدفع أدناهما والتزام أدنى المضرتين بدفع أعلاهما، لقد كتبت بعض المقالات تعليقًا على الأحداث الجارية، ولا أزعم الإحاطة ولا الخضرمة السياسية، ولا أدعي الصحة والصواب في كل ما كتبت أو أنني بذلك أكون قد برأت ساحتي وخلصت رقبتي، ولكن جهد المقل وبعض السنن والمشاهد التي شدتني إلى ما صنعت ومنها إطلاق النبي ﷺ الهدي في وجه زعيم الحمس؛ لأنه رجل يعظم الحرم على الرغم من كفره وبالتالي يتحرج من صد النبي ﷺ وصحابته الكرام عن بيت الله الحرام.

ولم يصنع صلوات الله وسلامه عليه مثل ذلك مع سهيل بني عمرو عندما آتاه مفاوضًا، فالمعرفة بالأشخاص كانت سببًا في تفاوت السلوكيات والتصرفات والفتوى تقدر زمانًا ومكانًا وشخصيًا، وعن أنس رضي الله عنه قال: «كانت ناقه لرسول الله ﷺ تُسمى الغضباء وكانت لا تسبق فجاء أعرابي على قعود له فسبقها، فاشتد ذلك على المسلمين فقال رسول الله ﷺ إن حقًا على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه» [رواه البخاري] قال ابن الجوزي (لوصفت لك فكرة كان لك في كل شيء عبرة، كل المخلوقات بين مخوف ومشوق حر الصيف يذكر حر جهنم، وبرد الشتاء محذر من زمهريرها والخريف ينبه على اجتناء ثمار الأعمار، والربيع يحث على طلب العيش الصافي وكان بعض السلف إذا شرب الماء البارد في الصيف بكى وتذكر حال أهل النار في مناداتهم لأهل الجنة ﴿أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾، وكانت الظلمة

تذكر البعض بظلمة القبر وحضر الحسن البصري مجلسًا جمع شيوخًا وشبابًا فقال معشر الشيوخ ما يُصنع بالزرع إذا طاب، قالوا: يحُصد ثم التفت قال معشر الشباب، كم من زرع لم يبلغ قد أدركته الآفة فأهلكته وأنت عليه الجائحة فأتلفته ثم بكى وتلا ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٢٥].

ولا نملك إلا أن ندعوه – سبحانه – أن يجعل صمتنا فكرًا أو نطقنا ذكرًا أو نظرنا عبرًا، فأحداث الحاضر قد تتطلب منظارًا دقيقًا وعدسة مكبرة لربط الماضي بالحاضر والمستقبل دون رجم بالغيب، والنظر بالروح والقلب دون الاكتفاء بالعين وربط الأرض بالسماء ووصل الدنيا بالآخرة عساه يرى الحدث والصورة بجميع جوانبها وينتفع بما حرم منه الغافلون ويكون عونًا للبلاد والعباد على طاعة رب العالمين.

فإليك بعض هذه الأحداث والتعليق عليها وسميناها (**المقالات السعيدية على الأحداث العصرية**).

نسأل الله تعالى أن ينفع بها كاتبها وقارئها وناشرها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

كتب

سعيد عبد العظيم

جائزة القمني
بين الحرية والإبداع والكفر والردة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد أثار منح المدعو د. سيد القمني، جائزة الدولة التقديرية ردودَ أفعال كثيرة، فالرجل يشتكي إذا رأى فردًا من طاقم الحراسة يصلي، ويتوتر وتأخذه العصبية لقراءة القرآن، ووصل سفهه وبغضه لدين الله لدرجة أنه اعتبره اختراع سياسي للسيطرة على مكة وعلى العرب، وأن الفتوحات والغزوات بمثابة اغتصاب.

لقد سلك القمني نفس مسلك تسليمة نسرين، وصاحب «وليمة أعشاب البحر»، ونصر أبو زيد، ومحمد صبحي منصور، وسلمان رشدي صاحب «آيات شيطانية»، ونجيب محفوظ صاحب «أولاد حارتنا».

وهذا المسلك دعا دار الإفتاء، وجبهة علماء الأزهر والجماعات الإسلامية وعلى من عنده غيرة على إسلامه لأن ينتفض ويستنكر ما يحدث.

فكيف تعلي الدولة ووزارة الثقافة شأن من يهاجم الإسلام بهذه الجرأة وهذه الوقاحة، وكيف تُدفع أموال المسلمين لمن يستهزئ أو يستخف بشعائرهم وشرائعهم؟!

وصف البعضُ القمني بأنه كافر مرتد وأن كتبه ومقالاته كفر وردة تستحق التجريم لا التكريم، طعن البعض في الدكتوراه التي يحملها وطالب بإظهارها؛ لأنها شرط في الحصول على الجائزة واستنكف بعض المثقفين والعلمانيين أن تُعطى الجائزة لرجل ليس له مستوى فكري أو ثقافي، وقالوا: كيف يتساوى مع القمم التي حصلت على الجائزة التقديرية من وجهة نظره.

ومع تصاعد الهجمة، ذكرت وزارة الثقافة أن لجنة الفحص الفني هي التي أقرت الكتاب، كما هي العادة في التنصل، وإلقاء التبعة والمسئولية على الصغار، وبحيث تهون القضية في النهاية.

ونشر موقع صحيفة «المصريون» على لسان رئيس تحريره الكاتب محمود سلطان، الذي قال في مقاله الافتتاحي:

«إن أحد الحاصلين على الجائزة هذا العام قال للموقع: إنه يشعر بالإهانة لوجود اسم القمني معه في كشف الفائزين، فعاتب مسئولين بالمجلس الأعلى للثقافة على تكريمهم لكاتب على تزويره وخيانته للتاريخ والاستقامة العلمية في البحث، فجاءه الرد صادمًا: نعلم أنه كذلك، وأنه سب الدين فعلًا، لكنه هو الشخصية المناسبة التي اخترناها نكاية في التيار الإسلامي».

لقد ابتهج البعض بجائزة القمني، ورآها تعبيرًا عن تقدير الحرية والإبداع، وسلك مسلك الحياد المصطنع، والاعتدال المبتذل؛ حتى لا يوصف بالتطرف الديني أو العلماني، وكأنه مع انحرافه يصلح لأن يمسك الميزان، واستصرخ القمني بدوره أحرار العالم أن ينقذوه من الإرهابيين والمتطرفين.

هذه بعض الجوانب التي احتفت بجائزة القمني، ولمزيد من التوضيح نذكر ما يلي:

أولاً- تحرص الكثرة في التعليم والإعلام والثقافة على الظهور بصورة حامي حمى التنوير أمام الدوائر الغربية، ويرون أن ذلك هو سلم الوصول لنيل الدرجات والمناصب العليا، فلا ضير عندهم أن يبيعوا الدين بالدنيا، وأن يتفننوا في الصد عن سبيل الله، والتنفير عن طاعة الله، وقد رأوا كيف تُعطى «جائزة نوبل»، وأرفع وسام في انجلترا لمن يسب الدين، ويستهزئ بالإسلام وأهله، وكيف تضفى الهالات والألقاب على الساقطين والمنحرفين.وكان «فولتير» فيلسوف الثورة الفرنسية يقول: إن المناصب العليا كقمم الجبال لا يصل إليها الهوام والحشرات.

وقد كشف القمني كيف أن الدوائر الغربية وضعت عينها عليه منذ فترة، وقررت أن تتبناه وتلمعه وتنفخ في صورته.

والناظر في المجلس الأعلى للثقافة ورئاسته -كعينة مصغرة- يدرك مدى خيانة الأمانة، وكيف تساس الأمور

وكان عثمان رضي الله عنه يقول: «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»؛ فإذا علا القبيلة فجارها وساد الناس منافقوهم، فحدث عن الخراب والدمار، ولا تتعجب لجائزة تقديرية تعطى لأمثال القمني.

ثانيًا- من تصريحات المؤرخ الدكتور قاسم عبده قاسم الذي مُنِح جائزة الدولة التقديرية هذا العام، والذي قال بالنص: «على مسئوليتي الشخصية القمني ليس حاصلًا على الدكتوراه، وأتحدى القمني ومن رشحوه ومن منحوه الجائزة أن يظهروا للناس شهادة الدكتوراه التي يزعمون أنه يحملها، هذا نموذج للتزوير في أفحش صوره».

يقول الدكتور قاسم: إنه التقى قبل سنوات بالقمني، وسأله عن موضوع الدكتوراه التي يزعمون أنه يحملها، ومن أشرف على رسالته، ومن ناقشوه فيها، فتهرب منه القمني، وظهر بعدها يروج أنه حصل على الدكتوراه بالمراسلة من جامعة أجنبية.

يقول الدكتور قاسم: «ما ينشره القمني عن التاريخ الإسلامي أو التاريخ القديم لا يمت بصلة للعلم ولا للمنهج ولا للأمانة، مجرد زيف وتهريج».

ثم يختم الدكتور قاسم تصريحاته الخطيرة بقوله:

«هناك جهات متطرفة في وزارة الثقافة لها مواقف شديدة من التيار الإسلامي رأت منح الجائزة للقمني نكاية في التيار الإسلامي دون أن يتحسبوا لردود الفعل، ودون أن يستشعروا بعظم المسؤولية التي حملتهم الدولة إياها، وأن منح الجوائز الرفيعة باسم الدولة ينبغي أن يتنزه عن مثل هذه التوجهات غير العلمية»، مؤكدًا أن أتيليه القاهرة

الذي تم منح الجائزة للقمني من خلال ترشيحه تحول إلى ثقب خطير في تمرير بعض الجوائز المثيرة للجدل رغم أنه غير مؤهل لذلك، ولذلك لا يصح أن يكون جهة ترشيح للجوائز العلمية، كيف لجمعية أهلية تتبع وزارة الشئون الاجتماعية أن يكون لها حق اختيار أو ترشيح من يحصلون على أرفع جوائز الدولة.

ونفى الدكتور قدري حفني، عضو لجنة الفحص لجائزة الدولة التقديرية أن تكون لجنة الفحص قد قامت بفحص أعمال المتقدمين للجائزة، مؤكدًا أن اللجنة عملها شكلي محض، وليس لها صلاحية لتقويم الأعمال، أو إبداء الرأي فيها، أو في أصحابها، أو حتى معرفة الطريقة التي تمت بها عملية الترشيح من الجهات المختلفة، كاشفًا معلومة خطيرة أن لجنة الفحص لمكونة من الدكتور قدير والدكتور مصطفى سويف، والدكتور مصطفى الفقي، كان من صلاحياتها سابقًا النظر في أوراق المرشحين وأعمالهم وتقييمها، إلا أن دعوى قضائية غامضة انتهت إلى سحب هذه الصلاحية من أعضاء اللجنة، وهو ما دفعهم إلى تقديم استقالاتهم ثم تراجعوا عنها في اللحظات الأخيرة حتى لا يتهموا بعرقلة أعمال اللجنة.

ثالثًا- الردة هي رجوع المسلم العاقل البالغ عن الإسلام إلى الكفر باختياره دون إكراه من أحد سواء في ذلك الذكور والإناث، فلا عبرة بارتداد المجنون، ولا الصبي؛ لأنهما غير مكلفين، ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ، عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ**» [رواه أحمد وأصحاب السنن، وحسنه الترمذي].

ويكفر العبد بإنكار ما علم من الدين بالضرورة، كإنكاره أن القرآن وحي من الله، وإنكار البعث والجزاء وفرضية الصلاة.

وكذلك استباحة المحرم الذي أجمع المسلمون على تحريمه كاستباحة الخمر والزنا والربا، وتحريم ما أجمع المسلمون على حِله، وكذا سب النبي ﷺ أو الاستهزاء به، وسب الدين، والطعن في الكتاب والسنة.

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه : «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»، وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ الثَّيِّبُ الزَّانِي وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**» [متفق عليه]، وثبت أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قاتل المرتدين من العرب حتى رجعوا إلى الإسلام.

ولم يختلف أحد من العلماء في وجوب قتل المرتد، يفعل ذلك الحاكم المسلم أو من ينيبه، وقد ذكرنا أن الحكومات تعلق المشانق لمن خرج على دستورها الوضعي، فكيف بمن خرج يبارز الله بالحرب، والخلافة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا به.

كنا نتمنى من القمني أن يتوب إلى الله، ويعاود الرجوع لدين الله، بدلًا من تماديه في الكفر والضلال واستعدائه لأحرار العالم ممن هم على شاكلته، وجرأته واتهامه لكل من خالفه بالإرهاب والتطرف،وهي التهم المبتذلة واللبانة المجوجة، والتي قد تُقْبَل على فلان وعلان، ولكن من يستسيغها على جبهة علماء الأزهر، ودار الإفتاء، والدكتور نصر فريد واصل؟! بل وانضاف إليهم جماعة من المثقفين والعلمانيين لفرط فجاجة القمني.

رابعًا- إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإنه غني عنكم، ولا يرضى لعباده الكفر، فالإسلام لا يضيره كفر وردة القمني، والحق أبلج والباطل لجلج، ومن عمل صالحًا فلنفسه، ومن أساء فعليها.

وقد نتألم ونحزن لوجود من انتكست عقولهم وارتكست فطرهم، وخالفوا شريعة ربهم، وهو -سبحانه- أحق أن يطاع فلا يُعصى، وأن يُشكر فلا يُكفر، وأن يُذكر فلا يُنسى.

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد

نتخوف على من يتواطأ ويتولى الكفرة والفجرة في الداخل والخارج، ويبيع دينه بدنيا غيره، ونتعجب لسفه الباطل ومشابهة بعضه لبعض قديمًا وحديثًا، وكأن الصور والمشاهد تتكرر أمام أعيننا، ويكفي أن نسترجع معاني التاريخ، ونتذكر الآيات البينات ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [يس: ٣٠]، ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [يس: ٢٨ - ٢٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]، ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحج: ٣١] ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

لقد فتحت جريدة المصري اليوم صفحاتها للقمني يبث من خلالها سمومه بزعم عدم حجب الآراء أو الحجر على الحرية والإبداع، وهذا هو الدين الجديد الذي يتبناه القمني وجريدة المصري اليوم وغيرهم، ويعتبرونه قمة الحياد والموضوعية والنزاهة!!

ومثلهم في ذلك كمثل الناشر الحيادي لآراء مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وطليحة الأسدي وسجاح وأبي جهل وأبي لهب، ولا مانع عنده أيضًا من نشر دعوة النبي ﷺ، وهذا في أحسن أحوال هذا الناشر الذي يزعم الموضوعية والنزاهة، وأنه لا يحابي رأيًا ولا عقيدة، ويترك القارئ يأخذ من الآراء ما يشاء!!!

فصار القارئ هو الميزان والضابط والمقياس، وصارت دعوة الإسلام كاليهودية والبوذية والوجودية بمقتضى هذه الليبرالية الديمقراطية!!

لا يسعنا في مواجهة هذا الانحلال وهذا العبث إلا أن نردد قول ربنا ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ [يونس: ٣٢] ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم: ٣٥]، ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٢ - ١٢٣]، ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

خامسًا- جائزة القمني أشبه بانقلاب السحر على الساحر، فالباطل سراب والتواطؤ عليه خيبة وضياع، وتدبير الكافر تدميره، وكيده دائمًا يرتد إلى نحره، ولا طاقة لأحد بحرب الله، والرب -جل وعلا- لا يُغشّ ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٨١]، و لا يُضيعُ أجر المحسنين، والعاقبة للمتقين.

وها هو طوفان التدين يشتد عوده ويقوى ساعده، وفي المقابل فوضوح الباطل قد يساعد على نوع من التمايز، وهذا بلا ريب أنفع للمسلمين، فالكافر أخف ضررًا من المنافق كما هو معلوم، وقال تعالى: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٥]، أي لو تميزوا.

نحن نستبشر الخير بما يحدث، فكل المشاهد تؤكد أن المستقبل للإسلام بغلبته وظهوره، ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾.

والله غالب على أمره ومتم نوره ولو كره الكافرون.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

منع الاحتفال بمولد السيدة زينب
بسبب أنفلونزا الخنازير

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد أصدر محافظ القاهرة قرارًا بمنع الاحتفال بمولد السيدة زينب، وذلك لأن التجمعات الكبيرة التي تحدث في الموالد يُخشى منها أن تكون سببًا في نشر أنفلونزا الخنازير، وكان وزير الصحة قد رفع توصيات بشأن إلغاء الاحتفال بالموالد هذا العام، كمولد الحسين، والسيد البدوي، وإبراهيم الدسوقي، وأبي العباس المرسي؛ وذلك بناءً على توصيات اللجان الصحية المختصة.

ولنا مع هذا الخبر عدة وقفات:

أولاً- التناقض العملي السلوكي اللافت للنظر هنا وهناك، فالمباريات ودور السينما والمسرح، وأماكن التسوق، وحمامات السباحة، والأندية يرتادها أعداد غفيرة، وتكتظ بالجماهير في أماكن مغلقة ومفتوحة، ولم يتم منعها ولا التحذير منها.

مما يفتح الأبواب للتساؤلات والاتهامات: لماذا يمنع هذا ولا يمنع ذلك؟! وهل هذه الصورة تكتنفها المخاطر الصحية، والأخرى سالمة عن المعارضة؟!

مع أن الواقع يشهد أن هذه كتلك سواء بسواء، والشرع لا يفرق بين المتساويين ولا يساوي بين المختلفين.

فإذا أضفنا حالة البلدان الموبوءة كإنجلترا وأمريكا، ففي إنجلترا وحدها ٦٥ ألف حالة أنفلونزا خنازير، بينما كان عدد الإصابات عندنا لا يتجاوز المائة، ورغم ذلك فلا يكاد أحد يشعر بوجود الوباء في إنجلترا، ولا بإجراءات احترازية في المطارات أو منع مباريات دولية أو أمر بارتداء الكمامات، فكل ذلك لا وجود له.

وتزداد المسألة غرابة عندما يكثر الكلام على منع الحج والعمرة؛ مما قد يترتب عليه نوع من الإرجاف والتخذيل فيما يتعلق بهذه الفريضة بينما لا تجد شبيهًا لهذا المسلك مع رواد الفن والرياضة. فهل لا خوفَ على هؤلاء من أنفلونزا الخنازير؟

ثانيًا-الاحتفالات بالموالد من البدع المحدثة في الدين، وقد انقضت خير القرون دون احتفال بمولد النبي ﷺ، فضلًا عن غيره، وقد ظهرت الموالد في الدولة الفاطمية التي أقامها العبيديون، وكان ظاهرهم الرفض، وباطنهم الكفر المحض. هدموا الشرائع والشعائر، واكتفوا بإقامة الموالد وما شابه ذلك، وغير ذلك من أمور ازدادت بها الأمة بعدًا عن دين ربها.

فقد قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» [رواه مسلم]، فالاحتفالات التي ظهرت ليست من أمر النبي ﷺ، وهو مما أحدثه الناس في دينه في القرون المتأخرة، فيكون مردودًا.

وكان عليه الصلاة والسلام يقول في خطبته يوم الجمعة: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله وَخَيْرَ الْهُدي هُدي مُحَمَّدٍ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**» [رواه مسلم]، وأخرجه النسائي بإسناد جيد وزاد: «**وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ**».

واحتفالاتنا وأعيادنا توقيفية تؤخذ دون زيادة ودون نقصان، وهي معدودة من جملة العبادات. متى احتفل الصحابة بمولد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم حتى نجيز الاحتفال بمولد السيد البدوي وأبي العباس المرسي وإبراهيم الدسوقي؟!

إن القوم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفُّوا، فاتبِعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة.

ثالثًا- كنا نتمنى أن يكون إلغاء الموالد لكونها بدعة في الدين، قبل أن تكون إجراءً وقائيًا صحيًا، نتفق عليه أو نختلف عليه، فالقول والفعل والإقدام والإحجام يجب أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى، وهذا بلا ريب يحقق مصلحة البلاد والعباد في العاجل والآجل.

والحمد لله الذي أحل لنا الطيبات، وحرم علينا الخبائث ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ووضح لنا نبينا -صلوات الله وسلامه عليه- كيفية التعامل مع الخنزير والطاعون، ولا حرج عندنا في التزام الإجراءات الصحية والطبية التي لا تصطدم بالكتاب والسنة.

ولكن يبقى السؤال هل ستعود للاحتفال بالموالد بعد زوال خطر الوباء؟!

إن الاحتفال بالموالد غير مشروع سواءٌ وُجد الطاعون أو لم يوجد، ولا يجوز التكريس لهذه الموالد ولا المشاركة فيها.

لا نغالي لو قلنا هي بلاء وشر يفوق خطر أنفلونزا الخنازير؛ وذلك لما يحدث فيها من شركيات وبدع وضلالات، فتجد من يصرف العبادة لغير الله. ومن يستغيث بالسيد البدوي ويحلف بالحسين، ويذبح للسيدة زينب، ويتمرغ على أعتاب إبراهيم الدسوقي، ويطوف سبعًا بأبي العباس المرسي، ومن يطلب الولد من السيدة نفيسة.

قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

قال رسول الله ﷺ: «**فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى الله أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**» [رواه البخاري ومسلم].

الموالد لا تخلو من اختلاط الرجال بالنساء، وتعاطي الدخان والمخدرات، وشد الرحال لغير الثلاثة مساجد، وصرف العبادة للمقبورين بزعم محبة الأولياء والصالحين، وقد يترك الرواد الصلاة.

والمسجد المبني على قبر لا يُصلى فيه فرضًا ولا نفلًا؛ وذلك لأنه مبني على معصية الله، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وقد وردت نصوصٌ تحذر من بناء المسجد على قبر، والصلاة إلى قبر، والصلاة على قبر؛ وذلك سدًا لذرائع الشرك والعصيان، فكل ما أدى إلى الحرام فهو حرام.

ولا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، هذا يقول: يا رب، والثاني يقول: مدد يا أبا العباس. هذا يستغيث بالله، والثاني يستغيث بالحسين. وإذ لم تزل المنكر فزُل أنت عنه.

وفي مرض النبي ﷺ كان كلما يفيق يقول: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا**» [رواه البخاري ومسلم]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «**لاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا**»[رواه أبو داود، وصححه الألباني]، ولما ذكرت له أم سلمة وأم حبيبة كنيسة بالحبشة وما فيها من تصاوير، قال لهما النبي ﷺ: «**إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [رواه البخاري].

رابعًا- لم يحتفل النبي ﷺ ولا الصحابة الكرام بمولده الشريف -صلوات الله وسلامه عليه-، وزَعْمُ البعضِ أنه ﷺ كان يصوم يوم الإثنين احتفالًا بمولده، يجاب عليه أن الصيام كان في كل أسبوع، ولم يكن يومًا في العام، يُخصُّ بإقامة السرادقات والإنشاد والمديح، ويتوسع فيه في اللحم والحلوى، ويُسن صيام الإثنين والخميس والثلاثة الأيام البيض من كل شهر عربي، والإكثار من الصيام في شعبان.

فلم يقتصر الصيام على يوم الاثنين، ولا بأس إن كان الصيام احتفالًا أن تصوم يوم الاثنين دون استحداث لشيء زائد.

وأعظم تقدير يكمن في متابعة السنن وإشاعة هديه الشريف صلوات الله وسلامه عليه.

وقد دُفن ﷺ في حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكانت ملاصقة للمسجد، ثم أدخلت برمتها داخل المسجد، وذلك في عهد الوليد بن عبد الملك.

تقول لجنة الفتوى بالسعودية، وقد احتاطوا فبنوا جدارًا من وراء جدار بحيث لا يستطيع أحد استقبال القبر، يُضاف إلى ذلك أن مسجد النبي ﷺ لا يُقاس على مسجد السيد البدوي ولا غيره؛ وذلك لخصوصيته؛ لأن الصلاة فيه بألف صلاة فيما سواه، وما مُنِع سدًّا للذريعة أبيح للمصلحة الراجحة، فلا يمكن منع أحد من الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ.

وقد سئل الإمام أحمد عن الصلاة في مسجد بجواره مقبرة، فقال: إن كان للمسجد جدار، وللمقبرة جدار، وهناك جدار يفصل بينهما صحت الصلاة.

ويرى الشيخ الألباني رحمه الله أن التبعة والعهدة تقع على الوليد بن عبد الملك ولا يجوز منع أحد من الصلاة في مسجد النبي ﷺ وذلك لخصوصيته.

خامسًا- لا يجوز استدعاء البلاء بالشركيات والبدع والضلالات، وفي الخبر: قال رسول الله ﷺ: «**لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا**» [رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني]، وما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة.

والطاعون شهادة، وإذا نزل بأرض فلا تدخلوها، وإذا كنتم فيها فلا تخرجوا منها. الحيطة تجاه أنفلونزا الخنازير مطلوبة، والأخذ بأسباب الوقاية منها وعلاجها مشروعة، ولا يتعارض هذا مع الانتهاء عن الشركيات والانحرافات.

فلا بد من الجمع بين المصالح وشمولية النظرة، نحافظ على صحة البدن، وصحة القلوب والأرواح، فإذا حدثت المعارضة، فتقديم الأهم على المهم أمر واجب في العلم والعمل والدعوة إلى الله تعالى، والتوحيد أولًا، لو كانوا يعلمون.

انشدوا السلامة والعافية في الدنيا والآخرة، وذلك بالاستقامة على شرع الله، والرجوع لمثل ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام، ولا ترقعوا دنياكم بتمزيق آخرتكم، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧].

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

هل يزيد الحمل على تسعة أشهر؟
الحمل المستكن

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد. . فبنفس الطريقة التي درجت عليها جريدة المصري اليوم، وبنفس أسلوب الاستخفاف والسخرية بكثير من القضايا الشرعية، والذي دأب عليه معظم كُتَّاب الجريدة، جاء بعدد يوم السبت ١١رجب١٤٣٠هـ، وتحت عنوان «الحمل المستكن» ما يلي:

«في مؤتمر طبي بإحدى كليات الطب الخاصة وقف أستاذ طالبًا الكلمة وقال: «لماذا لا نناقش في المؤتمر الحمل المستكن؟!»، ولما سأله الحاضرون عما يقصده بالحمل المستكن، رد قائلًا: أقصد الحمل الذي يظل عامًا وعامين وثلاثة وأربعة!!، اندهش الحاضرون أساتذة وطلبة وتساءلوا: هو فيه حمل بيقعد ثلاث أو أربع سنين!!، رد الأستاذ واثقًا وساخرًا من جهل زملائه: طبعًا..إذا كان الإمام مالك ظل في بطن أمه ثلاث سنوات.

خطورة هذا الرأي أنه قد صدر عن أستاذ طبيب، المفروض أنه قد تعلم المنهج العلمي في التفكير، والمفروض أن مرجعه في الطب هو المراجع والمجلات العلمية، وفى قضية طبية مثل معلومة أقصى مدة للحمل لابد أن يعود إلى ما تعلمه وقرأه في هذه المراجع وليس إلى ما قرأه في كتب الفقه، ولكن هذا الأستاذ للأسف لا يعبر عن نفسه ولكنه صار يمثل ظاهرة تغلب النقل على العقل، ويلخص تيارًا مستعدًا للتضحية بكل ما تعلمه من طب في سبيل تغليب نص فقهي أو الانتصار لفتوى تراثية، بدليل أن هذا الأستاذ ليس الوحيد الذي ينتصر لمثل هذه الآراء ولك أن تعلم أن من يتزعم تيار دعم وتأييد ختان الإناث -لدرجة أنه قد اختصم وزير الصحة أمام المحاكم- يعمل أستاذًا للنساء والتوليد!!.

بعض الفقهاء مثل الحنفية يرون أن أقصى مدة للحمل قد تطول إلى سنتين، والمالكية والشافعية أربع سنوات، والبعض يرى أنها خمس سنوات، والبعض مدها إلى أكثر من ذلك!!،

وهو كلام نقبله كنوع من الفولكلور، ولا نقبله على الإطلاق كنوع من العلم أو الحقيقة، ومن الممكن تبريره كما سنرى لاحقًا نتيجة سوء فهم لبعض الظواهر آنذاك مثل انقطاع الحيض والتي لم يستطع القدماء تفسيرها إلا بأنه حمل مؤكد فحدث الالتباس.

أما أن يفرض كائن من كان على تفكيري وعقلي أن أقبل هذه الخزعبلات تحت مسمى تطبيق الشريعة، فهذا ما أرفضه أولًا للإسلام دين العقل بأن تلصق به هذه الأفكار التي تنتمي للقرون الوسطى.

وثانيًا أرفضه بالنسبة لعقلي الذي يفرض عليه أن يقبلها لمجرد أن المفتى قد ذكرها في كتابه أو لأن الأزهر يدرسها في منهجه!، فكيف أقبل علميًا ما لم يشاهده طبيب نساء وولادة واحد منذ اختراع علم طب النساء والتوليد، وما لم يسجله جهاز سونار واحد حتى في بلاد واق الواق؟!!

وكيف أقبل أخلاقيًا أن أسمح بطوق نجاة فقهي لامرأة من الممكن أن تمارس الفاحشة بعد وفاة زوجها ثم تنسب طفل الخطيئة للأب المتوفى احتماء بمظلة الحمل المستكن، أو تسترًا وراء فتوى فلان أو مذهب علان، كما حدث في ١٩ جمادى الآخرة عام ١٣٤٦ هجرية في المحكمة الشرعية في مكة، عندما حكم القاضي مصطفى عبد القادر العلوي بإلحاق نسب طفل ولدته أمه بعد موت زوجها بخمس سنين!!.

ولكن السؤال المهم هل ظل مفهوم الحمل المستكن سجين كتب الفقه لا يطبق إلا في الدولة الدينية أم تسلل إلى قوانين الدولة المدنية المذعورة من شعارات جماعات ضغط الإسلام السياسي؟ هل نحن دولة تحترم العقل والتفكير أم تقدس النقل والتكفير؟، هذا هو سؤال الإثنين المقبل».

ولنا على هذا المقال عدة تعليقات:

أولاً- يعلم الكاتب الصحفي وطلبة الطب قبل الأساتذة أن المراجع والمجلات العلمية الطبية، تشتمل على أخطاء وجهالات واختلافات في التحاليل والتعاليل، ومعرفة أسباب الأمراض وطرق العلاج.

فليست كل المسائل الطبية الموجودة في المراجع العلمية مسلمات وحقائق يقينية، حتى يعتبرها الكاتب هي المنهج العلمي في التفكير، ولا أحتاج للتذكير ببعض الأمثلة كالسرطان والروماتيزم، فضلًا عن الإيدز والصرع. وها هي البشرية تقف عاجزة مؤخرًا أمام أنفلونزا الخنازير، ولم نقل بإغلاق كلية الطب، ولا منعنا من التداوي؛ فالطب والعلوم النافعة كالهندسة والزراعة والصناعة تؤخذ من كل من أفلح فيها، أما علوم الهداية فلا تؤخذ إلا من الكتاب والسنة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، أي للتي هي أسدّ وأعدل في كل ناحية من نواحي الحياة.

وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والقوة مطلوبة في كل صورها، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، وفي الحديث: «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**» [رواه أحمد، وصححه الألباني]

وقد أمرت النصوص بالتداوي والتطبب، وقال النبي ﷺ: «**إن الله تعالى خلق الداء والدواء، فتداووا، ولا تتداووا بحرام**» [صححه الألباني في صحيح الجامع] «**مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلاَّ قَدْ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**» [رواه أحمد، وصححه الألباني بشواهده]، وبينت الشريعة أن من تطبب بغير طب فهو ضامن.

ومع تسليمنا بصحة الكثير من المعلومات الطبية قد لا نعدم خطأ الممارسة والتطبيق من طبيب نسي الفوطة في بطن المريضة، مما لا يستدعي التشهير بمجموع الأطباء، ولا منع ممارسة مهنة الطب.

ثانيًا- لا معارضة بين عقل صريح ونص صحيح، فإذا وجدت المعارضة فإما أن يكون العقل غير صريح، وإما أن يكون النص غير صحيح، فهناك تطابق بين الكتاب المنظور والكتاب المسطور.

وقد حثنا الإسلام على التدبر والتأمل في ملكوت السموات والأرض والأخذ بالأسباب، وختمت آيات كثيرة بقوله تعالى: ﴿لأُولِي الأَلْبَابِ﴾، ﴿أَفَلا يَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿أفلا يَتَدبَّرون﴾، ﴿أَفَلا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

والحقائق العلمية اليقينية لا يمكن أن تجد ما يخالفها في الكتاب والسنة، ولكن قد يتهور البعض ويطوع النصوص لموافقة نظريات ومسائل لم تثبت عند أهلها ولا ننسى أن القرآن كتاب هداية، والإشارات العلمية الموجودة سيقت أيضا مساق الهداية، وما من يوم يمر إلا ويسمع عن مؤتمر للإعجاز الطبي أو العلمي أو الفلكي أو التشريعي.

نريد إقامة حضارة على منهاج النبوة، والتطور والتقدم عندنا لا يتنافى ولا يتعارض مع إقامة واجب العبودية. وتعمير الدنيا وإقامة فروض الكفاية الطبية وغيرها يتحقق مع تمسكنا بالأخلاق الإيمانية.

فليس في الدين ما يدعو للخرافات ولا الخزعبلات، وليس عندنا -بحمد الله- ما نتوارى به خجلًا في مواجهة التطور العلمي والطبي، بل على العكس، فالمكتشفات والمخترعات العصرية تزيدنا إيمانًا ويقينًا بعظمة هذا الدين ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]

ثالثًا- المهج العلمي في الطب وغيره يكون برد المسائل إلى عالمها، فلكل علم عالم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ولا يخفى على أحد أن البشر يجهلون أكثر مما يعلمون، وما زالت البشرية أشبه بصبيان يلعبون بشاطئ البحر، وهم يجهلون أعماقه؛ فالجهالة واضحة رغم ادعاءات التطور والتحضر والتقدم، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[يونس: ٢٤]، وما علمنا ولا علم البشر إلا كما يضع الطائر فمه في البحر فبماذا يرجع؟ فالله يعلم وأنتم لا تعلمون، وهو - سبحانه- علام الغيوب، خالق الأرض والسماء، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأحاط بكل شيء علمًا، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

لا معارضة عندنا بين السنن الشرعية والسنن الكونية، ولا بين الأرض والسماء، والدنيا والآخرة، فإذا وجدت المنازعة بيننا وبين بعضنا البعض وجب أن نرد حكم ما تنازعنا فيه إلى الكتاب والسنة، قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]. ويدخل في ذلك مدة الحمل، وهل من الممكن أن يزيد على تسعة أشهر م لا؟ كما سنوضح ونبين بإذن الله تعالى.

رابعًا- لا نقبل التخييل على ضعاف البصر والبصيرة باستحالة عودة الحياة لدين الله،وتوهم التنافر بين العلم والدين، أو بين الدين والدولة، فالطبيب لا ينسى إسلامه ودينه، ورجوعه للمراجع العلمية الطبية الأجنبية لا يتعارض مع الدعوات الصالحة والرقى النافعة.

وطب النساء والتوليد والسونار لا يجوز أن يتعارض مع الطب النبوي، والحقنة والقرص، وجهاز الضغط والسماعة لا تتنافى مع تعاطي عسل النحل والحبة السوداء والحجامة والشرب من ماء زمزم.

آن للوثة المادية التي أنستنا ربنا وديننا أن تنتهي؛ فقد المداوي والمُداوىَ، ومازال الفشل الطبي واضحًا وباديًا.

ونحن قوم لسان حالنا ومقالنا ينطق ويقول: آمنت بالله وكذبت عيني. فالمعاني الإيمانية سالمة عن كل معارضة على رغم أنف المخالفين.

ولا ينسى الكاتب الصحفي -وهو مسلم- أنه يخاطب أمة مسلمة يعتز أساتذتها وطلابها بدينهم، تهتز الجبال ولا تهتز معاني الإيمان في نفوسهم، لا يقبلون ما في المراجع العلمية الطبية من مخالفات لدينهم.

فالأجانب الذين وضعوا المراجع الطبية لا حرج عندهم في التداوي بالخمر والمخدرات وشحوم الخنزير. وبعض من تابعهم من الأطباء لا يأبه بتعرية المرأة والانفراد بها في حجرة الكشف.

والهزيمة النفسية جعلتنا نبجل كل ما هو غربي ووافد ومستورد، بل حتى لم نستطع تعريب الطب حتى يومنا هذا.

وعلى الكاتب الصحفي أن يفسح صدره لقدر من المراجعة أو حتى التوجس تجاه بعض ما هو موجود في المراجع العلمية الطبية، ولا داعي للتهكم والسخرية من الأستاذ الدكتور إذا تكلم عن الحمل المستكن.

خامسًا- العقل دابة توصلك لقصر السلطان ولا تدخل بها عليه، والعقل مُتوَلٍّ، ولَّى رسول الله ﷺ ثم عزل نفسه، وإذا ورد شرع الله بطل نهر معقل، فهل من يعقل؟

ومسألة العقل والنقل مسألة قديمة، وما أكثر دعاة العقلانية في عالمنا المعاصر، وقد كان من منهج سلفنا الصالح تقديم النقل على العقل، وهذا هو الذي وردت به نصوص الشريعة.

فالعقول متفاوتة، والمجنون قد يدعي العقل، بل وقد يتهم الآخرين. ومع التحاكم للأهواء والآراء والبيئات والعقول والنشأة والعادات فلا يمكن أن تنحسم مسألة أو قضية، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]،

وقال: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقال- سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، فرد الحكم لله رد لكتابه، والرد لرسول الله ﷺ رد لسنته الشريفة، ولم تقل الآية فردوه إلى العقول والبيئات أو الآراء.

والكاتب الصحفي قد تهور جدًّا عندما انتقل من الاستخفاف بالأستاذ الدكتور إلى ما يذكره المفتي في كتابه، والأزهر في منهجه، والإمام مالك في اجتهاده، ويعبر باستخفاف وهو يقول: «هو كلام نقبله كنوع من الفولكلور...»، ويقول: «...لابد أن يعود إلى ما تعلمه وقرأه في هذه المراجع (أي المراجع العلمية الطبية) وليس إلى ما قرأه في كتب الفقه»، ويتأسف بقوله: «ولكن هذا الأستاذ للأسف لا يعبر عن نفسه، ولكنه صار يمثل ظاهرة تغلب النقل على العقل، ويلخص تيارًا مستعدًا للتضحية بكل ما تعلمه من طب في سبيل تغليب نص فقهي أو الانتصار لفتوى تراثية».

ثم أخذ يستعدي ويتهم مخالفيه مستخدمًا أسلوب الإرهاب الفكري، فقال: «هل نحن دولة تحترم العقل والتفكير أم تقدس النقل والتكفير؟».

هذه صورة من صور الخلاف المنهجي، وما يسمى بالصراع العقائدي الأيديولوجي، وطريقة العرض التي تتبناها جريدة المصري اليوم، وكأن كل كُتَّابها وصحفييها، قد اتفقوا وأجمعوا على هذه الطريقة في طرح الدين ونبذه، فلا يقبلون من الدين إلا ما يوافق أهواءهم وآراءهم.

وقد يتوهم البعض أن لهم أرضية وشعبية، ويكفي في دفع هذا التوهم أن ننزل إلى الشارع وتنظر للحساب على الأرض لتدرك أن طوفان التدين آخذ في الاتساع ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ

﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]، وإن الله لا يصلح عمل المفسدين.

البشائر كثيرة وعديدة، يبتهج لها أولياء الله، ويغتاظ منها العلمانيون والملاحدة والزنادقة. ولا ريب أن إغاظتهم طاعة وعبودية لله تعالى.

إن سنن التدافع ماضية في الخلق ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، تدافع بين الإيمان والكفر، والحق والباطل، والسنة والبدعة.

ومن عجيب أمر الديمقراطيين والليبراليين أنهم يخالفون إسلامهم ودينهم، ويتهكمون على الشرائع والشعائر، وينابذون الأكثرية المتدينة العداءَ، ثم بعد ذلك يقولون: الرأي والحكم للأكثرية، ولابد من احترام رأي الأكثرية!! وربما وصفوا الأكثرية المتدينة بأنهم غوغاء ورعاع!!

سادسًا- معظم المواليد يولدون لتسعة أشهر، والأطباء يزيدون وينقصون أسبوعين ويتوسعون أحيانًا لخطأ في الحساب، وقد يولد المولود لستة أو سبعة أشهر أو ثمانية أشهر، وما زاد على حساب الأطباء وعلى التسعة أشهر يأتي على جهة الندرة، وهو واقع يثبته الخلق، ولا يجوز اتهام المرأة بالزنا إن هي جاءت بالولد بعد تسعة أشهر، وذلك لعدم وجود الإقرار أو الشهود، والحدود تدرأ بالشبهات، والتهمة تتطلب بينة أوضح من شمس النهار.

والكاتب الصحفي والطبيب الملحد يسمع بالولادة بعد الشهر التاسع بيوم ويومين وأسبوع وأسبوعين، ولا أظنه يخالف فيما لو تم الوضع بعد ثلاثة أسابيع أو شهر أو ما يزيد على ذلك.

سابعًا- المنهج العلمي الذي يطالب به الكاتب يوضحه ما قاله العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، قال القرطبي: «واختلف

العلماء في تأويل قوله: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨]، فقال قتادة: المعنى ما تسقط قبل التسعة الأشهر، وما تزداد فوق التسعة، وكذلك قال ابن عباس.

وقال مجاهد: إذا حاضت المرأة في حملها كان ذلك نقصانا في ولدها، فإن زادت على التسعة كان تماما لما نقص، وعنه: الغيض ما تنقصه الأرحامُ من الدم، والزيادة ما تزداد منه.

وقيل: الغيض والزيادة، يرجعان إلى الولد، كنقصان إصبع أو غيرها، وزيادة إصبع أو غيرها.

وقيل: الغيض انقطاع دم الحيض.

(وَمَا تَزْدَادُ) بدم النفاس بعد الوضع.

الثانية- في هذه الآية دليل على أن الحامل تحيض، وهو مذهب مالك والشافعي في أحد قوليه.

وقال عطاء والشعبي وغيرهما: لا تحيض، وبه قال أبو حنيفة، ودليله الآية.

قال ابن عباس في تأويلها: إنه حيض الحُبالى، وكذلك روي عن عكرمة ومجاهد، وهو قول عائشة رضي الله عنها، وأنها كانت تفتي النساء الحوامل إذا حضن أن يتركن الصلاة، والصحابة إذ ذاك متوافرون، ولم ينكر منهم أحد عليها، فصار كالإجماع، قاله ابن القصار.

وذكر أن رجلين تنازعا ولدا، فترافعا إلى عمر رضي الله عنه فعرضه على القافة، فألحقه القافة بهما، فعلاه عمر بالدرة، وسأل نسوة من قريش فقال: انظرن ما شأن هذا الولد؟ فقلن: إن الأول خلا بها وخلاها، فحاضت على الحمل، فظنت أن عدتها انقضت، فدخل بها الثاني، فانتعش الولد بماء الثاني، فقال عمر: الله أكبر! وألحقه بالأول، ولم يقل إن الحامل لا تحيض، ولا قال ذلك أحد من الصحابة، فدل أنه إجماع، والله أعلم.

احتج المخالف بأنْ قال: لو كان الحامل تحيض، وكان ما تراه المرأة من الدم حيضًا لما صح استبراء الأمة بحيض، وهو إجماع.

وروي عن مالك في كتاب محمد ما يقتضي أنه ليس بحيض.

الثالثة- في هذه الآية دليل على أن الحامل قد تضع حملها لأقل من تسعة أشهر وأكثر، وأجمع العلماء على أن أقل الحمل ستة أشهر، وأن عبد الملك بن مروان ولد لستة أشهر.

الرابعة- وهذه الستة الأشهر هي بالأهلة كسائر أشهر الشريعة، ولذلك قد روي في المذهب عن بعض أصحاب مالك، وأظنه في كتاب ابن حارث أنه إن نقص عن الأشهر الستة ثلاثة أيام فإن الولد يلحق لعلة نقص الأشهر وزيادتها، حكاه ابن عطية.

الخامسة- واختلف العلماء في أكثر الحمل، فروى ابن جريج عن جميلة بنت سعد عن عائشة رضي الله عنها قالت: يكون الحمل أكثر من سنتين قدر ما يتحول ظل المغزل، ذكره الدارقطني.

وقالت جميلة بنت سعد -أخت عبيد بن سعد، وعن الليث بن سعد-: إن أكثره ثلاث سنين.

وعن الشافعي أربع سنين، وروي عن مالك في إحدى روايتيه، والمشهور عنه خمس سنين، وروي عنه لا حد له، ولو زاد على العشرة الأعوام، وهي الرواية الثالثة عنه.

وعن الزهري ست وسبع.

قال أبو عمر: ومن الصحابة من يجعله إلى سبع، والشافعي: مدة الغاية منها أربع سنين.

والكوفيون يقولون: سنتان لا غير.

ومحمد بن عبد الحكم يقول: سنة لا أكثر.

وداود يقول: تسعة أشهر، لا يكون عنده حمل أكثر منها.

قال أبو عمر: وهذه مسألة لا أصل لها إلا الاجتهاد، والرد إلى ما عرف من أمر النساء، وبالله التوفيق.

روى الدارقطني عن الوليد بن مسلم قال: قلت لمالك بن أنس إني حدثت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لا تزيد المرأة في حملها على سنتين قدر ظل المغزل، فقال: سبحان الله! من يقول هذا؟! هذه جارتنا امرأة محمد بن عجلان، تحمل وتضع في أربع سنين، امرأة صدق، وزوجها رجل صدق، حملت ثلاثة أبطن في اثنتي عشرة سنة، تحمل كل بطن أربع سنين.

وذكره عن المبارك ابن مجاهد قال: مشهور عندنا كانت امرأة محمد بن عجلان تحمل وتضع في أربع سنين، وكانت تسمى حاملة الفيل.

وروى أيضًا قال: بينما مالك بن دينار يومًا جالسًا إذ جاءه رجل فقال: يا أبا يحيى! ادع لامرأة حبلى منذ أربع سنين قد أصبحت في كرب شديد، فغضب مالك وأطبق المصحف ثم قال: ما يرى هؤلاء القوم إلا أنا أنبياء! ثم قرأ، ثم دعا، ثم قال: اللهم هذه المرأة إن كان في بطنها ريح فأخرجه عنها الساعة، وإن كان في بطنها جارية فأبدلها غلامًا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب، ورفع مالك يده، ورفع الناس أيديهم، وجاء الرسول إلى الرجل فقال: أدرك امرأتك، فذهب الرجل، فما حط مالك يده حتى طلع الرجل من باب المسجد على رقبته غلام جعد قطط، ابن أربع سنين، قد استوت أسنانه، ما قطعت سراره.

وروي أيضًا أن رجلًا جاء إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين! إني غبت عن امرأتي سنتين فجئت وهي حبلى، فشاور عمر الناس في رجمها، فقال معاذ بن جبل: يا أمير المؤمنين، إن كان لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطنها سبيل، فاتركها حتى تضع، فتركها، فوضعت غلامًا قد خرجت ثنيتاه، فعرف الرجل الشبه فقال: ابني وربِّ الكعبة!، فقال عمر: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ، لولا معاذ لهلك عمر.

وقال الضحاك: وضعتني أمي وقد حملت بي في بطنها سنتين، فولدتني وقد خرجت سني.



ويذكر عن مالك أنه حُمل به في بطن أمه سنتين، وقيل: ثلاث سنين.

ويقال: إن محمد بن عجلان مكث في بطن أمه ثلاث سنين، فماتت به وهو يضطرب اضطرابا شديدا، فشُقَّ بطنُها وأُخْرِج وقد نبتت أسنانه.

وقال حماد بن سلمة: إنما سمي هرم بن حيان هرما لأنه بقي في بطن أمه أربع سنين.

وذكر الغزنوي أن الضحاك ولد لسنتين، وقد طلعت سنه فسمي ضحاكًا.

وقال عباد بن العوام: ولدت جارة لنا لأربع سنين غلامًا شعره إلى منكبيه، فمر به طير فقال: كش.

السادسة- قال ابن خويز منداد: أقل الحيض والنفاس وأكثره، وأقل الحمل وأكثره مأخوذ من طريق الاجتهاد، لأن علم ذلك استأثر الله به، فلا يجوز أن يحكم في شيء منه إلا بقدر ما أظهره لنا، ووجد ظاهرًا في النساء نادرًا أو معتادًا، ولما وجدنا امرأة قد حملت أربع سنين وخمس سنين حكمنا بذلك، والنفاس والحيض لَمَّا لم نجد فيه أمرًا مستقرًا رجعنا فيه إلى ما يوجد في النادر منهن.

السابعة- قال ابن العربي: نقل بعض المتساهلين من المالكيين أن أكثر الحمل تسعة أشهر، وهذا ما لم ينطق به قط إلا هالكي، وهم الطبائعيون الذين يزعمون أن مدبر الحمل في الرحم الكواكب السبعة، تأخذه شهرًا شهرًا، ويكون الشهر الرابع منها للشمس، ولذلك يتحرك ويضطرب، وإذا تكامل التداول في السبعة الأشهر بين الكواكب السبعة عاد في الشهر الثامن إلى زحل، فيبقله ببرده، فيا ليتني تمكنت من مناظرتهم أو مقاتلتهم! ما بال المرجع بعد تمام الدور يكون إلى زحل دون غيره؟ الله أخبركم بهذا أم على الله تفترون؟! وإذا جاز أن يعود إلى اثنين منها لم لا يجوز أن يعود التدبير إلى ثلاث أو أربع، أو يعود إلى جميعها مرتين أو ثلاثا؟! ما هذا التحكم بالظنون الباطلة على الأمور الباطنة!

الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، يعني من النقصان والزيادة.

ويقال: (بِمِقْدَارٍ) قدر خروج الولد من بطن أمه، وقدر مكثه في بطنها إلى خروجه.

وقال قتادة: في الرزق والأجل.

والمقدار القدر، وعموم الآية يتناول كل ذلك، والله سبحانه أعلم.

قلت: هذه الآية تمدح الله -سبحانه وتعالى- بها بأنه ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾[الرعد: ٩]، أي هو عالم بما غاب عن الخلق، وبما شهدوه. فالغيب مصدر بمعنى الغائب، والشهادة مصدر بمعنى الشاهد.

فنبه -سبحانه- على انفراده بعلم الغيب، والإحاطة بالباطن الذي يخفى على الخلق، فلا يجوز أن يشاركه في ذلك أحد، فأما أهل الطب الذين يستدلون بالأمارات والعلامات فإن قطعوا بذلك فهو كفر، وإن قالوا إنها تجربة تُرِكُوا ومَا هُمْ عليه، ولم يقدح ذلك في الممدوح، فإن العادة يجوز انكسارها، والعلم لا يجوز تبدله.

و(الْكَبِيرُ) الذي كل شيء دونه. (الْمُتَعَالِ) عما يقول المشركون، المستعلي على كل شيء بقدرته وقهره».

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

كيف يكون اضطهاد مسلمي الصين شأنًا داخليًا

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد...

فقد أغلقت السلطات الصينية عددًا من المساجد الكبيرة في مدينة «أورومتشي» عاصمة منطقة «شينج يانج» التي تتمتع بالحكم الذاتي، ويقطنها طائفة «الإيجور» المسلمة، وأصدرت الحكومة أوامرها بحظر التجول، وهددت بالإعدام من يمارس أعمال الشغب.

قالت الحكومة: إنه لن يكون هناك صلاة؛ لأنها تخشى أن يستخدم السكان الديانة لدعم ثلاث قوى، في إشارة إلى التطرف والنزعة الانفصالية والإرهاب، التي تشكل -بحسب «بكين»- خطرًا على وحدة البلاد.

ودعا الرئيس الصيني إلى الاستقرار، وقال: إن مثيري أعمال الشغب التي جرت مؤخرًا يرتبطون بالنزعات الانفصالية والإرهاب الدولي.

وقد حث وزير الصناعة التركي الأتراك على مقاطعة البضائع الصينية؛ احتجاجًا على العنف العرقي في إقليم «شينج يانج».

وأسفرت الاحتجاجات والمواجهات بين أغلبية «الهان» وأقلية «الإيجور» في الإقليم الصيني عن مقتل ١٥٦ شخصًا، وإصابة ١٠٨٠ شخصًا، واعتقال ١٤٣٤، منذ الأحد الماضي عقب الاضطرابات.

وقد تعرض الإيجور للاضطهاد لفترة طويلة، وهم مهملون، ورفضت السلطات الصينية الحديث بشأن هذا الاضطهاد، واعتبرته مسألة داخلية تخص الصين وحدها!!

وللتعليق على الخبر نذكر عدة نقاط هامة:

أولاً- الشيوعية دين وعقيدة متغلغلة في كثير من البلدان مثل روسيا والصين وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا، وقد ذاق المسلمون الأمرَّيْنِ على أيدي الشيوعيين.

ففي روسيا أبادوا جيلًا مسلمًا في صحراء سيبيريا، وكانوا يعلقون على المشانق من يصلي ويقرأ في المصحف وينطق بالعربية، وتم تحويل المساجد إلى متاحف.

وفي بلغاريا تم تحويل وتغيير الأسماء الإسلامية؛ للقضاء على كل معالم الهوية الإسلامية.

ولم تقل الصين في تعاملها مع المسلمين عن روسيا في ممارسة كل صور الاضطهاد، وذلك منذ أيام ماوتس تونج، وشواين لاي. وتعد الصين من أسوأ بلدان العالم في انتهاك ما يُسمى بحقوق الإنسان.

ثانيًا- يقولون عن الجهاد الأفغاني إنه كان أول مسمار في نعش الاتحاد السوفيتي والشيوعية العالمية، وكان الاتحاد السوفيتي بمثابة القوة الثانية على مستوى العالم، وقد آل أمره إلى الانقسام والخراب والتسول.

وما من بلد دخلته لوثة الشيوعية والاشتراكية إلا ولحقه قدر من هذا الخراب، سواء في بلاد العرب أو العجم، وتم محاربة الإسلام فيه، ووُصِفَ المسلمون بالرجعية والتخلف والانتهازية وقوى الظلام، وكل نعوت التنفير على أيدي هؤلاء الشيوعيين، ومارسوا مع المسلمين أبشع صور التنكيل التي لا تكاد تخطر على بالٍ.

ثالثًا- حدث قدر من الانفتاح في الصين وروسيا وغيرها من البلدان الشيوعية مؤخرًا، ومقارنة بالماضي، بحيث سُمح بإنشاء بعض المساجد والصلاة فيها، وتعلم اللغة العربية، وقراءة القرآن، وهذا حسن بلا شك؛ فبعض الشر أهون من بعض.

ولكن ما زالت صور الصراع العقائدي بين الإيمان والكفر موجودة كصراع روسيا مع مسلمي الشيشان، واضطهاد المسلمين في «شينج يانج» بالصين، والبوسنة والهرسك في يوغسلافيا قبل ذلك.

رابعًا- ما أكثر العبارات المبتذلة، والمصطلحات المستخدمة والتي ينطبق عليها أنه: «ما احتج صاحب بدعة بدليل إلا كان في الدليل ما يرد عليه، ويدحض حجته».

كيف يصير المسلم إرهابيًا إذا دافع عن نفسه؟! وكأن المطلوب منه أن يمتنع من الهمس أو الصراخ حتى يتم الإجهاز عليه!! أي الفريقين أحق بالأمن، المسلم أم الكافر؟

ولماذا لم تمتنع الحكومة الصينية من اضطهاد المسلمين وتمكين الكفار من رقابهم؟ يمارسون الإرهاب الأسود -إرهاب الدولة- ثم يظهرون التخوف من الإرهاب الدولي، وهو المصطلح الذي استخدم إلى حد الابتذال، وشأنهم في ذلك شأن السارق الذي يجري، ويجري المسروق خلفه وكلاهما يقول: «حرامي»!!، وكاد المريب أن يقول خذوني.

يدمرون البلاد والعباد بالكفر والضلال، ويقمعون المسلمين، وينتهكون أعراضهم، ويقتلون الشيوخ الركع والأطفال الرضع، والبهائم الرتع، كل هذا الإجرام يفعلونه تحت لافتة الحرب على الإرهاب، كما صنعت أمريكا في العراق وأفغانستان، وكما يصنع اليهود في فلسطين، وأيضًا كما تصنع الحكومة الصينية مع المسلمين.

هل تنازلوا هم عن كفرهم وشيوعيتهم حتى يتنازل المسلم عن حقه ودينه؟ يخشون استخدام سكان «شينج يانج» للديانة المسلمة، فهل تركت الحكومة ديانتها الشيوعية؟!

ويتخوفون من التطرف، فمن الذي جعل الميزان بأيدي الشيوعيين الكافرين؟ وهل الخصم يصبح هو الحَكم والقاضي والجلاد؟

العدل أساس الملك، وبه قامت السموات والأرض، والحق وسط بين طرفين إفراط وتفريط، ولا سبيل لتحقيق العدل والحق إلا بإسلام الوجه لله -تعالى- والعمل بشريعته سبحانه وتعالى.

فالشيوعية قمة التطرف، وأيضًا فالاشتراكية والديمقراطية والقومية تطرف، وكذلك التبرج والاختلاط والعري والخلاعة تطرف.

خامسًا- أين الأمم المتحدة والاتحاد الأوربي وأمريكا وسائر الدول التي تتكلم بالحريات وحقوق الإنسان؟ أين هم من مآسي المسلمين في الشيشان وشينج يانج وأفغانستان والعراق؟

إنهم يقيمون الدنيا ولا يقعدونها من أجل اليهود والنصارى، فإذا تعلق الأمر بالمسلمين فهي سياسة الكيل بمكيالين، قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

ولا يجوز الركون لأمثال هؤلاء الأعداء ولا تعليق الآمال عليهم في تخليص مسلمي الصين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨].

لا يجوز لكافر أن يتولى إمرة المسلم؛ فالإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، لا يفل الحديد إلا الحديد.

والاستقرار لا يأتي على حساب اضطهاد المسلمين وقهرهم والتحكم فيهم بشيوعية قذرة.

والواجب أن يعمل المسلمون لرفع هذا الظلم عن إخوانهم في الصين وفي شتى بقاع الأرض؛ فالمؤمن مرآة أخيه، ويحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، والمؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.

لقد شهد النبي ﷺ حلفًا في دار عبد الله بن جدعان في الجاهلية، وكان هذا الحلف لنصرة المظلوم قرشيًا كان أو غير قرشيّ، وقال النبي ﷺ: «**لو دعيت به في الإسلام لأجبت**»، فكيف يكون الحال مع المظلوم إذا كان مسلمًا صينيًا أو غير صيني؟

أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

إذا امتنعت الأمم المتحدة من التدخل لإعطاء السيادة للمسلمين في (شينج يانج) كما فعلت مع نصارى إندونيسيا، رددنا قوله تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

نحتاج لجهاد كبير لرد الحق لنصابه، وتوحيد كلمة المسلمين والأخذ بأسباب القوة، لابد من عودة صادقة إلى الله حتى نتمكن من رفع الظلم عن المظلومين، وإلا فقد هان أمرنا على أنفسنا وعلى عدو الله وعدونا، حتى استبيحت حرماتنا ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

ما يجري للمسلمين في الصين ليس شأنًا داخليًا، بل هو شأن المائة والخمسين مليون صيني كما هو شأن المسلمين في مصر وسوريا والعراق، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، وخذلان قضايا المسلمين مظنة الخذلان في مواطن نحتاج فيه لنصرتنا؛ إذ الجزاء من جنس العمل.

اللهم اجبر كسرنا، وارحم ضعفنا، وأقل عثرتنا. اللهم ارحم موتانا، وداوِ جرحانا، وأهلك أعداءنا يا قوي يا عزيز.

اللهم دبِّر لنا فإنا لا نحسن التدبير، اللهم من أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين بسوء فأشغله بنفسه، واجعل كيده في نحره، واجعل تدبيره تدميره يا سميع الدعاء.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين



نحسبها شهيدة.. والله حسيبها.
فهل سنعلن الحرب على الإرهاب الغربي؟

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد .. فقد اتصل وزير العدل الألماني بالسفير المصري في برلين، وأعرب له عن انزعاجه الشديد لمقتل الدكتورة مروة الشربيني، وتلقي زوجها عدة طعنات على يد رجل ألماني، وقال: إنه على ما يبدو -وكما نشر في وسائل الإعلام الألمانية- فإن الجريمة ارتكبت على خلفية معاداة الأجانب!!

وقد أبدى البعض تخوفه من المناورات التي يحاول الجانب الألماني إغلاق القضية من خلالها بادعاء أن القاتل مختل عقليًا دون أن يتعرض إلى الإهمال الأمني في قاعة المحكمة أو التعصب ضد الحجاب والدين الإسلامي.

وذكروا عن القتيلة أنها كانت معروفة بالتدين والالتزام وخلوقة ترتدي الحجاب، وقد أخبرتها إحدى صديقاتها بالعمل أنها يجب أن تخلع الحجاب لوجود خطر على حياتها من ارتدائه، وأنها مستهدفة، ومن الممكن أن تفقد حياتها هي وأسرتها لتدينها.

وذكرت أمها أنها كانت حاملًا في الشهر الثالث، وأعربت عن رغبتها في الانتقام لابنتها وحفيدها الذي لم يُكمل عامه الرابع، وقالت: «عايزة آخد حق بنتي اللي راح دمها هدر».

وقد شيع جثمانها أكثر من ألفين حتى مطار برلين، وصلوا عليها صلاة الجنازة ظهر اليوم الاثنين ١٣ من رجب ١٤٣٠هـ بمسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية، وكانت أعداد المصلين غفيرة.

وهذا الحدث المؤلم يستدعي عدة وقفات:

أولاً- هذا المصاب مصابنا جميعًا، وإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها.

وتعزيتنا لأهل أختنا المتوفاة ولزوجها «إن لله ما أعطى وله ما أخذ وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبروا ولتحتسبوا».

ونحن نحتسبها شهيدة عند الله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠]، وما عند الله خير لها، وكل نفس ذائقة الموت، ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

ونحن لا محالة على القرب، فكل من فوق التراب تراب، وقد خاطب -سبحانه- نبيه ﷺ فقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]، فهذا الإيمان يدفعنا لرد الحقوق لأصحابها، ومنهم القتيلة، وأن نقوم لله بحقه نصحًا وبيانًا.

ثانيًا- مع كل حادث يرتكب يصدعون رؤوسنا بالحديث عن مكافحة الإرهاب، ويشنون حملات الاعتقالات الواسعة لوأد الإرهاب والقضاء عليه.

وقد تصنف الدول بأنها راعية للإرهاب، ويتم مقاطعتها، بل وإعلان الحرب عليها؛ لأجل ذلك، كما فعل الأمريكان في العراق وأفغانستان. ويستخدم اليهود الذين اغتصبوا البلاد نفس المصطلحات وهم يقتلون الشيوخ الركع والبهائم الرتع والأطفال الرضع!!

أبادت أمريكا مليون طفل أثناء حصارها للعراق!! هكذا بدماء باردة في الوقت الذي بعثوا فيه بقطع من الأسطول السادس لعرض المحيط لنجدة كلب!!

ويبدو أن الدماء الأوربية الغربية لها قيمة وثمن يجعل الأمم المتحدة ينتصب لها، بينما الدماء المسلمة لا قيمة لها، تسيل أنهارها هدرًا فلا تكاد تسمع كلمة يتيمة عن حقوق الإنسان، فضلًا عن إعلان الحرب على الإرهاب الغربي.

وبكل برود يكتفي وزير العدل الألماني بإظهار انزعاجه للحادث، وبلا خجل يفصح بأن الجريمة ارتكبت على خلفية معاداة الأجانب!!

وأقصى ما وُصف به الجاني هنا وهناك أنه متطرف، فلماذا لم يتجاسر أحد على وصفه بالإرهابي؟! وربما يصفونه غدًا بأنه مختل عقليًا، وبالتالي فلا عقوبة.

وهنا لابد من تذكر المصطلحات والسلوكيات تجاه الحوادث التي ترتكب مع المسلمين ومع غيرهم؛ فردود الأفعال تفترق كثيرًا، ولا يسعنا إلا أن نردد قول الله تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، لا هوان بالدماء المسلمة على الله ولا على أولياء الله ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦]، وللظالم قاتل لا يموت.

ثالثًا- ما الذي يقصدونه بـ«ضحية الحجاب»؟

إن كانوا يقصدون أن موتها بسبب التزامها وتدينها وحجابها، يثنون عليها بذلك، ويمتدحونها لأجله، وينشدون أن تقوم جميع النساء بهذه المهمة، وهذا الدور فلا بأس، وجزاهم الله خيرًا.

أما إن كانوا يقصدون أنها سلكت مسلك الاستفزاز بحجابها، وأن الحجاب والتدين والالتزام لا يستحق، وأنها ضحت بنفسها لغير قضية، فنسأل الله لهم الهداية، وعاملهم الله بما يستحقون.

وقد دعاني لهذه الوقفة، ولهذا السؤال تهور القوم في استخدام مصطلح الشهادة مع الشيوعي، واللاعب اللاهي، فهذا شهيد المبدأ، والثاني شهيد الكرة، بينما استخدموا هنا تعبير «ضحية الحجاب»!!

فلماذا بخلوا وضنوا على من ماتت في سبيل دينها والتزامها وحجابها، وكان أجدر بهم أن يحتسبوها شهيدة عند الله بدلًا من مصطلح «ضحية الحجاب» المبهم.

رابعًا- مات صلاح الدين الأيوبي وقطز وهارون الرشيد والمعتصم، ولم تمت الكلمات ولا المواقف، ومن قبل فقد انتقل خالد بن الوليد، والمقداد، وطلحة، والزبير، والصحابة الكرام إلى ربهم، بعد أن بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، وجاهدوا في الله حق جهاده.

نشروا الإسلام في ربوع العالمين، وردوا الحق لنصابه، فتحوا الممالك، وأقاموا الحق في الخلق.

لقد تواطأ أهل مدين مع قدار بن سالف على قتل الناقة، فشملهم وعمهم العذاب من الله، قال سبحانه: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس: ١٤- ١٥].

وسكتت عمورية على انتهاك عرض مسلمة، ففتحها المعتصم. ومات رجل فقال عمر رضي الله عنه: «لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به»، والمؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

استهانة الغرب بدماء المسلمين عاقبته وخيمة، وتبريراتهم الساقطة في انتهاك أعراض ودماء المسلمين لن تشفع لهم، وتماديهم في الكفر والعتو والبغي سيعود عليهم وبالًا ودمارًا -بإذن الله- ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٨].

ندرك الدوافع العقائدية لبغضهم الحجاب واللحية، وكل ما يمت للإسلام بصلة، وندرك أيضًا فشل ما يُسمى بحوار الحضارات، وحتمية التدافع بين الإيمان والكفر، والحق والباطل ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

ونقول للأم المكلومة في ابنتها: اصبري وأبشري؛ فالدماء المسلمة الطاهرة لا تضيع هدرًا، والحقوق لا تسقط بالتقادم ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

خامسًا- نصرتها واجبة وإن كان هناك تفريط وتقصير.

نتمنى الخير لأنفسنا وللناس جميعًا. ونعلم أن النجاة والسلامة في الرجوع لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وأن النصر يتأخر بسبب المعاصي والبدع؛ ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما نـزل بلاء إلا بذنب، وما رُفع إلا بتوبة»، وكان البعض يقول: «معاصي بني أمية أضر عليهم من سيوف أعدائهم».

وقد رأينا كيف تحول النصر إلي هزيمة يوم أُحد بسبب مخالفة الرماة لأمر النبي ﷺ، وقد ذكر ربنا -جَلَّ وَعَلَا- هذا الأمر في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. والعاقل يحذر هذه الأسباب ويتجنبها في خاصة نفسه وينصح الآخرين بتركها.

ولكن ماذا نصنع إذا داهم العدو الصهيوني بلدًا، أو داهم الروس الملاحدة أرض أفغانستان؟ هل نتركهم لوجود البدع والمعاصي في البعض؟

إن الواجب قتالهم مع كل أمير وطائفة أقرب إلي الإسلام منهم، وفي ذلك يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في (مجموع الفتاوى) [جـ٢٨، ص٥٠٦] في أثناء حديثه عن التتار:

«وقتال هذا الضرب -أي الصنف- واجب بإجماع المسلمين، وما شك في ذلك من عرف دين الإسلام، وعرف حقيقة أمرهم، فإن هذا السلم الذي هم عليه ودين الإسلام لا يجتمعان، وإذا كان الأكراد والأعراب وغيرهم من أهل البوادي الذين لا يلتزمون شريعة الإسلام يجب قتالهم، وإن لم يتعد ضررهم إلى أهل الأمصار فكيف بهؤلاء؟!».

نعم يجب أن يسلك في قتاله المسلك الشرعي، من دعائهم إلي التزام شرائع الإسلام، إن لم تكن الدعوة إلى الشرائع قد بلغتهم، كما كان الكافر الحربي يُدعى أولًا إلى الشهادتين، إن لم تكن الدعوة قد بلغته.

فإن اتفق من يقاتلهم على الوجه الكامل فهو الغاية في رضوان الله، وإعزاز كلمته، وإقامة دينه وطاعة رسوله، وإن كان فيهم من فيه فجور وفساد نية بأنه يكون يقاتل على الرياسة أو يتعدى عليهم في بعض الأمور، وكانت مفسدة ترك قتالهم أعظم على الدين من مفسدة قتالهم على هذا الوجه كان الواجب أيضًا قتالهم دفعًا لأعظم المفسدتين بالتزام أدناهما، فإن هذا من أصول الإسلام التي ينبغي مراعاتها.

ولهذا كان من أصول أهل السُّنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ؛ لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار، أو مع عسكر كثير الفجور. فإنه لابد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررًا في الدين والدنيا وإقامة أكثر شرائع الإسلام، وإن لم يمكن إقامة جميعها فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها، بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه. وثبت عن النبي ﷺ: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلي يوم القيامة: الأجر والمغنم**» فهذا الحديث الصحيح يدل على معنى ما رواه أبو داود في سننه من قوله ﷺ: «**الغزو ماضٍ منذ بعثني الله إلي أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل**»، وما استفاض عنه ﷺ أنه قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلي يوم القيامة**» إلى غير ذلك من النصوص التي اتفق أهل السُّنة والجماعة من جميع الطوائف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد مع الأمراء، أبرارهم وفجارهم، بخلاف الرافضة والخوارج الخارجين عن السُّنة والجماعة.

هذا مع إخباره ﷺ بأنه: «**سيلي أمراء ظلمة خونة فجرة، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم فليس مني ولست منه ولا يرد علي الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وسيرد على الحوض**».

فإذا أحاط المرء علمًا بما أمر به النبي ﷺ من الجهاد الذي يقوم به الأمراء إلي يوم القيامة، وبما نهي عنه من إعانة الظلمة على ظلمهم: علم أن الطريقة الوسطي التي هي دين الإسلام المحض جهاد من يستحق الجهاد، كهؤلاء القوم المسئول عنهم، مع كل أمير وطائفة هي أولي بالإسلام منهم، إذا لم يمكن جهادهم إلا كذلك، واجتناب إعانة الطائفة التي يغزو معها على شيء من معاصي الله، بل يطيعهم في طاعة الله، ولا يطيعهم في معصية الله إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وهـذه طريقة خيار هـذه الأمة قديمًا وحديثًا، وهي واجبة على كل مكلف، وهي متوسطة بين طريق الحرورية وأمثالهم ممن يسلك مسلك الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم، وبين طريقة المرجئة وأمثالهم ممن يسلك مسلك طاعة الأمراء مطلقًا وإن لم يكونوا أبرارًا.

ونسأل الله أن يوفقنا وإخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل. والله أعلم.اهـ

اللهم اغفر لأختنا مروة ،وارفع درجتها في المهديين ،واخلفها في عقبها في الغابرين، واغفر لنا ولها يا رب العالمين .اللهم وسع لها في قبرها ونوِّر لها فيه.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

اعتراض الرئيس الفرنسي على النقاب

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ..

فقد تناقلت وسائل الإعلام وصفَ الرئيس الفرنسي النقاب بأنه أمر بالاستعباد، ويتنافى مع كرامة المرأة، مما أثار استياء المسلمين وبعض الدوائر هنا وهناك، وها نحن ننقل الخبر وتعليقات البعض عليه:

في تصريحات وصفت بالاستفزازية للمسلمين، أعلن الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي في خطاب ألقاه أمام البرلمان الفرنسي في ٢٢ يونيو / حزيران أن «النقاب» الذي يغطي المرأة من رأسها إلى أخمص قدميها يشكل «علامة استعباد» للمرأة.

ولم يكتف بما سبق، بل إنه زاد في إهانة المسلمين، قائلا: «النقاب ليس رمزًا دينيًا، وإنما رمز استعباد للمرأة، وأريد أن أؤكد علنًا أن البرقع غير مرحب به في أراضي الجمهورية الفرنسية، الحجاب الإسلامي لا يزال محظورًا في المدارس الحكومية الفرنسية».

وأيضًا: «لا يمكن أن نقبل في بلادنا نساء سجينات خلف سياج ومعزولات عن أي حياة اجتماعية ومحرومات من الكرامة، هذه ليست الرؤية التي تتبناها الجمهورية الفرنسية بالنسبة لكرامة المرأة».

تصريحات ساركوزي تتناقض مع القرار الذي أصدره مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة في ٢٨ مايو ٢٠٠٨، وانتقد خلاله القانون الفرنسي الذي يقضي بحظر ارتداء الزي الديني في المدارس بما فيه الحجاب الإسلامي.

وكانت الجمعية الوطنية الفرنسية أصدرت تشريعًا في عام ٢٠٠٤م يمنع الفتيات من ارتداء الحجاب في المدارس. وجاء هذا القانون بعد مناقشات ومعارك طويلة في الساحة الداخلية الفرنسية بشأن الموقف من غطاء رأس التلميذات المسلمات «الحجاب»، والذي يعتبر أمرًا وتكليفًا شرعيًا وليس رمزًا دينيًا كما قال المشرعون الفرنسيون.

أيضًا فإن ساركوزي الذي عرف عنه جذوره اليهودية، طالما حاول إثبات ولائه لإسرائيل سواء بالتصريحات التي تغنى وتمجد فيها على الملأ أو بالوثائق السرية التي تفضح تعاونه مع الموساد.

ففي تصريحات أدلى بها في ٢٣أكتوبر ٢٠٠٨، أعلن ساركوزي أنه يعتبر تأسيس إسرائيل «معجزة القرن العشرين»، كما أعلن مساندته لإسرائيل في مواجهة إيران، مؤكدًا أن أمن إسرائيل «خطًا أحمر» لا يقبل تجاوزه.

المفاجأة التي فجرتها صحيفة «لوفيجارو» الفرنسية في منتصف أكتوبر ٢٠٠٨م، وكشفت فيها أنه حينما أرادت إسرائيل اختراق حزب «الاتحاد من أجل حركة شعبية» الحاكم في فرنسا، كان ساركوزي من أبرز الأشخاص الذين نجح الموساد في تجنيدهم.

فإن الشرطة الفرنسية فتحت مؤخرا تحقيقًا حول رسالة غريبة تم إرسالها بالبريد الالكتروني في شهر مارس ٢٠٠٨م لأكثر من ١٠٠ مسئول كبير في الشرطة الفرنسية جاء فيها أن ساركوزى كان عميلًا للموساد الإسرائيلي.

وتؤكد التقارير أن «مناحم بيجن» الذي أعطى تعليماته عام ١٩٧٨م للاستخبارات الخارجية الإسرائيلية «الموساد» لاختراق الحزب الحاكم في فرنسا لتحويله إلي حليف لإسرائيل.

وفي عام ١٩٨٣م نجح «باتريك بالكاني» في تجنيد شاب واعد هو نيكولا ساركوزى.

ليس غريبًا:

١- ليس غريبًا على عميل الموساد قول ذلك.

٢- ليس غريبًا على زوج عارضة أزياء صورها العارية في كل مكان.

٣- ليس غريبًا بعد ظهور مسلمات في بلاد المسلمين كاسيات عاريات ويشار إليهن بالبنان.

أيها الساركوزي لأنك تزوجت من عشيقتك بالحرام باسم الحقوق الأساسية للمرأة فتريد أن تعيشِ النساء كعشيقات وليس كنساء لهن كرامة لا تكشف عن جسدها إلا لمن أحلها الله له، حسبنا الله ونِعْم الوكيل.

واشنطن: انتقدت صحيفة «كريستيان سابنس» الأمريكية ما أسمته بتحامل الرئيس نيكولا ساركوزي على جزئية من ملابس النساء المسلمات في البلاد، والمتمثلة في الهجوم الذي شنه من قصر فرساي ضد «النقاب»، وتساءلت عما إذا كان ينبغي حظر «النقاب» أم حظر مثل ذلك الحظر؟

وفي حين قالت الصحيفة: إن تعداد المسلمين في فرنسا يقرب من خمسة ملايين، وأشارت إلى قرابة مائة ألف امرأة مسلمة فقط يرتدين «النقاب»، مضيفة أن النساء اللواتي لا يرتدينه شعرن بالغضب أيضًا إزاء تصريح ساركوزي بدعوى أن الحظر الذي فرضه الرئيس الفرنسي يهدد الحرية الدينية.

وجاءت تصريحات الرئيس الفرنسي بعد أن أبدى برلمانيون فرنسيون الخميس الماضي قلقهم البالغ من تزايد أعداد النساء المسلمات الذين يرتدين النقاب في فرنسا.

وكانت فرنسا في عام ٢٠٠٤م وباسم النظام العلماني، قد قامت بمنع الطلاب في المدارس الفرنسية من ارتداء أيِ رموز دينية بموجب قانون رآه البعض استهدافًا للحجاب الإسلامي على الأخص.

ومن الجدير بالذكر أن الرئيس الفرنسي قد كشف عن أن العلمانية ما هي إلا قناع زائف لمحاربة الإسلام، وذلك عندما سئل عن أسباب رفضه انضمام تركيا لأوروبا، فأجاب قائلًا: «لأن تركيا وأوربا وإن كانت علمانية إلا أنها ذات هوية مسيحية».

وتثير قضية ارتداء الحجاب جدلًا واسعًا ليس فقط في المجتمع الفرنسي، بل في دول غربية أخرى مثل كندا وألمانيا وبلجيكا التي منع الحجاب في ٩٠٪ من مدارسها.

قرر أعضاء البرلمان في الجمعية الوطنية إنشاء لجنة لبحث مسألة انتشار «ارتداء النقاب»، وأعلنت صحيفة «الحياة» الصادرة في لندن أن «الفرنسيون يحاولون التضييق على المسلمين وتطفيشهم من العيش في فرنسا ولكن بطرق ملتوية وقبيحة ».

واعتبر أنه لا يوجد أي سبب «يخول للفرنسيين مصادرة حرية النساء المسلمات بارتداء زيهن، وما تقوم به فرنسا اليوم تعسف وقمع باسم الحرية والدفاع عن حقوق المرأة وكرامتها»، وتساءل «الشريان»: «ماذا سيكون رد فعل الفرنسيين والأوروبيين لو أن دولة إسلامية قامت بمنع النساء الغربيات من كشف رؤوسهن ووجوههن واعتبرت أن هذا ضد عفة المرأة».

ما هو غير المحتشم أو المسيء للأخلاق العامة النقاب أم البكيني؟

وجاء في رسائل الكترونية أرسلها قراء إلى الصحيفة: أن النقاب «رمز للحرية»، وأن ثقافة «العُري» هي المذلة للمرأة.

والذي وعدنا بأنه سيحرر نساء العالم وخاصة المسلمات، ويخلصهن من الاضطهاد حسب زعمه، تنشر بعض الصحف غسيله الوَسِخَ، وتعلن لنا أنه لا ينفك عن ضرب زوجته ضربًا مبرحًا، الشيء الذي جعلها تهرب مع خليلها اليهودي إلى المغرب، فقام بإرجاعها بالقوة البوليسية وواصل ضربها وإهانتها.

ملحوظة: كتب محرر مجلة «الفيغارو» عن هذا الخبر فتم طرده من هذه المجلة في الحال (في فرنسا بلاد الحرية)!!

وأضيف هنا بعض التعليقات من جانبنا:

أولاً- يكثر الكلام على دوافع السلوك والتصرف، ويقول البعض: السلوك مرآة الفكر، وقد ظهرت مدارس تحليلية ترد السلوكيات إلى جذورها وأصولها، والبحث في أسباب جرأة الرئيس الفرنسي قد يُفسر ويُجاب عليه بالكفر والعداء للإسلام والمسلمين وطبيعة النشأة والعمل، وكل إناء بما فيه ينضح.

واقترانه بعارضة الأزياء على النحو المذكور مع انطماس الفطرة، لا يستبعد معه اعتراضه على النقاب، فكل قرين بقرينه يقتدي.

والأمم المتحدة وغيرها جهات مشبوهة، والحريات والديمقراطيات أشبه بصنم العجوة الذي يصنعه الكافر فإذا جاع أكله، وسياسة الكيل بمكيالين لا تخفى على أحد.

العُري والخلاعة والتبرج والاختلاط يُسمح بها ويطلقون عليه وصف الحرية الشخصية التي لا تُمس، أما الاحتشام والنقاب فهو استعباد وإهدار لكرامة المرأة لابد من مصادرته ومنعه!! والحريات لا تصل لحد ارتداء النقاب!!

وقد أغرى الرئيس الفرنسي وغيره الهجوم الشرس على النقاب ممن هو من جلدتنا وممن يتكلمون بلساننا، وطمأنينته أنه لن يردعه رادع ممن يتولون أمور المسلمين، وإذا كان شياطين الجن يغتاظون إذا أطيع الله في الأرض، فكذلك الأمر بالنسبة لشياطين الإنس، تضيق صدورهم بأي طاعة تُذكر بالله وبدينه -سبحانه-.

ثانيًا- الهدي الظاهر كاللحية والحجاب له النصيب الأكبر والحظ الأوفر من مهاجمة أعداء الإسلام والمسلمين؛ وذلك لأنه يعبر عن حب المسلمين لدينهم، وعودة هذا الأمة إلى الله عودًا حميدًا.

لقد توهم الأعداء أن الأمة قد انتهى أمرها فإذا بها تستيقظ من جديد، وقد يسكت هؤلاء الأعداء عن صلاة الإنسان في بيته وصيامه فيما بينه وبين ربه، أما أن يُطلق لحية أو يقصر ثوبًا على جهة التدين أو تتحجب امرأة فلا نتعجب إذا قامت الدنيا ولم تقعد.

بل نفس هذه الظواهر لو تمت متابعة للموضة لصفقوا لها واعتبروها حرية شخصية ومن علامات التطور والتحضر والتقدم!!

وهل سمعنا لهم صوتًا عندما ظهر الهيبز والخنافس وارتدى الشباب البرمودا؟!

وقد تزايدت أعداء الملتحين والمنقبات في أوروبا وأمريكا، وهي ظواهر تعبر عن الإسلام الذي يحاربونه تحت مسمى محاربة الإسلام والأصولية، وإذا تمت المحاربة والمهاجمة على يد من ينتسب إلى الإسلام فكيف بالكفار الأصليين؟!!

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]، وقال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١].

ثالثًا- الاختلاف حول مشروعية تغطية الوجه والكفين بين المسلمين شيء، وانتقاص الرئيس الفرنسي -ومن على شاكلته- شيء آخر.

قد نختلف في تغطية الوجه والكفين مع وقوفنا على نفس الأرضية ورجوعنا لمنهج واحد، منهج الكتاب والسُّنَّة، أنت ترى استحبابه، وأنا أرى وجوبه، وهذا خلاف لا يفسد للود قضية، ونحن في ذلك مسبوقين بمن تقدمنا من العلماء، وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ. والقائل بهذا القول وبغيره يعظم حرمات الله ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

والمسلم يعتقد أن الاستهزاء بشعيرة من شعائر الإسلام كفر، وكذلك الاستخفاف بحكمة التشريع كفر، وهذه المسألة يجب الانتباه لها، والتفريق الواضح بين تناول المسلمين لقضية النقاب وتناول الرئيس الفرنسي لها، فهذا الرئيس لا يؤمن بالإسلام دينًا ولا بمحمد ﷺ نبيًا، والبغض للنقاب والاحتقار ومعاني الغطرسة بادية وواضحة.

ويقترب من تناوله لهذه المسائل ما يفعله الجهال والزنادقة والديمقراطيون والليبراليون عندنا، فهم يتكلمون عن اللحية والنقاب بوقاحة وجرأة، وأحيانًا يسلكون مسالك التدرج في الغواية فيطالبون المرأة بكشف الوجه أولًا، ثم رويدًا رويدًا يطالبون بحريتها في ارتداء ملابس البحر على الشواطئ.

فوجب الحذر؛ إذ أن سُلم التنازلات لا يقف بصاحبه عند حد، وسرعان ما يهوي الإنسان من القمة إلى السفح، ومعظم النار من مستصغر الشرر، ومن قرأ قصة الشيطان مع برصيصًا العابد يعظم ذلك.

وبينما يسلك الإنجليز مسلك الخطوة خطوة، ويقولون بطيء ولكن أكيد المفعول، فالفرنسيون تغلب عليهم الحماقة والتهور.

رابعًا- الحرية الحقيقة تُصاغ في قالب العبودية لله -جَلَّ وَعَلَا-، فإذا انسلخ الإنسان من العبودية لله صار عبدًا للشيطان ولهواه، قال تعالى عن نبيه إبراهيم: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ [مريم: ٤٤- ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣-٤٤]، وقال ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ مُنِعَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ**» [رواه الطبراني في المعجم، وأصله في البخاري].

يرفع الناس رايات الحرية ويطالبون بها، ويجددون شعاراتها وهم أسرى العبودية المقيتة، عبودية العباد للعباد، و لذلك قال ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس لما سأله من بعثكم، فقال ربعي: «ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

أين حرية من تقبَّل تشريعَ البشر، ويزعم أن الدماء الزرقاء تجري في عروق الخلق، ويصير غدًا للنساء (رغبة ورهبة) فيجتمع فيه تمام الحب مع كمال الخضوع والذل؟!

لقد حفظ الإسلام للمرأة كرامتها، ولا يمكن أن يكون الرئيس الفرنسي أحرص على المرأة وأحفظ لكرامتها من خالقها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠]، هذه الكرامة لا تتحقق إلا في ظلال الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال حاتم الأصم: رأيت الناس يعودون إلى التجارات والحرف والصناع والأنساب، ونظرت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، قال: فعملت بالتقوى حتى أكون كريمًا عنده.

إن السجن خلف سياج الحجاب (كما يصفه ساركوزي) أهون وأخف بكثير من السجن خلف سياج الهوى والابتذال والانحطاط، وأن تصير المرأة سلعة رخيصة، أو قل سجن الحجاب أيسر من السجن في نيران الجحيم ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

خامسًا- نقول للرئيس الفرنسي: أبشر بما يسوؤك، فلله أوسٌ آخرون وخزرج، فإن عدمنا أمثالهم وأشباههم فلن نعدم أمثال هارون الرشيد وصلاح الدين الأيوبي والمعتصم، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

فللظالم قاتل لا يموت، والمستقبل للإسلام بغلبته وظهوره، وستنتصر الأمة -بإذن الله- على الغرب، وستفتح روما كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ.

أرفق به وبقومه أن يُسلموا وجوههم لله تعالى، من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله.

وأرفق بمن يقيم بفرنسا وغيرها أن يُظهر شعائر إسلامه ودينه، فإن لم يستطع انتقل إلى مكان آخر؛ فدين الإنسان هو أغلى ما يملك، وقد كان الإمام أحمد يفسّق من سافر لبلاد الهند للتجارة إلا للقادر على إظهار شعائر إسلامه، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ يهاجر الإنسان من الأرض التي يُسب فيها السلف، فإن غلب مثل ذلك على الأرض فليتق الله قدر استطاعته، و ليخرج من الواقع السيئ ما وسعه الأمر، والواجبات تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة.

سادسًا- ذكر بعض الطيبين في معرض رده على ما فعله الرئيس الفرنسي: أننا لو منعنا الفرنسيات من العُري والخلاعة في بلادنا لاعترضوا علينا بأن هـذا يُعد تدخل منا في الحريات الشخصية.... وبلا ريب فهذا واقع.

ولمزيد من توضيح هذا الكلام نقول:

الواجب علينا أن نمنعهم من التبرج والعُري والاختلاط، قبلوا ذلك أو رفضوه، فالخلافة موضوعة لإقامة الإسلام وسياسة الدنيا به، ونحن لا نرضي الناس بسخط الله، ولا يقاس التبرج والاختلاط بالنقاب والاحتشام، كما لا يقاس الخمر على الماء، وليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه.

وتعبير المعاملة بالمثل هنا غير دقيق، فنحن عندما نعبد الله، وتستر المرأة وجهها وكفيها وندلهم على طريق الله، ونلزمهم الحجاب الشرعي، فهذا لا يماثل بحال إلزامهم لنا بخلع الحجاب وفرضهم الديمقراطية علينا وقهرهم لنا بقبول العُراة، فلا يصح التفريق بين المتماثلين ولا التسوية بين المختلفين ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥ - ٣٦].

اللهم انصر دينك وكتابك وسُنَّة نبيك وعبادك الصالحين.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين

تصريح بفقدان السيطرة والتحكم

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد صرح وزير الصحة المصري د. الجبلي بأن ادعاء التحكم في أنفلونزا الخنازير خيال ووهم، وتصريحه مبني على معرفته بالطب والواقع، وشراسة وسرعة انتشار الفيروس من جهة، وضعف الإمكانيات والقدرات على المواجهة من جهة أخرى، وهذا شأن الطاعون والأمراض الوبائية.

وقد اجتاح طاعون عمواس بالشام أكثر من عشرين ألف نفس، ومات فيه كثير من الصحابة الكرام منهم أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل - رضي الله عنهم أجمعين-، وكان النبي ﷺ قد أخبر عن هذا الطاعون قبل نزوله وهذا من دلائل النبوة.

والبشر رغم التطاول وادعاءات التطور والتقدم والتحضر وأنهم يعيشون عصر العلم وحضارة القرن الواحد والعشرين إلا أنهم مازالوا يجهلون، بل ما يجهلونه أكثر مما يعلمونه بكثير، ففي مجال الطب على سبيل المثال يقف الأطباء الكبار عاجزين عن معرفة أسباب وعلاج الكثير من الأمراض، حتى صار المصطلح الأجنبي لكلمة مجهول لبانه تتكرر في كتب الطب وعلى ألسنة الطلاب والأساتذة، والطبيب في ذلك أعجز من المريض، مات المداوي والمداوى.

غرور مادي لم نستطيع معه إيجاد علاج نافع للإيدز ولا لأمراض الروماتزم والجهاز الهضمي التي يعاني منها أكثر من ٩٠٪ من المصريين، بل ويعاني منها الأطباء ولا يجدون لها إلا ما هو أشبه بالمسكنات لبضعة أيام.

حيرة كبيرة في علاج السرطان، فالجراحة والكيماويات والإشعاعات لها مخاطرها وتأثيراتها الجانبية، وقس على ذلك أمراض القلب وغيرها. فهل تواضعنا أو اعترفنا بقصورنا وفقرنا وعجزنا وضعفنا؟!، أم أن الغرور والكِبْر والعجب يأبي إلا أن يستمر بنا حتى ننتقل إلى قبورنا.

لقد وصف بعض علماء المادة التجريبية ما نعيشه بأنه حضارة القلق، وأحال العلم البشري إلى نسبة العجز المطلق، وشبَّه البشر بأطفال يلعبون بساحل البحر وهم يجهلون أعماقه، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقال: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ [يونس: ٢٤].

ما عِلْمنا وعِلم جميع البشر بالنسبة لعِلم الله إلا كما يضع الطائر فمه في البحر، فبماذا يرجع؟! فالرب -جَلَا وَعَلَا- يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠]، له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون.

لا مانع من التصريح بفقدان السيطرة والتحكم بلا يأس أو قنوط ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وعلينا أن نأخذ بالأسباب؛ فعدم الأخذ بالأسباب قدح في التشريع، والاعتقاد في الأسباب قدح في التوحيد. نحتاج لإقامة حضارة على منهاج النبوة، ولابد من سعي حثيث للتعلم والتقدم والتطور مع إحسان المسير إلى الله والتأدب بالآداب الشرعية.

لقد أخبرنا الصادق المصدوق -صلوات الله وسلامه عليه- أن لكل داء دواء إلا الهرم (الشيخوخة) وقال: «**نَعَمْ يَا عِبَادَ الله تَدَاوَوْا فَإِنَّ الله لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ لَهُ شِفَاءً إِلاَّ دَاءً وَاحِدً. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَا هُوَ؟ قَالَ: الْهَرَمُ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني]، وقال النبي ﷺ: «**إن الله تعالى خلق الداء والدواء، فتداووا، ولا تتداووا بحرام**» [صححه الألباني في صحيح الجامع]، ولا مانع من الذهاب للأطباء والتداوي بالمُرَكَّبات وتعاطي الحقن والمشروبات، وهذا لا يمنع ولا يتعارض مع رفع أكف الضراعة بالدعاء لخالق الأرض والسموات﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

لا بأس بالرقى ما لم يكن شركًا، وماء زمزم لما شُرب له، وهو طعام طعم وشفاء سقم، والحجامة علاج. وبهذا وغيره وردت النصوص الشرعية.

وبيّن -سبحانه- أن القرآن شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة، وقد تداوى البعض بفاتحة الكتاب، وقال ﷺ: «**وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ**» [رَوَاهُ البُخَارِيُّ] وذكر الإمام ابن القيم وغيره الكثير من صور الطب النبوي.

لقد عشنا حينًا من الدهر كان أساتذة الطب الكبار يأنفون بشدة، ويستهجنون ويستخفون بالكثير من هذه الصور، فالطب عندهم هو المشرط والسماعة وجهاز الضغط وكتب الباطنة والجراحة الأجنبية، ووصف الحقنة والقرص. لوثة مادية تشبهوا فيها بأهل الغرب.

ومع مرور الأيام تغيرت الصورة بفضل الله، وها نحن نرى الكثير من الأساتذة والطلاب قد غلبت عليهم النزعة الإيمانية بالإضافة لإتقان النواحي الطبيعية المادية والسببية؛ مما يبشر بحلول الخيرات والبركات للبلاد والعباد.

ولا يظن ظان أن الضعف البشري قاصر علينا لتخلفنا المادي في النواحي الطبية وغيرها، فالأمريكان لا يستطيعون دفعًا للأعاصير والحرائق والفيضانات رغم سطوتهم وانبهار الخلق بتقدمهم العلمي، ما الذي فعلوه مع إعصار اندرو، وفيضان المسيسبي، وحرائق كاليفورنيا، ومؤخرًا أنفلونزا الخنازير، فهم من أعلى البلدان في الوباء، بل وما نُقل الوباء إلى مصر إلا منهم، وكانت الجامعة الأمريكية هي بداية الكرب والبلاء.

إن العنجهية البشرية تقف ضعيفة أمام فيروسات لا تكاد تُرى، ولا طاقة لأحد بحرب الله ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هُود: ١٠٢] وقال سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإِسْرَاء: ١٦]، وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الطَّلَاق: ٨].

لقد أهلك قوم لوط أصحاب الشذوذ الجنسي بحجارة من سجيل منضود، قال: ﴿ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هُود: ٨٣]، وأهلك فيل أبرها كما قال: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾

[الفِيل: ٣- ٥]

إن العلاقة وثيقة بين المخلوق وحالة الكون من حوله، وهذا الكون مأمور يسير وفق نظام محكم، وضعه له الخالق -جَلَّ وَعَلَا-، فالسماء مأمورة، والأرض مأمورة،والبحر مأمور ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠].

فهل أدرك الماديون والملحدون هذا التناسب وهذه العلاقة، أم أنهم يفسرون الماء بعد العسر بالماء؟

لقد خَيَّل الأمريكان على ضعاف البصر والبصيرة، وتوهم البعض أنهم سيقهرون الدنيا!! واتضح أنه لا تحكم ولا سيطرة على العراق، ولا على أفغانستان، فأين الجيوش والمخابرات والتكنولوجيا العصرية؟

إنهم يصرحون بلسان الحال كما صرح وزير الصحة المصري بلسان المقال أنه لا تحكم ولا سيطرة على أنفلونزا الخنازير، وقس على ذلك الطاعون والجراد وأنفلونزا الطيور، وها هو الضعف يتبدى ويتكشف من المخلوق الذي لا يعرف نفسه، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

وأرفق بالإنسان أن ينيب إلى الله وأن يقيم واجب العبودية وأن تخضع الجباه لعظمته سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحج: ٧٣ - ٧٤]، وقال -عز من قائل-: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[يس: ٧٨ - ٧٩].

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

اللهم إنا نعوذ بك من درك الشقاء، وسوء القضاء، وشدة البلاء، وشماتة الأعداء.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

المرأة تعود للمنزل... مشهد جدير بالملاحظة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فها هي الملامح تتبدى في الأفق، وطوفان التدين آخذ في الازدياد -كمًّا وكيفًا-، وذلك بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء، والمخالفين قبل الموافقين.

وها هي البشارات تلوح في الأفق تترا، يفرح بها المؤمنون، وتنغص وتؤرق الزنادقة والملحدين والجاهلين؛ فطلائع جيل مسلم يصطلح مع ربه، ويقيم حياته الخاصة والعامة وفق نصوص الكتاب والسُنَّة. تتضح معالمه يومًا بعد آخر، ويبعث على اليقين بأن المستقبل للإسلام بغلبته وظهوره على الأديان كلها، وبوجود الطائفة الظاهرة الناجية المنصورة، وبالغرباء الذين يصلحون عند فساد الأمة ويصلحون ما أفسد الناس من السُنَّة، لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم.

بعث إسلامي لم يقتصر على إطلاق اللحية، وتقصير الثياب، وارتداء النساء للحجاب، بل تعدى ذلك إلى حرصه على تطبيق إسلامه في شتى أنواع الحياة، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو أخلاقية، تعلقت بالمسجد أو بالسوق.

هذا الطوفان لم يقتصر على فئة دون سائر الفئات، كما كان المغرضون والمنحرفون يصورون المتدينين على أنهم حثالة البشر، تربوا في المناطق العشوائية وأصحاب حرف خسيسة، وهذا لا يضير المسلم، فقديمًا قالوا لنبي الله نوح عليه السلام: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧].

وقد سأل هرقل أبا سفيان -وكان في تجارة بالشام-، ولم يكن أسلم يومئذ: «فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ»، فقال له أبو سفيان: «بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ»، فقال هرقل: «وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ» [متفق عليه].

فهكذا الحال والشأن في البداية، ثم يتتابع الناس ويدخلون في دين الله أفواجًا.

وأنقل لك هذا المشهد وهو يتعلق بعودة المرأة لبيتها، بالأمر الذي تتعجب له الصحفِيَّة بالمصري اليوم، وتحت عنوان (المرأة المصرية للخلف دُر) كتبت تقول:

«ماذا يحدث للنساء الآن؟

من الذي يوجه المرأة المصرية إلى هذه الهوة السحيقة من الجهل؟

كلما ساقتني قدماي إلى مجتمع يضم نساء في شرخ الشباب، أحسست بانهيار بنية المرأة المصرية!

أسوق لكم بعض الأمثلة:

في احتفال بتخرج إحدى حفيدات صديقتي اجتمعت في حجرة واحدة بخمس أمهات لصغار في سن الرابعة والخامسة.

الأولى خريجة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية وتزوجت زميلها الذي يعمل براتب خيالي في أحد البنوك.

- بتشتغلي إيه؟

ابتسمت وهى تعدل حجابها الأنيق وقالت:

-باربي بنتي... لكن خريجة جامعة أمريكية، مش جاهلة يعنى.

-بنت واحدة؟

-لأ، لما تكبر إن شاء الله حجيب حد تاني.

ثم سألت الثانية: وإنتي خريجة إيه؟

-تجارة إنجلش.

-بتشتغلي إيه؟

-لأ أنا جوزي دكتور ومشغول وأنا باربي بنتي وابني.

وصممت أن أكمل المجموعة فاتضح أن الخمس سيدات الصغيرات خريجات الجامعات المصرية، وواحدة منهن خريجة الجامعة الأمريكية قسم هندسة كمبيوتر وإحداهن خريجة قسم ياباني بالجامعة المصرية.

وكلهن في البيت!

أنا لست ضد تربية الأطفال.. وأنا ربيت ثلاثة أطفال كبروا ما شاء الله وتزوجوا ولكن لم أترك شغلي طبعًا، تعبت ولكن كنت مستريحة نفسيًا لأنني أعمل في عملي الصحفي، وحرصت على توصيل رأيي في مشاكل بلدي، وحاولت في حركة الإصلاح.. حاولت في مجال الطفولة ولست وحدي، جيلي كله تخرجنا وعملنا ونحن طالبات وأنجبنا وربينا، وأولادنا الحمد لله نجحوا!..

ماذا حدث للمرأة المصرية..؟ إننا نعيش في كارثة لا نعرف مداها.

إن هؤلاء النسوة لا يعرفن أنهن جزء من ٥٠٪ من عدد السكان في البلاد!

لماذا لم تتخيل إحداهن لو طلبت طبيبة لابنها، وقالت لها الطبيبة: أنا قاعدة في البيت ولا أعمل!

لماذا لم تتخيل إحداهن الممرضات والمدرسات وقد جلسن في بيوتهن لتربية الأطفال فقط؟

أعرف جيدًا إرهاق المرأة العاملة البسيطة المحتاجة وهى تذهب في برد الشتاء وحر الصيف وهى تجمع القرش على القرش لتلحق أطفالها بأي حضانة!

أتعجب لهؤلاء القادرات على إرسال الأطفال لأغلى «الحضانات» ولكن فضلن تعطيل قدراتهن في تربية الأطفال وأتعجب أشد العجب لنساء كثيرات يعملن ونجحن في أعمالهن وتقول كل منهن بالفم المليان: أنا ضد عمل المرأة!

كأنه وباء اجتاح البلد، أو كأنها فكرة زرعت ونجحت وآتت أكلها في نساء مصر.

أين المجلس القومي للمرأة ليواجه هذه الردة وهذا التراجع الشديد في قضية عمل المرأة؟

ما هذا التناقض الذي يحدث في مصر الآن؟.. تكافح النساء حتى يصلن إلى مناصب نادرة مثل القاضية ومثل المأذون ومثل العمدة ثم نجد خريجات الجامعات يمارسن السعادة وهن في البيت!

جاءتني فتاتان وشاب من جامعة ٦ أكتوبر قسم الإعلام.. جاءوا لإجراء حوار معي لمشروع التخرج.. سألت إحداهما:

-ناوية تشتغلي فين؟

-لا حاقعد في البيت.

-ليه؟

-لأربى أولادي.. وكان معها خطيبها الذي يعمل في أحد المطاعم وقال:

-لأ أنا مش عاوز شغل.. وهى موافقة.

سألتها: لماذا تحصلين على شهادة قالت بالحرف الواحد: علشان ما أكونش أقل من حد. قلت لها: ممكن تدخلي مجتمع فيه واحدة لابسة ألماظ وفستان غالى جدًا، تعملي إيه لما تكوني أقل منها؟ صمتت ثم قالت: الشهادة كمان تضمن مستقبلي لو حصل حاجة في الجواز.. قلت لها: طلاق يعنى؟ قالت: لا قدر الله أبقى أشتغل!

ما هذا المفهوم للعمل؟ أين القدرات التي لديهن.. أين المساواة العقلية بين المرأة والرجل التي أوردها الله في كتابه، فلا فرق بين عقل المرأة وعقل الرجل ولا تفرق مفردات الدين سواء مسلمًا أو مسيحيًا بين امرأة ورجل؟

صدقوني هذه ليست مصادفة.. ولكن أكتب لكم عينة مما أقابله في السنوات الأخيرة من نساء عقدن العزم على إلقاء أنفسهن في بئر الجهل بلا تردد.. جهل متعلمات!!..

الأمر عجيب، فبينما قضايا المرأة تناقش وتعلن حوارات وإنجازات نرى النساء يتراجعن

بخطوات واسعة.. لم تفكر إحداهن في الذي أنفقته الأسرة والدولة عليها.. لم تفكر في دولاب العمل ولا حاجة المجتمع إليها.. حقيقي أن هناك بطالة ولكنها ظاهرة غير صحية، حيث البطالة في مجالات، والاحتياج إلى عمالة في مجالات أخرى مثل التدريس والتمريض، حيث سوق العمل بلا دراسة جدوى.

وكم ذا بمصر من المضحكات..... ولكنه ضحك كالبكاء

والله يصدق المتنبي في مقولته في كل زمان»

وهذا المقال يتطلب عدة تعليقات:

أولًا- إن الأمة تولد من جديد، والإنسان عادة لا يولد فولاذيًا مفتول العضلات ويحمل الأثقال، بل يرضع ويصرخ، ثم يحبو ويحاول النهوض، وقد يتعثر، ثم يمشي، ثم يجري، ثم يصير شابًا مفتول العضلات، والأمر كذلك بالنسبة للدعوات، وتتطابق في ذلك السُنن الشرعية مع السُنن الكونية.

والإنسان عدو ما يجهل، أسيرُ ما يعلم، ولم يولد أحد من بطن أمه عالمًا، وإنما العلم بالتعلم؛ وبالتالي فلوثة الواقع تبدو في الحجاب الأنيق (الشياكة)، والزوج الذي يعمل في البنك الربوي، والمشي مع الخُطَّاب كما لو كانت علاقة أزواج، تأمين المستقبل المادي ولو على حساب الدِّين. هذا وغيره يستوعب.

ولابد من الوقوف على أرضية الواقع، من باب:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر من الخير يقع عليه

نحن لا نعيش في برج عاجي، أو في عالم من الخيال ونسيج في أحلام وردية، فالأمر يتطلب جهادًا كبيرًا، لتغيير الواقع السيئ الذي شب عليه الصغير وشاب عليه الكبير، ولا نقبل الاستهانة بمعصية حتى وإن صغرت.

وفي ذات الوقت فنحن نفرح بمظاهر التدين التي أخذت تزاحم الباطل وتدافعه، بل وتسحب البساط من تحت قدمه، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[البقرة: ٢٥١]، هذه المظاهر الإيمانية لها منا كل احترام وتقدير، بلا تهوين أو تهويل، ولا يتصور في عالم البشر وفي ظروف كهذه أن ننتقل من حالة شيطانية إلى حالة ملائكية، فكل ابن آدم خطَّاء، وخير الخطاءين التوابون، وبعض الشر أهون من بعض، ومسيرة آلاف الأميال تبدأ بخطوة واحدة، وبداية السيل قطرة.

والمؤمن يفرح دومًا بتكثير الخير والصلاح وتقليل الشر والفساد، وما ظهور الحجاب وعودة المرأة إلى بيتها إلا مشهد من مشاهد الخير الكثيرة والتي بدأت تلوح في الأفق.

ثانيًا- البيت هو مملكة المرأة، والمرأة نصف المجتمع وهي تربي النصف الآخر، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]، وقد حدد النبي ﷺ مكان المرأة فقال: «**وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِى بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا**» [متفق عليه].

ونصوص الكتاب والسُنَّة تأمر المرأة بالصيانة والتحجب والتستر، والتباعد عن مواطن التهم والريب والشكوك، فمعظم النار من مستصغر الشرر، وما ترك النبي ﷺ فتنة أضر على الرجال من النساء، وقد كانت أول فتنة بني إسرائيل في النساء.

ومن المعلوم أن بلية هذه الأمة بالمرأة المتهتكة كبيرة وعظيمة، فهي إذا خرجت وتبرجت واختلطت بالرجال أضرت بنفسها وبالمجتمع كله، وأي عمل أعظم من صيانتها لنفسها وقيامها على خدمة زوجها وتربية أولادها؟ ومن الذي يقوم بهذه المهمة إن هي صارت خرّاجة ولاّجة؟!

لقد حكى لنا القرآن الكريم قصة نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما ورد ماء مدين ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ

إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٣- ٢٥].

لقد دعت الحاجة والضرورة الفتاتين إلى الخروج، فالأب شيخ كبير لا يقوى على الخروج ولابد لهم من سقيا الماء، ورغم ذلك تباعدتا بنفسيهما عن مكان الرجال، فالحياء خير كله ولا يأتي إلا بخير، والحياء والإيمان قرنا جميعًا فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر، وإن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

والواجب على الرجل أن يسكن امرأته وأن يقوم على كفاية أهله وعياله، وهذا من مقتضيات القوامة، حتى وإن كانت الزوجة غنية، فهي لا تلزم بالعمل والكسب خارج المنزل، ولذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه: ١١٨- ١١٩]، فنبي الله إذا أهبط من الجنة هو الذي سيعتني بهذه الأشياء لا حواء، سيطالب بالسعي على امرأته لإطعامها وكسوتها وسكناها.

ولا ريب أن الله يعلم ما فيه مصلحة الرجل والمرأة والبلاد والعباد ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩]، وهل دعاة حرية المرأة وأعداء الإسلام والجهال أرفق وأرحم وأدرى بمصالح المرأة من خالقها؟! وهو -سبحانه- أرحم بعبده من الأم بولدها.

ثالثًا- حرصت الجمعيات النسائية، والدعوات التحررية، والمجالس القومية، على إخراج المرأة من قعر بيتها، ورفعت شعارات مساواة المرأة للرجل، ومشاركة المرأة في نهضة الأمة؛ فانخدع بذلك بعض ضعاف البصر والبصيرة.

والشيطان فقيه في الشر ومن فقهه في الشر أن يرضي الإنسان ببعض أفعال الخير، فلو قُدر أن في خروج المرأة للعمل على النحو المشبوه الذي يطلبونه، إلا أن فيه من الشر والفساد ما لا يخفى على أحد، ومطالعة يسيرة للواقع ولصفحات الحوادث توضح لك هذا الأمر من أقصر طريق.

ولا تحتاج مع الرجوع للكتاب والسُنَّة لتجارب أو شهادات، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، ونفقات المرأة العاملة تزيد على راتبها فهي تحتاج لشغَّالة وحضانة الأطفال أثناء غيابها، وموضات يومية، ومواصلات، وإفطار مع الزملاء في العمل، وصداقة، وضعف أو ضياع الاستقرار الأسري.

فإذا أضيف لعملها الأمور التي قد لا تنفك عنها مثل الحمل والوضع والرضاع والحيض والنفاس، أدركت حجم المعاناة، وأن دعاة مساواة المرأة بالرجل في العمل وغيره هم في واقع الأمر وحقيقته لا يشفقون على المرأة، ولا يحبون لها الخير، بل هم أعداء للمرأة يجهلون طبيعتها ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦].

المرأة بطبيعتها عاطفية يسهل استمالتها، فماذا يكون الشأن عندما تجاور زميلها في المكتب، تتزين له ويتزين لها، وتحكي له ويحكي لها، صورة لا تكاد تراها في البيت مع زوجها ولا يراها هو مع امرأته، ويتكرر المشهد كل يوم لساعات طوال.

ما الذي يتصور من جراء اقتراب النار من البنزين.

يا قوم عودوا إلى عقولكم ورشدكم وإلى شرع ربكم، ولا تدمروا أنفسكم، فقد نعي -سبحانه- على المنافقين فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١ - ١٢].

رابعًا- ركز أعداء الإسلام على المرأة بصفة خاصة حتى قال بعهضم: لابد وأن نجعل المرأة رسولًا لمبادئنا التحررية ونخلصها من قيود الدين.

ونحن بصدد العودة بالأمة إلى دين ربها فلابد من تركيز خاص على المرأة، وإذا كان إعمام الناس بالدعوة مطلوب، فالتقديم والتأخير لابد منه وفق شرع الله، وتقديم الأهم على المهم أمر واجب في العلم والعمل والدعوة إلى الله.

لابد من التركيز على الحجاب، ومنع الاختلاط وعودة المرأة إلى بيتها، وإذا احتاجت للخروج فلابد من التأدب بالآداب الشرعية.

إن المسلم له شأن وللناس شأن، فإذا تضافرت الجهود على هدم الأمة وإضعافها فاستعن أنت بالله، واشرع في البناء، وستجد السُنن ماضية بما يفوق الحسابات المادية ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد: ١٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[التوبة: ١٢٠]، ولا يصلح عمل المفسدين، والعاقبة للمتقين.

بل دعاة الشر والفساد لربما ساهموا بواقعهم السيء في نشر الدعوة وعودة المرأة إلى بيتها، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم.

كلنا ثقة في أن دعوات التحلل والفجور لا يمكن أن يُبارك فيها؛ وذلك لأنها تخالف العمل والفطرة والشريعة المطهرة، وكونها دامت سنوات طويلة وصارت عُرفًا وواقعًا، فهذا لا يُصيرها حقًا مشروعًا، فالحق ما وافق الكتاب والسُنَّة، ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦].

فاعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من أتاه، واسلك طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين.

هدى اللهُ البلادَ والعبادَ لما يحب ويرضى؛ فهو -سبحانه- أكرم مسئول وأرجى مأمول.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين

إظهار الفرحة بالرقص
واطلاق وصف الفراعنة على اللاعبين

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فكرة القدم لعبة شعبية، يشارك فيها الكبار والصغار، والرجال والنساء، باللعب والتشجيع. ولا نغالي لو قلنا هي أسوأ لعبة إذا قورنت بالسباحة والجري وغير ذلك من ألعاب القوى، وقد صارع النبي ﷺ رُكانة -وكان من مشاهير العرب بالقوة- فصرعه ثلاث مرار، وقال عمر رضي الله عنه: «علّموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثبًا».

وقد صارت هذه الألعاب قاصر على أولاد الذوات، وكان عليٌّ -رضي الله عنه- عداءًا وكان سلمة بن الأكوع رضي الله عنه يسابق الخيل فيسبقها، وكانت الحبشة تلعب بالحراب في المسجد، ويقول لهم النبي ﷺ: «**دُونَكُمْ بَنِي أَرْفِدَةَ**»[رواه البخاري].

ولو نظرنا إلى كرة القدم لوجدنا أنها لا تخلو من كشف العورات وإضاعة الصلوات، وإلهاء الشعوب عن قضاياها ومصالحها الهامة، وقد يترتب عليها ترويج المخدرات وارتكاب الجرائم، بل والقيام بالانقلابات وخصوصا وقت المباريات الدولية.

ويكتنف اللعب إضاعة مفهوم الولاء والبراء، والحب في الله والبغض في الله، والتعصب على غير ذات الله، وتتغلب الروح الرياضية -كما يسميها البعض- على الضوابط الشرعية، وقد يجيز البعض للاعبين الفطر في رمضان بسبب اللعب!!

لعبة استعار لها البعض كل المصطلحات الشرعية، كالمهاجم والدفاع والفوز والنصر، وشهيد الكرة!!

وتحتف كرة القدم بأمور تسترعي الانتباه، وتستوقف النظر، فقبل المباراة تجد الاستعداد والتهيئة والانتباه، وكأن على رؤوسهم الطير مما لا يحدث شيء منه مع الصلوات المفروضة؛ فالمصل لا يتذكر كم صلى، ولربما صلى وسط الغناء والرقص.

أما أثناء المباراة فلابد من هدوء، والبعض يتذكر أسماء اللاعبين وطريقة ما يُسمى بالأهداف التي أحرزت منذ سنين، ولو قيل له اذكر سورة كذا، أو حديث كذا لتعلل بضعف الذاكرة.

وقد يرتفع الصياح أثناء اللعب، ويخرج الكبير عن وقاره، ولربما أصيب بسكتة قلبية، ولوحظ في الآونة الأخيرة خروج الشباب والشابات إلى الشوارع يغنون ويرقصون؛ إظهارًا للفرحة بانتصار الفريق المصري على إيطاليا مثلًا.

وقد تتعطل الشوارع عن المرور لتكدس السيارات وخروج التظاهرات ورفع الأعلام والهتاف بحياة الفراعنة الجدد، مما في ذلك من تعطيل المصالح واستجلاب المضار على من يحتاج إلى إسعاف ونحو ذلك.

وقد شرفنا -سبحانه- ورضي لنا الإسلام دينا، ولكن صارت الكرة أداة للتذكير بالحضارات الهالكة البائدة، ولتقطيع ما أمر الله به أن يوصل، قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨]، وقال: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وقال عن فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]، وفي لحظة غرقه قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٩١ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس: ٩٠-٩٢].

وقد تبلغ الفجاجة مداها بتسمية بعض اللاعبين بمعبود الجماهير، فلا إله إلا الله، ورضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيًا.

لا يخفى علينا حالة التدين التي طرأت على اللاعبين والمشجعين وغيرهم، فاللاعبون يحرصون على السجود شكرًا لله عقب الأهداف، ويؤدون الصلاة في جماعة

ويتقدمهم مدربهم، ويرفعون أكف الضراعة لله، ويذهبون لتأدية العمرة عقب الفوز، ويقرأون القرآن وينتصرون لقضايا المسلمين كغزة وغيرها.

وبين طوفان التدين وطوفان الإلحاد والزندقة يبرز الطوفان الثالث الذي يعيش نقرة ونقرة، وساعة وساعة، أن يعمل بمنطق أهل الجاهلية: اليوم خمر وغدًا أمر.

فلا نعدم قلة عدد المصلين في المسلمين، ومن يحضرون دروس العلم في المباراة، ومَن تضع علم مصر على وجهها، وتهتف وتشاهد المباراة، قد تصوم النهار وتقوم الليل، وترتاد حلقة من حلقات تحفيظ القرآن!!

ولذلك فما زلنا بحاجة لبذل المزيد من الوسع في إبلاغ الحق للخلق، وتعاهد الأمة بالعلم النافع والعمل الصالح، والتركيز على الكبار والصغار والرجال والنساء بمعاني التربية والسلوك.

وعدم إهمال أي جانب من جوانب الحياة، فمعظم النار من مستصغر الشرر، والحيطة تجاه مداخل الشيطان للنفوس، فالكثرة تضع هذا الصنيع بزعم الرياضة ومحبة كبيرة والكرة الحلوة!!

وقديمًا قال إبليس لأبينا آدم عليه السلام: ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، فالشجرة التي نُهي عن الأكل منها سماها شجرة الخلد، وكان قد آنس منهما الميل للمكث في الجنة، وهكذا فالشيطان يدخل للنفوس من المداخل التي تحبها وتهواها، وهي نقاط الضعف.

فبسبب الرياضة تختلط النساء بالرجال، وتتبرج المرأة وترقص، وينظر إليها بانبهار؛ لأنها تعبر عن حب مصر، وتضيع مصالح الخلق وتهمل مشاكل المسلمين في غزة وأفغانستان والعراق؛ لأننا نواجه مباراة كرة قدم مصرية!

وننتقل إلى مصافِّ الأمم اللاهية اللاعبة بدلًا من أن نتحمل مهمتنا في نشر الدين في البلاد والعباد ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران: ١١٠]. سدوا أبواب ذرائع الشر والفساد يرحمكم الله.

إن الدعوة إلى الله لا تحتمل اليأس ولا القنوط، ففي كل يوم تكسب أنصارًا، وتتسع رقعة الأمل، وتزيد المبشرات التي تنبئ بأن المستقبل للإسلام بغلبته وظهوره على الأديان كلها ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[ص: ٨٨].

«راجع كتابي: ضوابط شرعية للألعاب الرياضية».

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين



الأزهر الذي نريد

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ..

فالجامع الأزهر الذي تحول إلى جامعة، له مكانته العريقة في نفوس المسلمين على مستوى الدنيا، ويُنظر لشيخ الأزهر على أنه شيخ الإسلام، وهذا المنصب الديني الرفيع يعدل منصب بابا الفاتيكان زعيم النصارى الكاثوليك على مستوى المعمورة. ويحلو للبعض أحيانًا أن يعادله بابا النصارى الأرثوذكس في بلادنا.

وقد كان منصب شيخ الأزهر يتلو منصب رئيس الجمهورية في البرتوكول، وهذا إلى زمن قريب، ثم تحول هذا المنصب وتدنَّى إلى منصب يتبع رئيس الوزراء، وكانت الجامعات هنا وهناك تسارع إلى موافقة وطلب مباركة الجامعية الأزهرية، فالجامعة التي لا يعترف بها الأزهر لا قيمة لها بما في ذلك جامعة أم القرى.

وهذا الجامع أنشأه العُبيديون، وكان ظاهرهم التشيع والرفض، وباطنهم الكفر المحض، فأحلوا الحرام وحرموا الحلال، وبدلوا الشرع وأباحوا زواج المحارم؛ حتى قال بعض العلماء: لو امتلكت عشرة أسهم لرميت هؤلاء بتسعة وبقية الكفار بالعاشر، وتحت عنوان «في مثل هذا اليوم (الأحد) ٢١ يونيو من عام ٩٧٢م، فتح الجامع الأزهر، وأقيمت فيه أول صلاة «جاء بالمصري اليوم ما نصه»:

«لم يجد العباسيون ما يحاربون الفاطميين به سوى الطعن في نسبهم، وأنهم يدعون نسبهم لفاطمة الزهراء، وظلت مسألة النسب هذه تثور في وجه الفاطميين منذ أسسوا ملكهم في شمال أفريقيا، ولاحقهم منذ وطئوا مصر.

ويحدثنا ابن خلكان أن المعز حينما أصبح على مشارف مصر وخرج الناس للقائه اجتمع به بعض الأشراف، فسأله واحد منهم: نسبنا، فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس في مجلس عام وجلس لهم، ثم قال: هل بقي من رؤسائكم أحد؟ فقالوا: لم يبق معتبر إلا

وحضر، فاستل المعز سيفه وقال: هذا نسبي، ثم نثر عليهم ذهبًا كثيرًا، ثم قال: وهذا حسبي، فقالوا جميعًا: سمعنا وأطعنا.

ومن يومها ظلت هذه المقولة متداولة في التدليل على الإغراء والعقاب، وتفرض هذه الواقعة نفسها علينا حينما نتحدث عن الدولة الفاطمية في مصر، وتأسيس المعز لمدينة القاهرة، أو حينما نعرض لقصة بناء الجامع الذي صار جامعة ومنارة الإسلام في العالمين العربي والإسلامي ليكون مقرًا للشعائر الإسلامية على المذهب الشيعي، وكان يطلق عليه في بادئ الأمر جامع القاهرة، ثم أطلق عليه اسم جامع الأزهر لازدهار العلوم فيه، وقيل أيضًا إنه سُمِّي بالأزهر نسبة إلى فاطمة الزهراء.

وقد وضع جوهر حجر أساس الجامع الأزهر في ٢١ رمضان سنة ٥٩٣هـ/ ٧٩٠م، واستغرق بناؤه عامين، وأقيمت فيه أول صلاة جمعة ٧ رمضان ٧٦٣هـ في مثل هذا اليوم (١٢ يونيو من عام ٩٧٢م).

وفي عام ٨٨٩م جعله الخليفة العزيز بالله جامعة يدرس فيها العلوم الباطنية الإسماعيلية، وبعدما تولى صلاح الدين سلطنة مصر منع إقامة صلاة الجمعة به.

وكانت أول حلقه درس في الأزهر عندما جلس قاضي القضاة أبو الحسن عليّ بن النعمان في أكتوبر ٩٧٥م ليقرأ مختصر أبيه في فقه آل البيت، و بعد الأيوبيين استرد الأزهر مكانته في العصر المملوكي بعدما أصبح يُدرس فيه الفقه والمذاهب السنية، وفي عهد الخديوي عباس حلمي الثاني صدر قانون سنة ١٨٦٩م لتطوير الأزهر.

وقد حدد القانون سن قبول التلاميذ بخمسة عشر عامًا مع ضرورة معرفة القراءة والكتابة، وحفظ القرآن. وفي عام ١٩٦٣م صدر المرسوم الملكي رقم ٦٢ بشأن إعادة تنظيم الأزهر، وقصر كليات الأزهر على كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية.

وفي عهد جمال عبد الناصر صدر القانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٦١م بشأن إعادة تنظيم الأزهر وجعله تابعًا لرئاسة الجمهورية».

وما بين بداية الأزهر وما آل إليه أمره وما نصبوا إليه ونريده منه يتطلب الأمر عدة وقفات:

أولاً- الادعاء بأن العباسيين لم يجدوا ما يحاربون به الفاطميين سوى الطعن في نسبهم، وأنهم يدعون نسبهم لفاطمة الزهراء، مغالطة وجهالة تاريخية فالبون شاسع وكبير بين الدولة العباسية والفاطمية، وشتان بين انحراف وانحراف.

فالتشيع والرفض كان سمة الدولة الفاطمية، وقد انتحلوا النسب الشريف لتمرير الكفريات والضلالات في البلاد والعباد، ولا يشفع لهم بناء القاهرة أو إقامة الجامع الأزهر، ومن بطَّأ به عمله لم يُسرع به نسبه، على افتراض النسب الشريف. ولا يجعل الله عبدًا سارع إليه كعبد أبطأ عنه.

وقد كانت الآيات تنزل على رسول الله ﷺ: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[الأنعام: ١٥]، وأيضًا: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِيۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾[سبأ: ٥٠].

والإسلام قد رفع سلمان فارس ووضع النسيب أبا لهب، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات: ١٣]، وكل إنسان يُؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ، وعلى الحق نور، والحقُ ما وافق الكتاب والسُنَّة، والباطل ما خالف ذلك.

ثانيًا- بفضل الله تجاوز الأزهر مرحلة النشأة، ولا يمكن أن يتهمه أحد بأنه حامل راية التشيع، وهذا لا ينفي محاولات اختراقه ووجود بعض البذور والأفكار الشيعية، التي يجب أن نكون منها ومن أهلها على حذر، من باب:

عرفت الشر لا للشر ... ولكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر ... من الخير يقع فيه

وكان عمر رضي الله عنه يقول: لستُ بالخبِّ ولا الخبُّ يخدعني، وإذا كان الإنسان يحتاط لحر الصيف وبرد الشتاء، فالحيطة أوْكَد وأوجب بالنسبة للدين والمعتقد، وخصوصًا مع

معرفتنا بخبث ودهاء الشيعة وتمسحهم بحب آل البيت، هذا الحب الذي قال عنه زين العابدين: أحببتمونا حبًا حتى صار حبكم عارًا علينا.

وفي هذا الصدد لابد من مراجعة شيخ الأزهر (سيد طنطاوي) والمفتي (د.عليّ جمعة) في اعتبار الشيعة الإمامية الجعفرية الاثني عشرية مذهبًا خامسًا يجوز التعبد به، ولا يتقوى هذا القول بنسبته للشيخ (عليّ شلتوت) شيخ الأزهر الأسبق.

فالشيعة الإمامية وإن كانت من أخف طوائف الشيعة ضلالة، إلا أنها فرقة نارية تقول بعصمة الأئمة، وسب الصحابة، وتدين بعقيدة الرجعية، وتصرف العبادة للمقبورين، وتقدم الأئمة على الأنبياء والملائكة.

ويعتبر الخميني أن للأئمة مقامًا محمودًا وخلافة تكوينية يخضع لهيمنتها وسيطرتها جميع ذرات الكون، إلى غير ذلك من العقائد الضالة.

فالمسألة عندهم لم تقتصر على الإمامة ونكاح المتعة حتى يعتبر البعض، هذا الضلال المبين مذهبًا خامسًا يجوز التعبد به!!! ففي هذا من الشر والفساد ما الله به عليم، والشيعة من أجهل الخلق وما عندهم من الأباطيل لا يلزمنا.

والسياسات يجب أن تكون شرعية والوحدة والاتحاد لا تأتي على حساب الخلق، فكلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة، ووحدة الفكر قبل وحدة العمل.

ثالثًا- من التقاليد المتبعة عبر سنوات طوال أن يتولى مشيخة الأزهر ودار الإفتاء ورئاسة الجامعة الأزهرية من هو منسوب للصوفية، وكان لا يُمثل في المناسبات الرسمية إلا شيوخ الصوفية، وكأن الصوفية هي الدين الرسمي للبلاد وهي الطريقة المرضية للتدين!!

والصوفية أقرب الطوائف للشيعة فعقائدهم تكاد تتشابه، وهم أقرب المسلمين نسبًا بأهل الكتاب بحيث يصدق عليهم قول النبي ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا**

بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ. قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ: فَمَنْ» [متفق عليه]

والصوفية موسوية المحمدية، وعيسوية المحمدية، والبعض منهم طريقته مقيدة بالكتاب والسُنَّة كالجُنيد والجيلاني، والبعض الآخر من ملاحدة الصوفية كابن عربي وابن سبعين وابن الفارض والحلاج.

ودين الصوفية قائم في جملته على تعظيم المقبورين، وصرف العبادة لهم من دون الله، وبناء المساجد على القبور، وإقامة الموالد، وترك النظافة والزواج، والعيش على طعام واحد، وذكر الله بالاسم المفرد.

والبعض من الصوفية يدين بعقيدة الحلول والاتحاد، والتي هي أخبث من عقيدة النصارى.

والمفترض في الشيوخ الرسمين أنهم أئمة يُقتدى بهم، فكان الواجب عليهم أن يكونوا على مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[آل عمران: ١٠٦]

قال العلماء: تبيض وجوه أهل السُنَّة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والافتراق.

ما الحق إلا واحد فاعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من آتاه، واسلك طريق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة! ولا تغتر بكثرة الهالكين.

ولا يصح القول: بأن لكل شيخ طريقة، فكل الطرق مسدودة إلا من طريقه -صلوات الله وسلامه عليه-، وكما هو معلوم، فدين الصوفية يختلف عن دين الخوارج، ويفترق عن دين المعتزلة. وكل هؤلاء يخالفون الكتاب والسُنَّة وما كان عليه سلف الأمة.

رابعًا- عقيدة الأشاعرة تسيطر على الأزهر، وتأويل آيات الصفات تدرس في الجوهرة وغيرها على أنها عقيدة أهل السُنَّة، بل صرح المفتي (د. عليّ جمعة) بأن الأشاعرة هم أهل السُنَّة والجماعة!!!

وهذه مغالطة للشرع والواقع والتاريخ، فالأشعري ما ولد إلا في أواخر القرن الثالث الهجري، فعلى أي شيء كانت الأمة قبل ولادته، وقد صح الحديث: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» [متفق عليه].

وقد رجع الأشعري عن عقيدته إلى عقيدة أهل السُنَّة في الإبانة وصرح بأنه على عقيدة الإمام أحمد، إمامِ أهل السُنَّة، وتبرأ مما كان عليه من قبل.

فالأشعري شيء، والأشاعرة شيء آخر، وما منا إلا ورَدَّ ورُدَّ عليه.

كل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف. وما لم يكن يومئذ دينًا فليس باليوم دينًا، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وقال البعض: إذا رأيتم قولي يخالف قول رسول الله ﷺ، فخذوا بقول رسول الله واضربوا بقولي عُرض الحائط. ولو أخذنا مسألة تأويل الصفات عند الأشاعرة، على سبيل المثال لا الحصر، بمعنى نزول الأمر كما تعتقد الأشاعرة.

خامسًا- الجمود المذهبي تخف حدته، ولكن ما زال بحاجة لعلاج ولرد حكم ما تنازعنا فيه للكتاب والسُنَّة، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

لا بأس بالتَّمَذْهُب، ولكن متى علمنا الحق بخلاف المذهب فالواجب علينا أن نترك الجمود المذهبي، ولا يصح التذرُّع بأننا أحناف فنبيح الزواج بدون ولي؛ لأن هذا يخالف قول رسول الله ﷺ: «**لاَ نِكَاحَ إِلاَّ بِوَلِيٍّ**» [رواه الخمسة إلا النسائي، وصححه الألباني]، وفي الحديث: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ نُكِحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ**» [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني]

فالمرأة لا تزوج نفسها حتى وإن كانت ثيبًا (سبق لها الزواج)، بل يزوجها الولي، ولا يصح أن يقوم بالتزويج الأبعد في وجود الأقرب، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

قد كانت المذاهب الأربعة تُدرس في صحن الجامع الأزهر، وكان المالكي لا يُصلي خلف الشافعي والعكس، فهذه الظاهرة بالإضافة لمخالفتها للشرع قد أضرت بالأمة وشتت شملها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **نعم من خالف الكتاب المستبين والسُنَّة المستفيضة خلافًا لا يعذر فيه، فهذا يُعامل بما يُعامل به أهل البدع. وكان أبو بكر وعمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **يتناظران في المسألة لا يقصدان إلا الخير.**

وإذا اختلف مسلمان في مسألة فتفرقا وتنازعا بسبب ذلك لم تبق أخوة إيمانية، والواجب علينا أن نفرق بين الخلاف السائغ المعتبر الذي لا يفسد للود قضية كخلافنا في قصر الصلاة وبين الخلاف الذي لا ينجبر كخلافنا مع الخوارج في تكفيرهم مرتكب الكبيرة، ومع الصوفية في قولهم بإسقاط التكاليف وصرف العبادة للمقبورين، وكخلافنا مع الشيعة في سبهم الصحابة وقولهم بعصمة الأئمة.

سادسًا: العلماء هم سادة وقادة هذه الأمة الحقيقيين، صانوا العلم فلم يُعرضوا أنفسهم فيه للهلكة، ولذلك رفعهم ربنا مقامًا عليًّا، ودلائل ذلك كثيرة في الكتاب والسُنَّة، وكلها تشير إلى قيمة العلم ومكانة العلماء، قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

قد كانت الثورات تندلع من الأزهر كما حدث في ثورة ١٩١٩م، حيث أبرق المندوب السامي البريطاني إلى وزارة الخارجية يقول: إن الثورة تندلع من الأزهر وهذا أمر له خطورته، فما كان منهم إلا أن أشاروا بتحويل الثورة من دينية إلى وطنية، تطالب بتحرير التراب الغالي، ويتزعمها سعد زغلول رافعًا الصليب مع الهلال.

وانتهى الأمر بقول: الإنجليز خصوم شرفاء معقولون، وقال: خسرنا كل شيء وكسبنا صداقة الإنجليز، وتبعه أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد يقول: الإنجليز هم ولاة أمورنا!!

وهذا كله من جراء الوطنيات والقوميات والبُعد عن منهج الله، والذي من شأنه أن يصيب الإنسان بنوع من طمس البصيرة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ويُحكى أن أحد شيوخ الأزهر دخل عليه الخديوي وكان مادًا رجليه فنبهوه لمجيء الخديوي فقال: من يُمد رجله لا يُمد يده.

وما زلنا نرى المواقف الشامخة لشيوخ وعلماء وأساتذة الأزهر، كموقف الشيخ جاد الحق رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسألة الربا والختان.

ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجة، ولن يخلو الأزهر -بإذن الله- من رجال يصدعون بكلمة الحق، ويؤدون الأمانة ويبلغون الرسالة، لا تثنيهم المناصب ولا تغريهم الأموال، يتشبهون بسلفهم الصالح وخير القرون.

وسواء تمت المشيخة بالانتخاب أو التعيين، فالواجب على كل إنسان أن يبرئ ساحته ويخلص رقبته ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

نعم قد يعطي مَن لا يَملك مَن لا يستحق، والولاية من أعظم صور الأمانة، ومسئولية شيخ الأزهر والمفتي ورئيس الجامعة الأزهرية، مسئولية عظيمة تتطلب مؤهلات خاصة، وقد يضعف الشخص أمام ذهب المُعِزّ وسَيْفِه، ويكون ولاؤه لمن عيّنه.

ويبقى استحضار رهبة الموقف بين يدي الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ومعرفة أن النفس إلى موت، والمال إلى فوات.

لقد تربى نبيُ الله يوسف في قصر عزيز مصر، وتربى نبيُ الله موسى في قصر فرعون وعلى سريره، وهذا الأمر لم يمنع الأنبياء من الصدع بكلمة الحق، واحتساب الأجر عند من لا تخفى عليه خافيه.

سابعًا- الحذر المتأكد من تخريب الأزهر تحت عنوان تطويره، فالأمة مستهدفة وبصفة خاصة هذا الصرح الكبير، لا يجوز توهين الصلة بكتاب الله وحفظه بزعم التخفيف على الطلاب.

لابد من دراسة متأنية لأسباب ضعف الثقة في شيوخ الأزهر والأوقاف، وانصراف الناس إلى سماع الدعاة الجدد والشيوخ والعلماء غير الرسميين.

فأكثر هؤلاء لم يحصلوا على شهادات أزهرية، والثقة التي حازوها لم تكن لاقترابهم من الأزهر، ولا يتصور العلاج في مهاجمة هذه الظاهرة أو إطلاق وصف شيوخ الفضائيات، فهذه النعوت لم تصرف الناس عن الدعاة الجدد، ولم تنفر الناس من هؤلاء الشيوخ.

وما زال طوفان التدين يتزايد يومًا بعد آخر، وقد يحتاج الأزهر وشيوخه إلى إعادة صياغة على ضوء ما ذكرناه سابقًا، فإن صبغ الدعوة بالسلوك أبلغ من الدعوة بالقول، ويصبح العلم والعمل حسبة واحدة.

نتعرف على الواقع ونصيغ دنيا الناس بدين الله، ويصبح همّنا هو مرضاة ربنا حتى وإن سخطت علينا الناس، لا حرج في التعرف على اللغات الأجنبية وتحصل الإجازات العلمية على أيدي الشيوخ الأفاضل.

لا بأس بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، والسعي في إزالة شبهاتهم، فما من نبي إلا وبُعث بلسان قومه ليبين لهم، هذا هو تطوير الخطاب الديني الذي نتقبله، لا التغير ولا التبديل في دين الله ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[يونس: ١٥].

لا يجوز لنا أن نرضى الناسَ بسخط الله، ولا أن نُحل الحرام ونحرم الحلال مجاراة لواقع سيء أو محافظة على منصب لا يدوم.

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعه

فطوبى لعبد آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقعه

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

(أنت قبل الدين... دين) ضلالٌ مُبين

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد فتحت عنوان «أنت قبل الدين... دين» جاء بجريدة المصري اليوم هذا المقال الذي بدأه الكاتب بقوله: «لا أحسب أننا كمصريين كنا أحوج من اليوم لمزيد من الثقة بالنفس والاعتداد بالذات والاستمساك بهويتنا الوطنية المشرفة بدلًا من التمسح في هويات الآخرين التي لم تجلب علينا سوى البؤس والمهانة والنكبات والنكسات نحتاج جميعًا لأن يربت بعضنا على البعض، وأن نتدثر بهذا البلد الجميل بكل قدرتنا على المحبة والإخلاص، وعزمنا على السعي لصنع مستقبل أفضل لأبنائنا وأحفادنا.

وختم مقاله بقوله: ليؤكدوا له أننا كنا هنا قبل الإسلام، وقبل المسيحية، وقبل اليهودية، وحتى قبل آمون ورع فلا تضعوا الأوطان إلا أولًا!!!

هذه صورة ونمط المقالة، وكتابة تمتلئ بها هذه الجريدة في كل عدد من أعدادها، وتتباهى كغيرها برواجها وكثرة قرائها، وهي تستمرئ هذا الخط في نشر الكفر والضلال بزعم حرية الرأي والتعبير والفكر وارتداء ثوب الوطنية، وهذا من أشنع صور الإفساد في الأرض.

ولا أرجم بالغيب إذا قلت: إن مآلهم إلى أفول وانحسار؛ فما يفعلونه هدم لا بناء فيه وتخريب وتدمير للبلاد والعباد يصورونه بهيئة المحبة والحرص على مصلحة الخلق!!

وإن الله لا يُصلح عمل المفسدين، ولا يضيع أجر المحسنين، والعاقبة للمتقين ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[القصص: ٨٣].

لا يبارك الله في كلمة أو مقالة أو جريدة تحارب دين الله، وتصد عن سبيل الله حتى وإن انتعش أمرها وكثر روادها فلا طاقة لأحد بحرب الله وما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع وما ارتفع شيء من الأرض إلا وضعه الله ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى

نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ﴾[طه: ١٠٥- ١٠٧]، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾[الرعد: ١٧].

ونصيحتنا للجريدة وكتابها أن يقلعوا عن هذه المعتقدات الضالة، ولا يخونوا أمانة الكلمة، ويكفوا عن تلويث عقول وقلوب البشر ويصدروا في توجيههم من هذا المنهج الرباني الإيماني -منهج الكتاب والسُّنَّة ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣].

أنا أربأ بهم وأشفق عليهم -وإن لم يشفقوا على أنفسهم- من تكثير الخصوم يوم القيامة ممن أضلوهم بغير علم وعند الله تجتمع الخصوم.

وردنا على المقالة ينحصر في المعاني التالية:

أولاً- دار المقال على هذا العنوان «أنت قبل الدين... دين» والذي وصفتُهُ بالضلال المبين؛ وذلك لأن الكاتب يقدم الوطن على الدين، وذلك بصريح العبارة حيث قال: فلا تضعوا الأوطان إلا أولًا، وذكر أننا كنا هنا قبل الإسلام وقبل المسيحية.

وهذه جهالة فاضحة بالشرع والواقع؛ فالبشرية قد بدأت بنبي الله آدم، ثم تتابع إرسال الرسل، وإنزال الكتب لهداية البشر، وتعبيد الدنيا بدين الله ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾[فاطر: ٢٤]، ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾[النساء: ١٦٥].

وما من نبي إلا وقال لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[الأعراف: ٥٩]، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل: ٣٦]، فدل -سبحانه- العباد على الغاية من خلقهم ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾[الذاريات: ٥٨]

وقد أودع -سبحانه- في العباد عقولًا وركَّب فيهم فطرًا، وأنزل لهم الكتب وأرسل لهم الرسل؛ ليحييَ من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك أيضًا عن بينة.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

فلا يستوي المحسن والمسيء، ولا المؤمن والكافر وكل الخلائق ستحشر إلى ربها فريق في الجنة وفريق في السعير قال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، فربنا -جَلَّ وَعَلَا- لم يخلق الخلق عبثًا، ولن يتركهم سدى.

يتجاهل الكاتب أن الدين عند الله الإسلام وأن الله اصطفى لنا الدين قال تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣] وقال قبلها: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] فالله -تعالى- قد اصطفى البعض من خلقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وأمر باتباع ملة إبراهيم، ونهى عن التهوُّد والتنصر، وأمر بالإيمان الجامع بما أنزل على النبيين وما أوتوه وبالإسلام له -سبحانه- وأن نصبغ بصبغة الله، وأن نكون له عابدين.

ورد على من زعم أن إبراهيم وبنيه وإسرائيل كانوا هودًا أو نصارى قال تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، وفي الدعاء: «**أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلَامِ وَعَلَى كَلِمَةِ الإِخْلَاصِ وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى مِلَّةِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**» [رواه أحمد والطبراني وقال النووي إسناده صحيح] وقال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فالبداية كانت على الإسلام وتتابع الرسل كلهم يدعو للإسلام -بما فيهم موسى وعيسى عليهما السلام-.

وقد تنوعت الشرائع وشريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع، يُؤمَر بها الحاكم والمحكوم في كل عصر ووقت، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة.

ويأبى الكاتبُ إلا أن يستعير اسم جريدة «المصري اليوم» ويضع دينًا لكل مصري ويعتبر «المصرية» دينًا قبل الدين!! لا تدري، كيف حدث ذلك؟!!

ولك أن تتخيل الصورة عندما تتعدد وتتنوع المشارب والأهواء والآراء والفلسفات والبيئات، ثم انتقل بالصورة إلى سوريا والعراق واليمن وكلهم يردد تبعًا للكاتب «أنتِ قبل الدين... دين!!!» كيف يلتئم لهؤلاء شمل، وتتوحد لهم كلمة؟ وهل صنع مع الدساتير والمناهج والفلسفات والقوانين التي هي من وضع البشر مثل ما صنع مع دين رب العالمين خالق الخلق ومالك الملك؟

لقد قدَّم الكاتب الأوطان على الدين ولا يجوز لمخلوق أن يقدم ما أخَّره الله ورسوله، ولا أن يؤخِّر ما قدمه الله ورسوله قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٨١]

وساوى الكاتبُ بين المسلمِ والكافرِ؛ لأن الوطن الواحد يجمعهما والله يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القَلَم: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٢٠]

إن أَصرَّ الكاتبُ على موقفه وأبت الجريدة إلا تجميع الكُتَّاب الذين ينهجون نفس النهج فلا يسعنا في المقابل إلا أن نقول: رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا.

ونذكِّرُهم ونذكِّر مَن كان على شاكلتهم أن الانحراف عن منهج الله دمار وهلاك، وأنكم يا دعاة تقديم الأوطان على الإسلام، بمثابة معول هدم وأداة تخريب للعاجل

والآجل أنتم تُتلفون أنفسكم وتفسدون الحاضر والمستقبل بضلالكم قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٨- ٩] وقال: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦] إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

أفراد ودول وجماعات انتقلوا إلى ربهم غير مأسوف عليهم، ولم يكونوا أقل في الوطنية من جريدة المصري اليوم وكُتَّابها قال: ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨] وقال: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤] إن أهملتم الدين فاقرءوا التاريخ، كيف هلك فرعون؟ الذي قال: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]، وكيف هلك قوم لوط؟ الذين قالوا: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦] لماذا هلك قوم نوح وعاد وثمود وقرونٌ بين ذلك كثيراً؟

هؤلاء لم تنقصهم الوطنية، ولكنهم كفروا بآيات ربهم، وعصوا رسله، واتبعوا أمر كل جبَّار عنيد، فأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود.

قدَّموا الدنيا على الدين، فكان هذا جزاؤهم ومصيرهم، لعلنا نتعظ ونعتبر ونسلم وجوهنا لله من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله.

ولنعلم دومًا أن الناس قديمًا وحديثًا إن لم يجْمعهم الحق شَعَّبهم الباطلُ، وإن لم يستهوهم نعيمُ الآخرة تناطحوا على متاع الدنيا الفانية، وإن لم توحدهم عبادة الله مَزَّقتْهُم عبادة الشيطان إن الحياة بغير الله سراب ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

فيا أيها الكاتب: قف ساعة وتفكر، من أنت؟ وإلى أين ترتحل؟ أراحل أنت أم مقيم؟ وإذا كنت مرتحلًا فإلى أين؟ الحياة أمامنا ممتدة زمانًا ومكانًا، ونحن ننتقل من حياة

دنيوية إلى حياة برزخية إلى حياة أخروية فقدّموا لأنفسكم ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران : ٣٠]

ثانيًا- لمزيد من إلقاء الضوء على الوطنية التي يقدمها البعض على الدين، ننقل ما قاله عليّ بن نفيع العلياني في كتابه أهمية الجهاد:

الدعوة إلى الوطنية شقيقة الدعوة إلى القومية، والكفار -قاتلهم الله- لم يقتصروا على راية واحدة يرفعونها للمسلمين بدل إسلامهم، ولم يقتصروا على خطة واحدة، بل كثرت خططهم وشعاراتهم وراياتهم، وذلك من باب تكثير السهام على الفريسة، فإن أخطأها الأول أو العاشر لم يخطئها العشرون أو الثلاثون والذي لا تروق له القومية يجذبه شباك الوطنية أو الإنسانية أو زمالة الأديان أو التعايش السلمي أو الاشتراكية وهكذا دواليك، ولا ينجو منهم إلا من اعتصم بالكتاب والسُنَّة.

والوطنية هي تقديس الوطن بحيث يصير الحب فيه، والبُغض لأجله، والقتال من أجله، وإنفاق الأموال من أجله؛ حتى يطغى على الدين؛ وحتى تحل الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية.

فالوطنيون يحبون أبناء وطنهم، وإن كانوا على غير ملتهم أكثر من محبتهم لمن كانوا على ملتهم إذا لم يكونوا في وطنهم بل قد يصل الأمر بالوطنيين إلى اجتماعهم على محاربة المسلمين مع الكفار؛ لأن الكفار من أبناء وطنهم!!

وإذا وصل الحال بالإنسان إلى هذه الدرجة فقد عُبد الوطن من دون الله، والعصبية للوطن من جنس العصبية للقوم كلها من دعاوى الجاهلية والوطنية في العصر الحاضر التي نسمع الدعوة لها في ديار الإسلام بضاعة مستوردة كغيرها من المستوردات وما أكثرها!!

فإنه لما قامت الثورة المصرية عام ١٩١٩م على المستعمر البريطاني واشتد أوارها، وعجزت بريطانيا عن إخمادها غيرت مندوبها في مصر وأرسلت بدلًا منه اللورد للنبي،

ومكث شهرًا يتحرى الأوضاع، ثم أرسل برقية إلى وزارة الخارجية البريطانية يقول فيها:

١ - الثورة تنبع من الأزهر وهذا أمر له خطورته البالغة.

٢ - أفرجوا عن سعد زغلول وأرسلوه إلى القاهرة.

وجاء سعد زغلول وقرت به أعين الإنكليز، فصرف الثورة من ثورة دينية تنبع من الأزهر، وتنادي بجهاد الكفار إلى ثورة وطنية، تنادي بتحرير التراب، يشترك فيها النصارى المصريون مع المسلمين لمحاربة النصارى الإنكليز.

وقال قولته المشهورة: الدين لله والوطن للجميع ومغزى العبارة أننا غير معنيين بالدين وبنشره، فهو لله يتولى نشره والدفاع عنه أما الوطن فهو لنا جميعًا نحن والأقباط فلنبذل جهادنا لأجل ترابنا لاستنقاذه.

يا لك من قولة فاجرة!! التراب أهم على صاحبها من دينه؟!

إن الدين لله والوطن لله، ولا خير في وطن بلا دين، لو كان يعقل الوطنيون.

ثم قال سعد زغلول للمسلمين المصريين: لا تنادوا بشعارات إسلامية؛ لكيلا يغضب إخواننا الأقباط المشاركون لنا في الثورة وقد كان اشتراكهم مقصودًا ليكون لهم في الحكم نصيب ثم أَلَّف سعد حزب الوفد ونص في لائحته على تحريم الخوض في أي نقاش ديني، وأخذ القسس النصارى يدخلون الأزهر ويخرجون في المظاهرات.

ومن مصر سرت العدوى للأقطار العربية الأخرى، فصار شعار الوطنية تلوكه الألسنة، وتنشره وسائل الإعلام ومناهج التعليم، ويربى عليه التلاميذ في المدارس، ويقدم على الدين، ويغرس في الجنود حب الفداء له لا للدين.

ولا شك أن الجهاد من أجل الوطن -إذا لم يكن هدف أصحاب الوطن هو نشر الإسلام وتحكيمه في الحياة وإعلاء كلمة الله تعالى- جهاد في سبيل الله لقول الرسول ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**» [متفق عليه] -كما تقدم-.



فالمفهوم من هذا الحديث أن من قاتل لكي تكون كلمة الوطن هي العُليا فقتاله في سبيل الشيطان، وميتته ميتة جاهلية.

يقول الأستاذ محمد قطب عن هدف تصدير الكفار لشعار الوطنية إلى الأمة الإسلامية ما يلي: «وقد كانت دعاوى القومية والوطنية المصدرة عن عمد إلى العالم الإسلامي من بين وسائل الغزو الفكري الذي استخدمه الصليبيون المحدثون في الغارة على العالم الإسلامي، كما سمى شاتلييه كتابه السالف الذكر.

والهدف من ذلك واضح ولا شك فطالما كان المسلمون مسلمين، فسيصعب على الغزاة ابتلاعهم مهما كانوا عليه من الضعف والتخلف ذلك أن العقيدة الإسلامية عقيدة جهاد، وقد ذاق الفرنسيون في الشمال الإفريقي، وذاق الإنجليز في الهند وغيرها من أقطار إفريقيا وآسيا من عقيدة الجهاد هذه ما لا يزال عالقًا بنفوسهم، برغم كل الضعف والتخلف الذي كان عليه المسلمون.

فاقتلاع هذه العقيدة واستبدال غيرها بها أمر ذو أهمية بالغة سواء من وجهة النظر الصليبية أو من وجهة النظر الاستعمارية البحتة فالمسلمون لا يقبلون الاستعمار ولا يرضخون له طالما كانوا مسلمين فإذا اجتمعت وجهة النظر الصليبية ووجهة النظر الاستعمارية تجاه الإسلام كما هو الأمر الواقع كانت الرغبة في اقتلاع هذه العقيدة آكد والعمل على استبدال غيرها بها أعنف وأشد.

وبالفعل بذرت بذور الوطنية أولًا في العالم الإسلامي، ثم جاء دور القومية بعد ذلك فحققت أكثر من هدف في وقت واحد كان الهدف الأول هو تحويل حركات الجهاد الإسلامي ضد الاستعمار الصليبي إلى حركات وطنية، كما فعل سعد زغلول في مصر وغيره من الزعماء الوطنيين على اتساع العالم الإسلامي.

والحركة الوطنية تفترق عن حركة الجهاد الإسلامي بادئ ذي بدء في أنها لا تنظر إلى العدو على أنه صليبي مستعمر، ولكنه على أنه مستعمر فقط وفرق واضح في درجة

العداء وطريقة المجاهدة بين أن يكون العدو منظورًا إليه على حقيقته وبين أن يكون مغلفًا برداء الاستعمار فحسب.

والهدف الثاني هو تحويل حركات الجهاد الإسلامي إلى حركات سياسية، عن طريق تحويلها إلى حركات وطنية فالعدو غير قادر على التفاهم مع الحركات الإسلامية؛ لأنه لا سبيل إلى التفاهم معها في الحقيقة إلا بإخراج ذلك العدو خارج البلاد ومن ثم فلا سبيل إلى استعمال السياسة من جانب العدو.

أما الحركات الوطنية فالتفاهم معها سهل وممكن، وعود من المستعمر بالجلاء!! ويأتي الوقت الموعود فيتذرع المستعمر بشتى المعاذير لتأجيل جلائه، ويعطي وعودًا جديدة يعتذر عنها بدورها إذا جاء دورها.

والساسة والوطنيون يغضبون أو يتظاهرون بالغضب لإرضاء الجماهير والجماهير تثور ثورة صاخبة؛ لكنها فارغة سرعان ما تنطفئ بعد الاستماع إلى خطبة رنانة من الزعيم الوطني، يعد فيها بأنه لن يفرط في شبر من الأرض، ولن يرضى بغير الجلاء التام أو الموت الزؤام.

وبين هذا وذاك تجري مفاوضات بين الساسة والاستعمار تنتهي إلى أشياء تافهة يلعب بها الساسة على عقول الجماهير، فيوهمونهم أنها مكاسب وطنية، وقد تنتهي إلى غير شيء على الإطلاق.

ومع ذلك يقول زعيم يعتبر من كبار الزعماء الوطنيين في العالم الإسلامي في العصر الحديث وهو سعد زغلول «خسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الإنجليز»، ويقول: «الإنجليز خصوم شرفاء معقولون».

وهذا شيء ما كان يمكن أن يحدث لو بقيت حركة الجهاد إسلامية كما كانت في مبدئها ولم تتحول إلى حركة وطنية على يد الزعيم الكبير!!

والهدف الثالث هو تيسير عملية التغريب من خلال تحويل حركة الجهاد الإسلامي إلى حركة وطنية سياسية، فحين تقوم حركة الجهاد على أساس إسلامي يكون الباب موصدًا تمامًا بين المجاهدين وعدوهم، لا يأخذون شيئًا من فكره ولا اعتقاده ولا عاداته ولا تقاليده ولا أنماط سلوكه.

أما حين يتحول الجهاد إلى حركة وطنية سياسية فالحاجز أرق، يسمح بالأخذ ومعاذير الأخذ كثيرة فقد قال أستاذ الجيل لطفي السيد: إن الإنجليز هم أولياء أمورنا في الوقت الحاضر وليس السبيل أن نحاربهم بل السبيل أن نتعلم منهم ثم نتفاهم معهم!!».

وبهذا العرض عن أهداف الدعوة إلى الوطنية يظهر مدى خطورتها على الجهاد وتفريغها لمحتواه الإسلامي.

ثالثًا- الشخصية التي تسعد بها الدنيا هي الشخصية المسلمة، وهي التي لا ينفصل ماضيها عن حاضرها ومستقبلها وهذه الشخصية من جملة خصائصها وسماتها

بعض خصائص وسمات الشخصية المسلمة:

١- الربانية أو الصبغة الإلهية:

فهذه الهداية نحتاجها في كل ناحية من نواحي الحياة، ومع كل نفس من أنفاسنا في العقيدة والشريعة والأخلاق، وهي تؤخذ من الإسلام وحده ولا يصح خلطها بالفلسفة، ولا يمكن الحصول عليها من أديان محرفة أو مبادئ ضالة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

٢- بصيرة وفرقان نميز بها بين الحق والباطل والإيمان والكفر:

ولابد فيها من علم نافع وعمل صالح ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

٣- المسلم بشر:

يصيب ويخطئ، ويحب ويبغض، يأكل ويشرب، ويتزوج ويعمر الأرض بطاعة الله، يعمل ويتكسب، ويتطلع إلى السماء، ولا ينسى أنه واقف علي سطح الأرض، فلا يبني قصورا في الرمال ولا يسبح في غير ماء، يأخذ بالأسباب ويفوض أمره لله.

ويعطي كل ذي حق حقه، فلربه حق، ولأهله حق، ولإخوانه حق، ولغير المسلمين حق فهو يعرف لكل ذي حق حقه.

٤- العزة بالإسلام:

والمسلم لا ترهبه صولة الباطل، ولا عنفوان الكفر، يبلغ شريعة الإسلام وعقيدته للعالم كله وهذه العزة مصدرها الإيمان لا الجنس أو اللون أو اللغة أو المال أو النسب ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

٥- التمسك بالحق والثبات عليه والمجاهدة في سبيله:

فالمسلم يتخوف علي نفسه من المعصية ويتعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ويدعو للخير ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر وينصح لله ولا يخاف في الحق لومة لائم ويعلم أن النصر عقبى الصابرين.

٦- الأوبة إلى الله:

فالمسلم شديد الحب لربه قوي التعلق به ويتمنى لقاءه سبحانه في غير ضراء مضره ولا فتنة مضلة ويحدث لكل ذنب توبة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

وختامًا:

نقول إذا كانت القوى الكافرة قد تسلمت زمام الأمور في ديار المسلمين فضلًا عن ديار الكفر، فلكي نعيد للإسلام ما كان عليه فلا بد من إعادة الشخصية الإسلامية التي رأيناها في الرعيل الأول، فبمثل هؤلاء الرجال أعلى الله كلمته وأعز دينه وأذل الشرك وأهله والله غالب على أمره ومتم نوره ولو كره الكافرون.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

عندما ترعى الذئاب الغنم !!!

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ..

فما خان أمين قط ولكن أؤتمن غير أمين فخان ومن البشاعة بمكان أن تأتي الخيانة ممن تتوسم منه الأمانـة وأن تستشري وتنتشر في المجتمع حتى صارت الخيانة من السماعات اليومية المألوفة.

فالطبيب ينتهك أعراض المريضات في حجرة الكشف ويقوم بتصويرهن ونشر الكليبات الفاضحة وهو الذي يتوهم الناس أنه أقسم بالمحافظة على شرف المهنة.

والمدرس يفعل نفس الفعل مع تلميذات الثانوي في الدرس الخصوصي ولربما هيأ له الأهل الجو المناسب بإغلاق الباب وإحسان الظن.

ويتسلط المدير على الموظفات إغواءًا وإغراءًا وترغيبًا وترهيبًا؛ للوقوع فيما حرم الله تعالى.

ولا تقتصر الخيانة على هذه اللوثة المادية بل تتعداها إلى صور ومظاهر كثيرة كقيادة الحاكم شعبه بالكفر والقهر ونشره للشهوات والشبهات، وخيانة الكلمة عند الصحفيين والأدباء والكتَّاب الذين يكرسون أقلامهم لنشر الاشتراكية تارة، والديمقراطية تارة أخرى، ويروجون لثقافات الانحلال والإلحاد.

ولا يقف الأمر عند حد هؤلاء فالوالد الذي يتصور فيه الرحمة والشفقة قد يفتك بأولاده ويعصف بأخلاقهم ويدمر فطرهم بالأفلام والمخدرات والاختلاط وإهمال تربيتهم على الصلاة والحجاب وتلاوة القرآن.

وإذا كان من خان في القرش استحق وصف الذم، فكيف بمن خان أمانة الحكم والقوامة والعرض؟!

فالغدر وإخفاء الشيء والتفريط فيما يؤتمن الإنسان عليه، وتسارق النظر إلى ما لا يحل، خيانة وهي تتطرق إلى الأمانات والوديعة والعين المرهونة والمستأجرة، فمخالفة الحق بنقض العهد في السر خيانة وتُعد كبيرة من الكبائر وهي قبيحة في كل شيء وبعضها شر من بعض وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظام.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وفي الحديث: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**» [رواه البخاري]، وقال النبي ﷺ: «**أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**» [رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه على شرط مسلم وأقره الذهبي].

ومن معاني كلمة الخيانة في القرآن الكريم: المعصية، ونقض العهد، وترك الأمانة، والمخالفة في الدين، والزنا وقد كان النبي ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني] وقال ﷺ: «**حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيَخُونُهُ فِيهِمْ إِلاَّ وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ فَمَا ظَنُّكُمْ**) [رواه البخاري].

وقال ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلاَّ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ قِيلَ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ قَالَ الرَّجُلُ التَّافِهُ يتكلم فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**» **قال: «وتشيع فيها الفاحشة»** [رواه ابن ماجه وأحمد والحاكم، وصححه الألباني].

وقال ﷺ: «**إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ**» [رواه البخاري ومسلم] وقال عليه الصلاة والسلام: «**لاَ تَجُوزُ شَهَادَةُ خَائِنٍ وَلاَ خَائِنَةٍ**» [رواه أحمد وصحح شاكر إسناده] ولما

قيل للنبي ﷺ: «**أَلاَ أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ! قَالَ: إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ**» [رواه أبو داود وصححه الألباني]، وفي الحديث: «**وَمَنِ اسْتَشَارَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ رُشْدٍ فَقَدْ خَانَهُ**» [رواه أحمد وأبو داود وحسّنه الألباني].

وقال -صلوات الله وسلامه عليه-: «**إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»[رواه البخاري] وقال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ أَلاَ وَلاَ غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ**» [رواه البخاري ومسلم]

وقالَ عليٌّ رضي الله عنه: «أَدِّ الأمانةَ، والخيانةَ فاجتنبْ واعدلْ ولا تظلمْ يطيبُ المكسبُ»

إن رعاية الغنم تتطلب راع مؤتمن؛ حتى يحافظ عليها ويصونها ولما كانت رعاية الشعوب تشابه رعاية الغنم وجدنا أن ما من نبي إلا ورعى الغنم.

وعندما نرى الذئاب تقوم بالرعاية ويتسلط المدرس على التلميذة، والطبيب على المريضة، والحاكم على شعبه، والصحفي على قرَّائه.

فلابد من عدة وقفات قبل أن يستشري النفاق، ويضمحل المجتمع، وتفتك الذئاب ببقية الغنم.

أولًا- إتيان الصحف والمجلات ووسائل الإعلام بمثل هذه الأخبار التي تزكم الأنوف في صدر صفحاتها وعناوينها مع نشر التصاوير والأسماء وتفاصيل الممارسات، من شأنه أن يشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ويتسبب في زيادة نسب الجرائم لا في تخفيفها أو منعها؛ إذ يوضح سبل ارتكابها لضعاف النفوس، وخصوصًا مع عدم وجود الرادع وقلة التقوى وتيسر مبررات الغواية قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩]

وقد يتحصل الرجل على البراءة وتظل التهمة تلاحقه وتلاحق عياله وأسرته بحيث لا يستطيعون رفع رءوسهم ،ومع ضعف النفس قد لا يُعان على التوبة ،بل ينحرف في المزيد من مواقعة الحرام.

ثانيًا- لابد من ضبط مهمة التدريس والطب وغيرها بالضوابط الشرعية، فلا يكفي الاحتجاج بقَسَمِ المِهنة أو بميثاق شرفها، وخصوصًا إذا انطوى على إخلال وتعدٍ وتفريط.

فالبعض قد ينظر للطبيب على أنه ملاك سيصون مرضاه، ويتغاضي عن النصوص الشرعية المانعة من خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية، وعدم ملامستها إلا لضرورة مقتضِية، ووجوب الزي الشرعي، وعدم الخضوع بالقول، وغض البصر إلي غير ذلك من الضوابط الشرعية.

وهذا التغاضي قد يجر إلى أوخم العواقب؛ فمعظم النار من مُسْتَصغر الشرر.

وقد ترسل الأسرة ابنتها إلى المدرس في بيته، أو يقومون بإغلاق الباب تهيئة -بزعمهم- للجو المناسب لتحصيل الدرس؛ مما يؤدي لوقوع الفواحش.

قال الكاساني في بدائع الصنائع: تندب المرأة للكشف على المرأة فإن لم تكن متعلمة قال: تُعلَّم فإن لم تتواجد المتعلمة ولا من تُعلمها يقوم الرجل المؤتمن بالكشف على الموضع المطلوب الكشف عليه مع ستر باقي البدن ولا ينفرد بها في موضع الكشف وهذا كله إذا خيف عليها الهلكة وإذا كان هذا في التطبب فأمر الدروس الخصوصية أوضح.

ثالثًا- قد يتم إغلاق العيادة وإيقاف المدرس عن العمل وقد تثبت الجريمة، ويصل الأمر إلى حبس الطبيب والمدرس وكل ذلك لا يكفي في الردع والزجر فالزاني المحصن «الذي سبق له الزواج» يُرجم أما البكر فجلد مائة وتغريب عام. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

لا يصلح السجن بديلًا عما يستوجب إقامة الحد الشرعي وكذلك لا يصلح العوض المادي كبديل عن الجلد أو الرجم لحديث العسيف «الأجير» الذي زنى بامرأة صاحب الأرض، فأفتى البعضُ والده بأن على ابنك مائة شاة ووليدة فلما رُفِعَت الفتوى

لرسول الله ﷺ قال: «**وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ وَاغْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَى امْرَأَةِ هَذَا** «امرأة صاحب الأرض» **فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا**» [متفق عليه]

ثالثًا- من الأخبار الثابتة والاعترافات المؤلمة قول الطبيب أو المدرس أن الزنا تم بالتراضي ولكن التصوير لم يكن بعلم المرأة!!. وهذا من جراء القوانين التي تبيح الزنا بالتراضي ولا ترتب عقوبة إلا في حالات الاستكراه.

وكأن الجناة وبعض دارسي القوانين المقيتة قد وجدوا ضالتهم المنشودة للإفلات بمثل هذا الإقرار، والاعتراف هو سيد الأدلة في شرع الله فما أقيم الحد على ماعز والغامدية إلا بالإقرار.

ولم يثبت إقامة حد الزنا في عصر النبوة والخلفاء الراشدين بشهادة الشهود الأربعة، فالأربعة يطلب منهم الشهادة على فعل الزنا كالرشأ في البئر، والميل في المكحلة لا عن مجرد سماع أو مشاهدة مقدمات، ولو أخبر ثلاثة فيهم أمير المؤمنين لأقيم عليهم حد القذف قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٤-٥].

ولو وُجد رجل في لحاف امرأة أجنبية، ولم يتواجد الإقرار فإن ذلك يستوجب التعزير فقط لا إقامة حد الزنا ولا تصلح التسجيلات ولا الكليبات لإقامة الحد؛ فلابد من إقرار وشهادة الشهود الأربعة ويكونون من الرجال ليس فيهم امرأة.

رابعًا- لا تعميم قبل حصول الاستقراء ولا يجوز الإشارة بأصابع الاتهام لعموم الأطباء أو المدرسين، أو من تذهب لطبيب وتتعاطى درسًا؛ فهذا قذف واتهام يتطلب بينة أوضح من شمس النهار، ولابد من إحسان الظن وحمل الناس على أحسن محاملهم.

وهذا لا يمنع من النصيحة، والحيطة، والتحفظ، وإغلاق أبواب الشر والفساد ففي بعض الأحوال قد لا ندري من الجاني ومن المجني عليه وقد يساعد انتشار

الجهل والتقليد الأعمى، وفساد القوانين، والإعلام المدمر، والبيوت الآيلة للانهيار، والاختلاط والتبرج، والعنوسة، وعدم تطبيق شرع الله. قد يساعد هذا وغيره على ازدياد نسب الفواحش والجرائم.

فلابد من سعي حثيث لمنع الشبهات والمقدمات التي تحول دون إقامة الحدود الشرعية.

ولا يسعنا إلا أن نستبشر الخير مع عودة الأمة لدين ربها، وازدياد الحرص على تعلم العلم النافع ومتابعته بعمل صالح، فها هي الأمة تولد من جديد بعد استفحال معاني الغربة.

خامسًا- كل مقدمة لها نتيجة، وكل عقيدة لها تأثير وتسلط الذئاب على الغنم من مواريث اللوثة المادية والدعوات التحررية الديمقراطية ومن نتاج الدولة المدنية التي لا تعظم لله شرعًا ولا ترعى لله حرمة وتجعل الحابل يختلط بالنابل وتشيع الرذيلة في البلاد والعباد من وراء البعد عن منهج الله إلا الشر والفساد وتسليط الأراذل.

قال أبو داود رضي الله عنه : توشك القرى أن تخرب وهي عامرة قيل: كيف ذلك؟ قال: إذا ساد القبيلة منافقوها، وعلا فجارُها أبرارَها.

لابد من غرس معاني الإيمان، ومراقبة الله وخشيته -سبحانه- في الطبيب والمدرس والمهندس والحاكم والمحكوم.

لابد من تحكيم لشرع الله في كل ناحية من نواحي الحياة وصبغ الدنيا بدين الله، وإلا فما نشاهده غيضٌ من فيضٍ فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ وماذا بعد الهدى والنور والضياء إلا التعاسة والشقاء والضياع؟

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ**

رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» [رواه البخاري].

عودًا حميدًا لكتاب الله ولسُنة رسول الله ﷺ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

سادسًا- قد تثبت التهمة على الرجل ويُقام عليه الحد ولا يعني هذا إقامة الحد على المرأة التي اعترف بالزنا بها فقد تكون مستكرهة، ولا يثبت الحد عليها إلا بإقرارها هي أو بشهادة الشهود الأربعة والاستكراه يلغي الاختيار ولا يصح الإقرار معه.

وفي قصة العسيف قال النبي ﷺ: «**وَاغْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا**» وهي المرأة التي اعترف الأجير على الزنا بها، والمرأة قد تنكر وبالتالي فلا حد عليها.

والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] وفي الحديث: «**وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ الله فَأَمْرُهُ إِلَى الله، إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ**» [متفق عليه]

وهذا الواقع تحت المشيئة هو من لم يتب، وإلا فالتوبة الصادقة النصوح تمحو وتجُبُّ كل ذنب كفرًا كان فما دونه ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

فالسترَ السترَ يا عباد الله!! لا تهتكوا أستار النساء وأعراض الأهالي وكونوا عونًا لهم على طاعة الله لا عونًا للشيطان على نفوسهم.

سابعًا- ذكرت بعض المسائل والأحكام المتعلقة بهذه القضية للاستفادة منها وهي:

ورد في «صحيح البخاري»: «تِلْكَ امْرَأَةٌ كَانَتْ تُظْهِرُ فِى الإِسْلَامِ السُّوءَ».

وفي رواية أخرى: «كَانَتْ أَعْلَنَتْ فِي الإِسْلَامِ».

وفي رواية لابن ماجه» :قد ظهر منها الريبة في منطقها وهيئتها ومن يدخل عليها»، ولكن لما كانت جريمتها بدون بينة قاطعة ما أقيم عليها الحد مع أن النبي ﷺ نفسه قال عنها مرة: «لَوْ كُنْتُ رَاجِمًا أَحَدًا بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ لَرَجَمْتُهَا».

فأعراض الناس يجب أن تُصان والحدود تُدرأ بالشبهات، والإنسان مأخوذ عليه في سمعه وبصره وسائر جوارحه ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]، ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

القـــذف:

وقد سمعتم ما قاله رب العزة بشأن قذف المحصنات: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾ [النور: ٤] ، ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ [النور: ١٣]

وكل ذلك صيانة لأعراض الخلق من أن تلوكها الألسنة، فلا يثبت الزنا إلا بأربعة شهود، شهادة يترتب عليها إقامة حد الزنا، وإلا أقيم عليهم هم حد القذف، وهؤلاء الشهود لا يكونون ممن ثبت كذبهم، ولا خائنين، ولا من أقيم عليه الحد من قبل، وليس بينهم وبين المتهم خصومة، متفقين على أنهم رأوا فلانًا يزني بفلانة بمكان كذا وساعة كذا، وأنهم رأوهما يزنيان وفرجه في فرجها كالميل في المكحلة، والرشاء في البئر، وإلا فاختلافهم في أحد هذه الأمور يسقط بشهادتهم.

وقد أقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه حد القذف على أبي بكرة وشاهدين معه لما شهدوا على المغيرة بن شعبة بالزنا ولم يثبتوه.

أدب ربـــاني:

حريٌ بأن ينقش على القلوب ما ورد في سورة النور، وتعلق بقصة الإفك التي حدثت مع السيدة عائشة رضي الله عنها وكلِّ إفكٍ وتخرُّصٍ باطل سيحدث بعد ذلك.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النور: ١١-١٩]

فانظر -رحمك الله- وتدبر قبل أن تسارع باتهام امرأتك أو غيرها لقالة سوء سمعتها من هنا أو من هناك؛ فمن الناس صنف لا هم لهم إلا تلويث سمعة الأبرياء كما قال عثمان رضي الله عنه: «ودت الزانية لو زنت النساء جميعًا».

والمنافقون في كل عصر يحبون أن ينفر الناس من دين الله بالطعن والهمز والغمز واللمز في أخلاق المؤمنين. ونزغاتُ الشياطين لم تنته.

وأول جريمة وقعت على ظهر الأرض كانت بسبب الحسد جعلت الأخ يقتل أخاه، والاستهانة بكلمات التجريح قد تتسبب في مثل ذلك.

والواجب علينا أن نتحقق ونتبين قبل أن ننطق، ولا نتكلم إلا بعلم، وفي الموطن الذي يترتب عليه مصلحة شرعية؛ فقد نقول بأفواهنا ما نحسبه هينًا وهو عند الله عظيم.

واتهام الأبرياء أو الذين لا يتجاهرون بالمعاصي فيه إشاعة للفاحشة في الذين آمنوا، فإذا سمع الرجل كلمة عن زوجه أو غيرها لا دليل عليها ولا بينة قال: سبحانك هذا بهتان عظيم.

وكما نظن الخير بالمؤمنين والمؤمنات فالأصل في الناس البراءة لا الاتهام، وقد أمرنا أن نقبل من الناس علانيتهم ونكل سرائرهم لله هو يتولى السرائر ونحسن الظن بالناس ونسيء الظن بأنفسنا.

دار حديث بين أبي أيوب الأنصاري وزوجته حول عائشة رضي الله عنها وما أذيع عنها من خبر الإفك قال أبو أيوب الأنصاري لأم أيوب: «ألا ترين ما يقال عن عائشة قالت: لو كنت بدل صفوان كنت تظن بحرمة رسول الله ﷺ سوءًا؟ قال: لا. قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله ﷺ فعائشة خير مني وصفوان خير منك».

وقد روي هذا الحديث بين أبي أيوب الأنصاري وزوجه رضي الله عنها بالعكس وفيه أن أبا أيوب قالت له امرأته أم أيوب: «يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها؟ قال: نعم وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله. قال: ولو كنت مكان صفوان ما كنت أظن بحرمة رسول الله ﷺ سوءًا، فعائشة خير منك وصفوان خير مني».

سوء العشرة بسبب اختلاف الشبه بين الولد وأبيه:

فالولد تارة ينزع لأبيه في الشبه، وتارة لأمه، وأحيانًا لا له ولا لها، وهذا لا يدل على أن المرأة قد ارتكبت فاحشة.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ. فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ حُمْرٌ. قَالَ: هل فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ: أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ. قَالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ**»، فلم يقبل نفيه لولده ولم يحمل قوله على الرمي بالزنا.

وقد ورد التحذير من جحد الوالد لولده ونفي نفسه له دون حق: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَدْخَلَتْ عَلَى قَوْمٍ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ فَلَيْسَتْ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ وَلَنْ يُدْخِلَهَا اللهُ جَنَّتَهُ وَأَيُّمَا رَجُلٍ جَحَدَ وَلَدَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ احْتَجَبَ اللهُ مِنْهُ وَفَضَحَهُ عَلَى رُءُوسِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ**» [رواه أبو داود، قال ابن كثير: إسناده جيد].

هل يصح سؤال المرأة عن ماضيها؟

فالزوج حين يقدم على الزواج يتحري ذات الدين، ومن هي على خلق واستقامة، ويستخير الله ويستشير، ولكن البعض بعد إتمام الزواج يريد أن يتقصى ويفتش سائلًا زوجه أو أهلها عما كانت تفعله قبل التزامها بدين الله ومحاولتها الاستقامة على شرع الله!! وهذه مخالفة للسنن.

ولعل من أصرح وأوضح الردود على هذه المخالفة ما رواه أنس ﷺ قال: «**كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ. قَالَ: وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ. قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلاَةَ قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ الله. قَالَ: أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّ الله قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ، أَوْ قَالَ: حَدَّكَ**» [متفق عليه].

فالشريعة لا تبيح إذا جاء أحد إلى الحاكم أو القاضي معترفًا بذنبه ـ ومن ستره الله لا يليق بنا أن نهتك ستره، وليس لنا أن نستدخل على النفوس الأذى. وكراسي الاعتراف التي ابتدعتها النصارى لا وجود لها عندنا.

وقد ورد عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «**جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا، فَأَنَا هَذَا فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ. فَقَالَ: لَهُ عُمَرُ لَقَدْ سَتَرَكَ الله لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ، قَالَ: فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَقَامَ الرَّجُلُ فَانْطَلَقَ فَأَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا دَعَاهُ وَتَلاَ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةَ (أَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ يَا نَبِيَّ الله هَذَا لَهُ خَاصَّةً قَالَ: بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً**»[رواه مسلم].

وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**من أتى شيئًا من هذه القاذورات فليتستر بستر الله، فإن أبدى لنا صفحته أقمنا عليه كتاب الله**» [رواه الحاكم والبيهقي، وصححه الألباني].

وقد رأينا كيف أرجع النبي ﷺ الغامدية مرة بعد أخرى -وقد جاءت تعترف بزناها- حتى تضع وحتى ترضع وتفطم.

وفي رواية لأبي داود أن ماعزًا الأسلمي لما زني بجارية في حيّه أمره هزال أن يأتي النبي ﷺ فجاء إليه وأقر بذنبه وأقام عليه رسول الله ﷺ الحد، وقال لهزّال مع ذلك: «**لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْرًا لَكَ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

فالشرع لم يتشوق يومًا لكثرة عدد المحدودين أو المرجومين، ولا يجب على من ارتكب فاحشة أن يذهب للحاكم لإقامة الحد عليه، ويكفي أن يتوب ويكثر من الحسنات الماحية.

نعم الحدود كفارة لأهلها، وكذلك الأمر بالنسبة للتوبة النصوح والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨]

ولا يصح تعيير من اقترف ذنبًا وتاب منه، وهذا كله في حق من ارتكب معصية وتاب منها، فكيف يكون الحال مع من هو مستور الحال؟! كالزوجة التي لم يظهر منها إلا الاستقامة والحرص على الطاعة.

فلا يصح التفتيش والتقصي، وعلينا أن نأخذ العباد بظواهرهم ونكل سرائرهم إلى الله ونحسن الظن بالناس ونسيء الظن بأنفسنا.

وقد اتفق العلماء على صحة الصلاة خلف مستور الحال.

أحكام ومسائل تتعلق بالبكارة:

١- البكارة إذا فضت بوثبة أو أصبع فالمرأة لها حكم البكر.

٢- القولُ قولها في ذلك، ولا يصح اتهامها دون إقرار أو شهادة صحيحة بضوابطها الشرعية.

٣- قد يدخل الرجل بزوجه ولا يتهتك الغشاء (البكارة) لصلابته أو لكونه من النوع المطاط، أو لكونها غائرة أو لغير ذلك من الأمور التي يعرفها الأطباء، وبالتالي لا تنزف المرأة حال البناء أو الدخول.

ومن هنا نعلم مدى جناية العرف والجهل ونشر الفضائح دون وجه حق، بل والاتهام الباطل بالزنا وارتكاب الفواحش من الزوج لزوجه يوم البناء، ومسارعة البعض إلى تطليق الأزواج بسبب هذا الأمر.

٤- يحدث فض البكارة في مثل هذه الحالات عند الولادة، وقد يذهب البعض إلى طبيبة لفضها إذا لزم الأمر.

٥- عادات قبيحة ومخالفات للسنن ومضار تحدث بسبب تعجل فض البكارة يوم البناء دون مقدمات ومحاولة البعض فضها بالأصبع، وفي بعض القرى تقوم النساء بذلك على سبيل العادة.

والمرأة لا يحل لها أن تنظر إلى عورة المرأة دون ضرورة أو حاجة مقتضية لذلك، وليس فض البكارة منها كما هي عادات بعض الناس مما يترب عليه أسوأ الأثر.

٦- هذه الجريمة -وعلى هذا النحو- يرتكبها ليحصلوا من وراء هذه العملية على دم البكارة التي لبَّسها عليهم إبليس وأعوانه من شياطين الإنس فيظهرون بهذا الشرف المزعوم أمام الناس، وما درى هؤلاء أنها فضيحة يقدمون عليها.

٧- المكرهة لا يُطلق عليها وصف زانية لقول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[النور: ٣٣]

ونزلت الآية بشأن إماء عبد الله بن أبي ابن سلول، وكان يُكره فتياتِه وإماءه على البغاء مع كراهتهن لذلك.

٨- روي ابن أبي حاتم أن رجلًا سأل ابن عباس رضي الله عنهما فقال: إني كنت أُلِمُّ بامرأة آتي منها ما حرم الله عليَّ فرزق الله -عزَّ وجلَّ- من ذلك توبة فأردت أن أتزوجها، فقال أناس: إن الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، فقال ابن عباس: «**ليس هذا في هذا، انكحها فما كان من إثم فعلي**».

٩- وقد مر بنا قول عمر لعمِّ المرأة التي زنت فتابت حتى كانت من أنسك نسائهم، فخطبت إلى عمها، وكان يكره أن يدلِّسَها، ويكره أن يغش على ابنة أخيه، فما كان من عمر إلا أن قال: لو أفشيت عليها لعقابتك إذا أتاك رجل صالح ترضاه فزوجها إياه.

وفي رواية قال عمر: «أتخبر بشأنها، تعمد إلى ما ستره الله فتبديه، والله لئن أخبرت بشأنها أحدًا من الناس لأجعلنك نكالًا لأهل الأمصار، بل أنكحها بنكاح العفيفة المسلمة».

١٠- الكل مأمور بتقوى الله -عزَّ وجلَّ- في السر والعلن، واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والمؤمن صادق مصدق، والظلم ظلمات، وما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه، وعليك أن تأتي للناس ما تحب أن يعاملوك به.

وليس من المعاشرة بالمعروف هتك الستر أو الطعن في العرض دون بينة أوضح من شمس النهار، وليس منه الاعتراف تحت وطأة التهديد فهذا نوع من الإكراه.

روي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِى عَوْنِ أَخِيهِ**».

١١- من قَبِلَ اللهُ عذره كالمكره فلا يسعك إلا قبول عذره، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الله تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**» [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

حكم وجود الحمل كدليل على وقوع الزنا:

ذهب جمهور العلماء، خلافًا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه والمالكية، إلى أن مجرد الحمل ليس قرينة كافية لإقامة حد الزنا على المرأة التي لا زوج لها معروف؛ وذلك لأنه من الممكن أن يدخل في رحم المرأة جزء من نطفة رجل بغير الجماع فتحمل منه، كما يحدث

أحيانًا إذا ارتدت المرأة ملابس أخيها، وهذا الاحتمال وإن كان ضعيفًا ووجود الحمل بلا زوج يُعَدُّ أساسًا قويًا للشبهة، إلا أنه من المعلوم أن الحدود تدرأ بالشبهات.

لما رواه الترمذي أنه ﷺ قال: «**ادْرَءُوا الْحُدُودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَخْرَجٌ فَخَلُّوا سَبِيلَهُ فَإِنَّ الإِمَامَ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ**» [ضعفه الألباني]، ولما رواه ابن ماجه: «**ادْفَعُوا الْحُدُودَ مَا وَجَدْتُمْ لَهُ مَدْفَعًا**» [ضعفه الألباني].

وعندما نثبت هذا المعنى فليس هذا ترويجاً لفاحشة أو محبة لوقوعها ثم تسويغها بعد ذلك بمثل هذه المسوغات ،ولكنه العدل الذي أمرنا به ،وإحقاق الحق وإبطال الباطل.

وإذا كان الأمر كما ذكرنا، فهل يصح الاتهام بالزنا لعدم جود غشاء البكارة؟ سبحانك هذا بهتان عظيم!!

وقد رأينا كيف كان يذهب من اقترف جرمًا كالزنا لرسول الله ﷺ لإقامة الحد عليه؛ لمعرفتهم أن الحدود كفارة لأهلها؛ ولعلمهم أن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة؛ وأن الله مطلع عليهم ورقيب لا تخفى عليه خافية، ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته؛ فعاشوا حياة الإيمان واليقين، وألزموا أنفسهم أمر الله وحده.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين



لا يجوز الإرجاف والتخذيل
في موضوع الحج والعمرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد تكلم الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية في موضوع نزول الوباء بأرضه، وذكر حديث النبي ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا**» [متفق عليه].

وتلقف أستاذ بالأزهر في الفقه المقارن كلام مفتي السعودية، وأقره، وأعقبه بقوله: إنه يفتح المجال لمنع الحج والعمرة هذا العام، ولأن السعودية نزل بها وباء أنفلونزا الخنازير.

وهذا الخبر بثته جريدة المصري اليوم - الأربعاء ٢٤ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ.

وقد كنت علقت بعدة تعليقات، وكتبت عدة مقالات تتعلق بهذا الموضوع، وأرى مع هذا الخبر أن الموضوع ما زال بحاجة لمزيد من التعليق؛ وذلك لخطورة هذه القضية:

أولاً- ذكر الشيخ عبد العزيز آل الشيخ الحديث، ولم يتكلم من قريب أو بعيد على موضوع الحج والعمرة، فما كان من الأستاذ الأزهري إلا أن اجتهد، وطبق الحديث على النحو المذكور، فأخطأ في اجتهاده، وتهور وتسرع في تطبيقه؛ فمسائل كهذه لو عرضت على عمر ﷺ لجمع لها أهل بدر؛ حتى لا يستقل بالنظر ويتحمل الوزر والمنع، حتى وإن كان عمر أهلًا للفُتيا، وجامعًا لأدوات الاجتهاد.

ثانيًا- أمريكا من أكثر البلدان الوبائية، ولم تمنع الناس حتى هذه اللحظة من دخول أمريكا، ولا من الخروج منها.

ورفع منظمة الصحة الأمر إلى الدرجة السادسة هو إجراء وقائي، وحيطة مطلوبة، ولم تطالب المنظمة بدورها بمنع الانتقال من بلد إلى آخر، وكل البلدان تصرح بأنه تحت

السيطرة، وصرحت مصر بأنه تم علاج ثمانية حالات، وتقوم السعودية بعلاج الحالات التي ظهرت فيها، وأهل مكة أدرى بشعابها.

وقد مرت الدنيا من قبل بأمراض وبائية وأنفلونزا السادس وغيرها من الأمراض الفتاكة، ولم نسمع عن منع الحج والعمرة، وخصوصًا مع ازدياد وسائل التحكم والعلاج، والأخذ بأسباب الوقاية.

ولم نسمع في أمريكا ومصر عن غلق النوادي ودور السينما، وحتى الجامعة الأمريكية بمصر والتي ظهر فيها الوباء -أول ما ظهر- فقد تم إغلاقها ليومين ثم سرعان ما أعيد فتحها!!

فكيف وقد بقي على الحج خمسة أشهر أن تطالب من الآن بإيقافه ومنعه؟! وتتبارى وسائل الإعلام كل يوم في نقل هذا الإرجاف وهذا التخذيل!!!

ثالثًا- كمسألة واقعية ينظر إليها بعين الاعتبار، تتعلق بانتشار الوباء هنا وفي أمريكا والسعودية، ويعبر عنها بالوباء العالمي، فلا مانع عند الخلق من انتقال أهل الإسكندرية إلى القاهرة، ولو تركنا جانبًا الحدود المرسومة بين مصر وليبيا نقول: لا حرج أيضًا في انتقال مصر إلى ليبيا والعكس، طالما أن الوباء عالمي -أي هنا وهناك-، وبالتالي فمن الخطأ تطبيق الحديث على مثل هذه الأوضاع؛ فنحن لا ننتقل من مكان موبوء إلى مكان خالٍ من الوباء، أو ننتقل من مكان سليم إلى مكان موبوء...لا، فالواقع الآن -وعلى ضوء الإعلان العالمي الطبي- أننا ننتقل من كان موبوء إلى مكان موبوء مثله، وإن كان هذا لا ينفي الحيطة الطبية، والأخذ بأسباب السلامة والوقاية، والفرار من المجذوم كما نفر من الأسد.

رابعًا- المحافظة على النفس من الضروريات التي دارت حولها نصوص الشريعة، وتقديم الأهم على المهم أمر واجب في العلم والعلم والدعوة إلى الله.

ونحن نقدر الدوافع الطيبة للمحافظة على الحجاج والمعتمرين والمسلمين، وفي الوقت ذاته نقول: ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه، ولا نقبل بالإرجاف والتخذيل وتطبيق النصوص على غير واقعها المساوي لها.

فالفتوى تقدر زمانًا ومكانًا وشخصًا. وقد يظهر الوباء اليوم وينتهي غدًا، فكيف نصدر حكمًا عامًا بمنع الحج والعمرة، بحيث ينتظم المصري والسعودي؟! ولا تعميم قبل حصول الاستقراء.

وهذا الإرجاف قد يثير الخوف والهلع، ويمنع الناس من استحضار النوايا الطيبة، ومن الدعوات الصالحة التي يرتفع بها البلاء ويتيسر بها الحج.

قد يمتنع الناس من الاستعداد للحج بسبب هذه اللوثة التي يرتفع بها اللوثة المادية التي يلبسها البعض ثوب الشريعة.

وللأسف، فالبعض يفسر الماء بعد العسر بالماء، ويكاد يقنّط العباد من رحمة الله. ولا تمل الجرائد ووسائل الإعلام من نقل بعض عبارات الإرجاف التي تتعلق بالحج والعمرة بزعم حرية الرأي والتعبير، في الوقت الذي لا يتحدثون فيه عن دور السينما والمباريات، ويستعدون فيه لكأس العالم للشباب.

إن هذا الأمر وغيره لا يقبل التهويل ولا التهوين، والحج على جهة الخصوص فريضة شرعية إسلامية، وفيه معنى الجهاد في سبيل الله، وقد قال الله -تعالى- في شأن الجهاد: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، فلا يجوز الإحجام في موضع الإقدام، ولا الإقدام في موضع الإحجام.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا

وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[التوبة: ٤٦-٤٧]، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

لقد أرجع النبي ﷺ السبعة عن غزوة تبوك، وقال لهم: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾[التوبة: ٩٢]، كانوا معذورين في التخلف، وعلى الرغم من ذلك رجعوا وهم يبكون، فكيف لا نحزن لإرجاف البعض، ومطالبته بمنع الحج لغير سبب موجب لذلك؟!

لقد انبرى النفاق يثبط الهمم عن الجهاد في سبيل الله، فقال ابن سلول: وكأني بأصحاب محمد ﷺ يعودون غدًا مقرنين في الحبال، وأرغى وأزبد، وقال: أنى لهم بقتال بني الأصفر (أي الروم)، وقال: محمد يعدنا ملك كسرى وقيصر، والواحد منا ما يستطيع الخروج إلى متبرزه؟!

وقال البعض (ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي)، فقال سبحانه: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[التوبة: ٤٩].

فيا قوم، استعينوا بالله، وتوكلوا عليه -سبحانه وتعالى-. أجمعوا نياتكم، واعقدوا عزمكم، وخذوا بالأسباب، واجتهدوا في الدعاء؛ عساه -سبحانه- ييسر لكم حجًا مبرورًا، وسعيًا مشكورًا، وتجارة لن تبور، فإن متم متم على نية طيبة ودعوة صالحة، وقد وقع أجركم على الله؛ فنية المرء قد تكون أبلغ من عمله، ولن يهلك مع الدعاء أحد، والعبد إذا ألهم الدعاء فإن الإجابة معه. وفقكم الله لما يحب ويرضى.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

استطلاع لمركز البحوث ٩٠٪
من المصريين لا يشعرون بالأمان

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد نقلت جريدة الشروق الأحد ١٤ من جمادي الآخرة ١٤٣٠هـ تحذير الدكتورة.... خبيرة علم النفس بـ«المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية» من نتائج عدم إحساس المصريين بالأمان، الذي كشفت عنه في الاستطلاع الذي أجرته على ١٠٠ شخص من مستويات اجتماعية متباينة.

وأوضح الاستطلاع أن ٩٠٪ من المواطنين لديهم إحساس بعدم الأمان بدرجات متفاوتة، فيعاني ٣٠٪ من عينة الدراسة من نقص شديد في درجة الإحساس بالأمان النفسي، كما يعاني ٦٠٪ من نقص في الإحساس بالأمان بدرجة متوسطة، وعلى الجانب الآخر يوجد ١٠٪ من الشعب المصري يشعرون بإحساس مرتفع بالأمن النفسي.

وأكدت الباحثة أن مواطني الأحياء الراقية أكثر إحساسًا بنقص الأمان، وذلك يرجع للفروق الثقافية وإدراكهم للواقع.

وكشفت الدراسة أن انتشار الجريمة يمثل ٩٠٪ من أسباب نقص الإحساس بالأمان النفسي، بالإضافة إلى عدم التواجد الأمني في الشارع المصري، واتساع دائرة الإدمان، وانتشار الفوضى والعنف السياسي، واستغلال النفوذ والبلطجة.

وطالب ٨٨٪ من أفراد العينة بوضع خطة أمنية قوية للشارع المصري والاهتمام بالفقراء وإيجاد حل لمشكلة العشوائيات.

ولنا عدة تعليقات ووقفات مع هذا الاستطلاع:

أولاً- استطلاعات الرأي قد لا تكون صحيحة أو معبرة، وقد يكون فيها من لوثة الواقع، ولا تستطيع تشخيص الداء ولا وصف الدواء، وعلى سبيل المثال لا الحصر،

فقد لا تصلح هذه العينة للاستقراء والتعميم هنا وهناك، ولا تعميم قبل حصول الاستقراء.

وقد ذكرت بعض المؤسسات الأمريكية أن نسبة التدين في مصر ١٠٠٪، وهذا خطأ فادح وواضح، يتجافى مع السُنن الشرعية والكونية، فلم تكن نسبة التدين على عهد النبي ﷺ، ولعلهم أدخلوا اليهود والنصارى والشيعة والبهائيين في هذه النسبة، ويتضح من ذلك عدم وجود الضوابط الشرعية المنهجية في العد والإحصاء، واللوثة المادية الهلامية عند الباحثين.

أقول هذا الكلام وأنا أتمنى إسلام البشر جميعًا، وتحقُّق الأمن والخير لهم، وأن تكون الاستطلاعات والإحصاءات متقنة تحقق الاستفادة منها، ولكن للأسف فواقع الأمر هو كما ذكرتُ، فلا داعي للانبهار والمغالاة وترتيب الأحكام على هذه الاستطلاعات، وكما تعلمنا فالتفسير فرع التصحيح، والحكم على شيء فرع عن تصوره.

ثانيًا- غاب مفهوم الأمن الحقيقي عن الباحثة وعن الواقع، واقتصر الاستطلاع على جوانب الأمن، فالمفترض أن ننشد الأمن في العاجل والآجل؛ إذ الحياة ممتدة زمانًا ومكانًا في نظر المؤمن، زمانًا لأبد الآبدين، ومكانًا لجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

والإنسان ينتقل من حياة دنيوية إلى حياة برزخية إلى حياة أخروية، وهو يريد أن يأمن على نفسه في كل صورة من صور هذه الحياة، وهذا لا يتحقق إلا بالإيمان، فإذا الإيمان ضاع فلا أمان، وما عند الله من تمكين وأمن وسعة رزق لا تناله إلا بطاعة الله، والاستقامة على شرعه -سبحانه وتعالى-.

ومن أعجب الأشياء ومن مظاهر الغربة أن يُدمر الأمن باسم المحافظة على الأمن، فالأمن لا يتحقق بالشرك والمعاصي والظلم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[هُود: ١٠٢]، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿ وَإِذَآ

أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[الإسراء: ١٦] وقال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾[الطلاق: ٨- ٩] وهل استطاع الأمن القومي مَنْع أنفلونزا الطيور والخنازير، وحوادث القتل المروعة، والاعتداء على الأبرياء والآمنين في العراق وأفغانستان وفلسطين؟

هل يضمن لنا مجلس الأمن تحقيق الأمن والأمان لحظة الموت فما بعده؟

فالإنسان بحاجة لأمن وهو في قبره، يُسأل عن ربه ودينه، وماذا يقول في الرجل الذي بُعث؟، وأن ينجو أثناء المرور على الصراط، وأن يتناول كتابه بيمينه، وأن يُنادى عليه على أبواب الجنة ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾[الزمر: ٧٣].

من بمقدوره أن يؤمن العبد على مستقبله هذا، وهل شهادات التأمين تقوم مقام هذا المعنى؟ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾[فصلت: ٣٠- ٣٢]

لقد صار مجلس الأمن مجلسًا لإشاعة الرعب والخوف، ولم يرتق إلى مستوى حلف الفضول، وخصوصًا في تعامله مع قضايا المسلمين.

وماذا يصنع يهود بحواجز أمنية؟ فلن تمنع الحجر والشجر في آخر الزمان من النطق «**يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ الله هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**» [رواه البخاري ومسلم واللفظ له].

ثالثًا-الأمن يذكر ضد الخوف، وهو من الكلمات المتداولة على ألسنة المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وكل إناء بما فيه ينضح، لقد أقام الفراعنة المسلات والأهرام وقال فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[الزخرف: ٥١]، فأجراها -سبحانه- من فوق رأسه جزاءً وفاقًا، ومات يوم مات وهو يقول: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ

﴿ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[يونس : ٩٠]، وقيل له: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾[يونس : ٩١- ٩٢] .

وأقام قوم نوح وعاد وثمود حضارات، وشيدوا المصانع، وكانوا يتخذوا من الجبال بيوتًا فارهين، فهل تحقق لهم الأمن، قال سبحانه: ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص : ٥٨]، وقال: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾[العنكبوت : ٤٠].

وتبجح الأمريكان بأنهم القوة العظمى، وامتلكوا وسائل الأمان المادية السببية، فهل استطاعوا دفع إعصار أندرو، أو فيضان المسيسبي؟ أو منعوا حرائق كاليفورنيا؟

وها هي بوادر الأزمة المالية الخانقة تجتاحهم مما دفعهم لترقيع الاقتصاد بـ٧٠٠ مليار دولار، وها هم يعانون من أنفلونزا الخنازير، رغم التطور والتقدم وحرصهم على الأمن والأمان.

لا نتجاوز الحق والحقيقة إذا قلنا: ما نزل بلاء إلا بذنب، وإن الكفر والبغي والظلم والعدوان والزنا والربا والعقوق والقذف من أعظم أسباب ضياع الأمن بمفهومه الواسع والشامل.

إن عدم الأخذ بالأسباب قدح في التشريع، والاعتقاد في الأسباب قدح في التوحيد. لا مانع من معامل الأمان الزلزالي. واستخدام أجهزة الإنذار المبكر والتكنولوجيا العصرية، ولا حرج في الاهتمام بالأمن الزراعي والصناعي والنفسي، ولا بأس بإقامة المتاريس والحواجز الأمنية وفرق الأمن وعقد الاتفاقيات الأمنية.

وهذا كله لا ينسينا ربنا وخالقنا، ولا يجعلنا نفرط في ديننا طرفة عين؛ فخالق الأسباب قادر على تعطيلها، والأمن من الله، قال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[الأعراف : ٩٩]، وقال -عز وجل-: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا

فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ﴾ [النحل: ٤٥]، وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢]، وقال: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [سورة قريش].

رابعًا- احتياجات الإنسان لا تقتصر على الطعام والشراب والمسكن والملبس، بل تتعدى ذلك إلى أن يأمن في يومه وغده على نفسه وأهله، ولفقدان الأمن والأمان امتلأت المصحات النفسية، والمستشفيات العقلية بالنزلاء، وكثرت نسب الانتحار في أرقى البلدان الأوروبية بالمنظور المادي، كالسويد والنرويج والدنمارك.

ولا نغالي لو قلنا إن المسلم المُعظم لحرمات الله هو من أشد الناس محافظة على الأمن، وجنيًا لثماره الطيبة في العاجل والآجل؛ وذلك لأنه يصدر عن إيمان بالله واليوم الآخر، ولذلك فهو يَحذر الكفريات والشركيات والمعاصي والذنوب التي تدمر الأمن والأمان، ويبتعد عن قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، ويحرِّم ما حرَّمه الله ورسوله، كالاغتصاب والزنا والسرقة والسطو.

يعلم المسلم أن أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة الدماء، وأنه لا يحل له ترويع المسلم ولو بحديدة. لقد كانت المرأة بالشام تأمن على نفسها بحضرة الصحابة الكرام أكثر من أمنها مع أبيها.

إن إشاعة مفاهيم الإيمان، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترسيخ معنى الأخوة الإيمانية من شأنه أن يحقق الأمن أتم تحقيق. والمتابع للسُنن والسِيَر يعلم كيف كانت المحافظة على حقوق أهل الذمَّة مما دعاهم لإسلام الوجه لله، والدخول في دين الله -جَلَّ وَعَلَا-.



وكان عمر رضي الله عنه يقول: لو عثرت شاة بوادي الفرات لسُئِل عنها عمر: لِمَ لَمْ يمهد لها الطريق يوم القيامة. فإذا كان هذا هو الشأن مع الشاة فكيف يكون الحال مع البشر؟! دخلت المرأة النار في هرة حبستها، ودخلت البغي الجنة في كلب سقته، وفي كل ذي كبد رطبة أجر.

يتحقق الأمن بتطبيق شرع الله، فالخلافة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا به، كما يتحقق بإقامة الحدود الشرعية. وفي عهد النبوة وعهود الخلفاء الراشدين لم يقم الحد (القتل والزنا) إلا على من يُعد على أصابع اليد الواحدة، واليوم إذا أردنا أن نلاحق فسنلاحق العموم؛ وذلك لكثرة الشر والفساد، وكل ذلك من جراء غياب الشريعة حتى أصبحت كلمات الأمن والرخاء عبارة عن شعارات وهتافات لا واقع لها ولا رصيد، فالعصاة يدمرون أنفسهم والدنيا من حولهم وإن زعموا المحافظة على الأمن.

لا نغالي لو قلنا إن الرقص والغناء والتبرج والعُري والخلاعة وتعاطي المسكرات والمخدرات يدمر الأمن، واسترداده واسترجاعه لا يتم بالشرعية الدولية، ولا بالدولة المدنية، ولا بالقضاء على الإقطاع والرأسمالية، ولا يتحقق بالتأميم وإقامة الجيوش الجبارة، لا يجوز في هذا وغيره أن نكون كالمستجير من الرمضاء بالنار، وكالعير بالرمضاء يقتله الظمأ والماء فوق ظهوره محمول.

ليس السبيل في إصلاح السياسة والاقتصاد وعلاج الفقر تحقيقًا للأمن والأمان، وإنما السبيل الذي لا سبيل غيره يكمن في عودة الأمة لدين ربها أفرادًا وجماعات، حكامًا ومحكومين؛ فالراعي لَمَّا أصلح ما بينه وبين ربه أصلح له ما بين الذئب وغنمه.

والعلاقة وثيقة والتناسب واضح بين حالة هذه الأمة وحالة الكون من حولها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأنفال: ٥٣] أمة دان لها مُلك كسرى وقيصر لما استقامت على شرع الله، ودَلَّ الأسدُ سفينة مولى رسول الله ﷺ على

الطريق، وكانت الحية تحرس رأس مالك بن دينار وهو نائم «**احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ**»، ووقف النبي ﷺ يوم حجة الوداع يقول: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**»[متفق عليه]

تعلمنا من دين الله أن الكافر -غير المحارب- يرحم بالرحمة العامة، فيُسقى من عطش، ويُطعم من جوع ويُداوى من مرض، وأن الله قد كتب الإحسان على كل شيء، فلا يجوز ترويع الطائر بأخذ فراخه، ولا التحريش بين البهائم، ورأى النبي ﷺ امرأة مقتولة في الغزو فقال: «**مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني]

وغير ذلك كثير مما لا تعرفه حضارة القلق الغربية، ولا الأمريكان الذين قتلوا مليون طفل عراقي أثناء الحصار، وما زالوا يقتلون المسلمين هنا وهناك دون وجه حق، ما تحقق الأمن والأمان بشعارات حقوق الإنسان والحيوان والأقليات، ولا يمكن أن يتحقق بمنظمات العدل أو بالحرية الديمقراطية والفلسفات الكفرية.

فهذا الانحلال وهذا الانحراف قد صيَّر الدنيا أشبه بغابة يفترس فيها القوي الضعيف، وأصبح بعض الأفراد والدول والجماعات أشبه بالوحش الكاسر الذي يقطع الطريق ولا يلوي على شيء.

خامسًا- يتحقق الأمن والأمان أتم تحقيق بالعودة لمنهج الأنبياء والمرسلين وإقامة منهج العبودية، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك: ١٤] وقال -عزَّ وَجَلَّ-: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف: ٥٤]، فالرب جل وعلا رحيم بالخلق وهو العليم بما يحقق الأمن للعباد.

لابد من العودة للكتاب والسُنَّة، والتحقق بمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ والصحابة الكرام، فلا أمن إلا بإيمان، فالتوحيد والفرائض العينية والكفائية وذكر الله -تعالى- أمن وأمان ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨].

تعمير الدنيا بدين الله، وإقامة حضارة على منهاج النبوة هو سبيل التطور والتقدم عند المسلمين، فنحن لا نقبل الانزواء في الخرائب، كما لا نقبل الكفر والانحلال بزعم التحضر واللحاق بركاب الغرب.

لا نقبل الابتداع في دين الله، وفي ذات الوقت فالعلوم النافعة كالصناعة والطب والزراعة تؤخذ من كل من أفلح فيها، ولا بأس عندنا بصنع قنبلة نووية إذا كان هذا من شأنه أن يحقق الأمن والأمان ويردع أعداء الإسلام والمسلمين ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]

لقد سار النبي ﷺ بالرعب مسيرة شهر، وكان لأصحابه الكرام حظهم ونصيبهم من ذلك، وما تواجد صحابي في معركة بعد غزوة أُحد إلا وانتصر المسلمون في المعركة، وكانت أمتنا مرهوبة الجنب يوم استقامت على شرع الله، كان قادة الروم يسمعون بمجيء خالد بن الوليد فيفرون من المعركة.

لا أغالي لو قلت: إن البعد عن منهج النبوة مع ادعاء الحرص على الأمن هو حرص فارغ من المعنى والمضمون، بل هو التدمير للأمن، وإن أحرص الناس على الأمن هم العلماء الربانيون والدعاة الذين يعبّدون الدنيا بدين الله، هم الذين يتبعون منهج السلف الصالح ويتجنبون مسالك العنف والغلو في التكفير.

فالأمن في تمامه ما يتحققُ بمجرد الإدعاء، وما يتحقق بصوفية أو شيعية، وما يتحقق بوطنية أو قومية أو باشتراكية أو ديمقراطية بل حرص هؤلاء يحتاج إلى حرص حقيقي وشفقتهم على الأمن تتطلب شفقة. وكل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف. وما لم يكن يومئذ دينا فليس باليوم دينا، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

سادسًا- أنقل لكم كلمة عن الأمن كتبتها منذ عدة سنوات تتميمًا للفائدة.



كيف يتحقق الأمن في ظل الطغيان المادي المعاصر؟!!

الأفراد والدول والجماعات -هنا وهناك وفي هذا العصر وكل العصور- ينشدون الأمن والطمأنينة، وأن تكون بلدانهم واحة للأمان، ولم تجد الكثرة من هؤلاء سبيلًا لتحقيق هذا المطلب الغالي إلا عن طريق القوة المادية المتمثلة في جيوش الشرطة والمباحث وسائر الأجهزة، واستخدموا من أجل ذلك النصائح والتحذيرات، والأعمال السرية والعلنية، وأجهزة التصنت والتجسس؛ لطمأنة النفوس وحفظ المجتمع من انتشار الجرائم وتحقيق الأمن الاجتماعي والصناعي، كما انتشرت شركات التأمين التي أسسها اليهود مصاصو دماء الشعوب، وكثرت المصحات النفسية لعلاج أجيال القلق والضياع الفكري.

حضارة القلق:

وقد وجد هؤلاء أن الإنسان المعاصر تائه خائف، ينشد أمنًا لا يجده، فالمناهج الفكرية والفلسفية الموجودة لا تلبي رغبة، ولا تريح نفسًا، ولا تحقق هدفًا، فهي حالة من حالات الخوف على المصير ومن المستقبل، فقد ازدادت نسبة الحوادث والجرائم، بل أصبح الناس يخاف بعضهم بعضًا، ويخافون الكوارث والأمراض والرياح والمطر والأعاصير، يخافون من الإيدز والسرطان، كما يخافون من انتشار أسلحة وعلوم الدمار والتخريب، ولذلك أطلقوا على هذه الحضارة المزعومة اسم حضارة القلق، كيف يطمئن أمثال اللا أدرية؟ ومنهم إيليا أبو ماضي وهو يقول:

جئتُ، لا أعلم من أين، ولكني أتيتُ
ولقد أبصرتُ قدَّامي طريقًا فمشيتُ
وسأبقى سائرًا إن شئت هذا أم أبَيْتُ
كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟
لستُ أدري

فهو لا يدري من خالقه؟ ولماذا خلقه؟ وإلى أين المصير؟ ويقول الثاني:

قدر أحمق الخطى سحقت هامتي خطاه

قصور مفهوم الأمن:

ونحن لا نستغرب هذا القلق وهذا الاضطراب، وهذا الخوف الذي يسيطر على الدول والأفراد، بل نرى أن هذه نتيجة حتمية لقصور مفهوم الأمن والبعد عن حياة الإيمان، فليس كل من يتمنى الخير يدركه، ولا تكفي النوايا الطيبة، ولكن لابد من الاستقامة وصحة العمل وأن نأتي البيوت من أبوابها.

الأمن محور الحياة:

إن الأمن الذي تبحث عنه النفوس محوره الإيمان الذي مقره القلب وتستقيم على أساسه الجوارح، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالنفس ومتطلباتها كالأمن الصحي، والأمن النفسي، والأمن الغذائي، والأمن الاقتصادي، والأمن الأخلاقي، أو ما يتعلق بالمجتمع وترابطه كالأمن في الأوطان، والأمن على الأعراض، والأمن على الأموال والممتلكات، أو ما يتعلق بالأمن على النفس من عقاب الله ونقمته بامتثال أمره وطاعة رسوله واتخاذ طريق المتقين مسلكًا واستجلاب رحمة الله، والأمن من عذابه في نار جهنم.

هذه الحاجات وهذه الضرورات قد لا ندركها إلا بفقدان أو نقصان مرتبة من مراتب الأمن، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**» [رواه البخاري]، وجاء في الأثر: «**الصحة في الأبدان والأمن في الأوطان**».

والنفس لا تطمئن إلا إذا آمنت بقَدَر الله، واستسلمت لقضائه -سبحانه- وعلمت أن المرجع والمآب إليه سبحانه، ولا يمكن أن يسعد البشر إلا بإسلام الوجه لله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤]، وقال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]

وعود المحترفين:

فالإسلام إنما هو لمصلحة النفس ولِمَا يُسعدها ويحقق لها الأمن بمفهومه الصحيح، وبعكس الوعود والخيالات في الأنظمة هنا وهناك؛ لعلمهم أن الأمن والأمان من المطالب الملحة للبشر في كل زمان ومكان، ولكنها لا تزيد على كونها شعارات وهتافات وتجارات عند هؤلاء المنحرفين، يتاجرون بها على أدمغة البشر، وإلا ففاقد الشيء لا يعطيه، وهؤلاء لم يمنعوا المعاصي ولا الفجور، ولم يقيموا الدنيا على أساس من دين الله، وصدق من قال:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمن لم يُحْيِ دينًا

ومن رضي الحياة بغير دين ... فقد جعل الفناء لها قرينًا

يقول تعالى: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨١-٨٢]، ويقول -سبحانه-: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

المسلمون لا يشيعون الاضطرابات:

في أمريكا وجدوا مجرمين متأصلين في الإجرام ومن أصحاب السوابق قد أسلموا داخل السجن، فصلحوا ولم يعودوا للسجن بعد ما خرجوا منه، أما من خرج وهو على ديانته السابقة فإنه لا يلبث حتى يعود السجن مرات، ولذلك يوجهون الدعوات للمشرفين والدعاة المسلمين لزيارة وإعطاء المحاضرات.

ويقول بعض المسئولين عن الأمن عندهم: إن الخلاص من الجريمة لا يكون إلا على الإسلام والعمل وفق منهجه، وقد خرجت دراسات الغرب تقول: «إن المسلمين لا يشيعون الاضطرابات المتعددة التي وقع فيها أبناء الغرب».

فالانسجام التام بين السُنن الشرعية والسُنن الكونية، والروح والجسد، وبين الظاهر والباطن، العلم والعمل، والدنيا والآخرة، والأرض والسماء، وبين هذا المخلوق والكون من حوله، كل هذا لا يمكن أن نجده إلا بعد الدخول في الإسلام وفهمه جيدًا وتطبيقه، فلا تنافر ولا نفور بين الدين والدولة ولا بين الساعات بعضها وبعض.

الإيمان بمثابة راحة للنفس:

والحدود والتشريعات في الإسلام بمثابة راحة للنفس، ولا تكون إلا بالإيمان، وإذا كان رخاء المجتمع لا يكون إلا بالأمان، فالأمان ثمرة من ثمار الإيمان، وقد بُعث النبي ﷺ رحمة للعالمين، ودعوته كانت لتأصيل العقيدة والإيمان في النفوس بما يطمئنها ويريحها.

وفي الشرع ستجد الأصول الستة للإيمان عليها مدار النفس وسعادتها في العاجل والآجل؛ فعقيدة التوحيد والخوف والرجاء كل ذلك من شأنه أن يفترق به المسلم عن الكافر، يقول تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البَقَرَة: ١٥٥- ١٥٧]، فالرضا والاطمئنان يسببه الإيمان عند المؤمن، بعكس صبر الكافر فهو بدون احتساب، ويتشابه مع صبر البهائم لما يُحمل عليها من أثقال، ثم الكافر دائم الجزع والتسخط لقضاء الله.

ننشد أمنًا وأمانًا في الدنيا والآخرة:

والإيمان لا يحقق الأمان فقط في الدنيا، وإنما تحقيقه لذلك في الآخرة أتم وأكمل، فالمؤمنون تطمئن قلوبهم يوم الفزع الأكبر، وهو قبل ذلك: إن كان محسنًا قال عجلوني عجلوني، وإن كان مسيئًا يصيح يا ويلتاه أين تذهبون بي فيسمعه كل شيء إلا الثقلين -الإنس والجن- ولو سمعوه لصعقوا، وعندما يوضع في قبره ويرى منزلته تطمئن نفسه كما ورد في حديث البراء بن عازب وغيره.

لقد أراد فرعون أن يطمئن على نفسه عند غرقه فقال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، فقيل له: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]، فهو لم يؤمن في الدنيا ولم يغتنم فرصة التوبة حتى يرد على ربه آمنًا، وفي الحديث: «**إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**» [رواه الترمذي، وحسنه الألباني]، فباب التوبة مفتوح حتى تتردد الروح في الحلقوم وحتى تطلع الشمس من مغربها، وقد فتح -سبحانه- أبواب الرجاء لعباده، فقال: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]

أحكام وحدود تشيع الأمن:

والأحكام كثيرة وكلها من شأنها أن تشيع الأمن والأمان في النفس والمجتمع، ومن ذلك تحريم الإسلام للأمور التي تتسبب معها الجريمة كالخمر والزنا والربا والميسر، وقد أعطى كل ذي حق حقه، ومنع التعدي والظلم، وقضى على كل الأمور التي تخل بالأمن، وكانت الحدود فيه بمثابة الروادع والزواجر، والجوابر في نفس الوقت.

والقصاص من أسباب الاطمئنان في المجتمع ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقد حرَّم الإسلام أن يورد الإنسان نفسه موارد الهلكة، أو يحملها فوق طاقتها، ونهاه عن قتل نفسه: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا**» [رواه مسلم].

وفيما يتعلق بالمال أمر بالكتابة، والإشهاد والعدالة، وتحديد الأجل، ومراقبة الله، وتأدية الأمانة، فرأس المال جبان ولا يطمئن إلا بالأمان، والقضاء على مثيري القلاقل، ولا أقوى من حكم الله ورسوله.

وتطبيق الشريعة من شأنه أن يخيف من تسوِّلُ له نفسه أن يعمل بمثل عملهم، ومن المعلوم أن النفس لا تنتج عملًا في جو مضطرب، وقد أمر المسلم أن يحصن ماله بالزكاة وليس بدفع أقساط التأمين.

تعدد صور الأمن:

ولو تأملنا الأحكام التفصيلية لعلمنا كيف يتم تأمين النفوس من التأثيرات الخفية كالسحر ووساوس الشياطين بالمعوذتين وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة، والرضا والقناعة بما قسم الله.

والأمن الأخلاقي المذكور في أحكام الاستئذان والحجاب، والأمن الصحي المتمثل في زيارة المريض، والرقية، والتداوي بالمباحات، والأمن الزراعي المذكور في سورة يوسف والنحل.

وأمن العقيدة المذكور في مثل قوله -سبحانه-: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

والأمن الأُسَري الذي دلت عليه عشرات الآيات مثل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الروم: ٢١]، وقول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: **«إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ»** [متفق عليه].

مقدمات غائبة، فكيف يتحقق الأمن؟

إن الأمن يحدث بالمشورة، والتوبة، والهجرة، ومجاهدة الكفار، والتوكل على الله، وبالتزام كل أوامره -جل وعلا-، فكل آدابه عالية لأنها مبعث للأمن والراحة، والاطمئنان في الحياة وبعد الممات في طاعة الله، والإعراض عن ذكره -سبحانه- هو مبعث الخوف الحقيقي، والمؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع

فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٩].

وأَمْرُ الله -سبحانه- وبأسُه الشديد لا يمنعه أجهزة الإنذار المبكر، ولا الجيوش الجرارة، ولا كل مظاهر الأمن المادي، ونظرة سريعة على ما تُحْدِثه الزلازل والفيضانات كفيضان المسيسبي، والأعاصير كإعصار أندرو في أمريكا، وسائر صور الدمار ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وكما قال -سبحانه-: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣]، سندرك حتمًا لا محالة أن الإيمان هو سبيل تحقيق الأمن والأمان في الدنيا والآخرة، للأفراد والدول والجماعات.

فهيا نصبغ أنفسنا بصبغة الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، ونطرح عن أنفسنا هذا الطغيان المادي الذي علق بقلوبنا وعقولنا.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين

تحذير البعض من الحج والعمرة بسبب أنفلونزا الخنازير

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فمنذ ظهور وباء أنفلونزا الخنازير، والنصائح لا تنقطع عن الامتناع عن الحج والعمرة؛ طلبًا للسلامة، وحرصًا على مصلحة البلاد والعباد، وآخر ما سمعته من ذلك نداء وإهابة من مفتي الجمهورية الدكتور/ علي جمعة.

وهذا الكلام المنسوب لبعض المفتين والشيوخ والناصحين تتبارى وسائل الإعلام في نشره، وأرى أن هذه النصيحة تحتاج إلى نصيحة، وأن هذا الكلام هو إلى الإرجاف والتخذيل أقرب، هذا الكلام إلى الصد عن سبيل الله والتنفير من طاعة الله أقرب، كلام يجافي الشرع ويصطدم بالواقع والطب.

لا أغالي لو قلت: إن شفقة هؤلاء تحتاج إلى شفقة، وهي بمثابة تحجير للواسع، فأنفلونزا الخنازير لم تنزل بأرضنا، ولم تنزل بالسعودية بعدَ، بل أمريكا التي نزل بها وباء أنفلونزا الخنازير لم تمنع السفر منها وإليها حتى تاريخ كتابة هذه المقالة ١٠ جمادي الآخرة ١٤٣٠هـ.

فلِمَ هذه الفتاوى والتصريحات التي قد تنطلي على البعض، وتضعف الهمة في بلوغ بيت الله الحرام وتأدية فريضة الحج؟!

وإذا كان من المعلوم أن فتوى المفتي، وحكم الحاكم، وقضاء القاضي لا يجعل الحرام حلالًا ولا الحلال حرامًا، فلا يجوز التهور والتسيُّب والتهاون في أمر يتعلق بفريضة عظيمة كفريضة الحج، والله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ

لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾ [الشورى: ٢١].

نعم وردت النصوص: قال رسول الله ﷺ: «**فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ**» [رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر]، وقال النبي -ﷺ: «**إِذَا وَقَعَ الطَّاعُونُ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَلَسْتُمْ بِهَا فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ**» [رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر]

وقد امتنع عمر رضي الله عنه من دخول الشام عام الطاعون، ولما اعترضه أبو عبيدة رضي الله عنه وقال: أفرار يا عمر من قدر الله، قال: نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله.

وهذا مما يُستدل به على الخروج من الواقع السيئ متى وسعك الأمرُ مع طمأنينة النفس ورضا القلب بقضاء الله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعدم الأخذ بالأسباب قدح في التشريع والاعتقاد في الأسباب قدح في التوحيد.

ونحن بصدد واقع مصري وسعودي لم ينزل به الوباء، وبالتالي يصطلح كل فريق على حقه ويُعَانُ فيه الخلقُ على تأدية الحج والعمرة ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٢]، فلابد من تطبيق الحكم على الواقع المساوي له، والفتوى تُقدر زمانًا ومكانًا وشخصًا.

كان يُتصور من الناصحين أن يقولوا للناس: استحضروا نية الحج حتى وإن كنتم فقراء ضعفاء مشاغيل، سبق لكم الحج والعمرة أو لم يسبق؛ فنية المرء أبلغ من عمله، وتجارة النيات من أربح التجارات، ومن سأل اللهَ الشهادة بصدق بلَّغه اللهُ منازل الشهداء، وإن مات على فراشه.

وفي حديث جابر رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ**»، وفي رواية: «**إِلاَّ**

شَرِكُوكُمْ فِي الأَجْرِ» [رواه مسلم]، ورواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ فقال: «**إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلاَ وَادِيًا إِلاَّ وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**».

فهؤلاء حبسهم العذر عن الخروج وشاركوهم في الأجر بالنوايا الطيبة، ولماذا نُبخِّل الربَّ الكريم؟ فلربما كانت دعوات صالحة تيسر بها كل عسير، ويرتفع بها كل بلاء، ويصح بها كل سقيم، ويغتني بها كل فقير، ويقوي بها كل ضعيف ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]

فأمرنا -سبحانه- بالدعاء ووعدنا الإجابة، وقد تعجل الإجابة وقد تؤجل، وقد يستدفع عنك من الشر والسوء بمثل ذلك، ويكفي أن الدعاء عبادة، وكان عمر رضي الله عنه يقول: «إني لا أحمل همّ الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء؛ فإن العبد إذا أُلهم الدعاء فإن الإجابة معه».

بقي على الحج خمسة أشهر تقريبًا، وقد نموت الآن، وشتان بين من يموت على نية طيبة ودعوة صالحة، وبين من استسلم لوساوس شياطين الإنس والجن!!

شتان -والفارق كبير- بين من صدق في حرصه على طاعة الله، فأخذ بالأسباب، وتأهب بالزاد والراحلة ثم مُنع، وبين من يُرجف ويخذل ويُضعِّف همّة الخلق، وينطق بلسان حاله ومقاله: «بركة يا جامع»!!

وهل يستوي من يقول: ﴿ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ [التوبة: ٤٩]، وبين من عناهم الله بقوله: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]، هذا هو شأن المسلم إذا حيل بينه وبين طاعة ربه يبكي رغم عذره، فما بالكم ببيت الله الحرام الذي لا ينقطع حنين المؤمنين تجاهه، وقد ود المسلم لو سار على رأسه وبذل مهجته بلوغًا لبيت الله الحرام.

فتأهبوا يا عباد الله، واستحضروا النية، واجتهدوا في الدعاء، ولا تتوانوا في الأخذ بالأسباب؛ عسى الله أن يجبر كسركم، ويرحم ضعفكم، ويطلع على صدق قلوبكم، فيكتب لكم حجًا مبرورًا، وسعيًا مشكورًا، وتجارة لا تبور.

وما منا إلا ورَد ورُدَّ عليه، وكل إنسان يُؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

زيارة أوباما للقاهرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد .. فقد ظهر أوباما بوجه جديد أثناء الانتخابات الأمريكية وبعد رئاسته لأمريكا، حيث صرح بأن أمريكا ليست في حرب مع العالم الإسلامي، وطالب بإيقاف المستوطنات اليهودية وإقامة دولتين في فلسطين، ووضع جدولًا لانسحاب القوات الأمريكية من العراق على أن تُرسل لأفغانستان!.

وأظهر رغبته لإغلاق معسكر جوانتاناموا وتصفية المعتقلين هناك، ووجه خطابًا للملسمين من تركيا يختلف عن نبرة سلفه الذي أعلنها حربًا صليبية، وشنَّ بالفعل حروبًا على العراق وأفغانستان بزعم مواجهة الإرهاب، وها هو أوباما يأتي للقاهرة لتوجيه خطاب من جامعة القاهرة، وهي زيارة تكثر حولها التعليقات، وقد تتعلق بها آمال، وتتطلع لها الأنظار.

فكثيرٌ هم الحالمون بأن أوباما هو نبي السلام المنتظر، وبعث البعض إليه برسائل لِطَيِّ صفحة ١١ سبتمبر، ولإرساء قواعد جديدة؛ لتحسين العلاقات بين أمريكا وشعوب المنطقة، وتقوم على أسس الحوار المتبادل.

وعلَّق البعض على زيارته للسعودية قبل مجيئه للقاهرة لإلقاء خطابه الموجه للعالَمَيْن العربي والإسلامي بأنه إرضاء للرياض، وتعويضها عن اختياره القاهرة لمخاطبة المسلمين. فيما أرجح البعض الآخر اختيار السعودية كمحطة أولى إلى أسباب اقتصادية متعلقة بمصالح واشنطن مع دول الخليج، مشيرًا إلى مطالبة أمريكا لدول الخليج برفع معدلات إنتاج البترول، بالإضافة إلى الاعتماد الأمريكي على الأموال الخليجية للخروج من الأزمة الاقتصادية، ولسماع التصور السعودي لأهميته، وأن هذه الزيارة تُعد بمثابة زيارة لباقي دول الخليج.

وينظر البعض لأوباما على أنه لا يتكلم فقط لكنه رجل أفعال، وأنه جاد في التعبير، وسيلقى ترحيبًا من المصريين فشعبيته أكثر من شعبية سلفه الرئيس بوش، ولربما عقد البعض مقارنة بين الاثنين، فحماقة بوش مفيدة في استثارة الوعي، ويقظة المسلمين بعداوة وخطط الأمريكان والغرب، أما أوباما فهو حية رقطاء ملمسها ناعم تلدغ اللدغة القاتلة فتموت وأنت تبتسم.

ورأى فريق أن حماقة بوش مدمرة، بينما أوباما في حرصه على الظهور بوجه وسياسة جديدة أقل شرًا من بوش مما يؤذن بحالة هدوء وطمأنينة، وبعض الشر أهون من بعض.

يطالب البعض أوباما بعدم التدخل في شئون مصر وبمحاسبة إسرائيل على جرائمها، وبالضغط على ملف حقوق الإنسان والتعامل الجاد ضد امتهان كرامة الأقليات، ووضع حد للتمييز ضد المسلمين، ويطالبه آخرون بالدفاع عن الصحفيين وبالإسراع في حل قضية فلسطين.

وتوقع فريق خيبة أمل بين المسلمين بعد الخطاب وأنه لا داعي للأحلام الوردية.

ومهما يكن من أمر فلنا بدورنا بعض التعليقات التي تتعلق بهذا الموضوع:

أولًا- زيارة أوباما لمسجد السلطان حسن بالقلعة أثناء تواجده بمصر بمثابة رسالة تواصل يبعث بها، لا تخلو من دلالات واضحة تعبر عن احترامه للإسلام ولحضارة المصريين ومكانتهم، وذكر البعض أن الدواعي الأمنية تقتضي إخلاء المساجد المحيطة من المصلين، وأن رئيس لجنة الفتوى بالأزهر صرح بجواز ذلك.

ولا يخفى أن أوباما قد وُلد لأب مسلم وأم نصرانية وقد تابع أمه على دينها وهذا لا يجوز؛ فالابن يتبع المسلم من والديه، والإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، وقد سبق أن فَصَّلنا ذلك.

أما مسألة إخلاء المساجد من المصلين فهذا لا يجوز؛ لما فيه من الصد عن سبيل الله، وتعطيل شعائر الله، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[البقرة: ١١٤]، وقال سبحانه: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[النور: ٣٦- ٣٧]، فلا يجوز إخلاء المساجد من المصلين، لا لأجل زيارة حاكم مسلم أو كافر، وهذا لا يتعارض مع إجراءات الحماية للرؤساء والسفراء، فيصطلح كل فريق على حقه، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢]، وقد ذكرت هذه المسألة في كتاب (تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد)، ونصه:

قتل السفراء والدبلوماسيين:

لا يجوز قتل السفراء ولا أخذ أموالهم إذا دخلوا بأمان، وفي ذلك يقول ابن قدامة في المغني: «وإذا دخل حربي دار الإسلام بأمان، فأَوْدَع مالَه مسلمًا أو ذميًا أو أقرضهما إياه، ثم عاد إلى دار الحرب نظرنا فإن دخل تاجرًا أو رسولًا «أي سفيرًا» أو متنزهًا أو لحاجة يقضيها ثم يعود إلى دار الإسلام فهو على أمانة في نفسه وماله؛ لأنه لم يخرج بذلك عن نية الإقامة بدار الإسلام فأشبه الذمي إذا دخل لذلك» اهـ.

والسفير أو الرسول مثل المؤمن، سواء أكان يحمل الرسائل، أو يمشي بين الفريقين المتقاتلين بالصلح، أو يحاول وقف القتال لفترة يتيسر فيها نقل الجرحى والقتلى أو غير ذلك من المهمات التي يطلق عليها وصف الدبلوماسية، ومن يقوم بها يأخذ اسم الدبلوماسيين في اصطلاح العصر.

وقد أخرج أحمد وأبو داود من حديث نعيم بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال لرسولي مسيلمة: «**أَمَا وَاللهِ لَوْلاَ أَنَّ الرُّسُلَ لاَ تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا**» [صححه الألباني]،

وكان الرسول ﷺ قد قرأ كتاب مسيلمة، وقال لهما: ما تقولان أنتما؟ قال: نقول كما قال: أي أنهما يقولان بنبوة مسيلمة الكذاب.

ولما أوفدت قريش أبا رافع إلى رسول الله ﷺ فوقع الإيمان في قلبه، فقال: يا رسول الله لا أرجع إليهم، وأبقي معكم مسلمًا. فقال رسول الله ﷺ: «**إِنِّى لاَ أَخِيسُ بِالْعَهْدِ وَلاَ أَحْبِسُ الْبُرُدَ وَلَكِنِ ارْجِعْ فَإِنْ كَانَ فِى نَفْسِكَ الَّذِى فِى نَفْسِكَ الآنَ فَارْجِعْ**» [أخرجه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني].

وفي كتاب الخراج لأبي يوسف والسير الكبير لمحمد: «أنه إن اشترط للرسول شروط وجب علي المسلمين أن يوفوا بها، ولا يصح لهم أن يغدروا برسل العدو، حتى ولو قتل الكفار رهائن المسلمين عندهم، فلا تقتل رسلهم لقول نبينا ﷺ: «**وفاء بغدر خير من غدر بغدر**».

وقال ابن قدامة (٤٠١/٨): «وإذا سرق المستأمن في دار الإسلام أو قتل أو غصب ثم عاد إلى وطنه في دار الحرب ثم خرج مستأمنًا مرة ثانية استوفي منه ما لزمه في أمانه الأول» أ.هـ

ويجوز دخول الكافر المسجد بإذن المسلم فقد رُبِط ثمامة بن أثال بسارية المسجد، ودخل وفد نجران المسجد وناظرهم النبي ﷺ فيه.

ثانيًا-لو استطعت توجيه رسالة فأربأ بنفسي عن الكلام في الفن أو التواصل الهلامي للشعبين والحضارتين، أو سفه المطالبة بحرية وحقوق الصحفيين، ولكنها رسالة له ولشعبه إقامة الحق في الخلق، وإسلام الوجه لله، وتعبيد الدنيا بدين الله، فهذا هو حق الله على العبيد، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وأن يعبدوه -سبحانه- بما شرع وليس بشرع أحد سواه ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران: ١٩]، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران: ٨٥].

وفي الحديث الذي رواه مسلم: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِى أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**» [رواه مسلم]

نحن نحب الخير لأوباما وشعبه محبة حقيقية صادقة لا غش فيها ولا خداع ولا تزييف، ولذلك ندعوه بدعاية الإسلام ونقول له: أسلم تسلم، ولا تخالف مقتضى العقل والفطرة، لا تتنكب صراط الأنبياء والمرسلين؛ فموسى وعيسى ونبينا -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- بل وجميع الأنبياء قالوا لقومهم: «**اعْبُدُوا الله مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**»، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يُشرك به شيئًا.

وقد ذكر -سبحانه- ما يكون من نبيه عيسى يوم القيامة عندما يقول الله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المائدة ١١٦-١١٧].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠] وقال: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ [المائدة: ٧٢]

وإذا كان تقديم الأهم على المهم أمر واجب في العلم والعمل والدعوة إلى الله فالتوحيدُ أولًا، والتركيزُ في الرسائل والمطالب على ما ركز عليه الأنبياء والمرسلون أهم وأولى.

ما قيمة أن يكسب الإنسان الدنيا ويخسر الآخرة؟ وما قيمة تحصيل مصلحة متوهمة تأتي على حساب إضاعة العاجل والآجل.

لقد راسل النبي ﷺ القياصرة والأكاسرة، ونحن اليوم بحاجة لاتباعٍ لا ابتداعَ فيه، ننهج منهج النبوة نصل به ما بين الأرض والسماء والدنيا والآخرة، وما بين مصر وأمريكا.

ثالثًا-لا أقل من رد الحقوق لأصحابها، فالظلم والبغي وقتل المسلمين وانتهاك أعراضهم في العراق وأفغانستان وفلسطين لا تسقط هذه الجنايات بتغيير الأدوار بين الرؤساء، ولا بابتسامة رئيس وتقطيب جبين الآخر، ولا أملك أنا أو غيري إسقاط حقوق المظلومين، وهي حقوق لا تسقط بالتقادم، ومن لا يملك لا يصح له أن يعطي من لا يستحق.

قد نفرح بانسحاب القوات الأمريكية من العراق، ولا نرضى أبدًا بإرسال هذه القوات إلى أفغانستان، فالمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم

أبي الإسلام لا أبا لي سواه   إذا افتخروا بقيس أو تميم

لقد استخدم الأمريكان الباكستانيين في تشريد أكثر من ٢مليون مسلم من إقليم سوات، فأين شعارات الحق والعدل؟ وأين وجه السماحة وما يُسمى بالتعايش السلمي والتواصل المزعوم بين الحضارات؟

نحن نرفض الظلم والبغي في العراق كما نرفضه في أفغانستان، ولا نقبل التسلط والهيمنة الأمريكية على المسلمين أو الكيل بمكيالين، فيسمح لليهود بتملُّك الأسلحة النووية، بينما يحظر على المسلمين، أو يشرد المسلمون في إقليم سوات بزعم منعهم من التسلط على السلاح النووي الباكستاني.

إن التدخل في شئون المسلمين على مثل هذا النحو السافر والسافل هو صورة من صور إرهاب الدولة المرفوض، وكذلك الضغط على بعض الأنظمة لتغيير دينها وعقيدتها ومفهوم الولاء والبراء فيها هو إرهاب فكري ومحاربة لدين الله.

رابعًا- تعلمنا من دين الله أن الحب لا يكون إلا لله، والبغض لا يكون إلا لله، وأن المرء إذا أحب في الله وأبغض في الله فقد استكمل الإيمان، وأنه لا يجوز تعليق القلوب بغير الله في جلب النفع ودفع الضر، لا يجوز ذلك مع الأنبياء ولا المرسلين ولا عباد الله الصالحين، فكيف يجوز تعليق القلوب بالكافرين؟! قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[المائدة: ٥١]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[آل عمران: ١١٨]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [التوبة: ٢٣].

يجب أن يكون الخوف من الله لا من أمريكا، ولا يجوز الغلو في الأشخاص ورفعهم إلى مصاف الآلهة، وقد قال الصادق المصدوق -صلوات الله وسلامه عليه- وكانت الآيات تتنزل عليه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]،وقيل له: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[الأنعام: ١٥]، وقال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ لاَ أُغْنِى عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِى عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِى عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لاَ أُغْنِى عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ سَلِينِى بِمَا شِئْتِ لاَ أُغْنِى عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**» [رواه مسلم]، وقال ﷺ: «**أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ**»، وخصَّ وعمَ -صلوات الله وسلامه عليه-.

اقرءوا السُّنن والسير حتى تحسنوا المسير إلى الله، فمن السفه أن يبيع الإنسان دينه بدنياه، وأشد من ذلك أن يبيع دينه بدنيا غيره.

نـرقـع دنـيـانـا بـتـمـزيـق ديـنـنـا　　　　ومـن فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعه

فـطـوبـى لـعـبـد آثـر الله ربـه　　　　وجـاد بـدنـيـاه لـمـا يـتـوقـع

خامسًا-نرفض حل الدولتين؛ فكل أرض علاها حكم الله لابد من استردادها، كما نرفض السلام الذي يقر الغاصب على غصبه.

ومن الخيانة التفريط في القدس وغيرها من أرض المسلمين، وإذا كان الحق لا يُسترد بغير القوة فلا بأس بذلك، ولابد من علو الهمة والارتفاع لمستوى الأمانة التي أمرنا -سبحانه- بحملها. وهذه القوة التي نرهب بها عدو الله وعدونا وترد الحق لنصابه وتمنع الاستجداء لابد من الأخذ بأسبابها، سواء كانت معنوية أو مادية، لابد من تطبيق شرع الله وإحكام مفهوم الولاء والبراء، والاعتزاز بالشعائر والشرائع، وقراءة السُنن والسير قراءة واعية.

وفي هذا الصدد إن لم نتشبه بالنبي ﷺ والصحابة الكرام فلا أقل من التشبه بهارون الرشيد، والمعتصم، وصلاح الدين الأيوبي، وقطز، وبيبرس، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية.

الأسد الجائع لا يترك فريسته لمطالبته الفأر المذكور، لقد انتقل اليهود ومعهم الأمريكان بهذه الأمة من واقع سيء إلى واقع أسوأ؛ ومع التعلق بالأمم المتحدة والشرعية الدولية ودعاوى السلام، كنا كالمستجير من الرمضاء بالنار.

سادسًا-لابد من التمسك بالكتاب والسُنَّة في هذه المسألة وغيرها، والنصوص تدعونا للاستقامة في العُسر واليسر والمنشط والمكره، في هذا القرن وغيره، ومع الأصدقاء والخصوم، ولا يجوز العمل بدبلوماسية ميكيافلية، أو بعقل معيشي يكفر بالآخرة ويدمر الدنيا.

وقد يرى البعض الواقعية في التكريس للواقع السيئ، ويتهم من أراد الخروج من هذا الواقع المؤلم بالخيالية.

وإجابتنا على هؤلاء المهزومين نفسيًا هي أن الله -تعالى- وعدنا وعدَ الحق بأن المستقبل للإسلام، بغلبته وظهوره على الأديان كلها، وبفتح بيت المقدس، والانتصار على الروم، وبعودة الخلافة على منهاج النبوة، وأنه لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة، وبظهور طائفة على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

الأيام بيننا، والزمن جزء من العلاج، وكل ما هو آت فهو قريب ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[غافر: ٤٤]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[التوبة: ٣٣]، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾[ص: ٨٨]

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

وصية أذهلتني !!!

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد...

فقد ذكرت وسائل الإعلام ما جاء في وصية «سوزان تميم»، وهي الوصية التي كتبتها قبل وفاتها وعثرت عليها الشرطة، قالت «سوزان» في وصيتها: (بسم الله الرحمن الرحيم... إنا لله وإنا إليه راجعون، أوصي بأن تؤول ملكية كل ما أملك من مال أو عقار أو جواهر أو أي شيء، بل كل ما أملكه إلى والدتي وأخي، ولا أحد سواهما، وأوصيكم أن تزكوا وتُحسنوا وتطعموا وتكفلوا الأيتام والمساكين، وتبتغوا صراط الله المستقيم، وتسامحوني إن أسأت إليكم، وتدعوا لي بالرحمة، وأن تعتمروا لي، وتحجوا عنِّي -إذا تيسر لكم-، وأن تكرموني في وفاتي... وأوصيك يا أخي بأمك، وبصلة رحمك، وبالرحمة والعفو عند المقدرة، والسماح والتسامح والبر بوالديك... أحبكم وأدعو لكم بالرحمة، فادعوا لي بها... اتحدوا ولا تفرقوا على بركة الله وسُنَّة رسوله، والسلام عليكم وعلينا وعلى محمد وآله وصحبه... (سوزان عبد الستار تميم).

هذا نص الوصية التي أذهلتني وأنا أطالع الأحداث؛ وذلك لما فيها من دلالات ومسائل هامة:

أولاً- الحالة الإيمانية الواضحة والتي سيطرت على الضحية قبل مصرعها، مما يؤكد حرمة الخوض في الأعراض وإساءات الظنون بالبشر، وتطاول الألسنة دون تثبت، وجنوح البعض إلى التشفي والانتقام دون وجه حق، وإثارة مسائل على شاكلة زواجها من ثلاثة، وأن المتهم بالتحريض على قتلها قد تزوجها زواجًا عُرفيًا، ففي الجملة يسعنا أن نقول أنها كانت تنشد العيش في الحلال، وليس من طلب الحق فأخطأه كمن يطلب الباطل فأصابه، وكان الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لو احتمل المرءُ الكفرَ من تسعة وتسعين وجهًا واحتمل الإيمان من وجه، لحملته على الإيمان تحسينًا للظن بالمسلم، وقد قال النبي

ﷺ عن ذي الخويصرة الذي قال له: «يَا رَسُولَ الله، اتَّقِ الله»، **قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ الله، أَلاَ أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: لاَ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي. فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ! قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ قُلُوبَ النَّاسِ، وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ**» [رواه البخاري].

ولما جاءه الرجل الذي كان أكثر ما يُؤتى به وهو مخمور، فقام أحد الصحابة يقول: «**اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ**» [رواه البخاري].

فحمل الناس على أحسن محاملهم، ووضعهم موضع البراءة لا الاتهام هو المطلوب، وهو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسُنَّة، وهذا لا ينافي نصح البشر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعرفة أن معظم النار من مستصغر الشرر، وأن تقوى الله فيها السلامة والعافية في العاجل والآجل.

فليكن ضابطنا في القبول والرفض، وفي هذه الحادثة وغيرها: أن الحق مقبول من كل من جاء به، والباطل مردود على صاحبه كائنًا من كان، وأن الحق ما وافق الكتاب والسُنَّة.

قال زيد بن أسلم موصيًا ابنه: «يا بني لا ترى أنك خير من أحد يقول لا إله إلا الله حتى تدخل الجنة ويدخل النار، فإذا دخلت الجنة ودخل النار تبين لك أنك خير منه».

وهل يضمن أحد أن يكون خير أعماله خواتيمها وخير أيامه يوم لقاء الله؟

ومن الذي يضمن أن الجولة الأخيرة ستكون له؟ وأن الضربة القاضية ستكون من نصيبه ولن تكون من نصيب إبليس؟ وما أحسن أن تقول حين ترى جاهلًا: هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم، ولا أدري بما يختم لي وبمَ يُختم له، وإن كان كافرًا قلتَ: لا أدري عسى أن يُسلم فيختم له بخير العمل، وأن أكفر فيختم لي بسوء العمل.

واعلم أنه ما دام العبد يظن أن في الناس من هو شر منه فهو متكبر. سُئل ابن السماك عن حقيقة العجب فقال: أن تتطاول على الناس بعملك فتحقر كل من رأيته مقصرًا في العمل. وقال الحسن: كنا نحدث أن من عيَّر أخاه بذنب قد تاب منه ابتلاه الله -عَزَّ وَجَلَّ- به.

ثانيًا- بالإضافة للتمايز الذي تتضح معالمه يومًا بعد آخر، يبرز تيار ثالث بين المعسكرين، مازال يعيش نقرة ونقرة، ساعة وساعة، قد يرقص ويغني ويلهو ويلعب وفي ذات الوقت يصلي ويصوم ويحج ويعتمر.

وهذا الفريق مشهد من مشاهد الغربة، وهو من إفرازات الواقع، وقد تأثر بموجة التدين تأثرًا واضحًا ونحن نرجو له المزيد من الخير، ولابد من بذل المزيد من الجهد في إبلاغ الحق للخلق مع عدم اليأس والقنوط والعمل من باب: ما لا يُدرك كله لا يُترك جله، وأن نستنقذ ما نستطيع استنقاذه، فما لا نستطيع إتمامه ١٠٠٪ لا نتركه صفرًا، وبعض الشر أهون من بعض.

وما ورد في الوصية وحالة صاحبتها يعبر لك عن هذه الصورة، وقد ظهر المتهم الأول وهو يقرأ في المصحف طوال الوقت وامتلأت قاعة المحكمة بالأهالي وغيرهم وكلهم يقرأ في المصحف ويرفع أكف الضراعة لله، وقالت زوجة المتهم الثاني: إنه رجل مؤمن وقوي وسوف يتجاوز هذه المحنة، وأنه بريء من تهمة القتل، ويدرك تمامًا أن ما يتعرض له هو ابتلاء من الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وأنه أخبرها بأن إيمانه بالله يزداد يومًا بعد يوم كلما ضاقت عليه المحنة، وذكر لها أنه مظلوم، قالت: وأنا أعرف ذلك وكلانا لن ييأس من رحمة الله، وإن كل أفراد العائلة واثقون في براءته ولديهم أمل كبير في ربنا.

ثالثًا- الوصية اشتملت على معاني طيبة مثل التسمية، والاسترجاع، والحث على الزكاة، وكفالة الأيتام، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والعفو عند المقدرة، وطلب الدعاء لها، والحج والعمرة عنها.

والدعاء يصل للميت باتفاق العلماء، وكذلك الصدقة، والزكاة واجبة في مال الميت إذا بلغ النِّصاب ومرت عليه سنة قمرية، ويصح الحج عن الميت لمن حج عن نفسه لحديث ابن عباس: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ. قَالَ: مَنْ شُبْرُمَةَ؟ قَالَ أَخٌ لِي أَوْ قَرِيبٌ لِي. قَالَ: حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟ قَالَ: لاَ. قَالَ: حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

وكثرة من الناس لا تكاد تتنبه للوصية، وإذا أوصوا فوصاياهم لا تزيد عن اللوثة المادية التي كانوا يعيشونها، وأعظم الوصايا وأبركها وأنفعها وصايا الأنبياء والمرسلين، قال -تعالى- عن نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وفي لحظاته الأخيرة جعل النبي ﷺ يقول: «**الصَّلاَةَ الصَّلاَةَ اتَّقُوا الله فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»[رواه أبو داود، وصححه الألباني]، وقال رسول الله ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: «**لَعَنَ الله الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» [متفق عليه]، وقال قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ: «**أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّى أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**» [رواه مسلم].

رابعًا- ورد في الحديث قال رسول الله ﷺ: «**مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ ثَلاَثَ لَيَالٍ إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ عِنْدَهُ مَكْتُوبَةٌ» قَالَ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ: مَا مَرَّتْ عَلَىَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ ذَلِكَ إِلاَّ وَعِنْدِى وَصِيَّتِي**»[رواه الشيخان]، وفي الحديث: «**إِنَّ الله قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِى حَقٍّ حَقَّهُ فَلاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

ويحرم الإضرار في الوصية كأن يوصي بحرمان بعض الورثة من حقهم في الإرث أو يفضل بعضهم على بعض فيه، والوصية الجائرة باطلة مردودة لقوله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» [رواه الشيخان].

وله أن يوصي بالثلث من ماله ولا يجوز الزيادة عليه، بل الأفضل أن ينقص منه؛ لحديث سعد بن أبي وقاص وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «**وَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ غَضُّوا مِنَ الثُّلُثِ إِلَى الرُّبُعِ فِي الْوَصِيَّةِ؛ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: الثُّلُثُ كَثِيرٌ**» [رواه أحمد والشيخان].

وله أن يوصي لأقربائه الذين لا يرثون منه، ويشهد على ذلك رجلين عدلين مسلمين فإن لم يوجدا فرجلين من غير المسلمين على أن يستوثق منهما عند الشك بشهادتهما.

والواجب أن يوصي المسلم بأن يُجهز ويُدفن على السُنَّة ويحذر من البدع، ويوصي أهله بتقوى الله والحرص على مرضاته -سبحانه-، والآثار في ذلك كثيرة عن السلف.

خامسًا- نحن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، فإذا كان العبد يعمل بطاعة الله ومات على ذلك رجونا أن يكون من أهل الجنة، وإذا كان يعمل بمعصية الله ومات على ذلك خفنا أن يكون من أهل النار، ولا نقطع لأحد بخاتمة إلا إذا قطع الشرع بخاتمته، فمثلًا أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ في الجنة، وفرعون وأبو جهل وأبو لهب في النار؛ لورود النصوص بذلك، أما بقية الخلق ممن لم ترد النصوص بشأنهم فلا سبيل للقطع بخواتيمهم.

فالمسلم قد يرتد على عقبه القهقرى، والكافر قد يُسلم، ولذلك سنظل نتردد بين الرغبة والرهبة، ونقول: المسلم في الجنة والكافر في النار، ولكن الشخص المعين نفوض أمره لله، والغيب لا يعلمه إلا الله، وقد قال -صلوات الله وسلامه عليه-: «**وَمَا أَدْرِى وَاللَّهِ وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي**»، قال ذلك قبل أن ينزل عليه قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]

وما ورد من علامات حُسن الخاتمة فإنما نذكرها على جهة الاستئناس لا القطع والجزم، ومن ذلك:

- نطقه بالشهادة عند الموت «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

- والموت برشح الجبين لحديث «**المُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ**» [رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني].

- الموت ليلة الجمعة أو نهارها لقوله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلاَّ وَقَاهُ الله فِتْنَةَ الْقَبْرِ**» [رواه الترمذي وأحمد، وحسنه الألباني].

- والاستشهاد في ساحة القتال «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ أَوْ دُونَ دَمِهِ أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**» [رواه أبو داود والترمذي، وحسنه الألباني]، وورد: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**» [رواه أحمد والنسائي، وصححه الألباني]، وفي الحديث: «**مَنْ سَأَلَ الله الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ الله مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**» [رواه مسلم].

- والموت غازيًا في سبيل الله.

- وكذلك الموت بالطاعون شهادة لهذه الأمة وهي الأمراض الوبائية، «**وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ**» [رواه مسلم]، وفي الحديث: «**الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ الله**» [رواه البخاري ومسلم].

- ويضاف إلى هؤلاء الحريق والمرأة يقتلها ولدها جمعاء (وهي التي تموت في ولادتها أو في نفاسها).

- وكذلك الموت بداء السُّل، ففي الحديث: «**السُّل شهادة**» [رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني].

- والرباط في سبيل الله.

- وكذلك الموت على عمل صالح لقوله ﷺ: «**مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله خُتِمَ لَهُ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» [رواه أحمد، وصححه الألباني].

فهذه علامات يُستدل بها على حُسن الخاتمة، فأيما عبد مات بإحداها كانت بشارة له ويا لها من بشارة، وشهداء الأمة أصناف ثلاثة: شهيد الدنيا وشهيد الآخرة وشهيد الدنيا

والآخرة، فأما الأول فهو من قُتل في ساحة الحرب في قتال الكفار ولم تكن نيتة خالصة لوجه الله، كمن قاتل حمية أو رياءً، وشهيد الآخرة كالغريق والحريق والمطعون وهذا له ثواب الشهداء في الآخرة، ولكن يُعامل معاملة الموتى في الدنيا فيغسل ويُكفن ويُصلى عليه، أما شهيد الدنيا والآخرة فهو من قُتل في ساحة الحرب في قتال الكفار وكانت نيته الجهاد في سبيل الله، وهذا نترك تغسيله ويُدرج في ملابسه التي مات فيها، وقد نترك الصلاة عليه.

سادسًا- النفوس مستعدة للخير والشر وقد تواقع أكبر الكبائر كالشرك والزنا والقتل، ثم تنتقل إلى التوحيد وتصير من أهل القرآن والصلاة والصيام، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وليس لأحد أن يقطع الرجاء في الله، ولا أن يقطع الطمع في استجابة الخلق ودعوتهم إلى الله من بعد الفسق والفجور، والشواهدُ على ذلك كثيرة، والعبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية، وبمن يضحك آخرًا لا بمن يضحك أولًا.

ومن لطف الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالعبد أن يقدر له ما هو خير له، وإن كرهه العبد وتبرم به ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]

والعبد إذا أصيب بمصيبة كان له فيها ثلاث نعم: أنها لم تكن بأكبر مما كانت، وأنها لابد كائنة وقد كانت، وأنها لم تكن كانت في دينه.

سابعًا- لا تجوز الشماتة وخصوصًا من صحفي تارك للصلاة أو كاتب ملحد أو إعلامي زنديق؛ فحال هؤلاء ليس بأفضل من حال القاتل والمقتولة، وكلهم بحاجة لتوبة نصوح.

فمن المطلوب أن يبادر الإنسان بعلاج نفسه، والأخذ بأسباب نجاتها، وينصح نفسه وهو ينصح الآخرين، وقد كانوا ينشدون لنا ونحن صغار نشيد (برز الثعلب يومًا في ثياب الواعظينا).

وقد كان النبي ﷺ يتعوذ بالله من شماتة الأعداء، وقال بعض الأعراب وقد ماتت له أباعر كثيرة:

لا والذي أنا عبد في عبادته ... ومن لولا شماتة أعداء ذوي إحن

ما سرني أن إبلي في مباركها ... وأن شيئًا قضاه الله لم يكن

إن الله بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٧].

اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، وإن أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين

خواطر حول مقتل فنانة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

أولًا: كثرة القتل علامة من علامات الساعة، والقتل قديم فقد قتل الأخ أخاه، وما من نفس تُقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفْل من دمها لأنه أول من سن القَتل.

وقُرب قيام الساعة يكثر القتل -وهو الهرج بلغة الحبشة- حتى لا يدري القاتل فيمَ قتل؟، ولا المقتول فيمَ قُتِل؟ ونحن نترك الواقع يفسر لنا الأمارات والعلامات التي أخبر عنها الصادق المصدوق -صلوات الله وسلامه عليه-، وإليكم ما جاء في كتاب أشراط الساعة ليوسف بن عبد الله الوابل -مما يتعلق بذلك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ. قَالُوا وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الْقَتْلُ الْقَتْلُ**» [رواه مسلم]، وفي رواية للبخاري عن عبد الله بن مسعود: «**بين يدي الساعة أيام الهرج، يزول فيها العلم ويظهر فيها الجهل**»، قال أبو موسى: والهرج القتل بلسان الحبشة. [رواه البخاري]

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن بين يدي الساعة الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل، قالوا: أكثر مما نقتل، إنا نقتل في العام الواحد أكثر من سبعين ألفًا، قال: إنه ليس بقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضًا، قالوا: ومعنا عقولنا يومئذٍ قال: إنه لينزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس يحسب أكثرهم أنه على شيء وليسوا على شيء**» [رواه أحمد وابن ماجه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيما قَتل، ولا المقتول فيمَ قُتل، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: الهرج، القاتل والمقتول في النار**» [رواه مسلم].

وما أخبر به ﷺ في هذه الأحاديث قد وقع بعض منه فحدث القتال بين المسلمين من عهد الصحابة رضي الله عنهم بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، ثم صارت الحروب تكثر في بعض الأماكن دون بعض، وفي بعض الأزمان دون بعض، ودون أن تعرف أسباب أكثر تلك الحروب.

وإن ما حصل في القرون الأخيرة من الحروب المدمرة بين الأمم والتي ذهب ضحيتها الألوف وانتشرت الفتن بين الناس بسبب ذلك حتى صار الواحد يقتل الآخر ولا يعرف الباعث له على ذلك.

وكذلك فإن انتشار الأسلحة الفتاكة التي تدمر الشعوب والأمم له دور كبير في كثرة القتل، حتى صار الإنسان لا قيمة له يذبح كما تذبح الشاة، وذلك بسبب الانحلال وطيش العقول، فعند وقوع الفتن يقتل القاتل ولا يدري لماذا قتل؟ وفيمَ قتل؟ بل إننا نرى بعض الناس يقتل غيره لأسباب تافهة وذلك عند اضطراب الناس، ويصدق على ذلك قوله ﷺ: «**إنه لينزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان**»، نسأل الله العافية ونعوذ به من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وقد جاء أن هذه الأمة أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة، وأن الله -تعالى- جعل عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل، ففي الحديث عن صدقة بن المثنى حدثنا رياح بن الحارث عن أبي بردة قال: بينما أنا واقف في السوق في إمارة زياد إذ ضربت بإحدى يدي على الأخرى تعجبًا، فقال رجل من الأنصار قد كانت لوالده صحبة مع رسول الله ﷺ: مما تعجب يا أبا بردة؟ قلت: أعجب من قوم دينهم واحد، ونبيهم واحد، ودعوتهم واحدة، وحجهم واحد، وغزوهم واحد، يستحل بعضهم قتل بعض، قال: فلا تعجب، فإني سمعت والدي أخبرني أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن أُمَّتي أُمَّة مرحومة ليس عليها في الآخرة حساب ولا عذاب، إنما عذابها في القتل والزلازل والفتن**» [رواه الحاكم وصححه الألباني].

وفي رواية عن أبي موسى: «**إن أُمَّتي أمَّة مرحومة ليس عليها في الآخرة عذاب، إنما عذابها في الدنيا القتل والبلابل والزلازل**»[رواه أحمد وصححه الألباني].

ثانيًا- رغم ما في القتل من بشاعة وإجرام ويكفي فيه أن يقال إنه إزهاق للنفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق -لا نتكلم هنا عن القتل المشروع- إلا أن اللافت للنظر ازدياد جرائم القتل ببشاعة وحدّة وقسوة في الآونة الأخيرة، فلم يعد الجاني يكتفي بإطلاق رصاصة أو تسديد طعنة سكين للضحية، بل لابد من كل مظاهر التشفي والانتقام وإتمام الجرائم بدماء باردة، لابد من تبضيع وتقطيع للضحية، قتل للزوجة والأولاد بالساطور، قتل للأولاد لخلاف مالي، إطلاق ٤٠ رصاصة أو تسديد ٤٠ طعنة للضحية، قتل لكافة الأسرة للخلع الذي تم.

ظاهرة وافدة مستجدة جعلت البعض يقول لي: ألا تلحظ هذا التغير في السلوك الإجرامي للمجتمع، قلت له: ما تحكيه واضح على مستوى الأفراد والدول، فالأمريكان والغرب يقتلون المسلمين في العراق وأفغانستان وفلسطين بدماء باردة، ومع رفعهم لشعارات حقوق الإنسان والحريات والديمقراطية، لقد تسببوا في موت مليون طفل أثناء حصار العراق.

ثم كثرة السماعات والمشاهدات لحوادث القتل في وسائل الإعلام وغيرها أورثت البعض الاستهانة تارة، والتلذذ تارة أخرى برؤية الدماء، وبالتالي لا يُستبعد ممارسة الجنس بعد القتل البشع ويظهر البعض بابتسامة عريضة ويده ملوثة بدماء البشر، لقد ترتب على إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، وعدم وقوع العقاب الرادع، وكون الدنيا أشبه بجهاز صغير تُطالع منه الحوادث والأحداث لحظة بلحظة، مع تدفق موجات الإلحاد والانحلال إلى وصول الأوضاع لحال غير مسبوق صار يستلفت الأنظار ويستثير الانتباه لِكَمْ الجرائم وكيفيتها البشعة.

ثالثًا- لا يقتصر القصاص على الجاني وحده، بل يتعداه لمن ساعده وأعانه وتواطأ معه وحرضه على القتل حتى قال عمر رضي الله عنه عن رجل قُتِلَ: «لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به».

ولما قتل قدار بن سالف الناقة وكان أشقى القوم قال سبحانه: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾[الشمس: ١٤- ١٥]، فاستخدمت الآيات وصف الجمع (فَعَقَرُوهَا) رغم أن القاتل رجل واحد، وذلك لأن القتل تم بتحريضهم.

وبالتالي فقد تكون المشاركة بتقديم السكين، والثاني: بتكتيف الضحية، والثالث: بفتح الباب وتهيئة الطريق، والرابع قال: اضربه هنا... والعاشر أجهز على الضحية، وكل هؤلاء شركاء في الإثم والقتل والإجرام والعقوبة أيضًا ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: ١٧٩].

وصور القتل تختلف، ففيه الخطأ والعمد وشبه العمد، وقد احتاطت الشريعة للأرواح فذكر ابن قدامة في المُغني أنه لو وقع رجل على آخر فقتله فهذا قتل خطأ لا إثم فيه، ولكن فيه الكفَّارة «شهرين متتابعين» وفيه الدية الرجل مائة من الإبل والمرأة على النصف، وتدفع في ثلاث سنوات، وقد يعفو أهل الدم عن الدية أو قد يتنازل أحد الورثة عن حقه فلا بأس، وتبقى حقوق بقية الورثة كما تبقى الكفارة.

وفي شبه العمد تكون الدية مغلظة -مائة من الإبل- في أربعين منها حمل.

أما في العمد ففيه القصاص فيقتل الرجل بقتل المرأة، وقد يعفو أحد أولياء الدم فننتقل إلى الدية، وقد يتم العفو أيضًا عن الدية.

رابعًا- حكم الحاكم، وقضاء القاضي، وفتوى المفتي لا تجعل الحرام حلالًا، ولا الحلال حرامًا.

والقاضي يحكم على نحو ما يسمع ويبذل وسعه في أن يتوافق حكمه مع حكم الله، ويستند لشهادة الشهود أو للإقرار والاعتراف، وقد يجد من القرائن ما تطمئن به نفسه لإصدار الحكم والحاكم إذا اجتهد فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر، والبينة على من ادعى، واليمين على من أنكر.

ولا يجوز الاستكراه في انتزاع الاعتراف، فالاستكراه يلغي الاختيار ويرفع الإثم والذنب، وفي الحديث «**رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»، والمستكره في واقع الأمر ينفذ إرادة من استكرهه، فلا إرادة ولا اختيار له.

ولا محاباة للجناة حتى ولو كانوا من ذوي السلطان، فقد كان من منطق أهل الجاهلية أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، قال النبي ﷺ: «**وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**» [رواه البخاري ومسلم]

والرأفة بالجناة ليست بأولى من الرأفة بالمجني عليه، وهذا لا يتعارض مع درء الحدود بالشبهات، وأن الخطأ في العفو أهون من الخطأ في القصاص، احذر أن تكون قاضيًا وجلادًا أو متهمًا.

خامسًا-قتل العمد ليس كفر، وباب التوبة مفتوح حتى من قال: (إِنَّ الله ثَالِثُ ثَلاثَةٍ)، قال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٤]، وقال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: قَالَ الله يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِى وَرَجَوْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ منك وَلاَ أُبَالِى يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِى يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِى بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِى لاَ تُشْرِكُ بِى شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**» [رواه الترمذي، وحسنه الألباني]، وفي حديث الرجل الذي قتل

تسعة وتسعين نفسًا، وكمّل المائة بالراهب الذي حجَّر واسعًا كان من تمام توبته أن ينتقل من الأرض التي عصى الله فيها، وقال له: «**انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ الله فَاعْبُدِ الله مَعَهُمْ وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ**»، ولما جاءه ملك الموت نأى بصدره إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة. [رواه مسلم].

فالتائب من الذنب كم لا ذنب له، والحدود كفَّارة لأهلها، ففي الحديث «**وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ، فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَسَتَرَهُ الله عَلَيْهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ**» [متفق عليه]، وهذا فيمن لم يتب وإلا فالتوبة النصوح تمحو كل ذنب كفرًا كان فما دونه.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] فلا تدل على كفر القاتل العمد، والخلود المذكور في الآية ينصرف إلى استحلال القتل، أو طول المكث، وتغليظ العقوبة.

وقد شاهدنا بعض المحكومين عليهم بالإعدام كيف صاروا يواظبون على الصلاة، ويحفظون القرآن، ويحرصون على السُنن، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، ولا حجر على سعة رحمة الله، ورُب معصية أورثت إنابة وانكسارًا وحرصًا على طاعة الله، ورب طاعة أورثت عزًا واستكبارًا، وإنما الأعمال بالخواتيم، وليس لنا أن نرجم بالغيب.

وعلينا أن نُحسن الظن بالناس ونسيء الظن بأنفسنا، ونحمل الناس على أحسن محاملهم، ونتلمس للناس العذر ما وسعنا الأمر، تذكروا قضية الإفك، فلا داعي للشماتة ولا للتشفي، وأن نأخذ الدرس، فمعظم النار من مستصغر الشرر، ومواربة الباب على شيء من الخطأ قد يجر لما لم يكن في الحسبان.

وليس للإنسان أن يغتر بصالح عمله فضلًا عن جاهه وسلطانه، وليس لأحد أن يخوض في أعراض الآخرين، فكل ابن آدم خطّاء، وأنت تقول: عصى اللهَ وهو جاهل، وأنا عصيته على علم، ولا أدري بما يُختم له غدًا وبما يختم لي، ولعل عنده من الحسنات والصالحات ما يثقل ميزانه غدًا، وترد على ربك من المفاليس، وفي النهاية فالأمور كلها على ما عند ربك.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أعمارنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقاك.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين

متّى المسكين ينتقد الكنيسة المعاصرة
(خطاب يصلح للنصارى لا يصلح للمسلمين)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ..

فقد تركزت الأضواء على الأب متَّى المسكين في الوقت الذي نَقَم فيه الرئيس السادات على البابا شنودة وتم عزله في وادي النطرون، والفارق كبير بين متَّى المسكين والبابا شنودة رغم أنهما ينتميان للكنيسة الأرثوذكسية، وكثيرًا ما احتدم الخلاف بين الرجلين وطفا على السطح.

فالأول يميل لحياة الرهبنة، ويمكث طيلة وقته في أديرة وادي النطرون، ويلتف حوله كثير من كبار السن من النصارى، ويطبق «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، ومن ضربك على خدك الأيمن أدر له خدك الأيسر».

أما الثاني فيلتف حوله الشباب بصفة خاصة، ويميل للانخراط في الحياة العامة، ينتقل هنا وهناك ويتحدث في السياسة وغيرها، وينتقد القانون إذا خالف الإنجيل في الزواج أو الطلاق أو غير ذلك من المسائل، مما يثير أحيانًا ردود أفعال متباينة، وفي مقال بجريدة المصري اليوم الأربعاء ٢٠/ ٥، وبعنوان: (تطور الخطاب القبطي من المودة والخلاص إلى الخصومة والصراع)، نقل الكاتب نص حوار الأب متَّى المسكين مع مكرم محمد أحمد نشر في١٧/ ٤/ ١٩٨٠م، وعلق عليها الكاتب بقوله: هي آراء لم تجد المناسبة لإعلانها إلا بعد أن دخل الخطاب القبطي النفق المظلم، وإليكم ما نقله عن الأب متَّى المسكين:

قال الأب متَّى المسكين: إن الكنيسة المسيحية لها مهمة واضحة يجب ألا تتجاوزها أبدًا، وهذه المهمة هي تخليص النفوس بالبشارة المفرحة وكلمات الرب.

وهو يرى أن تدخل الكنيسة حتى في الخدمات الاجتماعية يخرجها عن مهمتها، ويوقعها في متاهات ويورطها في مواقف تتعارض مع دورها.

وعندما سأله المحرر: ماذا عن علاقة الكنيسة بالمجتمع؟ قال: إن مهمة الكنيسة ألا تخدم المجتمع، ولكن أن تخدم الإيمان، وأن تخدم المسيح في أشخاص الخطاة والعرايا والأذلاء والمشردين -وكلما خرجت الكنيسة عن اختصاصات مسيحها، وبدأت تنزع إلى السلطان الزمني وتجيش العواطف والمشاعر باسم الصليب، وزاغت وراء أموال الأغنياء، وارتمت في أحضان أصحاب النفوذ، وحاولت الجمع بين السلطان الديني والسلطان الزمني، ودأبت على المطالبة بحقوق طائفية وعنصرية فشلت المسيحية في تأدية رسالتها، ودب فيها الخصام والنزاع والوهن، وأقفل في وجهها ملكوت السماء، وصارت في حاجة إلى من ينتشلها من ورطتها ويردها إلى حدود اختصاصاتها الأولى.

إن (متَّى المسكين) وهو يسعى إلى إنقاذ المسيح في إنقاذ كنيسته صارم في حدوده، إنه يرى حتى في ذلك الدور الذي تؤديه الكنيسة تحت عناوين من الخدمة الاجتماعية وغيرها خروجًا عن دور الكنيسة.

لماذا؟ لأن الخدمة الاجتماعية -هكذا يقول متَّى المسكين- إذ تشمل رعاية الشباب اجتماعيًا وتوجيههم، وتثقيف العمال، وفحص أحوالهم ومطالبهم، والعناية بالطلبة، وإقامة النوادي والمعسكرات، وترتيب المؤتمرات لبحث المشاكل الداخلية والخارجية للشباب، بل وإقامة المستشفيات والملاجئ تدخل في اختصاص نظام الحكم.

فإذا علمنا أن أي نظام للحكم لابد أن يكون له اتجاهه الخاص وخططه في التوجيه والرعاية الاجتماعية لجميع ما عنده من الفئات، فإنه يتحتم في جميع الأحوال أن تكون الكنيسة دارسة لنظام الحكم حتى يكون مخطط الكنيسة الاجتماعي موافقًا ومطابقًا لمخطط الحكومة، وإلا فالصدام بين الكنيسة والدولة أمر لا مفر منه.

أين إذًا تقع الحدود بين سلطان الكنيسة وسلطان الدولة؟ وإن متَّى المسكين يجيبنا في وضوح وصفاء نادرين: لا تماس ولا حدود لأن ملكوت الكنيسة هو ملكوت الرب، وملكوت السلطان هو الدنيوية، هو عالمنا الأرضي، هو حياتنا ونظامنا الاجتماعي، وما لقيصر لقيصر وما لله لله، هذه هي الحدود كما تجلت في قول المسيح:

إن أردنا الاستفاضة يجيبنا متَّى المسكين قائلًا:

إذا عجزت الكنيسة عن أن تضبط الإيمان بالإقناع والمحبة، وهرعت إلى الملوك والرؤساء لتستصدر منشورًا بالإيمان تكون قد أخطأت الطريق، إن الإيمان لا يحميه السيف ولا يحميه القانون، وإنما تحميه البشارة المفرحة وكلمات الرب والإقناع بكلماته.

وعندما احتمت الكنيسة في سيف قسطنطين الملك في القرن الرابع ليتولى حماية الإيمان بالسيف ماذا حدث؟ قاد قسطنطين حربًا صليبية في العالم رافعًا راية الصليب على ساري العداوة جاعلًا شعار الحياة هو نفسه شعار الموت، وربما لم يكن من العار أن يحارب أعداءه ولكن كان العار عليه -كل العار- أن يحارب أعداءه باسم الصليب.

إنه سيان أن تطلب الكنيسة القوة من السلطان الزمني أو تحض على الاستهتار بقوة السلطان الزمني، لأن في الأولى خروجًا على اختصاص الكنيسة، وفي الثانية خروجًا على منطق المسيح ووقوعًا في دينونة الله.

إن الحض على الاستهتار بسلطة الدولة متمثلة في السلطان الزمني، هو تشجيع للشر، لأن الكنيسة لا ينبغي أبدًا أن تأخذ موقف العداء من الدولة والوطنية، ومصدر الخطر أن الذين يلقنون الدين للجميع يبنون الفرقة والتحيز والانقسام والتكتل.

إن يسوع المسيح يقول: ليس سلطان إلا من الله، كما أنه يقول أعطوا الجميع حقوقهم، الخوف لمن له الخوف، والسلطان لمن له السلطان، والإكرام لمن له الإكرام، وبالتالي فإن تصرفات المواطن المسيحي فيما يختص بأمور السلطان الزمني لا تقع تحت سلطان الكنيسة، فالكنيسة لا تستطيع ولا ينبغي لها أن تستطيع أن تلفت نظر وزير أو

مسئول مسيحي في تصرفاته الحكومية، لأنه ليس تحت سلطانها، الكنيسة فقط تسأل المواطن المسيحي فيما يختص بإيمانه وعقيدته وسلوكه الروحي.

إن ذلك يؤدي إلى أن تكون حرية المواطن المسيحي مكفولة في التصرف وإبداء الرأي والاشتراك في كل ما يخص وطنه في كل الأمور دون أن تكون الكنيسة مسؤولة عن تصرفه، ودون أن تكون الكنيسة مسؤولة عن تقصير أبنائها في أدائهم الواجب الوطني، ودون أن توحي الكنيسة لأبنائها بالتزام خطة معينة بسلوك تصرف معين تجاه الدولة حتى لا تكون الكنيسة مسؤولة أمام السلطان الزمني عن تصرف زمني، لأن مسؤولية الكنيسة فقط أمام المسيح وهي مسؤولة فقط عن تصرفها الروحي.

وباختصار يقول متَّى المسكين: إن وطنية المسيحي وكل ما يتعلق بها من تصرفات خاصة وعامة سواء في الاجتماع أو الاقتصاد أو السياسة إنما تنبع من كيان المواطن لا من كيان الكنيسة، لأن الدولة هي المسؤولة في النهاية عن وطنية المواطن المسيحي لا الكنيسة أو رجال الدين.

إذا لم تكن تلك هي مهمة الكنيسة فما مهمتها على وجه التحديد؟

مرة أخرى يعيد متَّى المسكين على مسامعنا صوت بولس الرسول صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول إن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم: أنا!!!.

إن الأمر في رأيه وفي رأي بولس الرسول بالغ الخطورة، لأن الذين يحاولون أن يخرجوا الكنيسة عن مهمتها إنما يفعلون ذلك لعدم قدرتهم على الكرازة بالتوبة لتجديد الإنسان وخلاصه، لأن الخسارة التي سوف تجنيها الكنيسة من جراء ضم مواضيع جديدة للكرازة سوف تنتهي أخيرًا بانطفاء سراج المناداة بالتوبة لخلاص الخطاة.

إن القائمين على الكرازة فقدوا الطريق الموصل إلى قلب الإنسان، فأخذوا يدورون في متاهات جانبية بعيدة تمامًا عن مهمة الكنيسة، بل لقد ضيع هؤلاء بموقفهم ذلك

المفتاح المقدس الذي سلمه الرب يسوع إلى الكنيسة ليدخلوا به إلى قلوب الخطاة، لأن المفتاح الكبير الذي سلمه الرب إلى الكنيسة هو أن تفتح ملكوت السماوات للخطاة، ولكنها ضيعت المفتاح عندما انشغلت بأموال الدنيا وتلاهت عن خلاص الخطاة بمهمة أخرى.

إن هؤلاء ينسون أن المسيح لم يخلط أبدًا بين مملكة الله ومملكة الدهر، لأن محاولة الكنيسة الاهتمام بالأمور الزمنية باسم المسيح هو بمثابة تنصيب المسيح ملكًا على الأرض، كما أن تقوية سلطان الكنيسة بدعوى المطالبة بحقوق الجماعة هو رجعة لإقامة «ملك المسيا» كما يحلم به اليهود.

إنه فيما لو صُفِّي فكر الكنيسة من كل أطماع الدنيا، وفيما لو نفضت عنها كل الحقوق المطلوبة والحقوق المسلوبة، حينئذ ستذكر الكنيسة قول سيدها: «مملكتي ليست من هذا العالم»، ستتذكر أن التوبة ينبغي أن تكون شغل الكنيسة الشاغل لأنها رسالتها، فإذا رفعنا المناداة بالتوبة عن اختصاص الكنيسة لانشغالها بأمور زمنية أخرى لا يبقى للكنيسة من عمل آخر، لأنه ما من عمل يتم في الكنيسة إلا وأساسه في الأصل (تكميل التوبة لضمان الخلاص).

وإليكم بعض التعليقات:

أولًا- قد تقول الكنيسة في رجالها أو يقولون في كنيستهم وتبقى السمات العامة اللافتة للنظر، فأيام الأب متَّى المسكين ومن قبل كان حكم البابا كيرلس للكنيسة حيث لم تحدث مشاكل تذكر مع الدولة، أما الآن فلا يكاد يمر إلا وتسمع عن الاحتقان الطائفي والفتنة الطائفية!!

ورغم المكاسب التي تَحصَّل عليها النصارى مما لم يحدث مثله في ذي عهد سبق إلا أنهم يطمحون في تحقيق المزيد في تحدٍ واضح للدولة التي يسكنونها، أو حتى تسكن فيهم -كما يعبر البابا شنودة-، وصار البعض يستعدي الأمريكان والغرب على هذا

البلد بزعم حقوق الإنسان، هذه الحقوق التي لا يتحصل المسلمون على شيء منها في العراق وأفغانستان وفلسطين، وهنا وهناك، ونسى هؤلاء أن من يلعب بالنار تحرقه، فلم ينصفهم إلا المسلمون حتى على ظلم بني دينهم وقصة عمرو بن العاص ﷺ في فتح مصر شاهدة على ذلك، والنصارى هم أول من سيضيع حقه وأمنه إذا داهم الأمريكان الديار.

ثانيًا- نرفض ظلم النصارى، ولابد من إنصافهم وإعطائهم كافة الحقوق المشروعة، فالظلم ظلمات والعدل أساس الملك وبه قامت السموات والأرض ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، وربنا يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة.

وقد تعلمنا من دين الله جواز البيع والشراء مع أهل الكتاب، والتزوج من نسائهم، والأكل من ذبائحهم، وعيادتهم في مرضهم، وهديتهم وضيافتهم، ورحمتهم بالرحمة العامة كإطعامهم من جوع، وسقياهم من عطش، ومداواتهم من مرض، ومجادلتهم بالتي هي أحسن.

هذا العدل وهذا الإنصاف لا يتحقق وفق أهواء وآراء العلمانيين أو الوطنيين أو النصارى، ولكن وفق ما جاء في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله ﷺ، وبتطبيق عقود وعهود الذمة.

فالأمة المسلمة ينبث دستورها من دين ربها لا من أهواء وزبالات أذهان البشر، وإذا تحاكم إلينا النصارى حكمنا فيهم بشرع الله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

ولسنا بدعًا في ذلك، فالأمريكان الذين يستعدونهم علينا، يتحكمون في رعايا الدولة من المسلمين بدستورهم حتى في الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق، ولا يسمحون للمسلمين بالتحاكم بشريعة ربهم في أمريكا، وبعض البلدان الأوروبية

لا تسمح ببناء المساجد ورفع الآذان حتى يومنا هذا كإيطاليا وغيرها، رغم ادعاءات الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان.

ثالثًا. خطاب الأب متَّى المسكين يصلح -إن صلح- للنصارى، ولا يصلح للمسلمين جملة وتفصيلًا، فالإسلام يعلو ولا يُعلى، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، والإسلام دين ودولة، والخلافة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا به، فليس دينًا كهنوتيًا، ورهبانية هذه الأمة في الجهاد في سبيل الله، وهذا الدين يشمل كل ناحية من نواحي الحياة سياسية واقتصادية واجتماعية وأخلاقية، وسواء تعلقت بالمسجد أو السوق، بالحرب أو بالسلم، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، ودين الإسلام هو الذي رضيه -سبحانه- للعالمين دينًا من لدن آدم حتى قيام الساعة.

وشريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع، وعندما ينزل عيسى -عليه السلام- في آخر الزمان يحكم بشريعة الإسلام ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، فهو بذلك حاكم من حكام المسلمين.

وعندما يقف بين يدي ربه -سبحانه وتعالى- يوم القيامة، ويقال له: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وتكون إجابته: ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

فهو لم يقل لهم أنا الله، ولا ابن الله، ولا ثالث ثلاثة، ولكن قال لهم: «اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ» وشأنه في ذلك كشأن جميع الأنبياء والمرسلين.

وخطاب متَّى المسكين ينطبق عليه المثل السائر: «بعض الشر أهون من بعض»، وكنا نتمنى له ولغيره أن يُسلم وجهه لله فالإنجيل الذي بين يديه يأمر بذلك، والمسيح الذي يتابعه يدعوه للإيمان برسول الله ﷺ.

رابعًا- العلمانيون اللادينيون يطيب لهم الاستدلال بحديث متَّى المسكين وما شابهه، لأنه يكرس لدعوتهم المستوردة في فصل الدين عن الدولة، وحتى ينفردوا هم بقيادة البلاد والعباد بالدين الذي ابتدعوه واخترعوه، ونحن بدورنا لا نقبل الاحتجاج علينا إلا بكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب: ٣٦] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء: ٥٩]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

وقال النبي ﷺ يوم حجة الوداع: «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ؛ كِتَابَ اللهِ**» [رواه مسلم]، حتى لا نطلق على العلماء وصف رجال الدين ولا نفصل بين رجال الدولة وغيرهم ممن يسمونهم رجال الدين، ولا نساوي الأزهر بالكنيسة، ولا نضع شيخ الإسلام والبابا شنودة في سلة واحدة كما يفعل العلمانيون الذين لا خلاق لهم.

خامسًا: العلمانية والشيوعية والقومية أديان عند أصحابها، ومن عجيب الأمر أن تضيق صدور هؤلاء بشرع الله!! ويقيمون الدنيا ولا يقعدونها إذا سمعوا من يطالب بتطبيق الشريعة أو يُظهر شعائر إسلامه، ويستخدمون تعبيرات لا يفهمها معظم الناس كالليبرالية والدولة المدنية والثيوقراطية... في الوقت الذي لا يجد فيه العلماني مثلًا غضاضة في أن يحكمه شيوعي أو نصراني، وهذا وذاك صاحب عقيدة وقد يصبغ البلاد والعباد بهذه العقيدة كليًّا أو جزئيًّا، والشواهد على ذلك كثيرة، وكل إناءٍ بما فيه ينضح، والسلوك مرآة الفكر.

وأعجب من ذلك رفض النصارى لتطبيق الشريعة ومتابعتهم للعلمانيين وغيرهم، فالنصارى لا يملكون شريعة يطبقونها، ولا يعرفون تفاصيل يحكمونها في سياسة أو اقتصاد أو اجتماع، وهم لا يرفضون الأحكام الوضعية والنظم الشيوعية، فكيف يرفضون شريعة أرحم الراحمين؟!

والعلمانيون في رفضهم لتطبيق الشريعة يتعللون تارة بوجود أقليات غير إسلامية كالنصارى، وتارة أخرى بخطأ وقصور بعض المسلمين في التطبيق، وتارة ثالثة بازدهار حال الغرب وسوء حال المسلمين.

وكلها لا تصلح عذرًا لانصراف الدنيا عن دين ربها؛ فكل إنسان يُؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ والفارق كبير بين منهج الحق ومناهج الضلال والكفر، وليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه، وما ساء حال المسلمين إلا بسبب البعد عن دين ربهم.

والغرب في تطوره وتقدمه يصدق عليه قول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧]، لقد أنشأوا حضارة القلق وها هي أمارات ومقدمات الإفلاس والانهيار تلوح في الأفق، وتفاصيل ذلك تحتاج إلى مقالات مطولة.

سادسًا-أول من ابتدع اللاهوت والناسوت في شأن المسيح هو بولس وأول من ابتدع شارة الصليب هو قسطنطين، ويُقبل من متَّى رفضه للحروب الصليبية، وإن كان بوش والغرب يلوحون بها بين حين وآخر، وقد قام دين النصرانية على الصلب والفداء، وها هم اليهود قد استصدروا وثيقة من الفاتيكان تبرئهم من دم المسيح، ونحن نعتقد أن المسيح لم يُقتل بل هو في السماء الثانية ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨]، والنصارى من أشد الأمم اختلافًا في معبودها ونبيها ودينها:

يقول الإمام ابن القيم: «فلو سألت الرجل وامرأته وابنته وأمه وأباه عن دينهم لأجابك كل منهم بغير جواب الآخر، ولو اجتمع عشرة منهم يتذاكرون الدين لتفرقوا عن أحد عشر مذهبًا مع اتفاق فرقهم المشهورة اليوم على القول بالتثليث، وعبادة الصليب، وأن المسيح ابن مريم ليس بعبد صالح ولا نبي ولا رسول، وأنه إله في الحقيقة، وأنه هو خالق السموات والأرض والملائكة والنبيين، وأنه هو الذي أرسل الرسل، وأظهر على أيديهم المعجزات والآيات، وأن للعالم إلهًا هو أب والد، لم يزل، وأن ابنه نزل من السماء، وتجسم من روح القدس ومن مريم، وصار وهو ابنها الناسوتي إلهًا واحدًا، ومسيحًا واحدًا، وخالقًا واحدًا، ورازقًا واحدًا، وحبلت به مريم وولدته، وأخذ وصلب، وألم ومات، ودفن وقام بعد ثلاثة أيام، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه. قالوا: والذي ولدته مريم وعاينه الناس وكان بينهم هو الله، وهو ابن الله، وهو كلمة الله، فالقديم الأزلي خالق السموات والأرض هو الذي حبلت به مريم، وأقام هناك تسعة أشهر، وهو الذي ولد ورضع، وفطم، وأكل وشرب، وتغوط، وأخذ، وصلب، وشد بالحبال، وسمرت يداه.

ثم اختلفوا: فقالت (اليعقوبية): إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين: إحداهما: طبيعة الناسوت، والأخرى: طبيعة اللاهوت، وأن هاتين الطبيعتين تركبتا فصار إنسانًا واحدًا، وجوهرًا واحدًا، وشخصًا واحدًا، فهذه الطبيعة الواحدة، والشخص الواحد هو المسيح، وهو إله كله، وإنسان كله، وهو شخص واحد، وطبيعة واحدة من طبيعتين، وقالوا: إن مريم ولدت الله، وأن الله -سبحانه- قُبض، وصُلب، وسمر، ومات، ودُفن، ثم عاش بعد ذلك (وهذا مذهب النصارى الأرثوذكس، وهؤلاء عناهم -سبحانه- بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

وقالت (الملكية) وهي الروم نسبة إلى دين الملك: إن الابن الأزلي الذي هو الكلمة تجسدت من مريم تجسدًا كاملًا كسائر أجساد الناس، وركبت في ذلك الجسد نفسًا كاملة

بالعقل، والمعرفة، والعلم كسائر أنفس الناس، وأنه صار إنسانًا بالجسد والنفس الذين هما من جوهر الناس، وإلهًا بجوهر اللاهوت كمثل أبيه لم يزل، وهو إنسان بجوهر الناس مثل إبراهيم وموسى وداود، وهو شخص واحد لم يزد عدده، وثبت له جوهر اللاهوت كما لم يزل، وصح له جوهر الناسوت الذي لبسه من مريم، وهو شخص واحد لم يزد عدده، وطبيعتان، ولكل واحدة من الطبيعتين مشيئة كاملة، فله بلاهوته مشيئة مثل الأب، وله بناسوته مشيئة إبراهيم وداود.

وقالوا: إن مريم ولدت (المسيح)، وهو اسم تجمع اللاهوت والناسوت وقالوا: إن الذي مات هو الذي ولدته مريم، وهو الذي وقع عليه الصلب والتسمير، والصفع والربط بالحبال، واللاهوت لم يمت، ولم يألم، ولم يدفن.

قالوا: وهو إله تام بجوهر لاهوته، وإنسان تام بجوهر ناسوته، وله المشيئتان: مشيئة اللاهوت، ومشيئة الناسوت...

فأتوا بمثل ما أتى به اليعقوبية من أن مريم ولدت الإله، إلا أنهم بزعمهم نزهوا الإله عن الموت، وإذا تدبرت قولهم (وهذا قول النصارى الكاثوليك) وجدته في الحقيقة هو قول اليعقوبية مع تنازعهم وتناقضهم فيه، فاليعقوبية أطرد لكفرهم: لفظًا، ومعنى.

وأما (النسطورية) فذهبوا إلى القول بأن المسيح شخصان وطبيعتان، لهما مشيئة واحدة، وأن طبيعة اللاهوت لما وجدت بالناسوت صار لهما إرادة واحدة، واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصانًا، ولا يمتزج بشيء، والناسوت يقبل الزيادة والنقصان، فكان المسيح بذلك إلهًا وإنسانًا، فهو الإله بجوهر اللاهوت الذي لا يقبل الزيادة والنقصان، وهو إنسان بجوهر الناسوت الذي يقبل الزيادة والنقصان.

وقالوا: إن مريم ولدت المسيح بناسوته، وإن اللاهوت لم يفارقه قط.

وكل هذه الفرق استنكفت أن يكون المسيح عبد لله، وهو لم يستنكف من ذلك، ورغبت به عن عبودية الله، وهو لم يرغب عنها بل أعلى منازل العبودية عبودية الله، ومحمد

وإبراهيم خيرٌ منه، وأعلى منازلهما تكميل مراتب العبودية، فالله رضيه أن يكون له عبدًا، فلم ترض المثلثة بذلك!

وقالت (الآريوسية) منهم وهم أتباع آريوس: إن المسيح عبد الله كسائر الأنبياء والرسل، وهو مربوب مخلوق مصنوع. وكان النجاشي على هذا المذهب.

وإذا ظفرت المثلثة بواحد من هؤلاء قتلته شر قتلة، وفعلوا به ما يفعل بمن سب المسيح وشتمه أعظم سب.

سابعًا- بينما يتحقق المسلم بمفهوم الولاء والبراء فكيف الحب عنده في الله والبغض في الله، ولا يتقدم بين يدي الله ورسوله بقول أو فعل، فتوحيد الله عنده أهم قضية في الوجود، وهذه الدعوة هي دعوة جميع الأنبياء والمرسلين وهي دعوة التوراة والإنجيل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧]، وقال -سبحانه- لمن تعجب من ولادة المسيح: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقال: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [المائدة: ٦٨]

ومن الأصول الخمسة التي اتفقت عليها الشرائع عدم التقول على الله بغير علم، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، ولذلك فلسان حال المسلم: «**اللهم لك أسلمنا، وبك آمنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا، وبك خاصمنا، وإليك حاكمنا**».

وفي المقابل تجد العلماني وكثير من الحزبيين والسياسيين يغضون الطرف عن ذلك كله، فقضية القضايا عنده مثلًا محبة الوطن والاهتمام بالتنمية، حتى وإن كفر الخلق بالله -جَلَّ وَعَلَا-!، فهذا لا يشغله ولا يعنيه ولا يؤرقه، لا بأس عنده أن تكون لواطيًا أو

سحاقيًا أو مخمورًا أو راقصًا، المهم أن تتظاهر مثله بمحبة الوطن، وهذا مثال لا على سبيل الحصر، لتفاهة وسفاهة العلمانية وغيرها من المناهج الأرضية والمنحرفة.

يدمرون أنفسهم ويدمرون البلاد والعباد، ويظنون أنهم يُحسنون صنعًا، فكن من هذه المناهج ومن أهلها على حذر؛ فلدغة العقائد الفاسدة أشد من لدغة الحيات والعقارب؛ لأنها تخرب الحاضر، وتورث نيران الجحيم.

اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

الزمن الجميل

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فالجمال ينشده الكبير والصغير، والرجل والمرأة، وقد تتفاوت الأنظار فيه، والعجب في انقلاب الموازين وانفلات المعايير بحيث يصبح القبيح الدميم جميلًا أو العكس؛ مما يدل على طمس العقول والفطرة.

ونفس الأمر بالنسبة للسعادة فهي مطلب المسلم والكافر، والبر والفاجر، ولكن يسلك البعض لتحقيقها مسالك التعاسة والشقاء.

والنفوس مجبولة على محبة الشخص الجميل، والمكان الجميل، وأيضًا الزمن الجميل، وقد يكون لكل إنسان معياره ومقياسه الخاص به، فالزمن الجميل من البعض هو زمن الصبا، حيث الصفاء والبساطة، فلا مشاكل ولا تحمل للمسئولية، فمجرد تذكر مرحلة الطفولة البريئة يبعث على الارتياح، وعلى الاستغراق في الزمن الجميل الذي ولَّى وضَاع.

وأحيانًا يحكي البعض عن الأفلام والأغاني القديمة، ويحكي عن الفن والتمثيل والسينما التي تدهورت ويَحِنُّ لعودتها لسابق مجدها وعهدها، حيث زمن الفن الجميل.

وقطاعٌ عريض عنده ميول رياضية والرياضة المحببة هي كرة القدم، وكثيرًا ما تجري المقارنات بين مباريات الماضي والحاضر، وإتقان اللاعبين الذين انحدر، ومستوى الكرة الذي صار في الحضيض، مما يُشعرك بالحنين الجارف تجاه الماضي، فلا وجه شبه بين الحاضر البائس وزمن اللعب الجميل.

فإذا انتقلت إلى عالم السياسة وجدت الأحاديث والحوارات لا تنتهي عن انتهاك الحريات والديكتاتورية، وأساليب القمع والبطش، والمخرج من ذلك، والعلاج لهذه

الأوضاع المتردية يكمن في تطبيق الديمقراطية وإلغاء قانون الطوارئ والسماح بإقامة الأحزاب، ولابد من التذكير بالزمن الجميل الذي رفرفت فيه الحريات.

وهكذا أصبحت كلمة الزمن الجميل وَصْفة سحرية، ولبانة ترددها الألسنة بوعي وبغير وعي، وصارت أشبه شيء بحلم يحلو للإنسان أن يعيش في أجوائه.

وكنت قد قرأت مقال لإحدى الصحفيات تنعي الزمن الجميل، حيث كانت تعيش المرأة تشرب فيه الخمر، وتلعب القمار، وتصاحب الرجال إلى أن ظهر المتطرفون المتشددون الذين حرَّموا عليها الماء والهواء -على حد تعبيرها-.

ونحن بدورنا نحب الزمن الجميل، ولكنه يفترق عندنا عن غيرنا، فكل إناءٍ بما فيه ينضح، والمسلم له شأن وللناس شأن، والطيور على أشكالها تقع.

وليس شيء مما ذكرنا من نماذج وصور يقترب من الزمن الجميل الذي نعتز به، وحتى نميز بين الجميل والقبيح، ويصطلح كل فريق على حقه فلابد من التحاكم للميزان الذي لا يخطئ، وهو ميزان الكتاب والسُنَّة، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

فإذا تنازعت الأهواء والآراء حول الزمن الجميل، فلابد من رد حكم ما تنازعنا فيه لكتاب الله ولسُنَّة رسول الله ﷺ، فهذا الضابط هو الذي توزن به الأقوال والأفعال والمشاعر والأحاسيس، وهو الذي يميز به بين الجميل والقبيح والمقبول والمرفوض، وهذا مقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر.

فلا يجوز لأحد أن يتقدم بين يدي الله ورسوله بقول أو فعل، كما لا يصح لأحد أن يُحسِّن ما قبحته الشريعة، ولا أن يُقبح ما حسنته الشريعة.

من أجمل الأزمنة الزمن الذي ولد فيه الإنسان من جديد، فأسلم بعد كُفر، وتاب وأناب بعد معصية وإعراض، الزمن الذي أحس فيه بقلبه ورُدت عليه روحه، فقد كان أشبه بالجسد بلا روح ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام: ١٢٢]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورى: ٥٢].

ما أسعد اللحظات التي يصل فيها العبد بين الدنيا والآخرة، والأرض والسماء يعفّر جبهته بالتراب، ويصلي فيها لخالق الأرض والسماء ويناجي فيها ربه ويتذلل بين يديه ويتضرع لجنابه -سبحانه-: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨].

كان إبراهيم بن أدهم يقول: «لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف»، أي من اللذة والنشوة بسبب ذكر الله، وكان ابن تيمية يقول: «المحبوس من حُبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه»، وكان بعض الصالحين يقول: «إنه لتمر عليّ لحظات وكأن القلب يرقص فيها طربًا وشوقًا إلى الله، وما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله تعالى».

الزمن الجميل عندنا هو الذي تعرفنا فيه على واجب العبودية، وتابَعْنا منهج الأنبياء والمرسلين، وعلمنا أن المرجع والمآب إلى الله، وأن النفس إلى موت والمال إلى فوات، وأبصرنا في ضوء ذلك الإجابة على الأسئلة الحائرة: من خلقنا؟ ولماذا خلقنا؟ وإلى أين المصير؟ فقام الموفقون يعمرون اللحظات بطاعة الله ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، وكان لسان حالهم ينطق:

إن لله عبـــادًا فطـــنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لُجَّـــة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

الزمن الجميل هو الذي علم العبدُ فيه أن الأنفاسَ رأسُ ماله؛ فهَجَرَ حياة الرقص والغناء واللعب، وترك الأفلام والمسلسلات والمسرحيات، وعلم أن الموازنات لا تصح بين ضياع وضياع، ولا بين فساد وفساد، فالأفلام والأغاني القديمة والجديدة شر وبلاء.

سعدت النفوس يوم عمَّرت المساجد، وارتادت حِلَقَ العلم وتلاوة القرآن، واهتمت بأمر المسلمين في العراق وأفغانستان وفلسطين والشيشان، وإن في العبادة لشُغلًا.

الزمن الجميل الذي تركنا فيه العيش بمنطق أهل الجاهلية، فقد كانوا يقولون: اليوم خمر وغدًا أمر.

وقد صرنا اليوم نقول: ساعة لربك وساعة لنفسك، والساعة التي هي لله نصلي ونصوم فيها، والساعة التي هي للنفس نرقص ونغني، ونحيا مع كل شيطان مريد، حياة كلها تناقض أشبه بحياة أهل الجاهلية، وكيف تسعد النفوس بمعصية الله؟!

والله تعالى يقول: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٣- ١٢٤]

هذه النفس ربنا هو خالقها وهو العليم بما يسعدها ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، لا مانع من الترويح عن النفس بشيء مباح، كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «روِّحوا القلوب ساعة بعد ساعة؛ فإنها إن كلت عميت».

قال عمر رضي الله عنه: «علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثبًا»، وكان عليّ رضي الله عنه عدَّاءً، وكان سلمة بن الأكوع يسابق الخيل فيسبقها، وصارع النبي ﷺ ركانة فصرعه ثلاث مرات، وكان ركانة من مشاهير العرب بالقوة، «وكان النبي ﷺ **يمزح ولا يقول إلا حقًا، وكانت الحبشة تلعب بالحراب في المسجد، ويقول لهم النبي ﷺ: دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ**» [رواه البخاري].

وأين كرة القدم -التي نقارن بها بين زمان وزمان- من هذه الألعاب المذكورة. لا نغالي لو قلنا: إن كرة القدم من أسوأ الألعاب والرياضات.

وكذلك لا مانع عندنا من أخذ الزراعة والصناعة والهندسة والطب والعلوم النافعة من كل من أفلح، ولا حرج في المفاضلة بين عصور التقدم والقوة وعصور التخلف والضعف، ولم يكن التخلف بسبب غياب الديمقراطية، ولا الضعف بسبب قلة العدد والعتاد وضحالة التكنولوجيا العصرية، وما تخلفت الأمة ولا ضعفت إلا يوم تباعدت عن دينها، وهجرت العمل بكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، فالشريعة دعت المسلمين للأخذ بأسباب القوة في كل نواحي الحياة، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣]، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وفي الحديث: «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**» رواه أحمد، وصححه الألباني.

وعصور الرجعية والتخلف والظلام تُطلق على العصور الوسطى عند الغرب لا عند المسلمين؛ فالزمن الذي بُعث فيه رسول الله ﷺ هو أجمل الأزمنة على الإطلاق، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]

لقد زيّف الغرب حقائق التاريخ والجغرافيا، وانطلى ذلك على العميان، صيّرونا شرقًا وواقع الحال أننا في وسط الدنيا ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]، وأشادوا بالعصر الحديث بينما أطلقوا وصف القرون الوسطى والمظلمة على الحقبة التي بُعث فيها رسول الله ﷺ!!

إن الغرب اليوم يعاني إفلاسًا روحيًا، ولم تورثهم معاني التطور والتقدم المادي إيمانًا ويقينًا ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم: ٧]، أنشأت الثورة الصناعية حضارة القلق؛ فكثرت المصحات النفسية، وامتلأت المستشفيات العقلية بالنزلاء، وزادت الجرائم ونسب الانتحار، وها هم يعانون من مقدمات الانهيار الاقتصادي، فهل يصح بعد ذلك وصف العصر الحديث بالزمن الجميل؟!

لقد انتقل الغرب من تسلط الكنيسة بخزعبلاتها على العلم التجريبي وعلماء المادة، ومن محاكم التفتيش في القرون الوسطى إلى العصر الحديث بنكده وتعاسته، وهذا كله من جرَّاء البعد عن منهج الله، والبعض يحلو له أن يقارن رداءه بردائه وتعاسته بتعاسته ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

الزمن الجميل هو الزمن الذي وُلِدَ فيه الهدى فالكائنات ضياء، بُعث سيدُ ولد آدم على حين فترة من الرسل بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، ففتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلفًا، وبصَّر به من العمى، وهدى به من الضلالة، بُعث بعد أن أظلمت الأرض، وانمحى أو كاد نورُ الإيمان من الوجود، وكانت بعثته ﷺ في خير وأجمل بقاع الأرض مكة المكرمة، ولخير أُمَّة أُخرجت للناس، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وخير وأجمل الناس قرنه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.

تطيب الحياة إذا عمل فيها بطاعة الله تعالى، حتى وإن تقلب الإنسان بين عسر ويسر، ومنشط ومكره، ولا أصرح في الدلالة على ذلك من حياة الأنبياء والمرسلين ومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعلى العكس والنقيض فحياة اللاعبين واللاهين أشبه بسراب يحسبه الظمآن ماء، أو قل هي لذة ساعة وألم دهر.

ولما كانت الحياة ممتدة زمانًا ومكانًا أمامنا، ولا تقتصر على مجرد هذه اللحظات الفانيات، بل تمتد لأبد الآبدين، ومكانًا لجنة فيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كان على العاقل اللبيب أن ينشد الانتقال من زمن جميل إلى زمن

أجمل، ولذلك تراه يحرص على حياة الإيمان ويصنع كما فعل نبي الله يوسف بعد أن تولى زمام المالية بمصر، قال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، ولا ندري كم من الزمن سنمكث في قبورنا؟ وشتان بين من يُقال له: «**فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا**»، وبين من يقال له: «**فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا**» [رواه أبو داود وأحمد، وصححه الألباني].

فارق كبير بين من يتناول كتابه بيمينه، ويمر من على الصراط بسرعة البرق أو الريح أو الفرس، وبين من يتناول كتابه بيساره، وتخطفه كلاليب جهنم فتهوى به في قعرها، هذا يقال له: سعدت سعادة لا شقاء بعدها أبدًا، والثاني يقال له: شقيت شقاءً لا سعادة بعده أبدًا ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥]

فالدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، وهي دار من لا دار له، كان الإمام أحمد رحمه الله يقول: «يا دار تخربين ويموت سكانك، أشبه بعجوز شمطاء تزينت بكل زينة وسترت على قبح ودمامة»، أين قوم نوح وعاد وثمود؟ (وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا)، أين فرعون وهامان وقارون؟

فيا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به، واعلموا أن الدنيا لو كانت من ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى، لكان على العاقل اللبيب أن يؤثر الخزف الباقي على الذهب الفاني، فكيف والآخرة من ذهب يبقى، والدنيا من خزف يفنى ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا أخرانا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ



ادعاء الرفق بالحيوان
وأين الرفق بالإنسان؟!

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد أثار قرار مصر بقتل كل قطعان الخنازير الموجودة على أراضيها جمعيات الرفق وحقوق الحيوان، ووصفت الممثلة الفرنسية «بريجيت باردو» المعتزلة هذا القرار بأنه عمل جبان إلى أقصى الحدود، واعتبرت قتل كل هذه الحيوانات للقيام لاحقًا بتربية مكثفة أمر غير مقبول.

وكان قد سبق أن ناشدت منذ سنوات وضع حد للأساليب الوحشية -على حد تعبيرها-، والمعاناة الكبيرة للكلاب الضالة التي تسمم أو تُقتل بالرصاص، وأكدت أن الحيوانات التي كانت بالأمس تُحترم وتُرفع إلى مصاف الآلهة تعامل اليوم بأسوأ طريقة من قِبل المصريين بعدم اكتراث.

وترى أن هناك دولًا أقل ثراء من مصر عرفت كيف تتغلب إنسانيًا على مشكلة الكلاب الضالة من خلال التعقيم، مؤكدة أن مؤسستها تشارك في برامج من هذا النوع، ويمكن أن تقدم لنا خبرتها في هذا المجال.

وتتبنى هذه الممثلة قضية الدفاع عن الحيوانات منذ أكثر من ربع قرن، ولها مؤسسة تخصصت في ملاحقة المسيئين لها حيثما كانوا في العالم، وهذه الجمعيات موجودة في أوروبا وفي بلدان كثيرة من العالم ويحرصون على نشر الوعي لرعاية الحيوان والرفق به، بل وحبه، كما وضعوا القوانين التي تعاقب من يقسو عليه أو يسيء معاملته.

وأول جمعية أنشئت في أوروبا للرفق بالحيوان في انجلترا ١٨٢١م، ولا يخلو هذا الرفق من نوع من الخلط والادعاء، ويقودنا في الوقت ذاته إلى السؤال عن حق الإنسان المسلم، بل ونضيف أين الرفق بالإنسان الكافر.

وهذا يتطلب منا عدة وقفات:

أولًا- ادعاء الرفق بالحيوان عند الغرب لا يستحق منا أن نعتبره مقياسًا وميزانًا، أو أن ننظر إليه بانبهار؛ فلا يخلو عمل الكافر في هذا وغيره من نقص وتقصير.

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم):

والثاني- أن نفس ما هم عليه من الهدى والخلق قد يكون مضرًا أو منقصًا، فينهى عنه ويؤمر بضده لما فيه من المنفعة والكمال، وليس شيء من أمورهم إلا الزيادة والنقص، فمخالفتهم فيه: بأن يشرع ما يجعله على وجه الكمال، ولا يتصور أن يكون شيء من أمورهم كاملًا قط، فإذًا المخالفة لهم فيها منفعة وصلاح لنا في كل أمورنا، حتى ما هم عليه من إتقان أمور دنياهم، قد يكون مضرًا بآخرتنا، أو بما هو أهم منه من أمر دنيانا، فالمخالفة فيه صلاح لنا».

إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحقيقة الأمر أن جميع أعمال الكافر وأموره، لابد فيها من خلل يمنعها أن تتم له منفعة بها، ولو فرض صلاح شيء من أموره على التمام لاستحق بذلك ثواب الآخرة، ولكن كل أموره: إما فاسدة وإما ناقصة، فالحمد لله على نعمة الإسلام، التي هي أعظم النعم وأم كل خير كما يحب ربنا ويرضى». اهـ.

فلا صلاح حقيقي، ولا إصلاح إلا بالتمسك بدين الله، والرجوع لشرع الله، ولا تطور ولا تقدم يرضي الله -عَزَّ وَجَلَّ- إلا بأن نكون على مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، فهذا هو المنهج الذي يحقق لنا الحضارة بمفهومها الحقيقي، وليس بمعناها الزائف.

ثانيًا- لا معارضة بين الرفق بالحيوان والرفق بالإنسان، فلابد من سعة الأفق وشمولية النظرة، بل عند المعارضة فلابد من تقديم وتأخير وفق شرع الله، ولذلك نقدم الرفق بالإنسان.

وهذا الرفق الذي نحرص عليه لا ينبغي أن يقتصر على الصور المادية، بمعنى أن نهتم بالبدن في الوقت الذي ندمر فيه الروح كما هو صنيع العالم الغربي ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم : ٧].

فانتشار المعاصي والذنوب والشركيات والفلسفات الهدامة قد أورث الغرب ما يسمى بحضارة القلق، وهي حضارة آيلة للسقوط والانهيار شأنها في ذلك شأن قوم نوح وعاد وثمود.

إن الرفق بالإنسان الغربي يقتضي تعبيدَه بدين الله، ودعوتَه للاستقامة على كتاب الله وعلى سُنَّة رسول الله ﷺ؛ حتى يسعد في الدنيا والآخرة ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾[طه: ١٢٣- ١٢٤]

لقد وجد الناسُ في الغرب في الكلاب والقطط عوضًا عن الأبناء العاقِّين، فالأجدر أن تقام الجمعيات في الغرب لأسلمة الحياة هناك، رفقًا بالبلاد والعباد، لا أن يقتصر الأمر على جمعيات الرفق بالحيوان، وإذا كان هذا هو حالهم على أنفسهم وبني جنسهم، فكيف نطلب منهم الرفق بالمسلمين، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال تبارك وتعالى:﴿يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٦]، وقال عزَّ وجلَّ ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ ﴾[البقرة : ١٢٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ ﴾[آل عمران : ١١٨].

لقد بعثت أمريكا بقطع من الأسطول السادس لنجدة كلب في عرض المحيط، ولم يتورعوا عن قتل ملايين المسلمين في العراق وأفغانستان وفلسطين!!

قتلوا مليون طفل عراقي أثناء الحصار وبدماء باردة، ثم يتحدثون بعد ذلك عن حقوق الإنسان والرأفة بالحيوان!!

ثالثًا-الرفق بالحيوان يستدعي التفريق بين المؤذية وغيرها، فالضرر يُزال، والمحافظة على النفس من مقاصد الشريعة، وقد أباحت النصوص قتل المؤذي منها كالكلب العقور، والذئب، والحية، والعقرب، والفأر، وما إلى هذا؛ لقول النبي ﷺ: «**خَمْسٌ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِى الْحِلِّ وَالْحَرَمِ؛ الْحَيَّةُ وَالْغُرَابُ الأَبْقَعُ وَالْفَارَةُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ وَالْحُدَيَّا**» [رواه مسلم].

أما بالنسبة للخنازير فقد كانت من أعظم أسباب انتشار أنفلونزا الطيور، واليوم يتخوف من تحور الفيروس، وأن تكون السبب في انتشار وباء أنفلونزا الخنازير، فالشفقة على الخنازير من قبل جمعيات الرفق بالحيوان لا تنسينا الشفقة ببني الإنسان.

رابعًا-الإسلام أسبق في الدعوة للرفق بالحيوان، ولا يمكن أن يتحقق الأمر على وجهه إلا بالرجوع للكتاب والسُنَّة، فالناس في هذا وغيره بين إفراط وتفريط وإسراف وتقصير.

المسلم يعتبر أغلب الحيوانات خلقًا محترمًا، فيرحمها برحمة الله -تعالى- لها، ويلتزم نحوها بالآداب التالية:

١- إطعامها وسقيها إذا جاعت وعطشت؛ لقول الرسول ﷺ: «**فِى كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**» رواه البخاري، وقوله ﷺ: «**مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ**» رواه البخاري ومسلم، وقوله ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِى الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ**» [رواه الترمذي، وحسنه الألباني].

٢- رحمتها والإشفاق عليها لقول عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- لما رأى فتيةً قد اتخذوا حيوانًا -طيرًا- غرضًا (هدفًا) يرمونه بسهامهم: «**إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا**» رواه مسلم، ولنهيه ﷺ عن صَبْر البهائم أي حبسها للقتل، رواه مسلم، ولقوله ﷺ: «**مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا**»، قال لما رأى الحُمَّرة -طائر- تحوم تطلب أفراخها التي أخذها الصحابة من عشها. [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

٣- إراحتها عند ذبحها أو قتلها لقوله ﷺ: «**إِنَّ الله كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**» [رواه مسلم].

٤- عدم تعذيبها بأي نوع من أنواع العذاب سواء كان بتجويعها، أو ضربها أو بتحميلها ما لا تطيق، أو بالمثلة بها، أو حرقها بالنار، وذلك لقول الرسول ﷺ: «**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِى هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لاَ هِىَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلاَ هِىَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**» [متفق عليه].

وقد مرَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بقرية نمل -موضع نمل- وقد أُحرقت فقال: «**إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِى أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ**» -يعني الله عَزَّ وَجَلَّ-[رواه أبو داود، وصححه الألباني].

٥- إباحة قتل المؤذي منها كالكلب العقور، والذئب، والحية، والعقرب، والفأر، وما إلى هذا لقول الرسول ﷺ: «**خَمْسٌ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِى الْحِلِّ وَالْحَرَمِ الْحَيَّةُ وَالْغُرَابُ الأَبْقَعُ وَالْفَارَةُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ وَالْحُدَيَّا**» [رواه مسلم]، كما صح عنه كذلك قتل العقرب ولعنها.

٦- جواز وسم النَّعَم في آذانها للمصلحة، إذ رؤي ﷺ «**يَسِمُ بيده الشريفة إِبِلَ الصَّدَقَة**» [رواه البخاري].

أما غير النعم (وهي الإبل والغنم والبقر) من سائر الحيوان فلا يجوز وسمه لقوله ﷺ وقد رأى حمارًا موسومًا في وجهه: (**لَعَنَ الله الَّذِى وَسَمَهُ**) [رواه مسلم].

٧- معرفة حق الله فيها بأداء زكاتها إذا كانت مما يزكي.

٨- عدم التشاغل بها عن طاعة الله أو اللهو بها عن ذكره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩]، ولقول رسول الله ﷺ في الخيل: «**الْخَيْلُ لِثَلاَثَةٍ؛ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِى لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِى سَبِيلِ الله، فَأَطَالَ فِى مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِى طِيَلِهَا**

ذَلِكَ مِنَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كَانَتْ أَرْوَاثُهَا وَآثَارُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِئَاءً وَنِوَاءً لأَهْلِ الإِسْلاَمِ فَهْىَ وِزْرٌ عَلَى ذَلِكَ» [رواه البخاري ومسلم].

فهذه جملة من الآداب يراعيها المسلم إزاء الحيوان طاعة لله ولرسوله ﷺ، وعملًا بما تأمر به شريعة الإسلام، شريعة الرحمة، شريعة الخير العام لكل مخلوق من إنسان أو حيوان.

خامسًا. وردت النصوص تتحدث عن عالم الحيوان، وتبين عظيم قدرة الله في خلقه، وما في هذه النصوص من دلائل وإعجاز قد سيق مساق الهداية، قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]

قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥-٨]. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١]، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

وقد ذكر النبي ﷺ لأمته قيمة الرحمة بالحيوان، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِى بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِى كَانَ بَلَغَ مِنِّى. فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِىَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِى هَذِهِ الْبَهَائِمِ لأَجْرًا؟ فَقَالَ: فِى كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»** [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «**دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**» [رواه البخاري] ومسلم، فكيف بمن فعل مثل ذلك بالإنسان؟

وعلى هذا النهج في الرفق بالحيوان سار الأفاضل، وقد رؤي عمر رضي الله عنه يضرب رجلًا ويلاحقه بالزجر لأنه يحمّل جمله ما لا يطيق، وكان يقول: «لو ماتت شاة بوادي الفرات لسُئِل عنها عمر لِمَ لمْ يمهد لها الطريق يوم القيامة»، وقال ربيعة: «لا تذبح ذبيحة وأخرى تنظر إليها»، وقيل: عندما رحل عمرو بن العاص بجيش المسلمين الذي كان معسكرًا بالقرب من حصن بابليون إلى الإسكندرية لفتحها أمر بالإبقاء على فسطاطه (خيمته) منصوبًا لأن تقويضه كان سيضر بيمام عشش في سقفه مع صغاره.

سادسًا-قد يلجأ الغرب إلى صعق الحيوان صعقًا كهربائيًا، وقد تعتبر جمعيات الرفق بالحيوان أن الخنق هو الطريقة المثلى للتزكية!!

وهذا وغيره مما يخالف الشريعة المطهرة لا نلتفت له ولا نعول عليه، فقد كفانا -سبحانه- وأغنانا فقال: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال ﷺ يوم حجة الوداع: «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللهِ**» رواه مسلم.

لا يملك الغرب إلا مجرد الزعم والدعوى عندما يتكلمون عن حقوق الإنسان والرفق بالحيوان، مما يجعلنا نقول لهم: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فالعُملة الزائفة لا تروج على الله، وبضاعة الغرب المزجاة لا تروج إلا على أعشى البصيرة.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

خرق الاجماع بزعم الاجتهاد والتنوير والتطوير
(رد على الدكتور/ القرضاوي، والأستاذ/ جمال البنا)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فمع اشتداد موجات التحرر والمطالبة بحرية الرأي والفكر والتعبير ظهرت مصطلحات، مثل تطوير الخطاب الديني، وتحديث الفتاوى بما يلائم عصر التطور!!، ونطق لسان حال البعض أنه يملك الدين ليتصرف فيه وفق هواه، ويرقع به عوج الحياة.

وبالضبط كما فعلوا مع اللغة العربية تحت لافتة الكلمة الشهيرة التي قالها طه حسين يومًا: نحن نملك اللغة كما كان القدماء يملكونها، ولنا أن نضيف إليها ما تحتاج إليه من ألفاظ ومعان.

لقد صار الحبل على الغارب والتقلب على أشده، فلا ضابط ولا رابط، فالآيات يؤولونها إذا عارضت الأهواء، والسُنة يردونها حتى وإن كانت في الصحيحين ويزعم مخالفة العقل، لم يلتفتوا لإجماع ولا لغيره من أدوات الاستنباط.

ومن الحقائق الثابتة أن الغرب في مواجهته للإسلام الذي أسماه بمواجهة التطرف والإرهاب لم يعدم وجود البعض ممن يتكلم بلساننا وممن هو من جلدتنا؛ ليروج له بضاعته بزعم الاجتهاد والتنوير والتطوير والتحديث، ومن خالف ذلك استحق نعتًا من نعوت التنفير فهو متطرف، جامد، ظلامي، وفي أحسن أحواله: أصولي، ومن قبل كانوا يطلقون على هذه الفئة رجعية، ومتخلفين، ومتزمتين، وأصحاب هوس ديني.

ولم تعد الهجمة قاصرة على الملاحدة والعلمانيين، والمطالبين بالعيش في أجواء الانفتاح والتحرر الديمقراطي، وإن شئت قلت: ينشدون دنيا بلا دين، وبعدما كانت الدنيا أشبه بقرية صغيرة ثم حجرة صغيرة، أصبحت الآن أشبه بجهاز صغير، وتم تركيز

الأضواء على شخصيات بعينها، وخصوصًا فيما يبدر منها من زلات وسقطات تؤدي للتفلت والتحلل من كل خُلق ودين.

فجماعات المثقفين والعلمانيين والملحدين متربصة بالدين وأهله، فإذا رأوا سقطة توافق آراءهم فصاحبها مستنير ومعتدل، وإذا رأوا عكس ذلك فصاحب الفتوى منغلق ومتشدد لا يتواكب مع العصر، وربما ضربوا الطبل وسارت الركبان بمسائل مثل رُضاع الكبير، وبول النبي ﷺ، همزًا وغمزًا ولمزًا.

لقد خلعت ألقاب وجوائز عالمية من جهات مشبوهة وتصدر بعض هذه الشخصيات قوائم الشهرة على مستوى الدنيا، وقديمًا قالوا: ما خان أمين قط، ولكن أؤتمن غير أمين فخان.

وقد وردت الأخبار الكثيرة توضح ضياع الأمانة، ومن علامات الساعة أن يؤتمن الخائن ويُخَوَّن الأمين وينطق الرويبضة وهي السفيه يتكلم في أمر العامة، وأن يلتمس العلم عند الأصاغر، وهم أهل البدع، كما قال ابن المبارك.

نحن لا نتهم أحدًا بعينه بالعمالة للشرق أو الغرب، أو أنه دأب على تحليل الحرام وتحريم الحلال. لا نقول بأن فلانًا ممن باع دينه بدنيا لا بقاء لها ولا وفاء أو بدنيا غيره، أو أنه يتعمد خرق الإجماع.

ومع إحسان الظن وتلمس العذر تبقى النصيحة، ووضع النقاط على الحروف؛ حتى يصطلح كل فريق على حقه وخصوصًا في وقت كثرت فيه المسائل المثيرة للجدل، والمنسوبة لبعض مشاهير العصر مثل القرضاوي وجمال البنا.

ولا يسعنا هنا تتبع المسائل والرد التفصيلي عليها، ولكن نركز على فتاوى وصور معينة توضح ما نهدف إليه، وما نريد الاتفاق عليه:

أولاً- مناسبة هذا الحديث:

ما جاء في جريدة الدستور الخميس ٢٧ من ربيع الآخر ١٤٣٠هـ في الصفحة الأولى تحت عنوان: «القرضاوي يعترف... كتمتُ بعض الفتاوى تجنبًا لهياج العامة وتشويش الجامدين، الشيخ أبو زهرة أخفى ٢٠ عامًا بعدم جواز رجم الزاني المحصن؛ لأنه كان شريعة يهودية ونُسخت في سورة النور، كاشفًا أنه كان له رأي في مصافحة الرجل للمرأة، ووصل إليه ولم ينشره إلا بعد سنوات خشية أن يشوش الناس عليه، مشيرًا إلى أنه يرى جواز مصافحة الرجل للمرأة بشرطين، هما: أن تكون هناك ضرورة، وحال أمنت الفتنة، وضرب مثلًا لفتواه بما يحدث له عند زيارة قريته صفط تراب، وتستقبله قريباته بنات العم، والخال، والجارات، وهن يمددن أيديهن، فيضطر لمصافحتهن، واعتبر أن الفتنة مأمونة في تلك المصافحة بحكم القرابة وكبر السن، وليس من اللائق رد يد القريبة أو الجارة الممدودة يدها بالسلام، موضحًا أنه لم يجرؤ على نشر الفتوى لسنوات... وجاء ذلك في معرض حديثه عن الشجاعة الأدبية والعلمية».

وقال: «إن هناك علماء متحررين يسيرون وراء الدليل وليس وراء فلان أو علان»

ثانيًا- يا ليته فعل وظلت الأهواء والآراء الساقطة حبيسة النفس، حتى ينتقل إلى ربه ولم ينشرها في كتابه فتاوى معاصرة، ويعتبرها شجاعة علمية وأدبية، وأن العلماء المتحررين يسيرون وراء الدليل، سامحه الله وغفر له على السيل المنهمر من المخالفات الشرعية.

فالنبي ﷺ لم يصافح النساء وما مست يده امرأة، وما بايع النساء إلا كلامًا، كما قالت أم المؤمنين عائشة ~~رضي الله عنها~~، وقال النبي ﷺ: «**لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**» رواه البيهقي والطبراني، وصححه الألباني، فتواطأ القول مع الفعل على النهي عن مصافحة المرأة الأجنبية كالجارة وبنت العم وبنت الخالة.

ولكل ساقطة لاقطة، فالمرأة قد تُشتهى حتى وإن كانت كبيرة في السن، والرجل يتزوج ممن هي في عمر أحفاده، وملامسة الرجل تفترق عن ملامسة المرأة شرعًا وطبعًا.

وهل الضرورة التي ذكرها كضرورة أكل الميتة للمضطر؟ أم أن الغربة والجهالة علاجها في النصيحة وتوضيح المفاهيم لا في إقرار المنكر والتلبيس على العامة، والتكريس للمخالفات؟

وما هي حدود أمن الفتنة فيما فعل وضوابط الضرورة الشرعية؟

هذا مثال لا على سبيل الحصر، وإلا فالسيل المنهمر من المخالفات لا يكاد يتوقف.

ولا ينبغي الرد التفصيلي هنا على هذه المسألة أو غيرها، بقدر ما نضع أيدينا على مناهج البعض ممن اشتهروا في عالمنا المعاصر.

والشيخ القرضاوي إن لم يجد واحدًا من الأولين يدلل به على المخالفة التي يسميها شجاعة أدبية وعلمية، قد لا يعدم واحدًا من المتأخرين أو المعاصرين كأبي زهرة الذي أخفى ٢٠ عامًا بعدم جواز رجم الزاني المحصن، يقول: لأنه كان شريعة يهودية ونُسخت في سورة النور!!!

فالرد بكل بساطة: اتفق الفقهاء على وجود رجم المحصن الثيب، ورَجَمَ النبي ﷺ ماعزًا والغامدية، وقد ثبت الرجم بالسُنة المتواترة المجمع عليها، وأيضًا ثابت بنص القرآن. راجع في ذلك أي كتاب من كتب الفقه المعاصرة أو المطولة؛ لتدرك آخر صور التفلت والتحلل.

ثالثًا- بوابات هدم الدين كثيرة، منها الطعن في الصحابة الذين هم نقلة الشريعة، ومنها الطعن في السُنَّة، ومنها تجميد العقل ورد النصوص لتوهم مخالفتها لزبالات الأذهان، ومنها ما يسلكه القرضاوي وأمثال جمال البنا -بقصد أو بغير قصد، وبوعي أو بغير وعي- بأن يضع الإنسان من رأيه وهواه واستحسانه دينًا لنفسه ولغيره في عصر البريق والشهرة والأضواء الإعلامية فهذه طامة منهجية.

قد نحاور القرضاوي فيما ذكره مؤخرًا ونحاوره قبل ذلك في استحسانه تولية الكافر إمرة المسلمين مخالفًا بذلك إجماع العلماء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، والإسلام يعلُو ولا يُعلى.

ونحاور جمال البنا في إنكاره حد الردة وغير ذلك من القضايا التي لا تنتهي، فكل يوم نسمع جديدًا مما يخالف الكتاب والسُنَّة وإجماع علماء الأمة، فتاوى ومسائل لم يقل بها الأولون والآخرون تُحدِث صخبًا وضجيجًا في وقت لا يحتمل إشغال الأمة وإضاعة جهودها.

وبطريقة: «رمتني بدائها وانسلت» سيتهمون المخالف بالجمود والتحجر والتخلف، وعدم الاهتمام بأمر المسلمين، والانشغال بسفاسف الأمور، وهكذا تضيع المعالم والحقائق في زحمة الغبار الذي يثيرونه.

رابعًا- من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ، وفي الحديث: «**اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّى إِلاَّ مَا عَلِمْتُمْ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ وَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**» [رواه الترمذي، وقال حسن صحيح].

وكان عمر رضي الله عنه يقول: «إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السُنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها واستحيوا حين سُئلوا أن يقولوا لا نعلم، فعارضوا السُنن برأيهم فإياكم وإياهم».

لا يجوز العمل بزلات العلماء، فلكل جواد كبوة ولكل عالم زلة، وما كل خلاف جاء معتبرًا، وكل إنسان يؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ.

كما لا يجوز أيضًا تتبع رخص المذاهب، فمن تتبع رخص المذاهب تجمع فيه الشر كله كما قال العلماء، وإذا اختلف العلماء على قولين في مسألة أو تفسير آية، فلا يجوز استحداث قول ثالث، لأن هذا بمثابة خرق للإجماع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾

[النساء: ١١٥]

وإجماع العلماء المعتبرين في عصر من العصور على حكم شرعي لا يجوز مخالفته ولا نقضه، فالأمة لا تجتمع على ضلالة.

إن أبواب الاجتهاد مفتوحة لمن تأهل وحصل على أدوات النظر في الكتاب والسُنَّة، ولا اجتهاد مع النص.

خامسًا- خطأ القرضاوي وأمثال جمال البنا خطأ منهجي لا يقتصر على المسائل التفصيلية التي يتكلمون بها كل يوم، وما المسائل المثيرة للجدل عندهم إلا بمثابة أعراض المرض، هذا المرض هو الانحراف عن فهم سلف الأمة للكتاب والسُنَّة، فكل خير في اتباع من سلف... وكل شر في ابتداع من خلف، وما لم يكن يومئذٍ دينًا فليس باليوم دينًا، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، كما قال إمام دار الهجرة الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ.

لقد أثنى الله تعالى على الصحابة الكرام فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال النبي ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» [رواه البخاري].

وقد أثنى ابن مسعود على إخوانه فقال: «كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا»، وقالوا: كل عبادة لم يتعبدها صحابة رسول الله ﷺ فلا تعبدوها.

إن التطوير والتحديث لا يتم بخرق الإجماع، ومصادمة النصوص، وابتداع أمور لم يأذن بها الله؛ فالعبادات توقيفية تؤخذ دون زيادة أو نقصان، أما المعاملات فالأصل فيها الإباحة إذا روعيت ضوابطها الكلية.

فلنتطور في صنع الطائرة والصاروخ، فالأخذ بأسباب القوة كائنة ما كانت حتى لو امتلكنا سلاحًا نوويًا، وهذا لا يعني أن نهجر إسلامنا، أو أن نقول بمصافحة المرأة الأجنبية وتولية المرأة الإمامة العظمى، وتولية الكافر إمرة المسلمين، وإلغاء حد الردة، وإبطال الحدود الشرعية ومنها رجم الزاني المحصن.

لا داعي للخلط بين المسائل، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وأخذ العلوم النافعة من كل من أفلح فيها لا بأس به، فتعلم الزراعة والصناعة والهندسة والطب تؤخذ من هنا أو هناك، أما علوم الهداية فلا تؤخذ إلا من الكتاب والسُنَّة.

إن القرضاوي وجمال البنا ليسا من أهل الاجتهاد والنظر، إنما من أهل الرأي والهوى، وعلى من أراد أن يتعلم دينه فليرجع لعلماء الأمة المعتبرين في فهم الكتاب والسُنَّة، ولا ينبهر بلافتات مثل رئيس اتحاد علماء المسلمين، فما أيسر أن يُطلق الإنسان مثلها على نفسه أو يطلقها عليه أحبابه وأتباعه، في وقت صارت الدكتوراة تؤخذ من جامعات تتساهل في منحها.

وقد لا يعنينا الأشخاص ويبقى الزود عن حمى الشريعة المطهرة، وقد قدم الإمام أحمد وعلي بن المديني مَن منهجه الكتاب والسُنَّة وإن أخطأ على من منهجه الكلام حتى وإن أصاب؛ فإن الثاني قد حاد عن طريقة من مضى بإحسان، وإن أصاب الحكم مرة أخطأه عشرات المرات، أما الأول فيصدق عليه قول النبي ﷺ: «**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**» [رواه البخاري ومسلم].

سادسًا- ما قيمة أن تُرضي الناس بسخط الله؟ وما قيمة أن يرضى عنك الملاحدة والمثقفون والغرب وتخسر ربك ودينك ونفسك؟ قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وفي حديث الحوض «**وَإِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِى يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ أَصْحَابِى أَصْحَابِى، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**» [متفق عليه].

امضِ على طريقة سلفك الصالح فإنهم عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا، واعلم أن طريقهم أسلم وأعلم وأحكم ممن جاء بعدهم، وهذا المنهج يكفيك في هذه المسائل وغيرها في جميع شئون الحياة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو أخلاقية.

سابعًا- خرق هؤلاء للإجماع وهجرانهم لمنهج أهل السُنَّة والجماعة في الاستنباط والاستدلال يذكر بتخطئه البعض لتغطية الوجه والكفين وتجريم الختان، فهذه المسائل دائرة بين الوجوب والاستحباب، يذكرنا كلامهم وطريقتهم بالصوفية الذين اعتمدوا الكشوفات والمنامات والفتوحات، والمعتزلة الذين قدموا العقل على النقل مخالفين بذلك منهج أهل السُنَّة والجماعة في تقديم الوحي، فما وافق الكتاب والسُنَّة قُبِلَ، وما خالف ذلك مردود على صاحبه كائنًا من كان، وشيخ الإسلام حبيب إلى أنفسنا والحق أحب إلينا منه.

يذكرنا كلامهم بما حدث يومًا من خلاف حول كتاب تيسير الوحيين بالاقتصار على الكتاب مع الصحيحين، فقد رفضنا الكتاب لقصوره المنهجي لا لمسائله التفصيلية، وذلك لأن استنباط الأحكام يتم بالرجوع لكل ما صح وثبت عن رسول الله ﷺ سواء عند البخاري ومسلم أو عند غيرهما، فهناك حد للحديث الصحيح يُعول عليه، والحديث الحسن على مداره معظم الأحكام، وهناك أحاديث صحت على شرطي البخاري ومسلم ولم يخرجاه في الصحيحين، باعتباره أصح كتاب بعد كتاب الله، ولا تستبعد أن يأتي من يقول: أنا أقتصر على القرآن فقط كطائفة القرآنيين.

ولا نستبعد أيضًا أن يأتي أمثال جمال البنا ليفسر الآيات بهواه، ويكذب بالسُنن حتى وإن كانت في الصحيحين، ولا يلتفت لكتاب تفسير أو فقه أو إجماع، فكيف يؤخذ علم عن أمثال هؤلاء؟ وقد قال العلماء لا يحل للإنسان أن يتكلم في دين الله حتى يتعرف على ما أجمعوا عليه، وما اختلفوا فيه حتى لا يخرق الإجماع المعتبر.

ثامنًا- قد يرى القرضاوي وأمثال جمال البنا في خرقه الإجماع، والقول على الله بغير علم، ومصادمة الكتاب والسُّنَّة، وما كان عليه سلف الأمة بآراء وأهواء ضالة مضلة يسمونها اجتهادات؛ لتحديث وتطوير الخطاب الديني، ولمواكبة تقدم العصر.

وقد يعتبرون ما ذهبوا إليه اكتشافات واختراعات جديرة بالفخر، وينظرون لأمثالنا نظرة احتقار وامتهان وجمود، وسنظل نردد بإذن الله أنه لا يسعنا ولا يسع غيرنا أن نغير ولا أن نبدل في دين الله ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ﴾[يونس: ١٥].

إن الرجوع للحق فضيلة وجحده رذيلة، والحق ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام، وإذا كان الثبات على ذلك جمود وتخلف فهي تهمة لا ننفيها وشرف لا ندعيه.

إن الخلافة التي بشرنا بها النبي ﷺ ستكون خلافة على منهاج النبوة، وليست خلافة عقلانية ديمقراطية غربية، فاستقيموا يرحمكم الله، وراجعوا أنفسكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله.

ونسأل الله تعالى لنا ولكم ولجميع المسلمين الهداية والسداد والرشاد، وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أعمارنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقاه.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

الشـادور

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد كتبت صحفية تحذر من انتشار الشادور، وهو رداء عبارة عن قطعة واحدة يغطي الجسم من الرأس إلى القدمين عدا الوجه والكفين، وتقول: «يا نساء مصر أفقن من الغفلة؛ فأنتن تحملن رايات الغزو الثقافي الإيراني والشيعي داخل المجتمع المصري... ليس فكرًا فقط ولكن زيًّا أيضًا».

وذكرت أنها ليست ضد الحجاب -رغم أنها صحفية متبرجة-، ولكنها ضد الشادور الإيراني، وتعجبت الكاتبة مما حدث للشارع المصري، فقد تغير شكل الناس، وتبدلت ملامحهم فلم تعد تعرف هل أنت في شارع مصري أم في شارع أفغاني أم في شارع خليجي أم في شارع إيراني؟

قالت: «إنه انسحاق الهوية المصرية لصالح ثقافات أخرى تسربت إلينا رويدًا رويدًا حتى تغلغلت متخذة شعار الدين الذي يخشى الكل الاقتراب منه ولو بالتفكير أو التحليل... فلو فعلت فأنت كافر».

وأوضحت أنها لا تتحدث عن الحجاب، فالحجاب له أشكال وألوان عدة، بل أصبحت له موضات جذابة وأنيقة، وكلامها عن ملبس دخيل لا علاقة لنا به، فقد كانت المرأة المصرية مشهورة في أوائل القرن الماضي بالبرقع الأبيض الذي حررها منه قاسم أمين، وفي السبعينيات والثمانينيات خرج المصريون إلى الخليج، وعادوا إلينا بتقاليد وأزياء جديدة غريبة علينا... بدأت بالعباية السوداء للمرأة والجلباب السعودي للرجل، ثم ومع نهاية التسعينات وبداية الألفية الجديدة ظهر الشادور الإيراني.

وحذرت الكاتبة من تجار الشيعة الذين بدأوا في شراء محال بأسماء مستعارة لترويج الشادور الإيراني باستثمارات تصل إلى ٥٠ مليون جنيه، وأنه ساعد على انتشاره رخص

ثمنه، وظهوره على هذا النحو بمثابة انتصار للمد الشيعي في الشمال الإفريقي خاصة مصر، وأن الشيعة يدخلون إلينا تارة من بوابة حزب الله ومناصرة أهل غزة، وتارة من الكتب التي تطبع في مطابعنا وتوزع في المساجد، وتارة من الملبس، وتارة من مناصري السينما الإيرانية.

وتساءلت: «هل فقدنا هويتنا إلى هذا الحد؟ هل أصبحت ثقافتنا رخوة هشة تمتص كل ما يرسل إليها بدلًا من كوننا مركز إشعاع للحضارة والثقافة؟ نصدر فكرنا ولهجتنا وثقافتنا وفنوننا وحتى ملبسنا»!!

واعتبرت الشادور في النهاية بمثابة انتصار للتيار الإيراني الشيعي في غزو العقل المصري، والبيت المصري، والمذهب السُني المعتدل، وإنه سيف إيراني يغمده الآخرون في صدورنا وهويتنا.

ولنا عدة تعليقات على هذا الكلام:

أولًا- نتمنى لنا وللكاتبة ولعموم الخلق أن نرجع للكتاب والسُنة في تقييم الشادور والحجاب المصري والأفغاني والخليجي، وأن نستصحب ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة الكرام في ضبط الفكر الشيعي والهوية المصرية، وأن نكون على بصيرة من أمرنا وأمر الناس في الحديث عن قاسم أمين والبرقع الأبيض الذي حرر المصرية منه، وضوابط القبول والرفض في كل ما ذكرته الكاتبة.

ولا تستبعد أن يبادر البعض باتهام الكاتبة بأنها تروج لفكر إباحي غربي، وتكرس لثقافة العُري بتبرجها، ويقول لها: أفيقي فأنت تحملين رايات الغزو الثقافي الغربي داخل المجتمع المصري.... ليس فكرًا فقط ولكن زيًا أيضًا.

ثانيًا- الكلام عن الهوية المصرية كلام قديم يُصب في قوالب عصرية، فالهوية، والبيئة، والنشأة، والعُرف، والعادة بما فيها من رقص وغناء، وأزياء، وأعياد، وطباع، وموروثات تصبح هي الميزان والمقياس، وضابط القبول والرفض عند المصريين، ويُقال

مثل ذلك عند السوريين والعراقيين والسودانيين والبابلية والفينيقية، وترفع رايات الوطنية هنا وهناك، فدوافع هؤلاء جميعًا للمحافظة على التقاليد والعادات والهوية هي محبة الأوطان وحمايتها من الأفكار الدخيلة بزعمهم.

وهم في ذلك يخالفون العقول السليمة والفطرة المستقيمة، كما أنهم يصادمون الكتاب والسُنَّة، ولا يلتفتون لإسلامهم إلا بالقدر الذي يوافق أهوائهم وآرائهم، ويروجون للأفكار الدخيلة وسط المجتمع المسلم.

وإذا كان البعض يُشهر سلاح التكفير في وجوههم، فهم يشهرون سلاح الخيانة الوطنية لمخالفيهم، وكأن محبة الأوطان تكمن في الدفاع عن الرقص والاختلاط والغناء والعُري الموجود!!

ثالثًا- الحق أبلج والباطل لجلج، وعلى الحق نور، والحق ما وافق الكتاب والسُنَّة، ويؤخذ من كل من جاء به، والباطل مردود على صاحبه كائنًا من كان، وما احتج صاحب بدعة على بدعته بدليل إلا وكان في الدليل ما يُرد عليه ويُدحض بدعته.

وهؤلاء العصرانيون يريدون قطع الأمة عن دين ربها ويدمرون وحدة الأمة بالوطنيات والقوميات، ويقدمون الهوية والأزياء والعادات على ما جاء في الكتاب والسُنَّة، ويظنون أن التطور والتحضر والتقدم في اللحاق بركاب الغرب، وقطع الصلة بالإسلام، والتهكم بمعانيه، فيصف بعضهم الحجاب بأنه حجاب للعقل، ويرمون دعاة الإسلام بأنهم أصحاب الفكر الظلامي الرجعي، أما المتحلل من كل خُلق ودين فهو المستنير المعتدل!!!

ولا ندري كيف تستنير العقول بالمعاصي والذنوب؟ وكيف تتطور البلاد بالرقص والغناء؟ وهل يليق بالعقلاء ومحبي الأوطان أن يأخذوا من الغرب العُري والخلاعة والاختلاط تاركين ومهملين الطب والهندسة والصناعة والزراعة وسائر أسباب القوة؟!

إن العفن الماضي المتمثل في الحضارات الهالكة كالفرعونية والبابلية، والعفن الحاضر المتمثل في الحريات والديمقراطيات ينبغي العمل على إزالته وطمس معالمه، لا الحنين إليه والترويج له.

ينبغي أن يغضب الإنسان إذا انتُهكت محارم الله، وأن يكون آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر لا العكس، وأن يوالي أولياء الله ويعادي في الله، ويُحب في الله ويبغض في الله، لابد من إحكام مفهوم الولاء والبراء، فالأنبياء والمؤمنون الخُلص نتقرب إلى الله بمحبتهم من كل وجه، كما نتقرب إلى الله ببغض الكافرين من كل وجه، حتى وإن كانوا مصريين، أما المسلم العاصي فإنه يُحب لإسلامه ويُبْغَض لمعصيته.

إن الحضارة الحقة هي التي تقوم على تعبيد الدنيا بدين الله، ولا طاقة لأحد بحرب الله، وعلينا أن نأخذ الدرس مما حدث لقوم نوح وعاد وثمود، وما حدث للفراعنة، وما يحدث الآن في أمريكا وأوروبا، وأن ننأى بأنفسنا عن التشبه بأبي جهل وأبي لهب، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها.

يجب أن نعتز بإسلامنا، ونطالب بإظهار شعائر ديننا، ونفرح بظهور الحق وأهله، ونعلم «أن الله لا يصلح عمل المفسدين»، ولا يضيع أجر المحسنين، وأن العاقبة للمتقين، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]

قد يَرُوجُ قَلْبُ الموازين على البعض وفي بعض الأوقات، ولكن لا يمكن أن يروج الباطلُ على الكل وفي كل الأوقات، وكان عمر رضي الله عنه يشكو إلى الله جلد الفاجر وعجز الثقة.

كان أجدر بالكاتبة أن تحافظ على الدين وشعائره بديلًا عن الحماسة الفارغة للمحافظة على ثقافة وهوية الضياع والعُري والاختلاط.

رابعًا- الشادور الإيراني، والنقاب الخليجي، والحجاب الأفغاني، والزي المصري، لابد من ضبطه بكتاب الله وبسُنَّة رسول الله ﷺ.

وقد وردت النصوص الشرعية تدل على أن ا لحجاب يضرب من الرأس حتى القدم، ولا يصف حجم العظام، ولا يشف عما تحته من البدن، ولا يكون ثوب شهرة، ولا زينة، ولا يشابه زي الرجال، ولا زي الكافرات.

ويشرع تغطية الوجه والكفين بين قائل بالوجوب وقائل بالاستحباب، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**» [رواه مسلم].

وهذا الحديث من دلائل النبوة، فقد قيل في وقت كانت تخرج فيه المرأة للسؤال عن صغيرها وهي منتقبة، وحكى الحافظ ابن حجر قال: لم يزل الأمر منذ عهد رسول الله ﷺ على خروج النساء في الأسفار وإلى الأسواق منتقبات.

ثم وصل الحال بالكاسيات العاريات إلى ارتداء ما يسمى بملابس البحر في زماننا، ولعل البعض يرى هذا الانحلال هو قمة التطور والرقي وانتزاع الحريات التي سلبها الجمود والتخلف!!

وقد لعن النبي ﷺ «**المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة**» [رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني]، وورد في الخبر «**لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ**» [رواه البخاري].

تشابه الظواهر يجر لتشابه البواطن، وفي تشبه المرأة بالرجل تارة، وبالكافر تارة أخرى، وبالفاجرات تارة ثالثة، خروج عن الفطرة المستقيمة وتباعد عن مقتضى العقول السليمة وتعدٍ للشريعة المطهرة، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]، والواقع يُؤَيِّدُ... فلِمَ اللهاث وراء الدعوات الغربية المنحلة؟

وقولنا في الأزياء هو قولنا في الفكر، واللهجة، والثقافة، وسائر صور الإشعاع الحضاري التي تريد الكاتبة تصديرها للآخرين، وتعتبر من مظاهر الانسحاق أن نقبلها من الخليج أو من هنا أو هناك، فالمفترض أن ندور مع إسلامنا حيث دار، وأن نقبل الحق من كل من جاء به، فلسنا معصومين، ونظرات الاستعلاء التي يتكلم بها البعض تعبر عن مراهقة ينبغي أن ننأى بأنفسنا عنها، وقد كان الإمام الشافعي يقول: «معي صواب يحتمل الخطأ، ومع خصمي خطأ يحتمل الصواب»، وقال: «ما ناظرت أحدًا إلا وأحببت أن يجري الحق على لسانه».

قال رسول الله ﷺ: «**لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أبيض على أسود، ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى. الناس من آدم وآدم من تراب**» [صححه الألباني]، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

نريد أن نتفق على كلمة سواء، وهي ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وأن ترتفع أصواتنا جميعًا هنا وهناك تطالب الإيراني والأفغاني والخليجي والمصري بالعودة لمثل ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة الكرام في العلم والعمل، في العقيدة والشريعة، في الأزياء والأعياد والصلاة والصيام.

لقد بدأت البشرية بنبي مُكلم هو نبي الله آدم عليه السلام ثم تتابع إرسال الرسل وإنزال الكتب، وكلها تقول للبشر: (اعْبُدُوا الله مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] وقال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [آل عمران: ١٦٥]، والناس هنا وهناك يخاطبون في الزي وغيره بقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ليس لنا أن نختار مع الله أو مع رسول الله ﷺ، وقال سبحانه:

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[النساء: ٥٩].

خامسًا- الحرية الحقة عند المسلمين تُصاغ في قالب العبودية لله تعالى، وبعيدًا عن ذلك نقع أسرى العبودية المقيتة، قال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام أنه قال لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾[مريم: ٤٤].

وقال سبحانه عن متبعي الهوى والآراء الضالة المضلة: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ٤٣ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الفرقان: ٤٣- ٤٤].

وقال رسول الله ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رضي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**» [رواه البخاري].

وقال ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس: «ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

نحن نرفض الثقافات والآراء والمعتقدات والأزياء التي تخالف الكتاب والسُنَّة حتى وإن كانت مصرية، نرفض دعوة قاسم أمين، كما نرفض الإشعاع المصري الحضاري، بل وما عليه كل البشر إذا خالف الكتاب والسُنَّة.

فثقافة العُري والخلاعة والاختلاط مرفوضة ومردودة على أصحابها من المصريين وغيرهم.

لا قيمة لفرد أو دولة إلا بمقدار القرب من الحق، لا التفات لرأي أو لفكرة أو لزي إلا بمقدار الموافقة لكتاب الله ولسُنَّة رسول الله ﷺ.

وفق اللهُ الجميع لما يحب ويرضى،

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

الاغتصاب والإجهاض وترقيع غشاء البكارة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم ومن والاه، أما بعد..

فقد ذكر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر أنه يجوز إجهاض جنين الاغتصاب، بشرط أن تكون المغتصبة حسنة السمعة ومش مرتاحة لما حدث، وأضاف أن كل امرأة تعرف بحدوث الحمل في الأسابيع أو الشهور الأولى، وأنه لا حرج شرعًا أن تذهب للطبيب في بداية الحمل لتزيل آثار هذا العدوان حماية لعرضها وكرامتها، وذكر أنه قد توجد فتاة أخرى حدث لها حمل نتيجة الاغتصاب، لكنها تشعر بارتياح لما حدث فنقول هنا -أي شيخ الأزهر- لا يجوز إجهاض جنينها، وكل حالة ولها ظروفها ونتائجها.

وكان هذا خلال ختام فعاليات ما يسمى بالموسم الثقافي للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمسجد النور بالعباسية. ولكثرة حالات الاغتصاب وما يتعلق بذلك من هتك البكارة وحمل واللجوء للإجهاض ولعمليات ترقيع البكارة.

فقد رأيت أن أنقل بعض الأحكام المتعلقة بذلك من كتابي (الزواج العرفي) تتميمًا للفائدة، أحكام ومسائل تتعلق بالبكارة:

١- البكارة إذا فُضت بوثبة أو حركة عنيفة أو أصبع، فالمرأة لها حكم البكر.

٢- القول قولها في ذلك، ولا يصح اتهامها دون إقرار أو شهادة صحيحة بضوابطها الشرعية.

٣- قد يدخل الرجل بزوجته ولا يتهتك الغشاء «البكارة» لصلابته، أو لكونه من النوع المطاط، أو لكونها غائرة، أو لغير ذلك من الأمور التي يعرفها الأطباء، وبالتالي لا تنزف المرأة حال البناء أو الدخول.

ومن هنا نعلم مدي جناية العرف والجهل ونشر الفضائح دون وجه حق، بل والاتهام الباطل بالزنا وارتكاب الفواحش من الزوج لزوجته يوم البناء، ومسارعة البعض إلي تطليق الزوجات بسبب هذا الأمر.

٤- يحدث فض البكارة في مثل هذه الحالات عند الولادة، وقد يذهب البعض إلي طبيبة لفضها إذا لزم الأمر.

٥- عادات قبيحة ومخالفات لسُّنن، ومضار تحدث بسبب تعجل فض البكارة يوم البناء، دون مقدمات، ومحاولة البعض فضها بالأصبع، وفي بعض القرى تقوم النساء بذلك على سبيل العادة. والمرأة لا يحل لها أن تنظر إلي عورة المرأة دون ضرورة أو حاجة مقتضية لذلك، وليس فض البكارة منها، كما هي عادات بعض الناس، مما يترتب عليه أسوأ الأثر.

٦- هذه الجريمة وعلى هذا النحو يرتكبها البعض -في الريف والصعيد-؛ ليحصلوا من وراء هذه العملية على دم البكارة، فيظهرون بهذا الشرف المزعوم أمام الناس، وما درى هؤلاء أنها فضيحة يقدمون عليها.

٧- المرأة إذا استُكرهت على الزنا لا يُطلق عليها زانية؛ لقول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[النور : ٣٣]، ونزلت الآية بشأن إماء عبد الله بن أُبي ابن سلول، وكان يُكره فتياته وإماءَه على البغاء مع كراهتهن لذلك.

٨- روي ابن أبي حاتم أن رجلًا سأل ابن عباس رضي الله عنهما فقال: «إني كنت أُلمُّ بامرأة آتي منها ما حرم الله عليّ، فرزق الله -عَزَّ وَجَلَّ- من ذلك توبة، فأردت أن أتزوجها، فقال أُناس: إن الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس هذا في هذا، انكحها فما كان من إثم فعليّ».

٩- زنت امرأة فتابت حتى كانت من أنسك نسائهم، فخطبت إلي عمها، وكان يكره أن يدلسها، ويكره أن يفشي على ابنة أخيه، فما كان من عمر إلا أن قال: لو أفشيت عليها لعاقبتك، إذا أتاك رجل صالح ترضاه فزوجها إياه.

وفي رواية قال عمر رضي الله عنه: تعمد إلي ما ستره الله فتبديه، والله لأن أخبرت بشأنها أحدًا من الناس لأجعلنك نكالًا لأهل الأمصار، بل أنكحها بنكاح العفيفة المسلمة.

١٠- الكل مأمور بتقوى الله -عَزَّ وَجَلَّ- في السر والعلن، واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والمؤمن صادق مصدق، والظلم ظلمات، وما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه، وعليك أن تأتي للناس ما تحب أن يعاملوك به، وليس من المعاشرة بالمعروف هتك الستر، أو الطعن في العرض، دون بينة أوضح من شمس النهار، وليس منها الاعتراف تحت وطأة التهديد، فهذا نوع من الإكراه.

روي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من نَفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نَفَّس الله عنه كُربةً من كُرب يوم القيامة، ومن يَسَّرَ على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**».

١١- مَنْ قَبِلَ الله عُذرَه كالمكره، فلا يسعك إلا قبول عذره، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**عُفِيَ لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**» [رواه النسائي، وصححه الألباني].

حكم وجود الحمل كدليل على وقوع الزنا:

ذهب جمهور العلماء، خلافًا لعمر رضي الله عنه والمالكية، إلي أن مجرد الحمل ليس قرينة كافية لإقامة حد الزنا على المرأة التي لا زوج لها معروف، وذلك لأنه من الممكن أن يدخل في رحم المرأة جزء من نطفة رجل بغير جماع، فتحمل منه، كما يحدث أحيانًا إذا ارتدت المرأة ملابس أخيها مثلًا، وهذا الاحتمال وإن كان ضعيفًا، ووجود الحمل بلا زوج يعتبر أساسًا قويًا للشبهة، إلا أنه من المعلوم أن الحدود تُدرأ بالشبهات، لما رواه الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**ادْرَءُوا الْحُدُودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَخْرَجٌ فَخَلُّوا سَبِيلَهُ فَإِنَّ الإِمَامَ أَنْ يُخْطِئَ فِى الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ فِى الْعُقُوبَةِ**» رواه الترمذي، وضعفه الألباني، ولما رواه ابن ماجه: «**ادْفَعُوا الْحُدُودَ مَا وَجَدْتُمْ لَهُ مَدْفَعًا**».

وعندما نثبت هذا المعنى، فليس ذلك ترويجًا لفاحشة، أو محبة لوقوعها، ثم تبريرها بعد ذلك بمثل هذه التبريرات، ولكنه العدل الذي أُمرنا به وإحقاق الحق وإبطال الباطل، وإذا كان الأمر كما ذكرنا فهل يصح الاتهام بالزنا لعدم وجود غشاء البكارة؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

وقد كان البعض ممن اقترف جرمًا كالزنا يذهب لرسول الله ﷺ لإقامة الحد عليه، لمعرفتهم أن الحدود كفارة لأهلها، ولعلمهم أن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة، وأن الله مطلع عليهم ورقيب لا تخفى عليه خافية، ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فعاشوا حياة الإيمان واليقين، وألزموا أنفسهم أمر الله وحده.

بيان من فضيلة المفتي: (إجهاض المغتصبة وإعادتها عذراء جائز شرعًا).

أكد الدكتور نصر فريد واصل مفتي جمهورية مصر العربية أن إجهاض المغتصبة وإعادتها عذراء جائز شرعًا.

وقال في بيان بعث به إلي باب «مع القانون» أنه لا مانع شرعًا من إصدار تشريع ينظم ذلك، مع وضع الضوابط التي تحكم ذلك، لأن إعادة بكارة المغتصبة إليها، هو إحياء لها، ولعرضها ولشرفها بعد قتلها بدنيًا ونفسيًا، وفيما يلي نص البيان:

«الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، اطلعنا على ما كتبه المستشار عبد المنعم إسحاق محمد نائب رئيس هيئة قضايا الدولة في بابكم القيم «مع القانون» بعدد الأهرام الصادر في ٩ أكتوبر لسنة (١٩٩٨م) لإلغاء المادة (٢٩١) عقوبات والإبقاء على المادة (٢٩٠)، وإسقاط جنين المغتصبة من الذئب البشري، وإعادتها عذراء بعد تفريغ ما في أحشائها من نطفةٍ ملوثةٍ نفيد الآتي:

- نوافق على اقتراح المستشار عبد المنعم إسحاق محمد لضرورة إلغاء المادة (٢٩١عقوبات) لتعارضها مع المادة (٢٩٠عقوبات) المعدلة، والتي تقرر عقوبة الإعدام للذئاب البشرية التي تخطف الإناث وتغتصبهن، وذلك لأن الإبقاء على المادة

(٢٩١عقوبات) يقوض قصد المشرع من الهدف المنشود، وهو حماية الأنثى من الذئاب البشرية التي تسلبها عرضها وشرفها وأعز ما تملك بطريقة الإكراه بعد اختطافها، ويكون وسيلة للتحايل على إبطال المادة (٢٩٠) والقصد التشريعي منها من الناحية العملية، وذلك مما يقوي مركز الجاني على حساب المجني عليها الضحية، ورضا الأنثى بالزواج بعد الخطف والموافقة لا يُعدُ زواجًا شرعًا؛ لأنه لابد في عقد الزواج المعتبر شرعًا وجود الولي والإشهار والإعلان والإيجاب والقبول والرضائيـة الكاملة، والكفاءة بين الزوجين، والزواج بعد الخطف قد خلا من هذه المعاني؛ لأن المغتصب يقصد من وراء هذا الزواج الإفلات من العقوبة، كما أن الإيجاب والقبول مشوبان بالإجبار، حيث إنهما وقعا تحت ضغط الإفلات من العقوبة.

أما فيما يتعلق بمدى مشروعية العمليات الجراحية التي تُجرى للأنثى التي تم اختطافها وأُكرهت على مواقعتها جنسيًا، وإزالة بكارتها من الذئاب البشرية بعد تفريغ ما في أحشائها من نطفة ملوثة، فإننا نرى أنه لا مانع شرعًا من إصدار تشريع ينظم ذلك مع وضع الضوابط التي تحكم ذلك، لأن إعادة بكارة المغتصبة إليها هو إحياء لها، ولعرضها، ولشرفها بعد قتلها بدنيًا ونفسيًا، والقاعدة الشرعية أن من أفسد شيئًا فعليه إصلاحه.

وإذا كان المجتمع قد قصر في حقها، ولم يؤمنها في نفسها وعرضها، فقد وجب عليه جبر خواطرها وشفاؤها من كل أحزانها وآلامها بإصدار تشريع يُلزم ذوي الاختصاص والشأن بإعادة عذريتها إليها بعملية جراحية.

أما تفريغ ما في أحشائها من نطفة ملوثة للذئب البشري، فنرى أنه لا مانع من ذلك شرعًا بناء على ما أجازه بعض الفقهاء، وأقره مجمع البحوث الإسلامية قبل أن يمضي على الحمل مائة وعشرون يومًا، وإذا أجاز ذلك في الحمل الحلال فهو في الحرام أولي.

أما إذا مضى على الحمل مائة وعشرون يومًا فإنه لا يحل إسقاط الجنين بحال، لأنه في هذه الحالة يكون نفسًا ذات روح يجب المحافظة عليها بالإجماع، والاعتداء عليها لا يجوز بأي

حال من الأحوال، إلا إذا كان في استمرار وجوده خطرٌ حقيقي على حياة الأم، حيث تُقدَّمُ حياةُ الأم على حياة الجنين، لأن حياة الجنين قبل ولادته محتملة، وحياة الأم متيقنة، واليقين يقدم على الاحتمال والشك، طبقًا للقواعد الشرعية، والله -سبحانه وتعالى- أعلم».

التعليق على فتوى المفتي:

يتضح من كلام المفتي موافقته للنصوص الشرعية، وكلام قول جمهور العلماء عندما ذكر أنه «لابد في عقد الزواج المعتبر شرعًا، وجود الوليّ والإشهار والإعلان والإيجاب والقبول الرضائية الكاملة، والكفاءة بين الزوجين»، وهو ما وضحناه وبيناه في هذه الرسالة.

أما قوله في إعادة بكارة المغتصبة إليها، فهو اجتهاد نتيجة ما يحدث في الواقع من ظلم وجهل، وإلا فهي لا يزول عنها وصف البكر، وتنكح بنكاح الحرة العفيفة، ولا إثم عليها شرعًا، والبكارة قد تتهتك بوثبة عالية أو حركة عنيفة، فليست عنوانًا للعفة في كل حال، وقد يحدث الدخول دون تهتك لها، لكونها من الأغشية المطاطة، كما سبق أن بيّنا.

أما إجازته تفريغ ما في أحشائها من نطفة ملوثة، قبل أن يمضي على الحمل مائة وعشرون يومًا، فهو يستند في ذلك لما ثبت في الصحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا نطفةً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسِلُ الله إِلَيْهِ الْمَلَكَ فَيَنْفُخُ فِيهِ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعٍ يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**» [متفق عليه]، فهو في الأربعين يومًا الأولي يلتحق بالنطفة المهدرة، ويشتد النزاع في الأربعين يومًا الثانية، ثم باتفاق العلماء يُحْرُمُ الإجهاض بعد المائة والعشرين يومًا، إذ يصبح الجنين روحًا محترمة.

وقوله: «وأقره -أي الإجهاض- مجمع البحوث الإسلامية قبل أن يمضي على الحمل مائة وعشرون، وإذا أجاز ذلك في الحمل الحلال فهو في الحرام أولي».

هذا الإقرار ليس على عواهنه، إذ لابد من إذن الزوج، فله حق في الولد وإذنها وبشرط ألا يستتبع ذلك مضرة بجسد الزوجة، فلا ضرر ولا ضرار، وعدم قطع النسل

بالكلية، وألا يكون ذلك خشية الفقر، فهذا من سوء الظن بالله تعالى، وأن تكون حالات فردية تدعو إليها الحاجة أو الضرورة، إذ الأمة مأمورة بتكثير نسلها.

والمقصود بقول المفتي: «وإذا أجاز ذلك في الحمل الحلال -أي المتولد من الزواج الصحيح- فهو في الحرام أولى»

لعل المفتي يقصد بالحرام أي الاغتصاب، فحديثه يتعلق بذلك، وإلا فقد فرّق البعض بين المتزوجة والزانية، فإذا رُخصِّ للمتزوجة في الإجهاض -وفق الضوابط الشرعية- فالزانية لا يباح لها ذلك، إذ الرخص لا تناط بالمعاصي، ولأن النبي ﷺ لم يدل الغامدية التي زنت على ذلك، بل تركها حتى تضع وتفطم ثم أقام الحد عليها، ويبقى الكلام، إذا كانت ستقتل أو تهلك بسبب حملها، فهو موطن اضطرار، إذ الضرورات تبيح المحظورات، وتُقدّر بقَدرها. والله أعلم.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين



تتبع الحياة الخاصة للساسة والزعماء

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فمن الموضوعات المثيرة للجدل ما يتعلق بالحياة الخاصة للساسة والزعماء، ففي كثير من الأحيان تسلط الأنظار على قصة زواج أو طلاق أو تعدد، وتنطلق الألسنة والأحكام بالبحث والتحليل والتخطئة والتصويب، وقد تعصف قصة حب غرامية بين الرئيس الأمريكي ومستخدمته في مكتبه بمستقبله السياسي، وقد يثبت تجسس رئيس على خصومه فيُقال... وتتناول وسائل الإعلام الفضائح المالية والجنسية للساسة والزعماء بشيء من التركيز، ويعتبرون ذلك حقًا للعامة، وضريبة للنجومية ولتقليد المناصب العامة، ويتتبعون دقائق التفاصيل في حياة هؤلاء قبل تقلد المنصب وأثناءه وبعده، فهذا تهرب من التجنيد، والثاني تقبل هدايا لا يسمح بها القانون، والثالث استخدم ميزانية الدولة لحسابه الخاص، والرابع عقد صفقات تجارية مستخدمًا وجاهة المنصب.

يفعلون ذلك في مسائل تراها شفافيةً وتقدمًا ورُقيًا في الوقت الذي لا يبالون ولا يأبهون فيه بإفصاح الرجل عن علاقة صداقة بهذه وتلك، وتراه يرتحل معها في مهماته الرسمية!!! وتباهت المرشحة لرئاسة وزراء فرنسا بأن لديها أربعة أولاد هم ثمرة العلاقة قبل الزواج!!

والساسة والزعماء ووسائل الإعلام مع هذا التدقيق يعتبرون عبادة البقر والغنم والحجر والبشر والكواكب من الخصوصيات التي لا تحتمل التدخل، ومن جملة الحريات التي لا يُنازع فيها صاحبها حتى لو قاد الدنيا بأسرها!!

وهكذا شأن البشر إذا انحرفوا عن منهج ربهم، لابد وأن تمتلئ حياتهم بالمتناقضات ويحسبون أنهم يُحسنون صُنعًا، وكان من آخر ما قرأت في هذا الصدد مقالة في المصري اليوم عن حق الناس في أن تتبع عن كثب تقلبات الحياة الشخصية للساسة، وأن

المجتمعات الديمقراطية المتقدمة قد حسموا أمرهم، واتفقوا على أنه أمر مهم للغاية أن نعرف كيف يعيش الساسة، وهل يطبقون المبادئ التي يتبنونها في عالم السياسة على أنفسهم في الحياة الخاصة أم لا؟ فلا يمكن التسامح مع شخص يتسم بالنفاق والكذب في مجتمعات اعتمدت الصدق مبدأ!!

وذكرت الكاتبة أننا في مصر لا نكاد نعرف شيئًا عن الحياة الشخصية للشخصيات المنتمية للسلطة؛ وذلك لأن الصحف الحكومية تتبنى مبدأ (لا للاقتراب أو التصوير)، بينما من حق الصحف نفسها أن تعرض حياة المعارضين كنوع من التشكيك في مصداقيتهم، كأن موقف هذه الصحف يعبر عن الرأي الحكومي القائل : (كل معارض خائن حتى يثبت العكس).

تقول الكاتبة: إن الاطلاع على حياة الساسة ليس ترفًا ولا نميمة لأكل الوقت، وإنما هو ضرورة تعود بالخير على الشعوب التي لا ترضى لنفسها أن تبقي في مقاعد السلطة منافقين أو كاذبين أو أشخاصًا لا يتمتعون باتساق القول والفعل، ومن هنا فالسياسي الصادق والمتسق مع نفسه لا يجب أن يخشى عيون الناس وهي تتابع أدقَ تفاصيل حياته.

ولنا عدة ملاحظات وتعليقات على هذا الموضوع:

أولًا- النبرة والمصطلحات والمفردات المستخدمة في وسائل الإعلام وعلى ألسنة الصحفيين والمثقفين نبرة أوروبية وأجنبية وافدة مستوردة، فالمقياس والميزان عند هؤلاء ما يحدث في الغرب وحال المجتمعات الديمقراطية المتقدمة، وتقسيم الناس إلى مؤيدين ومعارضين.

يفعلون ذلك مع شعب مسلم وهم أول من يعرف تدينَ هذا الشعب وحرصَه على الرجوع للكتاب والسُنَّة، وإن الديمقراطية دينٌ عند أهلها كما أن الإسلام دين عند أهله، ويتضح لك الإصرار الشديد على النمط الغربي والحياة الديمقراطية على رغم أنف

الشعوب المسلمة، وكأن هذه الشعوب لا يمكن أن تتقدم وتتطور إلا بالاشتراكية تارة وبالديمقراطية تارة أخرى، أو قل: حتى يأخذ النجاسات الموجودة في أمعاء الغرب!!.

ثانيًا- لابد من تحكيم شرع الله في هذه القضية وغيرها؛ حتى نميز بين ما يحل وما يحرم، وبين ما يستوجب العزل وغيره، وما يحل فيه التجسس والغيبة والنميمة وما لا يجوز فيه ذلك.

وهل يفترق شأن الحاكم عن المحكوم في تتبع الحياة الخاصة؟ وما هو الحد الفاصل بين السياسي وغيره؟ وهل كل من اشتهر وسطع نجمه سنخضعه للفحص الميكروسكوبي، أم سنكيل بمكيالين؟! وهل خطورة العلاقات الغرامية والزنى والرشوة والسرقة على السياسة والصحة تزيد على خطورة الكفر وإباحة الشذوذ والرذيلة في البلاد والعباد؟!!

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: ٣١]، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له حتى ترتفع الغشاوة عن بصيرتكم وإلا فمن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلًا، لقد انبهرتم بزيف، ولو رجعتم لإسلامكم ودينكم لاصطلح كل فريق على حقه، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

ثالثًا- تكلم العلماء في الشروط الواجب توافرها في الحاكم كالقرشية، وأن يكون قاضيًا من قضاة المسلمين مجتهدًا لا يحتاج إلى غيره في الاستفتاء في الحوادث، وأن يكون ذا خبرة ورأي حصيف بأمر الحرب، وتدبير الجيوش، وسد الثغور، وحماية البيضة، والانتقام من الظالم والأخذ للمظلوم، وأن يكون ممن لا تلحقه رقة في إقامة الحدود ولا فزع من ضرب الرقاب ولا قطع الأبشار، وأن يكون مسلمًا حرًا ذكرًا سليم الأعضاء، وأجمعوا على أن المرأة لا يجوز أن تكون حاكمة، وإن اختلفوا في جواز كونها قاضية فيما

يجوز شهادتها فيه، وأن يكون الحاكم بالغًا عاقلًا عدلًا؛ لأنه لا خلاف بين الأمة أنه لا يجوز أن تعقد الإمامة لفاسق.

فهل نظر المتكلمون في هذه القضية في مسألة إسلام الحاكم وعدالته واجتهاده أم هو الاحتكام للمناهج الوضعية؟ والتهويل من أمور والتهوين من أخرى، وإشغال الخلق بمسائل مستوردة مع إبعاد البلاد والعباد عن دين الله؟

من المعلوم أن الجهل مصيبة، وما عُصِي اللهُ بمعصية أعظم من الجهل بالدين، وكان الواجب على هؤلاء أن يتعلموا ما جاء في الكتاب والسُنَّة قبل أن ينشروا قضاياهم، ولأنهم بذلك يدافعون عن مصالح البشر، ولو حسنت النوايا فلا يُقبل سوء الصنيع، فالكلمة أمانة وتوجيه عقول البشر يتطلب تصدر العلماء والصالحين، قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥]، المسائل المطروحة على الساحة تحتاج إلى الرد لأصولها وجذورها بعيدًا عن الترقيع والحماسات والديمقراطية الفارغة، وحتى نتعرف على الداء والدواء والمقدمات والنتائج.

رابعًا-النظام الديمقراطي يفترق عن الإسلام في النشأة والطريق، وتولية الحاكم وعزله، قال القرطبي في تفسيره:

الثانية عشرة- يجوز نصب المفضول مع وجود الفاضل خوف الفتنة وألا يستقيم أمر الأمة، وذلك أن الإمام إنما نصب لدفع العدو وحماية البيضة وسد الخلل واستخراج الحقوق وإقامة الحدود وجباية الأموال لبيت المال وقسمتها على أهلها. فإذا خيف بإقامة الأفضل الهرج والفساد وتعطيل الأمور التي لأجلها ينصب الإمام كان ذلك عذرًا ظاهرًا في العدول عن الفاضل إلى المفضول، ويدل على ذلك أيضا علم عمر وسائر الأمة وقت الشورى بأن الستة فيهم فاضل ومفضول، وقد أجاز العقد لكل واحد منهم إذا أدى المصلحة إلى ذلك واجتمعت كلمتهم عليه من غير إنكار أحد عليهم، والله أعلم.

الثالثة عشرة- الإمام إذا نصب ثم فسق بعد انبرام العقد فقال الجمهور: إنه تنفسخ إمامته ويخلع بالفسق الظاهر المعلوم، لأنه قد ثبت أن الإمام إنما يقام لإقامة الحدود واستيفاء الحقوق، وحفظ أموال الأيتام والمجانين والنظر في أمورهم إلى غير ذلك مما تقدم ذكره، وما فيه من الفسق يقعده عن القيام بهذه الأمور والنهوض بها. فلو جوزنا أن يكون فاسقا أدى إلى إبطال ما أقيم لأجله، ألا ترى في الابتداء إنما لم يجز أن يعقد للفاسق لأجل أنه يؤدي إلى إبطال ما أقيم له، وكذلك هذا مثله. وقال آخرون: لا ينخلع إلا بالكفر أو بترك إقامة الصلاة أو الترك إلى دعائها أو شيء من الشريعة، لقوله ﷺ في حديث عبادة: «**وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ**». وفي حديث عوف بن مالك: «**لاَ مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ**» الحديث. أخرجهما مسلم. وعن أم سلمة عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله أَلاَ نُقَاتِلُهُمْ قَالَ: لاَ مَا صَلَّوْا**». **أَىْ مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ وَأَنْكَرَ بِقَلْبِهِ**. [أخرجه أيضًا مسلم].

الرابعة عشرة- ويجب عليه أن يخلع نفسه إذا وجد في نفسه نقصًا يؤثر في الإمامة. فأما إذا لم يجد نقصا فهل له أن يعزل نفسه ويعقد لغيره؟ اختلف الناس فيه، فمنهم من قال: ليس له أن يفعل ذلك، وإن فعل لم تنخلع إمامته. ومنهم من قال: له أن يفعل ذلك. والدليل على أن الإمام إذا عزل نفسه انعزل قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أقيلوني أقيلوني. وقول الصحابة: لا نقيلك ولا نستقيلك، قدمك رسول الله ﷺ لديننا فمن ذا يؤخرك! رضيك رسول الله ﷺ لديننا فلا نرضاك! فلو لم يكن له أن يفعل ذلك لأنكرت الصحابة ذلك عليه ولقالت له: ليس لك أن تقول هذا، وليس لك أن تفعله. فلما أقرته الصحابة على ذلك علم أن للإمام أن يفعل ذلك، ولأن الإمام ناظر للغيب فيجب أن يكون حكمه حكم الحاكم، والوكيل إذا عزل نفسه. فإن الإمام هو وكيل الأمة ونائب عنها، ولما اتفق على أن الوكيل والحاكم وجميع من ناب عن غيره في شيء له أن يعزل نفسه، وكذلك الإمام يجب أن يكون مثله. والله أعلم.

الخامسة عشرة- إذا انعقدت الإمامة باتفاق أهل الحل والعقد أو بواحد على ما تقدم وجب على الناس كافة مبايعته على السمع والطاعة، وإقامة كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ومن تأبي عن البيعة لعذر عذر، ومن تأبي لغير عذر جبر وقهر، لئلا تفترق كلمة المسلمين.

وإذا بُويع لخليفتين فالخليفة الأول وقتل الآخر، واختلف في قتله هل هو محسوس أو معنوي فيكون عزله قتله وموته. والأول أظهر، قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُمَا**» [رواه أبو سعيد الخدري، أخرجه مسلم].

وفي حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه سمعه يقول: «**وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ**» [رواه مسلم أيضًا]، ومن حديث عرفجة: «**فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ**». وهذا أدل دليل على منع إقامة إمامين.

خامسًا- حكم الأفراد هو حكم الدول والجماعات، ولا فرق بين السياسي وغيره، ولا بين الحاكم والمحكوم، فالخطاب يعم، والشرع لا يفرق بين المتساويين ولا يساوي بين المختلفين، فالكل يجب عليه أن ينصبغ بصبغة الإسلام في حياته الخاصة والعامة وفي سره وعلانيته.

وكل مسلم سواء كان رجلًا أو امرأة يجب أن يصدر عن الكتاب والسُنَّة في سياسته واقتصاده واجتماعه وأخلاقه وحربه وسلمه ومسجده وسوقه، وأن يرتفع لمستوى الدين الذي يتشرف بالانتساب له سواء كان مشهورًا أو مغمورًا.

نعم الحاكم مسئوليته أعظم من غيره، وهو يُختار من خلال أدق الشروط ومراجعته ومحاسبته تكتسب أهمية خاصة لعظم الأمانة التي تقلدها، ولكن هذا لا ينفي مسئولية الجميع «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» [متفق عليه]، كما لا يجيز في الوقت ذاته التجسس وتتبع العورات.

وقد نقل ابن رجب عن الإمام أحمد أن التجسس يجوز في حالتين وهما: إذا علمنا أن رجلًا يهم بالزنا بامرأة، أو أن رجلًا سيقدم على قتل آخر، فحينئذٍ يجوز التجسس لمنع ارتكاب الفاحشة والجرم.

ولا ننسى في هذا المقام أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وأنه لا يجوز هتك أستار البشر وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، كما لابد من التفريق بين المستتر بالفاحشة والمتجاهر بها، مع مراعاة ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن المهم أيضًا الانتباه إلى إحسان الظن، وتلمس العذر، وحمل الناس على أحسن محاملهم، فهذا دين يُدان به لله تعالى، وهذه المعاني المجملة المختصرة قد دلت عليها نصوص الكتاب والسُنَّة.

سادسًا- الغيبة محرمة وهي كبيرة من الكبائر، وقد وردت نصوص الكتاب والسُنَّة بذمها، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] وحد الغيبة التكلم خلف إنسان مستور بما هو فيه بما يكرهه.

ويستثنى من ذلك أمور تدعو لها الضرورة والحاجة:

كالشهادة، فقد قال النبي ﷺ: «**أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَرَجُلٌ تَرِبٌ لاَ مَالَ لَهُ وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَرَجُلٌ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ**» [رواه مسلم].

وفي العرض على القاضي وأخذ الفتوى من المفتي، فقد اشتكت هند بنت عتبة لرسول الله ﷺ فقالت: «**إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، وَلَيْسَ يُعْطِينِى مَا يَكْفِينِى وَوَلَدِى، إِلاَّ مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ فَقَالَ النبي ﷺ: خُذِى مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ**» [رواه البخاري ومسلم]، وقال ﷺ **عن رجلين من المنافقين: «مَا أَظُنُّ فُلاَنًا وَفُلاَنًا يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا»** [رواه البخاري].وفي علم الحديث: اعتبر العلماء أن جرح الضعفاء من النصيحة صيانة وتمييزًا لحديث النبي ﷺ عن غيره، فقالوا: «فلان كذَّاب أو وضَّاع أو ضعيف أو سيئ الحفظ...» وهناك كتب مصنفة في ذلك، وذكروا من جملة ذلك جواز ذكر الراوي بلقبه (كالأعمش والأسود والأعرج) الذي يكرهه للتعريف، وأنه ليس بغيبة له، وقالوا: ما كل من روى المناكير ضعيف، وإنَّ تَرْك رواية البخاري لحديث لا يوهنه، وأن من لم يذكر في الصحيحين أو أحدهما لا يلزم منه جرحه، وأن تجريح بعض

رجال الصحيح لا يعبأ به، وأن الصحابة كلهم عدول، وجهل أحدهم لا يضره... إلى غير ذلك من المعاني الهامة.

سابعًا- قال الذهبي: كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُعبأ به لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، وما ينجو منه إلا من عصمه الله، وما علمت أن عصرًا من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصدِّيقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس. اهـ.

إن الأصل في الناس البراءة لا الاتهام، والتهمة تحتاج لبينة أوضح من شمس النهار، وقد قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، ولأن أخطئ في العفو خير من أخطئ في القصاص.

ولابد من صيانة أعراض العباد، ولا يجوز الظلم حتى في التعامل مع الكافر، وما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون، فما بالك بالساسة والزعماء في وقت الغربة والجهالة؟! قال البعض: «ما من راوٍ من الرواة المحدثين والمجتهدين كلهم إلا وهو يقبل الجرح كما يقبل التعديل لو أضيف إليه، ما عدا الصحابة وكذا التابعون عند بعضهم لعدم العصمة أو الحفظ في بعضهم».

فليتق الله الجارح وليستبرئ لدينه ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]

ثامنًا- ذِكْرُ الناس داءٌ وذِكْرُ الله شفاءٌ، وما تتبع أحد عورات الخلق وزلات العباد إلا من غفلة غفلها عن نفسه، وإن في العبادة لشُغلًا، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل والقيل والقال والغيبة والنميمة.

وتتبع الحياة الخاصة لفلان وعلان مما يفسد ولا يصلح، ولا يليق أن تصبح الأحاديث والمجالس للنميمة وأكل لحوم البشر، والنميمة من الكبائر وهي حرام بإجماع المسلمين، وفي الحديث «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ**» رواه مسلم، وهو الذي يتحدث مع القوم فينمُّ عليهم فيكشف ما يُكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو الثالث -أي النمام-، وسواء كان الكشف بالعبارة أو بالإشارة أو بغيرهما.

ويبعث على النميمة أمور، منها:

- إرادة السوء بالمحكي عنه.

- الحب للمحكي له -وهذا في ظاهر الأمر وإلا فإن من يحب إنسانًا على الحقيقة فإنه لا يبلغه ما يسوءه-.

كما يدعو للنميمة أيضًا الفرح بالخوض في الفضول.

وكل من حُملت إليه نميمة يلزمه أمور، منها:

ألا يصدّق النمام، لأنه فاسق مردود الخبر، وأن ينهاه عن ذلك، وينصحه ويقبح فعله، وأن يبغضه في الله -عز وجل-، وألا يظن في المنقول عنه السوء لقوله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وألا يحمله ما حُكِي له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢]، وألا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميمته.

تاسعًا- كل إناء بما فيه ينضح، والسلوك مرآة الفكر، والفارق بين الإسلام وبين النظم الوضعية كالديمقراطية كالفارق بين السماء والأرض، والواجب على وسائل الإعلام والثقافة والتعليم والتربية والفكر أن يتقوا الله في هذه الأمة، وأن يأخذوا الدرس من قصة الإفك ولا يتشبهوا بالنسوة مع امرأة العزيز، وأن ينهضوا بمهمة تعبيد الدنيا بدين الله، فهذا هو منهج الأنبياء والمرسلين، وعلى كل من يدعي علو الهمة والاهتمام بمصالح الأمة أن يعلم أن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها، لابد من ضبط الدنيا بدين الله وتأدية الحقوق لأصحابها فإن لربك عليك حقًا ولنفسك عليك حقًا ولأهلك عليك حقًا، والكف عن تتبع العورات وتلمس الزلات وتفقد العثرات، فالظلم ظلمات، وعند الله تجتمع الخصوم. وفق الله الجميع لما يحب ويرضى.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ



يوم ذبح الخنازير في مصر
أنفلونزا الخنازير.... الطاعون

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد وجه فيروس أنفلونزا الخنازير ضربة قوية لأسواق المال بسبب المخاوف من تفشيه وتحوله إلى وباء عالمي، وسجلت شركات الطيران والسياحة خسائر، وانخفضت أسعار النفط العالمية أكثر من ٤٪، وأعلنت أمريكا رسميًا أول وفاة بأنفلونزا الخنازير، وبلغ عدد المصابين بالفيروس ٦٥ في ٦ ولايات (الأربعاء ٢٩ أبريل)، وارتفع عدد الوفيات بالمرض في المكسيك إلى ١٥٩، وأعلنت ١٩ دولة أن الفيروس دخلها بينها ٧ دول كشفت عن إصابات مؤكدة.

وفي مصر بدأت جميع مجازر مصر تنفيذ القرار بذبح الخنازير تحسبًا لانتشار الوباء في البلاد، وصرح وزير الصحة أن الدولة ستغلق المطارات والموانئ وجميع منافذ الدخول إذا أعلن رسميًا عن وصول المرض إلى المرحلة السادسة باعتباره وباءً عالميًا، وفضلت الحكومة المصرية اتخاذ إجراءات احتياطية واحترازية لمنع وصول الفيروس إلى مصر.

وهذا الخبر يستدعي عدة وقفات:

أولاً- روى بريدة عن النبي ﷺ «**مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِى لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ**» [رواه مسلم وأحمد وأبو داود]، فإذا كان مجرد صبغ اليد في لحم الخنزير ودمه قد زاد التنفير منه، فكيف بأكله، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣]، خص الله تعالى ذكر اللحم من الخنزير ليدل على تحريم بيعه ذُكى وذبح أو لم يذبح، وليعم الشحم وما هناك من الغضاريف وغيرها، وأجمعت الأمة على تحريم شحم الخنزير (أي دهنه).

ولا خلاف أن جملة الخنزير محرمة إلا الشعر فإنه يجوز الخرازة به، ولأن الخرازة كانت موجودة على عهد رسول الله ﷺ ولم ينكرها ولا أحد من الأئمة بعده.

ولا خلاف في تحريم خنزير البر، وفي خنزير البحر خلاف، ورفض الإمام مالك أن يجيب فيه بشيء، وحكى البعض أن الخنزير مشتق من خزر العين، والخزر ضيق العين وصغرها، وأحيانًا يسمونه حلوفًا.

ثانيًا- قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[البقرة: ١٧٣] الاضطرار لا يخلو أن يكون بإكراه من ظالم أو بجوع في مخمصة، وقيل: معناه أكره وغلب على أكل هذه المحرمات، قال مجاهد: يعني أكره عليه، كالرجل يأخذه العدو فيكرهونه على لحم الخنزير وغيره من معصية الله -تعالى-.

إلا أن الإكراه يبيح ذلك إلى آخر الإكراه، وأما المخمصة فلا يخلو أن تكون دائمة أو لا، فإن كانت دائمة فلا خلاف في جواز الشبع من الميتة، إلا أنه لا يحل له أكلها وهو يجد مال مسلم لا يخاف فيه قطع اليد كالتمر المعلق، وحريسة الجبل (ليس فيما يحرس بالجبل قطع لأنه ليس بحرز)، ونحو ذلك مما لا قطع فيه ولا أذى.

فتناول القدر الذي يستدفع الإنسان به الهلكة عن نفسه من ميتة وخنزير لا حرج فيه، والضرورات تبيح المحظورات وتقدر بقدرها، كما أن الاستكراه يلقي الاختيار ويرتفع به الإثم والذنب، وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الله تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**» [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

ثالثًا- يكثر السؤال عن المعاجين والمراهم والحلويات وبعض أنواع الچيلاتي المصنعة من شحم الخنزير، ونشير هنا إلى بعض المسائل الهامة ومنها:

- أن التثبت والحيطة لابد منها؛ فقد تفترق الأشياء المحلية عن المستوردة.

- ومنها أن النجاسة لها أوصاف ظاهرة لون وطعم ورائحة، وعلى ذلك يتم التعويل والحكم بالتحليل والتحريم، ولا يلتفت للورع الكاذب ولا للتحاليل المعملية

والفحوصات المجهرية، فقد يكتشف بهذه الوسائل أثرًا للخمر في الطعام أو فاكهة أو شراب فلا يحرم، وقد تستحيل الخمر بنفسها أو بصنع الله فيها إلى خل فيجوز تعاطيه، وقد تشتمل الأدوية على نسبة من الخمر لا تغير لونًا ولا طعمًا ولا رائحة؛ فلا تحكم بحرمة تعاطي الدواء، وللعلماء تعبيرات في ذلك مثل تكثير النجاسة يطهرها، ويُعفى عن يسير النجاسات التي يشق التحرز منها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ [النحل: ١١٦].

وقد يمتنع الإنسان عن طعام أو شراب لشبهة دون تحريم لذلك، فالورع من الدين، ففي حديث النعمان بن بشير: قال رسول الله ﷺ: «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**» [رواه البخاري ومسلم].

وتحريم الحلال لا يقل عن تحليل الحرام، وفي الحديث «**وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِى مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا**» [رواه مسلم]، وتحريم الحلال قرين الشرك فالواجب الحذر، وقد يذكر البعض أن الأنسولين يصنع من الخنزير فطالما لا بديل له ويعطى في حالات الاضطرار فلا حرج.

رابعًا- يعيش الخنزير على القاذورات والنجاسات ووسط المزابل، ولذلك فالطباع السليمة تستنجسه، وتعاف شكله، وترغب عنه وعن رائحته، وأكله ضار في جميع الأقاليم لا سيما الحارة، كما أن لحمه يحتوي على الدودة الشريطية القاتلة وغيرها من الديدان، والمداومة على أكل لحمه تورث ضعف الغيرة على الحرمات، وفي الحديث: «**لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ**» [رواه ابن ماجه وأحمد، وصححه الألباني]، والضرر يزال ولا يجوز للإنسان أن يأذن في استلحاق المضرة ببدنه، فالمشرع لم يعطه الحق في ذلك، ومن صفات النبي ﷺ المذكورة في الكتب السابقة ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله على هذه الشريعة الغرَّاء المتينة، والتي تزداد مع توالي الأحداث وتطور العلوم وتطاول الزمان رسوخًا.

خامسًا- أنفلونزا الطيور والخنازير من الأمراض الوبائية كالكوليرا، وقد يُطلق عليها وصف الطاعون، وغلق المطارات والموانئ إذا وصل الوباء إلى (مرحلة ٦) أي اعتباره وباءً عالميًا هو إجراء احترازي صحيح، فالحجر الصحي في مثل هذه الحالات من المعاني الشرعية، وفي الحديث: «**إِذَا كَانَ الطَّاعُونَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ لَيْسَ بِهَا فَلاَ تَدْخُلُوهَا وَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا**» [رواه أحمد، وصححه الألباني]، ولذلك لما قدم عمر رضي الله عنه على الشام وسمع بنزول الطاعون فيها فلم يدخلها واعترضه أبو عبيدة رضي الله عنه يقول له: «أفرار يا عمر من قدر الله، قال له عمر: نعم، نَفِر من قدر الله إلى قدر الله»، وأصاب عمر ووافق السُنَّة في ذلك رضي الله عنه .

فعدم الأخذ بالأسباب قدح في التشريع، والاعتقاد في الأسباب قدح في التوحيد، وقد أذن لنا الشرع في الخروج من الواقع السيئ، ونحن نستدفع قضاءً بقضاء، وقدرًا بقدر كما نستدفع قدر الجوع بقدر الأكل، وقدر البلاء بقدر الدعاء، فكلاهما من قدر الله، فكذلك نفعل مع الطاعون.

سادسًا- تصرف مصر تجاه انفلونزا الخنازير لا يضر النصارى، وحزنهم على الخنازير لا يجوز أن يتقدم على مصلحة البلاد والعباد، فضلًا عن أن يلوح البعض منهم باستعداء أوباما وأمريكا فهذه جلافة وانحطاط يتنافى مع كل المعايير، وتأتي في وقت تتلاحق فيه الأخبار بسرعة شديدة، فقد سمعت أثناء كتابة هذه السطور أن مصر قد دخلت في المرحلة الخامسة من انتشار الوباء، وأن بلدانًا كثيرة قد داهمها الوباء كأمريكا وسويسرا وإسرائيل (فلسطين).

فالوباء لا يفرق بين بلد وآخر، والبلدان المختلفة تحتاط لشعوبها وتأخذ بأسباب الوقاية المستطاعة لها، والخنازير هي الوعاء الناقل لأنفلونزا الخنازير القاتل، وشبهتها كبيرة أيضًا في نقل أنفلونزا الطيور.

وإذا كانت منظمة الفاو تعترض على قتل الخنازير، وترى أن الوباء ينتقل من الإنسان إلى الإنسان لا من الحيوان إلى الإنسان، فهذه نظرتها ولا يعتب على مصر إذا تصرفت على النحو المذكور لمصلحة شعبها الصحية.

وقد وردت الأخبار المتواترة بنزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان حكمًا عدلًا مقسطًا يحكم بشريعة الإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية.

سابعًا- نزل طاعون عمواس بالشام، وحصد قرابة عشرين ألف نفس، وقد أخبر الصادق المصدوق -صلوات الله وسلامه عليه- على طاعون عمواس ضمن علامات الساعة، فقال: «**ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ**» [رواه البخاري]، قال ابن حجر: يقال إن هذه الآية يظهر في طاعون عمواس في خلافة عمر، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس.

ومن المعلوم أن الطاعون شهادة لهذه الأمة، أي أن المسلم إذا مات في الطاعون كان له ثواب الشهيد في الآخرة، ويجري عليه أحكام الموتى في الدنيا، فيغسل ويكفن ويُصلى عليه، وهذا شأن من مات في الحرق والغرق والهدم، والمرأة حال وضعها ونفاسها، أما من مات في قتال الكفار فلا يُغسل ويدرج في ملابسه، وقد نترك الصلاة عليه، والله أعلم بمن مات في سبيله.

ثامنًا-مات معاذ بن جبل رضي الله عنه في طاعون عمواس، فعن طارق بن عبد الرحمن قال: وقع الطاعون بالشام فاستغرقها فقال الناس: ما هذا إلا الطوفان إلا أنه ليس بماء فبلغ معاذ بن جبل فقام خطيبًا فقال: إنه قد بلغني ما تقولون، وإنما هذه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وكموت الصالحين قبلكم، ولكن خافوا ما هو أشد من ذلك، أن يغدو الرجل منكم من منزله لا يدري أمؤمن هو أو منافق وخافوا إمارة الصبيان.

وعن شهر بن حوشب، عن رابه -رجل من قومه، كان شهد طاعون عمواس - قال: لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة بن الجراح في الناس خطيبا فقال: أيها الناس إن

هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه.

قال: وطعن فمات رَحِمَهُ ٱللَّهُ واستخلف على الناس معاذ بن جبل فقام خطيبًا بعده فقال: أيها الناس إن هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، وإن معاذا يسأل الله أن أن يقسم لآل معاذ منه حظه.

قال: فطعن ابنه عبد الرحمن. قال ثم قام فدعا ربه لنفسه فطعن في راحته فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقبل ظهر كفه ثم يقول: ما أحب أن لي بها فيك شيئًا من الدنيا. فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص.

وعن عبد الله بن رافع قال: لما أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس استخلف على الناس معاذ بن جبل. واشتد الوجع فقال الناس لمعاذ: ادع الله أن يرفع عنا هذا الرجز. فقال: إنه ليس برجز ولكنه دعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، وشهادة يختص الله بها من يشاء من عباده منكم، أيها الناس، أربع خلال من استطاع منكم أن لا يدركه شيء منها فلا يدركه شيء منها قالوا: وما هن؟ قال: يأتي زمان يظهر فيه الباطل ويصبح الرجل على دين ويمسي على آخر، ويقول الرجل: والله لا أدري على ما أنا؟ لا يعيش على بصيرة ولا يموت على بصيرة، ويعطي الرجل من المال مال الله على أن يتكلم بكلام الزور الذي يسخط الله، اللهم آت آل معاذ نصيبهم الأوفى من هذه الرحمة.

فطعن ابناه فقال: كيف تجدانكما؟ قالا: يا أبانا، الحق من ربك فلا تكونن من الممترين، قال: وأنا ستجداني إن شاء الله من الصابرين.

ثم طعنت امرأتاه فهلكتا، وطعن هو في إبهامه فجعل يمسها بفيه، ويقول: اللهم إنها صغيرة فبارك فيها فإنك تبارك في الصغيرة حتى هلك.

وعن الحارث بن عمير قال: طعن معاذ، وأبو عبيدة، وشرحبيل ابن حسنة، وأبو مالك الأشعري في يوم واحد. فقال معاذ: إنه رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وقبض الصالحين

من قبلكم، اللهم آت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة. فلما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن بكره الذي كان يكنى به وأحب الخلق إليه. فرجع من المسجد فوجده مكروبًا فقال يا عبد الرحمن كيف أنت؟ فقال: يا أبة الحق من ربك فلا تكن من الممترين فقال معاذ: وأنا إن شاء الله ستجدني من الصابرين. فأمسكه ليلته ثم دفنه من الغد.

فطعن معاذ، فقال حين اشتد به نزع الموت، فنزع نزعا لم ينزعه أحد، وكان كلما أفاق من غمرة فتح عينيه ثم قال: رب اخنقني خنقك، فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك.

وعن عمر بن قيس عمن حدثه عن معاذ قال: لما حضره الموت قال: انظروا أصبحنا؟ قال: فأتي فقيل: لم نصبح حتى أتى في بعض ذلك فقيل له: قد أصبحت. فقال: أعوذ بالله من ليلة صباحها النار، مرحبًا بالموت مرحبًا، زائر مغب، حبيب جاء على فاقة، اللهم إني قد كنت أخافك وأن اليوم أرجوك، إنك لتعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

اتفق أهل التاريخ أن معاذًا رضي الله عنه مات في طاعون عمواس بناحية الأردن من الشام سنة ثماني عشرة، واختلفوا في عمره على قولين أحدهما ثمان وثلاثون سنة، والثاني ثلاث وثلاثون.

وعن سعيد بن المسيب قال: رفع عيسى بن مريم وهو ابن ثلاث وثلاثين، ومات معاذ وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين

كاتبة سعودية ترصد
غياب الليبرالية في مصر

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد ورد في جريدة المصري اليوم الأحد ٢٦/ ٤/ ٢٠٠٩م وتحت عنوان: «كاتبة سعودية ترصد غياب الليبرالية في مصر وسيادة الانغلاق في المجتمع المصري» ما نصه: «هكذا ليتنعم الحب ببركة النيل يجلس العشاق وعلى ضفافه بأوضاع اقترب بعضها من العناق.

على ضفاف النهر متسع كبير للرومانسية ولأبدية الأحلام المستحيلة.

الكل يحب، الكل يتزوج، والكل يريد أن ينجب، وكلما زاد الفقر زاد النسل، يريدون أن يملأوا كل جحر بإنسان، لا أحد يفكر كيف سيعيش؟ المهم متعة لحظات الجماع التي يمكنها أن تغني عن مطاعم الخمس نجوم، والفنادق المحرمة على كثيرين.

عرائس كلهن محجبات لم أر شعر واحدة تقف هناك.

جئت لتغطية خطة نضالية قديمة انتهت بشكل تقريبي، وتحل محلها اليوم نضالات جديدة خرجت أو تفرعت من كل حركات دينية مسيسة.

في مصر نزعت هدى شعراوي الغطاء الذي يخفي المرأة ويخيفها، عائشة التمورية كانت هنا، نبوية موسى، وصفية زغلول، ودرية شفيق، وملك ناصف، وعائشة راتب، وبنت الشاطئ، وسكينة فؤاد، وأمينة شفيق، بقي جيل فريدة النقاش.

أين ذهب الأوائل؟ ولا حتى بقايا فكرة، كله ذهب سدى، صورهن ليست معلقة على الجدران، وليس لهن تماثيل منحوتة في الشوارع والحدائق، حسروا أفكارهن في الكتب بإحكام.

أرادت المرأة سابقًا إصلاح المجتمع نسائيًا، وتأبي خليفتها الفقيهة تريد إصلاحات من داخل الدين لا ليست خليفتها لم تولد واحدة بعد.

القنوات التليفزيونية الدينية بها عدد من المصريات منهن متراجعات عن دنيا الفن السينمائي، غطاء شعر ومكياج وابتسامة، الأمر كله يتعلق بالشعر فقط، ما حدث كان انقلابًا على الحريات، وتحولت الحضارة من سابق نحو الرقي إلى صراع حول ما يظهر من خصلات.

من سلام وطمأنينة إلى أصولية مستشرية بشكل عجيب تنظر إلى أتباع الديانات الأخرى وإلى السيدات كمواطنات من درجة ثانية.

نكسة ضمن النكسات العربية، لكن مصر (رمز الليبرالية) قديمًا باقية بمكانتها وتاريخها وماضي رجالها ونسائها الحر الثوري الذي لابد أن تستعيده مصر يومًا» أ.هـ باختصار.

تلقف رئيس تحرير المصري اليوم هذا المقال للكاتبة السعودية -عارية الفكر قبل أن تكون عارية الرأس- عن الرأي الكويتية وأشاد به فقال:

«والمفارقة أنها في هذا الرصد الرائع والعميق لأحوالنا الراهنة ترى أن أهم ما خسرناه خلال السنوات الأخيرة هو الليبرالية القديمة التي تآكلت تحت ضغط التعصب والتطرف. والمفارقات في هذا المقال عديدة ومدهشة، فالكاتبة سعودية أصابها انغلاق المصريين بالذهول والوجع، والمشاهد من القاهرة التي صدرت الانفتاح والحرية والليبرالية إلى دول -منها السعودية- نَصِفَها بالأصولية والانغلاق الفكري... فهل انقلبت الأوضاع؟ اقرأوه لتدركوا إلى أي حد تراجعت الليبرالية المصرية وفي أي طريق نسير» اهـ.

وأنا بإذن الله أوضح المشهد للكاتبة السعودية ولرئيس التحرير الذي يبكي على تراجع الليبرالية المصرية، ويتساءل: في أي طريق نسير؟

أولاً- دأب البعض على استخدام تعبيرات ومصطلحات أجنبية لها مدلول من أهلها، كمصطلح الليبرالية والإمبريالية والبروليتاريا.

يفعلون ذلك مع شعب يعاني الأمية، ونصف أبنائه أو أكثر يعيشون تحت خط الفقر -كما يقولون-، وأكثريته عبارة عن عمال وفلاحين، ونوضح هنا معنى الليبرالية كما جاءت في الموسوعة الميسرة:

الليبرالية: مذهب رأسمالي ينادي بالحرية المطلقة في الميدانين الاقتصادي والسياسي، ففي الميدان السياسي وعلى النطاق الفردي: يؤكد هذا المذهب على القبول بأفكار الآخرين وأفعالهم، ولو كانت متعارضة مع المذهب بشرط المعاملة بالمثل، وفي إطارها الفلسفي تعتمد الفلسفة النفعية والعقلانية لتحقيق أهدافها.

وعلى النطاق الجماعي: فالنظام السياسي المبني على أساس فصل الدين عن الدولة، وعلى أساس التعددية الأيديولوجية والتنظيمية الحزبية والنقابية من خلال النظام البرلماني الديمقراطي -راجع البرلمان والديمقراطية النيابية- بسلطاته الثلاث: التشريعة والتنفيذية والقضائية للحفاظ عليها.

وقد كفلت حرية الأفراد بما في ذلك حرية المعتقد، إلا أن الليبراليين في الغالب يتصرفون ضد الحرية لارتباط الليبرالية بالاستعمار، وما يتضمن ذلك من استغلال واستعباد للشعوب المستعمرة.

والليبرالية الاقتصادية: تأخذ منبعها من المدرسة الطبيعية التي تؤكد على أنه يوجد نظام طبيعي يتحقق بواسطة مبادرات الإنسان الاقتصادي، والذي ينمو بشكل طبيعي نحو تلبية أقصى احتياجاته بأقل ما يمكن من النفقات، على أن تحقيق الحرية الاقتصادية يحقق النظام الطبيعي، وفي ذلك تدعو الليبرالية الاقتصادية إلى عدم تدخل الدولة في النظام الاقتصادي إلى أدنى حد ممكن، ومن أشهر من نادى بالليبرالية آدم سميث، ومالتوس، وريكاردو، وجون ستيوارت مل.

ثانيًا- لا أدري هل تركت الكاتبة المملكة السعودية وارتحلت إلى الكويت؟ حيث تجد متنفسًا لكشف شعرها وللكتابة العارية الفاضحة، فهي لا تستحي من وصف العشاق على ضفاف النيل بأوضاع اقترب بعضها من العناق!!

يا ليتها ذكرت ذلك على جهة إنكاره، ولكن للبكاء على غياب الليبرالية وسيادة الانغلاق في المجتمع المصري تقول: «كيف يجد الفقير وقتًا للحب وللضحك وللجنس، المهم متعة لحظات الجماع»

لقد وجد رئيس تحرير المصري اليوم ضالته المنشودة، والطيور على أشكالها تقع، «**وإِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَافْعَلْ مَا شِئْتَ**» [رواه البخاري]، والحياء والإيمان قرنا جميعًا فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر، الحياء خير كله، و لا يأتي إلا بخير.

نحن نفرح بغياب مظاهر التحلل والفجور، حتى وإن حزنت لذلك نفوس؛ فكل إناءٍ بما فيه ينضح، والسلوك مرآة الفكر، وإلا فماذا يكون شأن وحال من منهجه الحريات الليبرالية الغربية ؟!!

ثالثًا- هل تتطور الشعوب وتتقدم الأمم بجلسات العشاق، وكشف شعور النساء، وترجلهن؟ وهل النضال يكون على درب سيزا نبرواي، ودرية شفيق، ونوال السعداوي في المناداة بحرية هي أقرب للتحلل؟!!

يبدو أن البعض ما زال يعشق الحياة الغربية، ويرى أنها النموذج الأمثل لتحضر البلاد والعباد، حتى لو أخذ النجاسات الموجودة في أمعائهم، وهجر إسلامه ودينه.

كنا نفهم أن نأخذ من الغرب العلوم النافعة كالصناعة والزراعة والهندسة والطب مع التزامنا بشرع الله في الحجاب، وترك الاختلاط، وسائر شئون الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، وفي المسجد، والسوق، وعلى ضفاف النيل، وبحيث يصبح الإسلام هو الحكم على الليبرالية القديمة والجديدة، ويكون منا الحنين الجارف للعهود التي طبقت فيها شريعة الإسلام، وأرضى فيها العبادُ ربَّهم، واتصلت فيها الأرض بالسماء لا عهود التدني والانحطاط.

قرأت مقالة عن مسلسل (أسمهان) في نفس الجريدة الليبرالية تقول فيها الكاتبة: «لقد كانت المرأة منذ سبعين سنة تشرب الخمر وتلعب القمار حتى أتى المتطرفون فحرموا علينا حتى الهواء»، يحق لهذا النمط من البشر أن يضيق صدره بالحجاب وهو يرى حريته في لعب القمار وشرب الخمر.

رابعًا- إذا انطمست الفطر، وأظلمت العقول بالمعاصي والذنوب والمناهج الأرضية كالليبرالية لابد وأن تتبدل الموازين، بحيث يصبح الإيمان كفرًا، والكفر إيمانًا، والحق باطلًا والباطل حقًا، ويحب المرء أعداء الله ويُبغض أولياءه.

والأدهى أن يمسك هؤلاء الميزان بأيديهم، والمتطرف والمتعصب الأصولي المنغلق هو الذي يتمسك بالإسلام منهجًا للحياة، أما المعتدل والمستنير فهو الذي يساير حياة العصر، وينفتح على الغرب!!

لا بأس عند هؤلاء أن تكون فرعونيًا أو وطنيًا أو قوميًا أو اشتراكيًا أو ديمقراطيًا، المهم ألا تكون مسلمًا عاملًا بما جاء في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله ﷺ.

خامسًا- السعوديون ليسوا عالمًا من الملائكة الأبرار، ففيهم البر والفاجر، والمسلم والكافر، والمحسن والمسيء، والمصريون يصدرون الخير والشر كما يعبرون.

ونحن نحب الخير للكاتبة، وكنا نود لو دعتنا للالتزام بالكتاب والسُنَّة، وترك مظاهر التحلل والفجور، وحذرتنا من التعصب على الباطل، وانغلاق العقول بالإثم، والمناهج الطاغوتية الكفرية.

كنا نتمنى أن تكون من دعاة الهدى والرشاد والاستمساك بمعاني العدل والاعتدال، بعيدًا عن الإفراط والتفريط والغلو والجفو، ولا يتحقق ذلك إلا بأن نكون على مثل ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة الكرام.

يا ليتها ناضلت فثبتت على الحق وعلى ما تعلمته في السعودية إن كانت قد تعلمت شيئًا نافعًا، وهجرت الأباطيل، ولم تروج لأضاليل هدى شعراوي، ونبوية موسى، مطالبة بتعليق صورهن وعمل التماثيل المنحوتة لهن في الشوارع والحدائق.

كنا نتمنى أن تتعلم حكم الله فيما طالبت ونادت به، وأن تحفظ ما جاء في الكتاب والسُّنَّة، فهذا أنفع لها وأصلح للبلاد والعباد.

من الخير للإنسان أن تموت أباطيله إذا مات، أين نصيحة الكاتبة لله ولرسوله ﷺ؟ وأين أمانة رئيس التحرير وهو يبحث عن زبالات الآراء فينشرها على الملأ؟ فالكلمة أمانة، وهي إن لم تبنِ هدمت، وإن لم تُصلِح أفسدت.

إن الدعوة لليبرالية والهجوم على معاني الإسلام هي دعوة الهدم والتخريب والرجوع بالبلاد والعباد إلى وراء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]، وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]، وقال: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

سادسًا- رئيس التحرير شغوف بمعرفة في أي طريق نسير، وأنا أوضح له الصورة -بإذن الله- وأجيبه على سؤاله، ففي الساحة الآن طوفان تدين جارف شواهده كثيرة في الحل والحرمِ، فانتشار الحجاب وكثرة رواد المساجد والحجاج والمعتمرين وإطلاق اللحى وتقصير الثياب، وكثرة السؤال عن الحلال والحرام والحرص على التفقه في الدين، ونجاح المتدينين في كل موقع، وكسبهم ثقة الناس... ظواهر كثيرة لا تخطئها العين، ويتخوف منها الأعداء والملحدون والعلمانيون والزنادقة، وكثيرًا ما يلمزون ويغمزون ويهمزون، ويلتمسون الزلات والعيوب لجماهير المتدينين.

وفي مقابل طوفان التدين يقف طوفان آخر أسفر عن وجهه الكالح، وعَزَّ عليه أن يُسحب البساط من تحت قدمه، وتوهم أن الدنيا قد دانت له وخصوصًا مع امتلاكه لكل وسائل التوجيه والإعلام، والتعليم والثقافة، طوفان لم يقرأ طبيعة السُنن وتهكم بحديث الفُسطاطَيْن وهو أحد طرفي المعادلة.

هذا الطوفان مآله إلى مزبلة التاريخ، وعاقبته هي عاقبة قوم نوح وعاد وثمود وفرعون وهامان وقارون، طوفان دأب على محاربة الله ورسوله، يضيق صدره بالإسلام وشرائعه، ويبتهج بالعفن الليبرالي وبالديمقراطية والنظم الوضعية ويسمي الأشياء بغير اسمها، فالحجاب وترك الاختلاط وهجران التحلل يسمونه انغلاقًا.

وقد رموا الخلق بداء تطرفهم وتعصبهم المقيت للباطل، يتركون أهل الأوثان ويقتلون أهل الإسلام، وبين هذا الفريق وذاك ستجد مجموعات من البشر تقترب من التدين يومًا بعد آخر كالراقصة التي تحج وتعتمر، والممثلة التي تحفظ القرآن وتصوم الاثنين والخميس، وكلاعب الكرة الذي يسجد سجدة شكر إذا أحرز هدفًا، ويؤدي الصلاة في جماعة لأول وقتها... هذا هو المشهد اليوم باختصار شديد.

سابعًا- تغيب الليبرالية ويضعف الأمريكان وتنزوي الحضارة الغربية، ويستيقظ المارد بعد طول سبات، وما أكثر المبشرات بعودة الإسلام، ومن جملتها ما ذكرته الكاتبة السعودية ورئيس التحرير، ولو كانت لي نصيحة مقبولة لقلت لهما: سيروا في طريق الله، فهذا أنفع لكما في العاجل والآجل، لا تصادما السُنن الشرعية والكونية، ولا تقفا في طريق الطوفان الهادر؛ فالشعوب تريد العودة لدين ربها، فلِمَ معاندة الشريعة والعقول السليمة والفطرة القويمة؟ قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[الصف: ٨ - ٩].

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

انظروا إلى أفكاري
قبل أن تنظروا إلى شكلي

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

ففي ردها على سؤال بشأن إمكانية ارتدائها الحجاب إذا نجحت في دخولها البرلمان الكويتي قالت المرشحة: إنها تتمنى أن ينظر أعضاء المجلس إلى أفكارها وطروحاتها وليس إلى شكلها، وأضافت أنه في حال اعتراض النواب على دخولي المجلس دون حجاب سيكون عليهم جميعًا أن يطيلوا اللحى ويحفوا الشوارب ويقصروا الدشاديش، والدستور قال: إن التشريع الإسلامي أحد مصادر التشريع، وليس المصدر الوحيد، ولكل شخص الحرية في الظهور بالشكل الذي يناسبه، ولن ينظر إلى حجابي فقط، بل إلى طرحي وبرنامجي الانتخابي، ومدى احتوائه على احتياجات الوطن والشعب، وذكرت طرفًا من برنامجها الانتخابي واهتمامها بقضايا هي من صلب دراستها وتخصصها، ولنا عدة تعليقات على مرشحة البرلمان الكويتي:

أولًا- كنت أظن أن المرأة تتبرج لاستثارة الرجل، ولنيل إعجابه، حتى سمعت البعض يقول: إنها تفعل ذلك لإرضاء طموحها، وإشباع رغبتها الشخصية، وسواء كان هذا أو ذاك فلا يجوز أن تكون فتنة لنفسها، فتنة لغيرها، ولا يكتفي بالنوايا الطيبة بل لابد من صحة العمل ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، قال العلماء: أخلصه وأصوبه، فإذا كان العمل خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإن كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل حتى يكون خالصًا وصوابًا، والخالص ما كان ابتغاء وجه الله، والصواب ما وافق سُنة رسول الله ﷺ.

وقد حذر الصادق المصدوق -صلوات الله وسلامه عليه- من فتنة النساء، فقال: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ الله مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِى النِّسَاءِ**» [رواه مسلم]، وما ترك بعده -صلوات الله وسلامه عليه- فتنة أضر على الرجال من النساء.

وحجاب المرأة يجب أن يكون فضفاضًا غير ضيق، لا يصف حجم عظامها، ولا يشف عما تحته من البدن، ولا يكون ثوب شهرة، ولا زينة، ولا يشابه زي الرجال، ولا زي الكافرات، ويضرب من الرأس حتى القدم، وتغطية الوجه والكفين مشروع باتفاق العلماء بين قائل بالوجوب وقائل بالاستحباب، وقد دلت على هذه الضوابط الشرعية نصوص الكتاب والسُنَّة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]

ثانيًا- أمتعضُ لرؤية المتبرجات بمصر، وامتعاضي أشد لرؤيتهن في الكويت ودول الخليج، فالأجواء والظروف لا تسمح بمثل هذا التبرج هنا وهناك أشد، ونفس القضية عندي في تبرج الريفيات عندنا، فالبيئة والنشأة لا تسمح بمثله فضلًا عن الشريعة المطهرة.

وأتعجب للمناداة بحرية أو تحلل المرأة عندنا وللسير قدمًا في تطبيق الديمقراطية وإعطاء المرأة حقوقها (أي في العُري والخلاعة والاختلاط)، يقولون ذلك على جهة الانبهار، فيا ليت كان سباقًا لتطبيق شرع الله!! والعمل بدين الله، وإلزام الجميع ما جاء في الكتاب والسُنَّة، ولكنها سباقات التمرد على دين الله، والأسوأ فيها من سبق.

وقد يزداد الطمس والعمى فيذكر البعض أن إسرائيل هي أول دولة ديمقراطية في المنطقة لنحذو حذوها ونتبع طريقها، فهل فقدنا الوعي لمثل هذا الحد، والتبست علينا

الأمور بهذه الكيفية، ومن الذي يهتف بعودة الأمة عودًا حميدًا لدين ربها حتى يعود لها مجدها وعزها ونصرها المفقود؟

ثالثًا- ما زلت أسترسل مع شعوري وأطرح تعجبي من إطالة الرجل الكويتي للعباءة والقميص وتقصير الكويتية لثيابها، الرجل هناك يرتدي الغطرة والعقال، والمرأة تكشف عن شعرها، وتتابع أحدث خطوط الموضة!!

لا أُعمِّم هنا -ولا تعميم قبل حصول الاستقراء-، ولكنه مشهد لافت للنظر رأيته كثيرًا في وسائل الإعلام، لماذا انقلبت الموازين على مثل هذا النحو؟ وهل هو الجهل بدين الله؟ ففي الحديث، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ يَصْنَعْنَ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: يُرْخِينَ شِبْرًا. فَقَالَتْ إِذًا تَنْكَشِفَ أَقْدَامُهُنَّ. قَالَ** «**فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا لاَ يَزِدْنَ عَلَيْهِ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني]، فالمرأة مأمورة بتغطية القدم، إذًا تغطية الوجه من باب أولى وأحرى، أما بالنسبة للرجل فما دون الكعبين فهو في النار، فإطالة الثوب تحت الكعب بالنسبة للرجل من جملة المحرمات، أما المرأة فهي مأمورة بالصيانة والتحفظ والتحجب والتستر، ويجب التباعد عن مواطن التهم والريب والشكوك.

رابعًا- يستثير حديث المرشحة الكويتية أمرًا آخر يتعلق بتقليد المرأة منصب الحكم والرياسة، والوزارة والقضاء، وأن تكون عضوًا في البرلمان، ومن تتبع تاريخ هذا الأمر وجد أن اليهود لهم قدم السبق في ذلك إبان الثورة الصناعية في أوربا؛ فقد كانوا يدفعون لها نصف أجر الرجل مع عملها لنفس الساعات التي يعملها الرجل ثم أوعزوا لها أن تظاهري وأضربي، فلم تأخذ حقها، فانتقلوا مرة ثانية وأوعزوا لها أن تدخل الجامعة والبرلمان لنيل حقوقها المسلوبة!!

هل نقول عليكم بقراءة التاريخ؟ بل اقرأوا الشريعة قبل ذلك، وباتفاق العلماء لا يجوز للمرأة أن تتولى منصب الخلافة والرياسة، وفي توليها القضاء خلاف، ولن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة.

وبعيدًا عن الكلام عن جواز تولي المرأة نيابة البرلمان نتساءل بعض التساؤلات المشروعة: ماذا تصنع المرأة حال الحمل والرضاع والحيض والنفاس، وهي أحوال لا تنفك عنها المرأة، وتكون فيها أقرب إلى الأحوال المرضية، وهل نعطل أصحاب المصالح وأبناء الدوائر والعشائر حتى تنفك المرأة عن مثل هذه الظروف؟ وماذا تفعل إذا اقتضت اللوائح عرض الطلبات والعقود في جلسات المباحثات المغلقة ومد اليد للمصافحة ومعانقة الوفود القادمة؟ هل يتقبل المجتمع الكويتي منها ذلك؟ وإذا هي امتنعت معللة إنها امرأة والشرع لا يجيز لها ذلك، فكيف تؤدي واجبها البرلماني في مثل هذه الظروف التي تعيشها؟

أقول هذا الكلام لأن البعض يهرف بما لا يعرف، ويتكلم بأحكام مبتسرة تدل على عدم إدراك للشرع والواقع، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]، فالنساء شقائق الرجال في الأحكام إلا ما استثناه النص والدليل.

وقد وجدوا أن المرأة عندما تتعرض لمسألة فإن مركز العاطفة هو الذي يعمل في مخها بعكس الرجل، فإن مركز القرار يسبق مركز العاطفة وهذا في الطبقات التشريحية، والواقع يصدق افتراق الرجل عن المرأة في بعض الأمور.

خامسًا- مرشحة البرلمان الكويتية لها الحق في مطالبة الجميع -ليس فقط نواب البرلمان بل جميع الرجال- بأن يطيلوا اللحى ويحفوا الشوارب ويقصروا الدشاديش، بل لها الحق في مطالبة الدنيا بأسرها بإسلام الوجه لله، وتحكيم شرع الله في السياسة والاقتصاد والاجتماع والأخلاق.

وعليها أن تلتزم بالحجاب الشرعي، فهذا واجب عليها سواء التزموا أو لم يلتزموا، وتفريطهم لا يعني تفريطها، ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، وقال تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، وقال سبحانه وتعالى-: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦]، وفي الحديث القدسي: «**إِنَّمَا هِيَ**

أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ» [رواه مسلم]، وليس للمرشحة ولا لغيرها اختيار مع الله، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وبالتالي فقولها لكل شخص الحرية في الظهور بالشكل الذي يناسبه لا يجوز، فالكل يظهر ويقول ويفعل وفق ما ورد في الكتاب والسُّنَّة ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

سادسًا-آن لنا أن نكف عن الحكم بغير ما أنزل الله، كما آن لنا أيضًا أن ننهى عن عرض حكم الخالق على المخلوق: أنطبق أحكام الشريعة أم لا؟

فاللعبة الديمقراطية لا تصلح معنا ولا مع غيرنا، والأكثرية لا يجوز كلها أن تتحكم في الأقلية بالباطل وعلى حساب النصوص الشرعية، والعباد لا يُستشارون في مواضع النصوص والخلافة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا به، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، وقال عزَّ وَجلَّ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال سبحانه عن الأكثرية: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

فعلى كل من ابتلى بالدخول في البرلمان أن يكثر الخير والصلاح ويقلل الشر والفساد، ويصبغ القوانين بصبغة الإسلام ويلزم نفسه وغيره -ما وسعه الأمر- بكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ.

سابعًا-العلاقة وثيقة بين الظاهر والباطن، فالقلب ملك مؤمَّر، والأعضاء جنوده، فصلاح الأعضاء بصلاح القلب، وفي حديث النعمان بن بشير قال رسول الله ﷺ: «**أَلاَ وَإِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ. أَلاَ وَهِىَ الْقَلْبُ**» [متفق عليه]، وقال سبحانه عن المنافقين: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[محمد: ٣٠]، وما أسرَّ عبدٌ سريرة إلا وأظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، ولا معارضة أبدًا بين الأفكار الجميلة التي لا تتصادم مع شرع الله ومع الشكل الملتزم بالحجاب الشرعي ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء: ٩]، أي للتي هي أسد وأعدل في كل ناحية من نواحي الحياة.

نحن لا نقبل شُغل المنافقين الذين يُظهرون ما لا يُبطنون، ويُبدون الحسن للناس ويسترون القبيح، فالظاهر والباطن عنده سواء، والسر والعلانية لديه سواء، والذي دعانا إلى العمل وإتقانه هو الذي أمر المرأة بالحجاب والصلاة وترك الاختلاط.

ثامنًا-أنصح المرشحة بترك دخول البرلمان للأسباب التي ذكرت، ونصيحتها للوطن والشعب مقبولة بإذن الله، ومن الممكن توصيلها للمسئولين وفق الضوابط الشرعية، ورعايتها للزوج والبيت والأولاد مهمة كبيرة لا يمكن تحقيرها.

وتعبيدها البلاد والعباد بدين الله هي وظيفة جميع الأنبياء والمرسلين، وينبغي على العبد أن يشفق على نفسه في الوقت الذي يشفق فيه على الآخرين، ولا يكون كالشمعة التي تحرق نفسها وهي تنير الطريق للآخرين.

والسعي في صلاح النفس، وسلوك طريق المتقين، وترك التبرج والاختلاط، وتأدية حق الزوج والولد جهاد بالنسبة للمرأة، لا يتعارض مع الاهتمام بأمر المسلمين والسعي في مصالحهم مع التأدب بالآداب الشرعية وبلا ابتذال. وفق اللهُ الجميع لما يحب ويرضى.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ

انحراف الألسن عن اللغة العربية

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فما زال بعض الغيورين يدقون ناقوس الخطر، ويتخوفون على اللغة العربية (لغة القرآن)، فقد جاء في المصري اليوم الأحد ٢٣ربيع الآخر ١٤٣٠ هـ تحت عنوان: قنوات النايل وخصخصة اللغة العربية ما نصه: «اللغة العربية في خطر، المجمع اللغوي حذر مؤخرًا من ظواهر سلبية تهدد لغتنا الجميلة، وعلى أرض الواقع نشهد بأعيننا لغتنا تتمرغ في التراب، ولا نمد أيدينا لإنقاذها، يشارك في الجريمة كل الأطراف بدءًا من البيت، المدرسة، الشارع، وسائل الإعلام، الهيئات الرسمية، وحتى كبار المسئولين.

فرغم وجود قانون صدر عام ١٩٥٨م لحماية اللغة العربية يمنع كتابة أسماء الشركات بلغات غير العربية، فإن الواقع يؤكد العكس، أيضًا عندما أراد المسئولون عن التليفزيون المصري تطوير بعض قنواته غيروا الأسماء إلى لغات أخرى فأصبح نايل دراما، نايل سينما... إلخ، وهذه سذاجة مستغرقة في السذاجة.

لا يقتصر الأمر عند هذا الحد، فهناك كوارث تجرى في مدارس اللغات التي تقدم تعليمًا أجنبيًا، فأبناؤنا لا يتعلمون لغتهم الأم لأن بعض هذه المدارس يلغي اللغة العربية فعليًا.

من الأخطار الثقافية أيضًا تعدد الجامعات الأجنبية على أرضنا.

لقد تعودنا منذ قرون طويلة على الانبهار بالأجنبي في كل مجال لذلك فالهرولة ناحية التعليم الأجنبي أمر طبيعي حسب سيكولوجية المصريين، لذلك سيكون من البديهي في المستقبل القريب أن يغير هؤلاء المجتمع حسب رؤيتهم، وهم لهم اليد العُليا لأنهم أصحاب الثروة والسلطة؛ لذلك يجب أن يُدق الناقوس عاليًا.

علينا أن ننقذ اللغة العربية، أن ننقذ الثقافة العربية، أن نواجه الغزو الثقافي والإعلامي، وأن نحمي تاريخنا ومستقبلنا». اهـ

ونضيف لهذه الكلمات مسائل أخرى على جهة التوضيح والبيان، ولإبراء الذمة، وتخليص الرقبة بين يدي من لا تخفى عليه خافية:

أولًا- كره الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أشد الكراهة تسمية الشهور بالفارسية وبأسماء لا تعرف، خشية كونه محرمًا فلا ينطق المسلم بما لا يعرف، وكراهة أن يتعود الرجل النطق بغير العربية، فاللسان العربي شعار الإسلام وأهله.

وكره الفقهاء الأدعية التي في الصلاة والذكر بغير العربية، ويمنع أن يترجم سورة أو ما يقوم به الإعجاز، وأما الخطاب بالأجنبية من غير حاجة في أسماء الناس والشهور كالتواريخ ونحو ذلك فهو منهي عنه مع الجهل بالمعنى بلا ريب، وأما مع العلم به فكلام أحمد بيّن في كراهته أيضًا، فإنه كره «أذرماه» ومعنا ليس محرمًا، والدعاء في الصلاة بالفارسية كرهه وقال: لسان سوء، واستدل بنهي عمر عن الرطانة (التكلم بالأجنبية) مطلقًا.

ومنع الشافعي من التكلم بغير العربية قال عمر: «ما تعلم رجل الفارسية إلا خبّ، ولا خبّ رجل إلا نقصت مروءته».

وسمع محمد بن سعد بن أبي وقاص قومًا يتكلمون بالفارسية فقال: ما بال المجوسية بعد الحنيفية؟ فمن يُحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فإنه يورث النفاق.

ثانيًا- وردت بعض الآثار تدل على أنهم كانوا يتكلمون بالكلمة بعد الكلمة من العجمية، ولعل يكون المخاطب أعجميًا، وقد اعتاد العجمية يريدون تقريب الأفهام عليه، ومن ذلك قول النبي ﷺ لأم خالد وكانت صغيرة وولدت بأرض الحبشة، فكساها قميصًا وقال: «**يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا**» **وَالسَّنَا بِلِسَانِ الْحَبَشِيَّةِ الْحَسَنُ**. [رواه البخاري].

أما اعتياد النطق بالأجنبية فمكروه؛ لأنه من التشبه، ومن تشبه بقوم فهو منهم، وقد عود المسلمون المتقدمون أهل مصر العربية، وكانت لغة أهلها -رومية- ثم هُجرت العربية بخراسان حتى غلبت الفارسية، وهذا مكروه.

وينبغي على الإنسان أن يلقيها للصغار فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسُنة؛ فاللغة من الدين ومعرفتها فرض واجب، وفهم الكتاب فرض ولا يتم إلا بفهم العربية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

كتب عمر لأبي موسى: «أما بعد فتفقهوا في السُنة وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن فإنه عربي»، وقال: «تعلموا العربية فإنها من دينكم وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم ».

ثالثًا- اللغات أعظم شعائر الأمم، والتكلم بغير العربية لغير ضرورة نفاق، ويكره اتخاذ لغة العجم شعارًا، واعتياد اللغة يؤثر في العقل والدين والأخلاق، ويحرم ترجمة القرآن، ولا بأس بترجمة التفسير بأسلوب مبسط وسهل، وينص على أنها ترجمة لفهم شخص للعقيدة ومبادئ الشريعة، وهذه ضرورة بقدر الحاجة إلى إبلاغ الدعوة للناس كافة، فمخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم ليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك، وكانت المعاني صحيحة، كمخاطبة العجم من الروم بلغتهم فإن هذا أحسن للحاجة، وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه.

فيقرأ كتب الأمم وكلامهم بلغتهم ويترجم بالعربية كما أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود ليقرأ له ويكتب له ذلك حيث لم يأتمن اليهود عليه، ولا معارضة بين هذا وبين وجوب تعلم اللغة العربية لفهم الدين والنهي عن رطانة العجم.

رابعًا- لابد من التعرف على السُنن الشرعية والسُنن الكونية لإدراك قيمة اللغة في حياة الشعوب ونشر العقائد، وما تعرضت له اللغة العربية من هجمات شرسة هنا وهناك، وكذلك حرص الأعداء على إحلال لغتهم محل لغة القرآن، فمثلًا تمخضت

حرب الجزائر خلال مائة عام عن القضاء على اللغة العربية هناك، وفي أفريقيا حرص التبشير على توجيه أكبر قدر من الحرب من أجل معارضة نمو الإسلام، وكانت السيادة هناك للغة العربية، وذلك قبل إحلال لغاته الغربية ولهجات أفريقيا، فحضر الأفارقة الصلوات في الكنيسة وغيروا الأسماء ودرسوا التاريخ الاستعماري، وصارت بعوث أفريقيا ترسل إلى الغرب بعد أن كانت ترسل إلى مكة والأزهر، وأثاروا التعصب القبلي في مواجهة انتشار العربية مع نشر الثقافة الإنجليزية والفرنسية، ونفس الأمر فعلوه في جنوب شرق آسيا، وقد تراجعت اللغة في تركيا وأندونيسيا وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية.

خامسًا- قال حذيفة ﵁ كانت الناس تسأل رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، وقال عمر ﵁: لست بالخب ولا الخب (الماكر المخادع) يخدعني.

اعرف عدوك من باب عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه، ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه، يقول البعض: إن الاستعمار قد أخذ عصاه على كتفه ورحل، وواقع الأمر أنه ما رحل حتى ترك فكره وأذنابه يحكمون؛ فالاستعمار الفكري بعد رحيل الاستعمار أغرى إندونيسيا بمدارس أجنبية ومدارس اللغات ومعاهد الألسن، وتم توزيع الإنجيل ودراسات الغرب التي تقوم على أساس دقيق من الفكر النصراني، ووضع من يتعلم اللغات الأجنبية في مناصب وأوضاع متميزة يخدمون فيها خصوم أمتهم، وصار من يُسلم لا يتيسر له من أسباب اللغة العربية ما يعينه على فهم الكتاب والسُنة، مما آل بالمسلمين في إندونيسيا إلى الانعزال لغويًا عن الدول الإسلامية، وقد صارت اللهجات واللغات حائلًا دون تحقيق منافع الحج فلا تستطيع الحديث مع الإفريقي ولا التركي ولا الجزائري.

سادسًا- العامية دعوة تغريبية تهدف لقطع الصلات بين المسلمين ومقاومة لغة القرآن والقضاء عليها، يقولون تليين اللغة العربية المستعصية، أو خلق لغة وسطى بين العامية والفصحى، ونظرة سريعة على ما يحدث اليوم في الصحف والمجلات والإذاعة والتليفزيون والقنوات الفضائية يوضح لك ما نقول.

وقد جرت محاولات لإعلاء العامية ووصفها بالقدرة على الأداء، وما هي إلا محاولات استعمارية تهاجم الإسلام، واللغة العربية التي هي أشرف اللغات.

سابعًا- دعوتنا للعودة إلى اللغة العربية لا تنطلق من وطنية أو قومية وإنما من منطلق الحرص على الإسلام ووحدة المسلمين، وتفويت مخططات الأعداء لضرب هذه الأمة.

لقد قبلت اليابان بتنفيذ شروط المحتل الأمريكي بعد الهزيمة ما عدا شرطًا واحدًا وهو قبول إدخال بعض التعديلات على اللغة اليابانية، وفي فرنسا يقولون اللغة هي الجنسية، وفي ألمانيا اللغة مادة المواد والمادة العُليا.

وقد بدأ الاحتلال البريطاني بوضع خطة لتعليم اللغة، وكان راتب مدرس اللغة الإنجليزية يزيد بأضعاف كثيرة على راتب مدرس اللغة العربية؛ وذلك حتى يشعر الأخير بالانحطاط والتدني ويشعر الأول بالعلو والتفوق!! كما وضعوا حصة الدين في نهاية اليوم الدراسي وحصة الإنجليزي في بداية اليوم!!

وانطلق أبناء المسلمين في بعثات إلى الغرب لدراسة لغاته، وعادوا بولاء واضح للنفوذ الغربي، ومنبهرين بالثقافة الغربية، يتهكمون باللغة العربية وأهلها، ومطالبين المسلمين بأخذ ما عليه الغرب حتى النجاسات الموجودة في أمعائهم بزعم اللحاق بركب التطور والحضر.

وقد انتشرت في بلادنا مراكز تعليم اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية وبالمجان في كثير من الأحيان، في الوقت الذي قامت فيه مراكز تعليم اللغة العربية في جامعات فرنسا وبريطانيا وبرلين تنفر أبناء المسلمين غير العرب من تعلم العربية،

وتردد قول المستشرقين بأنها لغة لا تصلح للحياة إلا لمجتمع بدوي، وأنها لا تساير الحياة الحضارية!!.

ثامنًا. استمر التعليم في القصر العيني سبعين سنة باللغة العربية حتى احتلت مصر، وأمامنا تجربة كلية الطب في دمشق.

فلابد من السعي في تعريب التعليم، وحماية اللغة العربية من اقتحام ألفاظ اللغات الأجنبية، كما لابد من الحذر من خطر الدعوة إلى إسقاط حركات الإعراب، وإطلاق الأسماء الأجنبية على الأولاد والمحلات والشركات.

ويجب رفض تطبيق مناهج اللغات الأوروبية التي تنهار كل ثلاثة قرون، فستموت لغات حية منتشرة في العالم الآن كما مات كثير منها في سالف العصور، وستبقى اللغة العربية -بإذن الله-، إن الإنجليزي اليوم لا يستطيع أن يفهم لغة شكسبير الذي مات في القرن السابع عشر.

إن اللغة العربية تتوافق مع العقول السليمة والفطر المستقيمة وقبل ذلك هي لغة القرآن، وعلى أهل الغيرة أن يسعوا في إنشاء المدارس الإسلامية لحماية النشء من أخطار مناهج التبشير والتغريب.

تاسعًا. لا علاقة للغة العربية بما حدث ويحدث في الغرب من كهنوت ارتبط بالكنيسة والدين هناك، وقد بذلوا المحاولات لصرف الأفكار عن علاقة اللغة بالدين في سبيل إحياء القوميات الحديثة في الغرب، أما المسلم فلا يرضى عن الإسلام بديلًا.

فلابد من الحذر تجاه السهام المصوبة للقضاء على الدين، وضرورة الوعي واليقظة إزاء مؤامرات احتواء اللغة العربية، ومعرفة أنها لغة الحياة القادرة على استيعاب متغيرات العصر وخصائصه.

وعلى من أراد أن يتكلم لغة أجنبية فليكن ذلك في إطار اللغة الأم -لا على حساب اللغة العربية-، فقد حرص النفوذ الأجنبي على أن ينقل فكره عن طريق لغته، وأن يحقق لها ولاءً في النفوس.

عاشرًا-مظاهر ضعف دولة الإسلام كثيرة، منها الحديث عن ترجمة القرآن، ومنها الفرحة العارمة بأن اللغة العربية صارت هي اللغة السادسة بعد حرب أكتوبر!، ومنها أن الأمم والشعوب غير محتاجة لنقل كتبها للعربية، ومنها الهزيمة الفكرية والشعور بالتبعية للغرب.

لقد كانت اللغة تسير في ركاب الإسلام أينما حل، وكانت الشعوب حريصة على تعلم لغة القرآن في وقت من الأوقات، والحسبة والميزان سيعتدل بإذن الله عندما تأخذ هذه الأمة بأسباب القوة الحقيقية، وأعظمها تطبيق شرع الله، وحث الدنيا بأسرها على إقامة واجب العبودية وإسلام الوجه لله، ستتبدل المسألة -بإذن الله-، وتتبوأ اللغة العربية مكان الصدارة اللائقة بها، عندما نعود لمثل ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة الكرام، وبحيث يصطلح كل فريق على حقه، ويعود الحق إلى نصابه.

إن الكلام يصلح في مواجهة الكلام، والفعل يصلح في مواجهة الفعل، وباختصار تعتدل الموازين عندما نعود لربنا عودًا حميدًا، وحينئذ لا نستبعد أن يغير بنا وجه الأرض، وما ذلك على الله بعزيز قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الرُّوم: ٤-٥]، وكلنا ثقة بعودة الخلافة على منهج النبوة، وعودة هذه الأمة قوية في معنوياتها ومادياتها وسلاحها في المستقبل القريب للإسلام بغلبته وظهوره على الأديان كلها، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ .. اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدًا.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

النفاق الديني

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فتنقُّص المتدينين، وتلمُّس عيوبهم مسلكٌ من المسالك التي يلجأ إليها المثقفون والعلمانيون والملاحدة؛ لمواجهة طوفان التديُّن الجارف، فهم رغم تملكهم لوسائل التعليم والإعلام والثقافة، وتمكنهم من الصُحُف والمجلات والإذاعة والتلفزيون، والكثير من القنوات الفضائية، ومواقع الإنترنت إلا أنهم أُصيبوا بخيبة أمل شديدة عندما فوجئوا بالأمة تستيقظ من جديد، وتعاود الرجوع لدين الله.

لقد رأى هؤلاء البساط ينسحب من تحت أقدامهم رغم تملكهم لأسباب التوجيه المادية، وكأنه أسقط في أيديهم، فراحوا يشهرون كل سلاح في وجه المتدينين، الأمر الذي لا يفعلونه مع اليهود والنصارى وعبدة البقر، فالدماثة والسماحة والحرية لا تليق إلا بهؤلاء دون غيرهم.

ومن الشواهد على ذلك ما كتبه البعض في جريدة المصري اليوم تحت هذا العنوان، حيث ذكر عدة صور يدلل بها على انتشار مظاهر التدين دون روحه وقيمه، ففي معظم عمارات القاهرة والإسكندرية تجد زاوية في البدروم، وفي الشوارع وفي السوق تجد نسبة المنتقبات في تزايد، وقال:

«باختصار مظاهر التدين في كل مكان وناحية، ونعى على الطبيب الذي يترك عيادته أثناء الصلاة ليؤدي الصلاة في وقتها، ومع ذلك فلا يجد أي حرج في أن يضاعف أجر الكشف، وفي الجامعة كان الأستاذ يفخر بأنه درس في السوربون أو في كمبريدج، والآن يفخر بأنه حج كذا مرة واعتمر أربعين مرة، وإذا دخلت مكتبًا حكوميًا وقت صلاة الظهر سوف تجد السادة الموظفين تركوا مكاتبهم قبل الآذان بنصف ساعة انتظارًا للصلاة، وعليك أن تعطل نفسك، وإذا اعترضت تجد نظرات الازدراء والاتهام بالكفر،

وبعض هؤلاء لا يمتنع من قبول الرشوة، وبعض فقهاء الفضائيات لا حديث لهم في شم النسيم إلا عن أكل الفسيخ ونتنه وتحريمه؛ مما يتسبب في الاصطدام بأمور من صميم الهوية المصرية، وأن يضعوا ديننا في خصومة مع وطنيتنا».

وقال: «يندر أن تجد تاجر مخدرات دون أن يحمل لقب حاج، ولن يعدم أن تجد بعض المشايخ يشيدون ويدافعون عن الحاج، وذكر أن في الواقع العملي لن تجد أثرًا كبيرًا لهذا التدين، العنف الأسري يزداد وجرائم القتل داخل الأسرة الواحدة تتضاعف؛ مما يعني أن صلة الرحم ليست موجودة ومعدلات الجرائم في مصر تزداد سنويًا...».

إلى أن قال بصراحة كاملة: «نحن نغتال روح الدين، ونعادي قيمه النبيلة، وتتمثل في أمور عديدة من بينها العقلانية والعدالة والتحرر وحب الآخرين كما نحب أنفسنا، واحترام الحقوق بما فيها حق الحيوان في الحياة وعدم تعذيبه فما بالنا بالإنسان؟!».

وختم مقاله بقوله: «فلا غرابة في أن تسود مظاهر التدين دون روحه، وأن يعم النفاق الديني مجتمعنا وحياتنا».

هذه الجريدة مملوءة بمقالات على مثل هذا النحو منذ صدورها، فهذا هو التوجه العام لكتَّابها، وما نقلته يكاد يكون من أحسن ما كتب، وللتعليق عليه نذكر عدة مسائل:

أولاً- الحق مقبول حتى لو أتى من علماني أو مُلحد أو مثقف زنديق، ولن تعدم وجودَ جوهرةٍ وسط الزبالة، وعليك بالفرز والتدقيق، وإياك والاستنكاف عن قبول الحق أو ادعاء العصمة، فعلى الحقِ نورٌ، والحقُ ما وافق الكتاب والسُنَّة، وما منا إلا رَدَّ ورُدَّ عليه.

وقد كان الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «معي صواب يحتمل الخطأ، ومع خصمي خطأ يحتمل الصواب»، وقال: «ما ناظرت أحدًا إلا وأحببت أن يجري الحق على لسانه»، ومعرفة الداء بداية الطريق لطلب العلاج، وقد قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «خيركم من أهدى إليَّ

عيوبي»، وقد قال لمن نصحه بالحق -وهو الفاروق-: «اتركوه فليقلها لي، فلا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا».

فلابد من تنقية صفوف المتدينين من الآفات والدخن، حتى يرضوا ربهم ويستأهلوا نصره -سبحانه- الذي وعده عباده المؤمنين وتمكينه للصالحين، ولا يكونوا فتنة للمفتونين، وفي النهاية فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها.

ثانيًا-لسنا عالمًا من الملائكة الأبرار، كما أننا لسنا عالمًا من الشياطين، ففينا المحسن والمسيء، والبر والفاجر، والمطيع والعاصي، وبالجملة فنحن من إفرازات الواقع الذي نعيش فيه، فينا من لوثته وماديته.

وهل يُتَصوَّر من إنسان دخل المسجد، أو أطلق لحيته اليوم، أو امرأة انتقبت أن تصبح إسلامًا يسير على وجه الأرض؟!.

المغالاة في التقييم موجودة؛ فبمجرد أن تترك امرأة الرقص أو التمثيل تنهال عليها الأسئلة عن حكم التعامل مع البنوك، والحرب في العراق، ومسائل لربما لو عرضت على عمر رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر، هذا بالإضافة للتشهير والتشويه المتعمد لمظاهر التدين، على غرار: ضبطوا منقبة تسرق، ملتحي يتاجر في المخدرات! أخبار تُرسل على عواهنها، فطابور المنقبات والملتحين طابور طويل جدًا، فمن الذي اقترف هذه الجرائم فلان أم رقم المليون؟

لابد من حيطة وحذر وتثبُّت قبل إرسال التهم على عواهنها، والتهمة تحتاج لبينة أوضح من شمس النهار، ولا تعميمَ قبل حصول الاستقراء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور :١٩]، وقال -سبحانه- عن قصة الإفك: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور :١٦]، قال تعالى : ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور :١٢] أي بإخوانهم، فالأخُ كالنَّفس، والماءُ إذا بلغ القلتين



لم يحمل الخَبَث، وليس من طلب الحقَّ فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه.

ثالثًا- على الكاتب وأمثاله أن يحدد موقعه بدقة، مع التدين والالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة، ولا يسعه إلا ذلك، أم مع فريق الشامتين والمناوئين والمتربصين بأهله الدوائر، فلا يليق به التذبذب ولا الجلوس في مقاعد المتفرجين، فهذه من صفات المنافقين، قال تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾[النساء:١٤٣]، ولا يليق به أن يفصل الدنيا عن الآخرة، ولا الأرض عن السماء، ولا العلم عن العمل، ولا بعض الرجال عن البعض الآخر، كما لا يجوز له أن يحيا نقرة ونقرة، وساعة وساعة، فهذا منطق أهل الجاهلية؛ فقد كانوا يقولون: اليوم خمر وغدًا أمر.

لابد من ضبط مصريتنا وعروبتنا بدين الله، وأن ينصبغ الحاكمُ والمحكومُ، والبلادُ والعبادُ بشرع الله -وأن نحيا بالدين- قشره ولبابه، روحه وقيمه، ومظاهره وسلوكه، في السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والأخلاق، والحرب، والسلم، والمسجد، والسوق... قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣]، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢]، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥]، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

رابعًا- الحق أبلج والباطل لجلج، وعلى الحق نور، وهو ما وافق الكتاب والسُنَّة، وما احتج صاحب بدعة على بدعته بدليل، إلا وكان في الدليل ما يرد عليه ويدحضه، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

إن طائفة العلمانيين والملحدين والمثقفين الزنادقة، في الوقت الذي كشروا فيه عن أنيابهم، ووقفوا موقف الأسد الهصور في مواجهة الدين ومظاهره، لم يطالبوا يومًا بتطبيق شرع الله، ولا العودة لدين الله، بل اعتبروا ذلك رجعية وتخلف، وارتداد لعهود الظلام، اعتبروا التبرج والعُري والاختلاط والرقص من مظاهر التقدم والرقي.

بُحَّت أصواتهم تطالب بتطبيق الديمقراطية، وهي دينٌ يخالف دينَ الإسلام، ووثنٌ يُعبد من دون الله، فالحرية الشخصية يزني الإنسان ويُزنى به دون اعتراض في النظام الديمقراطي، ويكفر ويتجاهر بردته وسط المسلمين دون رادع، وهذه هي حرية الرأي والتعبير، ويتعامل بالربا وهذه هي الحرية المالية، وتتبرج المرأة وتختلط بالرجال وتتحلل بزعم حرية المرأة، وتتحكم الأكثرية في الأقلية ولو بالباطل وعلى حساب دين الله!!

بعد ذلك يُقال من إلى النفاق أقرب؟ مَنْ ذكَرهم في مقاله أم الديمقراطيين والقوميين والاشتراكيين؟؟ قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨]

خامسًا- فَرَّغُوا الإسلام من محتواه، بكلمات معسولة لا تنطلي إلا على العميان، فالإسلام عند العلمانيين والديمقراطيين والمثقفين عبارة عن روح وقيم نبيلة -في أحسن الأحوال-، لا ينبغي أن يكون له واقع أو رصيد في حياة الناس، فوجوده لا يزيد على حيز المسجد، وعلى سبيل إطعام الجائع، وترك الغش، ويتبدى في قيم العلانية والعدالة.

إن هؤلاء يطالبون بفصل الدين عن الدولة، ويقولون دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، ولا يفرقون بين مسلم وكافر حتى في الحب والبُغض، وتثور ثائرتهم إذا أنكر الإنسان فنون الباليه، أو رأوا عالمًا يتكلم في أمور الدين، أو شاهدوا منقبة، وتنفرج أساريرهم مع كل مظاهر التحلل والفسق والفجور، ولا مانع عندهم من أن يعتلي البلاد ملحد شيوعي!!

لا يشفع للواحد منهم أن يصلي ويصوم ثم يكون حربًا على إسلامه مبغضًا لشعائر دينه قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:٨٥].

سادسًا- التدين ليس قضية اختيارية، بل هي مسألة حتم وإلزام، والنصوص التي مثل قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩] قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت:٤٠]، هذه النصوص خرجت مخرج الوعيد، وكان الخطاب يتوجه للنبي ﷺ: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام:١٥]، والنبي ﷺ هو أُسوتنا في حياته الخاصة والعامة، وفي احتكامه للشريعة وإقامته للدولة الإسلامية قال تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

المؤمن ناصح أمين، يكثر الخير والصلاح، ويقلل الشر والفساد، يعين العباد على طاعة ربهم ويتقي الله فيهم، يعظ نفسه وهو يعظ غيره، وإلا لكان كثعلب خرج في ثياب الواعظين، وكان فيه حظ ونصيب من إبليس في وعظه لنبي الله آدم: قال تعالى: ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾[الأعراف:٢٢-٢١]، قال ابن عمر رضي الله عنهما: «**من خدعنا بالله انخدعنا له**».

سابعًا- نخاف على أنفسنا من النفاق، والكاتب معنا لابد وأن يتخوفه على نفسه؛ فقد روى البخاري عن ابن أبي مليكة قال: «**أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف على نفسه النفاق، ما منهم من أحد يقول: إن إيمانه مثل إيمان جبرائيل وميكائيل**».

والنفاق ما أمنه إلا منافق وما خافه إلا مؤمن، وكان حذيفة رضي الله عنه يتعوذ بالله من خشوع النفاق، فلما سُئل، وما خشوع النفاق قال: «**أن يُرى البدن خاشعًا والقلب**

ليس بخاشع»، وكان عمر رضي الله عنه يسير خلف حُذيفة ويقول له: «ناشدتك الله يا حذيفة أسمَّاني لك رسول الله منهم -أي من المنافقين-؟» فيقول له حذيفة: «لا، ولا أزكّي بعدك أحدًا».

فما خلت منهم الأرض ولا أجواف القبور، كاد القرآن كله أن يكون في شأنهم، حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما زال ينزل: ومنهم، ومنهم، حتى خشينا ألا تدع أحدًا»، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧]، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]

سمع حذيفة رضي الله عنه رجلًا يقول اللهم أهلك المنافقين، فقال له: «يا ابن أخي لا تدع عليهم فلو أهلكهم الله لاستوحشتم في طرقاتكم من قلة السالك».

اللهم إنا نعوذ بك من الشك والشرك والنفاق وسوء الأخلاق، اللهم إنا نسألك علمًا نافعًاورزقًا واسعًا ودينًا قيمًا وشفاءً من كل داء، ونعوذ بك من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

حكم التوريث
(أو توريث الحكم)

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ..

فقد أثارت احتمالات انتقال الحكم من الرئيس إلى ابنه جدلًا عنيفًا وردود فعل متباينة، بدأت منذ فترة واستمرت حتى كتابة هذه السطور، وبينما رأى البعض أن الابن هو الأصلح لخلافة أبيه في الحكم؛ لما لديه من مؤهلات وأخلاقيات، بالإضافة إلى أنه مواطن قُدِّر له أن يقترب من الحكم والرئاسة، وبالتالي فانتقال الأمر إليه من الممكن أن يتم بسلاسة.

ويعترض آخرون على مسألة توريث الحكم؛ لأن البلد بذلك ستنتقل إلى النظام الملكي، وأن المادة ٧٦ فُصِّلَت على مقاس الابن بالإضافة إلى تقلده أمانة السياسات، وقد عمَّق من هذا التخوف ما حدث في سوريا وما يُنتظر حدوثه في ليبيا واليمن من توريث للحكم.

واللافت للنظر أن المعارضين للتوريث والمؤيدين له يتكلمون بلسان الديمقراطية، ويندّدون بما يسمى بالديكتاتورية، ولا يكاد واحد من هؤلاء يطرح حكم الشريعة في هذه المسألة لتحسم مادة النزاع. لم يحدث ذلك حتى من أصحاب التوجه الإسلامي!! وهذا من الغرائب والعجائب، فكما غُيِّبت الشريعة عن حكم البلاد والعباد، يبدو أن مجرد المطالبة بتطبيق شرع الله، وضبط المسائل بحكم الله قد صارت نسيًا منسيًا عند هذا الفريق، بل لا أغالي لو قلت صرنا لا نسمع كلمة الإسلام على ألسنتهم، فالتصريحات والتعليقات والمعارضة والتأييد ليس لله فيها نصيب.

وأطلت الثنائيات على حياتنا، فمن ليس ديمقراطيًا لابد وأن يكون ديكتاتوريًا، ومن ليس رأسماليًا لابد وأن يكون اشتراكيًا، كما صار في اليهود حمائم وصقور، وفي الشيعة معتدلين ومتشددين!!

لقد غابت الضوابط الشرعية عند المتكلمين، فوجب الحذر والتحذير حتى لا نكون كالببغاوات، وقد استدعى الكلام على التوريث موجة عارمة من الحديث على مدة الرئاسة، وأنه لا يصح أن تكون مدى الحياة، فمعظم البلاد الديمقراطية لا تزيد مدة الرئاسة فيها عن دورتين.

ولنا مع هذه القضية عدة وقفات، منها:

أولاً- حكم أبو بكر ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ، ثم تولى عمر ﷺ الخلافة من بعده حتى طعنه أبو لؤلؤة المجوسي، وترك الأمر من بعده شورى في ستة اجتمع رأيهم علي عثمان ﷺ، فلما ثار الأوباش عليه، ودخل عليه ابن عمر ﷺ فقال له عثمان: انظر ماذا يقولون: اخلع نفسك أو نقتلك، قال له ابن عمر: أَمُخَلَّدٌ أنت في الدنيا؟ قال: لا، قال: هل يزيدون على أن يقتلوك؟ قال: لا، قال: هل يملكون لك جنة أو نار، قال: لا، قال: فلا تخلع قميص الله عنك؛ فتكون سُنَّة كلما كَرِه قومٌ خليفتَهم خلعوه أو قتلوه.

وقبل أن يفتي ابن عمر لخليفته بذلك كان عثمان على بينة من ذلك ونور من الله، فعن أم المؤمنين عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لعثمان: «**يَا عُثْمَانُ إِنْ وَلاَّكَ الله هَذَا الأَمْرَ يَوْمًا فَأَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَخْلَعَ قَمِيصَكَ الَّذِى قَمَّصَكَ الله فَلاَ تَخْلَعْهُ. يَقُولُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ**» رواه ابن ماجه، وصححه الألباني، والقميص هنا المقصود به الخلافة والحكم.

ثم تولى علي ﷺ بعد عثمان حتى طعنه ابن ملجم الخارجي، وانتهى بذلك عصر الخلفاء الراشدين الأربعة.

ثم تولى معاوية ﷺ، وهو خال المؤمنين، وأفضل ملوك هذه الأمة كما وصفه ابن كثير، وكان بمثابة شمس ضعف ضوئها بجوار شموس أربعة سطعت على الدنيا قبله، وملأتها ضياءً، ثم تولى يزيد الحكم من بعده أبيه معاوية، فها أنت ترى أن سفينة الحكم قد مضت دون تحديد بدورة أو دورتين، وفي حديث العرباض بن سارية: «**عليكم**

بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضُّوا عليها بالنواجذ» [صححه الألباني، وخير الهدي هديه -صلوات الله وسلامه عليه].

ثانيًا- رجح فريق من أهل العلم ولاية العهد، وهي أن يعهد السابق للاحق، ورأوا في هذه الصورة حسمًا لمادة النزاع، ولا يتم تقلد الحكم إلا بعد موافقة أهل الحل والعقد أو بعضهم على نص النبيِّ ﷺ على أبي بكر، وأبي بكر على عمر، وترك عمر الأمر شورى في ستة مات عنهم النبي ﷺ وهو عنهم راضٍ، ويكون التخيير إليهم في تعيين واحد منهم كما فعل الصحابة ﵃.

فإذا تم اختيار الحاكم والإمام فإن كل من خلفهم وأمامهم من المسلمين في الآفاق يلزمهم الدخول في طاعة ذلك الإمام إذا لم يكن معلنًا بالفسق والفساد.

قال الإمام أبو المعالي: «من انعقدت له الإمامة بعقد واحد فقد لزمت ولا يجوز خلعه من غير حدث وتغير أمر»، قال: «وهذا مجمع عليه».

وقد تكلم العلماء على ولاية القهر والغلبة، فإن تغلب مَن له أهلية الإمامة والحكم وحَكَم في الناس بشرع الله فله السمع والطاعة، حتى وإن كان عبدًا حبشيًا كأن رأسه زبيبه.

سُئل سهلُ بن عبد الله التستري: «ما يجب علينا لمن غلب على بلادنا وهو إمام؟ قال: «تجيبه وتؤدي إليه ما يطالبك من حقه، ولا تنكر فعاله، ولا تفر منه، وإذا ائتمنك على سر من أمر الدين لم تفشه».

وقال ابن خويز منداد: «ولو ثبت على الأمر من يصلح له من غير مشورة، ولا اختيار وبايع له الناس تمت له البيعة».

ثالثًا- تصبح الحياة لهوًا ولعبًا وعبثًا في البعد عن منهج الله قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم: ٧] يعمّرون الدنيا ويخربون الآخرة، يبيّضون ثيابهم ويدنّسون دينهم، يُهينون أنفسهم زاعمين الإكرام لها، يزحفون وراء الظواهر

وقلوبهم مملوءة بالقاذورات، يتشبسون بديمقراطية عفنة وينسون دين ربهم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فكما له الخلق فله الأمر -جَلَّ وَعَلَا-، وما علينا إلا أن نقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

عجيب أمر البشر عندما يتكلمون على التوريث ودورة حكم ودورتين وينسون مادة الحكم، فلا تكاد تسمع من يطالب بتطبيق الكتاب والسُنَّة والرجوع لشرع الله، لا يعنينا الاسم والرسم، وسواء كان السن ثلاثين أو أربعين، وسيحكمنا دورة أو عشرين دورة، إنما يُعنينا الحكم بما أنزل الله، حتى ولو صنع ذلك عبد حبشي كأن رأسه زبيبة.

لا اعتراض أن يحكم الابن بعد أبيه، وإنما الاعتراض على الانحراف بالبلاد والعباد عن منهج الله، قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]

رابعًا-تكلم العلماء والمفسرون في شروط الحاكم والإمام، وكيفيات الحكم والرياسة، وإليك ما قاله الإمام القرطبي في تفسيره:

شرائط الإمام، وهي أحد عشر:

الأول- أن يكون من صميم قريش، لقوله ﷺ: «**الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ**» رواه أحمد بإسناد جيد، وقد اختلف في هذا.

الثاني- أن يكون ممن يصلح أن يكون قاضيًا من قضاة المسلمين مجتهدًا لا يحتاج إلى غيره في الاستفتاء في الحوادث، وهذا متفق عليه.

الثالث- أن يكون ذا خبرة ورأي حصيف بأمر الحرب، وتدبير الجيوش، وسد الثغور، وحماية البيضة، وردع الأمة، والانتقام من الظالم، والأخذ للمظلوم.

الرابع-أن يكون ممن لا تلحقه رقة في إقامة الحدود، ولا فزع من ضرب الرقاب، ولا قطع الأبشار، والدليل على هذا كله إجماع الصحابة ﭬ؛ لأنه لا خلاف بينهم أنه لا بد من أن يكون ذلك كله مجتمعا فيه، ولأنه هو الذي يولي القضاة والحكام، وله أن يباشر الفصل والحكم، ويتفحص أمور خلفائه وقضاته، ولن يصلح لذلك كله إلا من كان عالمًا بذلك كله قيما به. والله أعلم.

الخامس-أن يكون حرًا، ولا خفاء باشتراط حرية الإمام، وإسلامه وهو السادس.

السابع- أن يكون ذكرًا، سليم الأعضاء وهو الثامن. وأجمعوا على أن المرأة لا يجوز أن تكون إمامًا، وإن اختلفوا في جواز كونها قاضية فيما تجوز شهادتها فيه.

التاسع والعاشر- أن يكون بالغًا عاقلًا، ولا خلاف في ذلك.

الحادي عشر- أن يكون عدلًا، لأنه لا خلاف بين الأمة أنه لا يجوز أن تعقد الإمامة لفاسق.

ويجب أن يكون من أفضلهم في العلم، لقوله ﷺ: «أئمتكم شفعاؤكم فانظروا بمن تستشفعون». وفي التنزيل في وصف طالوت:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، فبدأ بالعلم ثم ذكر ما يدل على القوة وسلامة الأعضاء. وقوله: (اصْطَفَاهُ) معناه اختاره، وهذا يدل على شرط النسب. وليس من شرطه أن يكون معصومًا من الزلل والخطأ، ولا عالمًا بالغيب، ولا أفرس الأمة ولا أشجعهم، ولا أن يكون من بني هاشم فقط دون غيرهم من قريش، فإن الإجماع قد انعقد على إمامة أبي بكر، وعمر، وعثمان وليسوا من بني هاشم.

الثانية عشرة- يجوز نصب المفضول مع وجود الفاضل خوف الفتنة، وألا يستقيم أمر الأمة، وذلك أن الإمام إنما نصب لدفع العدو وحماية البيضة، وسد الخلل، واستخراج الحقوق، وإقامة الحدود، وجباية الأموال لبيت المال، وقسمتها على أهلها.

فإذا خيف بإقامة الأفضل الهرج والفساد، وتعطيل الأمور التي لأجلها ينصب الإمام كان ذلك عذرًا ظاهرًا في العدول عن الفاضل إلى المفضول، ويدل على ذلك أيضا علم عمر وسائر الأمة وقت الشورى بأن الستة فيهم فاضل ومفضول، وقد أجاز العقد لكل واحد منهم إذا أدت المصلحة إلى ذلك، واجتمعت كلمتهم عليه من غير إنكار أحد عليهم، والله أعلم.

الثالثة عشرة- الإمام إذا نصب ثم فسق بعد انبرام العقد فقال الجمهور: إنه تنفسخ إمامته، ويخلع بالفسق الظاهر المعلوم، لأنه قد ثبت أن الإمام إنما يقام لإقامة الحدود، واستيفاء الحقوق، وحفظ أموال الأيتام والمجانين، والنظر في أمورهم إلى غير ذلك مما تقدم ذكره، وما فيه من الفسق يقعده عن القيام بهذه الأمور والنهوض بها. فلو جوزنا أن يكون فاسقًا أدى إلى إبطال ما أقيم لأجله، ألا ترى في الابتداء إنما لم يجز أن يعقد للفاسق لأجل أنه يؤدي إلى إبطال ما أقيم له، وكذلك هذا مثله.

وقال آخرون: لا ينخلع إلا بالكفر أو بترك إقامة الصلاة أو الترك إلى دعائها أو شيء من الشريعة، لقوله ﷺ في حديث عبادة: «**وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ**»، وفي حديث عوف بن مالك: «**لاَ، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلاةَ**. الحديث، [أخرجها مسلم]. وعن أم سلمة عن النبي ﷺ قال: «**إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع، قالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلّوا، أي من كره بقلبه وأنكر بقلبه**» [أخرجه أيضا مسلم].

الرابعة عشرة- ويجب عليه أن يخلع نفسه إذا وجد في نفسه نقصًا يؤثر في الإمامة، فأما إذا لم يجد نقصًا فهل له أن يعزل نفسه ويعقد لغيره؟

اختلف الناس فيه، فمنهم من قال: ليس له أن يفعل ذلك وإن فعل لم تنخلع إمامته. ومنهم من قال: له أن يفعل ذلك. والدليل على أن الإمام إذا عزل نفسه

انعزل قول أبي بكر الصديق ﷺ: أقيلوني أقيلوني، وقول الصحابة: لا نقيلك ولا نستقيلك، قدَّمَك رسول الله ﷺ لديننا فمن ذا يؤخرك! رضيك رسول الله ﷺ لديننا فلا نرضاك!

فلو لم يكن له أن يفعل ذلك لأنكرت الصحابة ذلك عليه ولقالت له: ليس لك أن تقول هذا، وليس لك أن تفعله. فلما أقرته الصحابة على ذلك علم أن للإمام أن يفعل ذلك، ولأن الإمام ناظر للغيب فيجب أن يكون حكمه حكم الحاكم، والوكيل إذا عزل نفسه. فإن الإمام هو وكيل الأمة ونائب عنها، ولما اتفق على أن الوكيل والحاكم وجميع من ناب عن غيره في شيء له أن يعزل نفسه، وكذلك الإمام يجب أن يكون مثله. والله أعلم.

الخامسة عشرة- إذا انعقدت الإمامة باتفاق أهل الحل والعقد أو بواحد -على ما تقدم- وجب على الناس كافة مبايعته على السمع والطاعة، وإقامة كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. ومن تأبَّى عن البيعة لعذر عذر، ومن تأبَّى لغير عذر جبر وقهر، لئلا تفترق كلمة المسلمين.

وإذا بويع لخليفتين فالخليفة الأول، وقُتل الآخر، واختلف في قتله هل هو محسوس أو معنى فيكون عزله قتله وموته. والأول أظهر، قال رسول الله ﷺ: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**» [رواه أبو سعيد الخدري، أخرجه مسلم].

وفي حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه سمعه يقول: «**ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه أن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر**» [رواه مسلم أيضًا]، ومن حديث عرفجة: (فاضربوه بالسيف كائنًا من كان)، وهذا أدل دليل على منع إقامة إمامين، ولأن ذلك يؤدي إلى النفاق والمخالفة والشقاق

وحدوث الفتن وزوال النعم، لكن إن تباعدت الأقطار وتباينت كالأندلس وخراسان جاز ذلك، على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

السادسة عشرة- لو خرج خارجي على إمام معروف العدالة وجب على الناس جهاده، فإن كان الإمام فاسقًا والخارجي مظهر للعدل لم ينبغ للناس أن يسرعوا إلى نصرة الخارجي حتى يتبين أمره فيما يظهر من العدل، أو تتفق كلمة الجماعة على خلع الأول، وذلك أن كل من طلب مثل هذا الأمر أظهر من نفسه الصلاح حتى إذا تمكن رجع إلى عادته من خلاف ما أظهر... اللهم هيِّئ لنا من أمرنا رشدًا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين

استمرار الانقسام
بين مشايخ الصوفية ودلالاته

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ..

فقد ورد في جريدة الدستور الثلاثاء ٢٥ من ربيع الآخر ١٤٣٠هـ وتحت عنوان: الآلاف يزحفون للاحتفال بمولد الحسين الليلة وسط وجود أمني مكثف، وارتفاع حدة الانقسام بين مشايخ الصوفية، أجواء اعتقال الشيخ مصطفى الصافي تخيم على المشهد... والمشايخ يؤكدون: الطرق الصوفية لا علاقة لها بالتشيع.

وتحت هذا العنوان كتبت الجريدة تقول:

بدأ أمس آلاف المنتمين للطرق الصوفية الزحف إلى المشهد الحسيني بالقاهرة للاحتفال بمولد الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه، وسوف يتم الاحتفال بالليلة الختامية مساء يوم الثلاثاء وسط توقعات بأن يصل عدد المحتفلين بالمولد إلى أكثر من مليون زائر من جميع المحافظات بالإضافة إلى الزائرين من الدول العربية والإسلامية.

إن الاحتفال بمولد الإمام الحسين هذا العام يأتي وسط تزايد الشكوك لدى الدولة في أن الطرق الصوفية هي البوابة التي يدخل من خلالها التشيع مصر، وهو ما يعتبر أحد أسباب اعتقال الشيخ مصطفى الصافي، وأكد المشايخ أن هذا الاعتقاد غير صحيح على الإطلاق، أشار المشايخ إلى أن احتفال هذا العام يأتي أيضًا وسط انشقاق كبير وشرخ في صفوف الطرق الصوفية؛ بسبب النزاع على كرسي شيخ مشايخ الطرق الصوفية الذي لم يتم حسمه حتى الآن، وأكد المشايخ المناوئون لجبهة القصبي وعلى رأسهم الشيخ علاء أبو العزايم أنهم، وجميع الرافضين لما أسموه اغتصاب الشيخ القصبي كرسي المشيخة لن يشاركوا في الاحتفال بمولد الحسين الذي تقيمه المشيخة، وذكروا أن دخولهم سيكون بمثابة اعتراف بشرعية القصبي، وقد قاطعت الطرق الصوفية الموكب الصوفي الذي

تنظمه مشيخة الطرق الصوفية كل عام بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف؛ حتى لا يسير تحت راية وقيادة الشيخ عبد الهادي القصبي.

ولنا على هذا الخبر تعليقات كثيرة:

أولًا- انقسام مشايخ الصوفية واستمراره على هذا النحو، والتنازع والتناحر على كرسي المشيخة حتى صاروا خبرًا دائمًا في كل وسائل الإعلام، وبالتالي مضغة في الأفواه، صورة لا تختلف عن طلاب الزعامات والرياسات الدنيوية، قال النبي ﷺ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ فِى غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المرءِ عَلَى المالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**» [رواه الترمذي، وأحمد، وصححه الألباني].

وهذا التفرق بين طوائف الصوفية وشيوخها هو من رحمة الله بهم وبالخلق؛ فلربما كان سببًا في انفضاض الخلق من حولهم ومعرفة خراب مناهجهم، ورجوعهم للكتاب والسُنَّة بفهم سلف الأمة.

نقول ذلك لا على جهة الشماتة في أحد، ولكن لمحبتنا الخيرَ للعباد، وقيامًا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإبراءً للذمة.

ثانيًا- ما يحدث في الطرق الصوفية من شقاق ونزاع من قبيل تحصيل الحاصل، وهو عَرَض لمَرَض، فالسلوك مرآة الفكر، وكل إناء بما فيه ينضح، والطيورُ على أشكالها تقع، والعقائد الخربة من شأنها أن تولِّدَ سلوكيات كالتي نسمع عنها كل يوم.

وما يحدث هو من جَرَّاء ابتداعهم لكل شيخ طريقة وتفاوتهم في الانحراف عن منهج الكتاب والسُنَّة، فمنهم من قال: إن طريقته مقيدة بالكتاب والسُنَّة، ومنهم موسوية المحمدية، وعيسوية المحمدية، ومنهم أشباه ابن عربي، وابن سبعين، وابن الفارض الذين هم من ملاحدة الصوفية، فكيف يلتئم لهم شمل أو تتحد لهم كلمة؟!

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، فالظلمات جمع ظلمة، أما النور فمفرد، وهكذا فالحق واحد

والباطل كثير لا ينحصر، فاعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من آتاه، والحقُ ما وافق الكتاب والسُّنَّة قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:٣٢]، وكل الطرق مسدودة إلا من طريقه -صلوات الله وسلامه عليه- وفي الحديث: «**لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ الله بَيْنَ وُجُوهِكُمْ**» متفق عليه، وفي بعض الروايات: «**أَوْ لَيُخَالِفَنَّ الله بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**» رواه أبو داود، وصححه الألباني. فإذا كان عدم تسوية الصفوف يترتب عليه اختلاف القلوب، فكيف بطرق وشيوخ مخالفين الكتابَ، مختلفين فيه.

ثالثًا- ذكرنا من قبل أن الصوفية من أقرب الطوائف لأهل الكتاب حتى إنه ليصدق عليهم قول النبي ﷺ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ: فَمَنْ**» [متفق عليه].

فبناء المساجد على القبور، وشد الرحال، والاحتفال بالموالد، وصرف العبادة للمقبورين، وترك النظافة، والزواج، ودخول الخرائب والأديرة، وعقيدة الحلول والاتحاد، واختلاط الرجال بالنساء في الموالد، والاجتهاد في العبادة على جهل... أوجه كثيرة للشبه، ويضاف لها هنا هذا الاختلاف الذي لم ينحسم حتى يومنا هذا، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة:١٤].

وقد ذكر ابن القيم في كتابه هداية الحيارى: لو جلس عشرة من النصارى يتباحثون لقاموا على إحدى عشر قولًا، ويشيع في النصارى تكفير بعضهم بعضًا، وكذلك أمر اللعن، فكلُّهم لاعِنٌ، وكلُهم ملعون، كما يقول. والخلاف بين فرق الصوفية وشيوخها يقترب من ذلك.

رابعًا- تتطابق عقائد الصوفية مع عقائد الشيعة فهم كأولاد العم، ولذلك يخلط البعض أحيانًا يقول: عدد الشيعة في مصر ١٢ مليونًا، والبلد هواها شيعي منذ الدولة

الفاطمية، والمؤتمرات تضم الصوفية والشيعة، فاللسان واحد والمعتقد يتشابه، وليس في وسعهم التباعد عن مواطن التهم والريب والشكوك.

وبالتالي فتأكيد مشايخ الطرق الصوفية بأنهم لا علاقة لهم بالتشيع موضع نظر كبير. وشكوك الدولة في أن الطرق الصوفية هي البوابة التي يدخل من خلالها التشيع إلى مصر كلام في محله، ونظرة منهجية صحيحة بعيدًا عن اعتقال شيخ صوفي بعينه، وإذا كان السفير الأمريكي قد أشاد بالصوفية في مولد السيد البدوي -العام الماضي-، وصرح بأنهم أقرب الطوائف الإسلامية شبهًا بمعتقد الأمريكان، فكيف ينكرون أن الصوفية هي بوابة التشيع؟!

خامسًا- كنا نتمنى أن يترك المشايخ والطرق الصوفية الاحتفال بالمولد النبوي، ومولد الحسين لله وإقامةً للسُنن، وهجرانًا للبدع، لا أن يكون انتقامًا للنفس وانتصارًا لحظوظها، وبسبب النزاع على كرسي المشيخة!.

وعلى كل حال فرب ضارة نافعة، وتكثير الخير والصلاح طاعة لله، وتقليل الشر والفساد طاعة لله، وبعض الشر أهون من بعض، ومن المعلوم أن الشركيات تزيد في مثل هذه الاحتفالات، فهذا يدعو الحسين، والثاني يسجد له، والثالث يذبح وينذر له، وتجد من يلتمس المدد والبركة ويستغيث به. هذا وغيره يحدث من الصوفية، وتحت سمع وبصر شيوخهم دون أن تتمعر وجوههم غضبًا لله، وحزنًا على انتهاك حرماته -سبحانه-، فثورتهم العارمة فقط على كرسي المشيخة المغتصب، ويستخدمون مصطلح الشرعية كما تستخدمه أمريكا والأمم المتحدة!!

ليت الطرق الصوفية وشيوخها يعودون للكتاب والسُنَّة علمًا وعملًا واعتقادًا، ويتركون الضلالات والانحرافات المخالفة لمثل ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام، فهذه هي الشرعية الحقيقة التي ندين بها، لا التنازع على كرسي المشيخة مع الاستهانة بالشركيات والكفريات التي تقع فيها الصوفية!!

سادسًا- المشهد الحسيني بالقاهرة من المشاهد الوهمية، كما حقق ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، فلا رأس الحسين ولا بدنه مدفون في هذا المشهد، والحسين قُتِلَ بكربلاء، وهناك ثلاثة مشاهد ادعى الناس أنه دُفِنَ بها، والعبرة بالقبور المُشرِفة وهي التي تشد لها الرحال وتصرف لها العبادة، حتى وإن كانت خالية، أما المقابر المندرسة والموتى تحت الأرض فلا يُفتتن بهم الناس في العادة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ [المرسلات:٢٥-٢٦]، قيل ظاهرها للأحياء وباطنها للأموات.

ومازالت لوثةُ صرفِ العبادة للمقبورين بزعم محبة الأولياء والصالحين موجودة تحتاج لبذل المزيد من الجهد لتوعية الخلق، قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وقد كانت الدعوة في بداية السبعينيات -بفضل الله- أشبه بطلقة رصاص رحيمة أُطلقت على الصوفية، كادت أن تجهز عليها، واليوم يحاول البعض بعثها من جديد.

ونأمل -مع الاستعانة بالله- أن يتم التركيز على تعبيد الدنيا بدين الله، وتفنيد شبهات الصوفية والشيعة وغيرهم من الفرق الضالة، مستخدمين في ذلك كل الأسباب المتاحة والمشروعة؛ لإراحة البلاد والعباد من الشرور التي تحدق بهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:٢٥١].

سابعًا- تقديم الأهم على المهم أمر واجب في العلم والعمل والدعوة إلى الله، والتوحيدُ أولًا لو كانوا يعلمون، وكلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة، ووحدة الفكر قبل وحدة العمل، ومنهجنا منهج أهل السُنَّة والجماعة هو الرجوع للكتاب والسُنَّة بفهم سلف الأمة.

وكل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف، وما لم يكن يومئذ دينًا فليس باليوم دينًا، ولن يُصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ونحن في نزاعنا مع الصوفية وغيرهم نحتكم لهذا المنهج: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].منهجنا هو منهج الوحدة والتوحيد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، قال العلماء: تبيض وجوه أهل السُنَّة والجماعة، وتسْوَدُّ وجوه أهل البدعة والافتراق.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى،

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين

فيلم المسيح والآخر

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد جاء في جريدة الدستور تحت عنوان (عقبات تواجه فيلم المسيح ما نصه):

تبدو كل الطرق مفتوحة خضراء أمام فيلم المسيح والآخر بعد أن وافق الأب مرقص المستشار الإعلامي بالكنيسة، وتقدم بالسيناريو كاملًا إلى البابا شنودة الذي بلغت سعادته بالسيناريو الذي كتبه فايز غالي أن قرر كتابة المقدمة لهذا الفيلم، السيناريو طبقًا لما صرحت به الرقابة لن يُعرض على الأزهر لأخذ الموافقة على التنفيذ على اعتبار أنه كمصنف ديني أخذ موافقة الجهة التابع لها.

كل هذا يبدو أنه يتحلى بالموضوعية لا غبار عليه إلا أنه في قانون الرقابة الحالي مادة صريحة تقول: ممنوع تجسيد صور الأنبياء على الشاشة.

وتغاضي الدولة عن تنفيذ القانون لا يعني إبطال القانون. نعم هناك فارق في منظور الديانتين لسيدنا عيسى عليه السلام يراه الأرثوذكس ابن الله، ويراه المسلمون رسول الله، وتخوف الكاتب عند عرض الفيلم بعد أخذ موافقة البابا وبركته -على حد تعبيره- أن تقام دعوى بسبب مخالفة الرقابة لقانونها الحالي.

قانون الرقابة الحالي منع عرض أي فيلم أجنبي طوال ٤٠ عامًا يتناول حياة عيسى عليه السلام، وعرض فيلم آلام المسيح قبل ٥ سنوات من الناحية الإجرائية تحملها د. جابر عصفور أمين عام المجلس الأعلى للثقافة، وليس الرقيب د. مدكور ثابت، لأنه لا يمكن أن يخترق القانون. وطالب الكاتب وزير الثقافة أن يتقدم إلى مجلس الشعب بقانون جديد للرقابة يسقط العديد من البنود المعمول بها المقيدة لحرية التعبير، وأولها أن يتيح للأقباط تقديم أفلام تتناول حياة السيد المسيح عليه السلام من منظور كنسي؛ حتى لا يتعرض الفيلم للمصادرة. اهـ.

وهذا الكلام يحتمل تعليقات كثيرة نذكر منها:

أولًا- المقال جريء مليء بالمتناقضات يُعبر عن رغبة تزدحم بها وسائل الإعلام والتعليم والثقافة، همها حرية التعبير وتحقيق المواطنة ولو على حساب الدين، فهي لا تنطلق من الكتاب والسُنَّة في تشخيص الداء ووصف الدواء، وإنما من علمانية هوائية لا دينية، ولسنا هنا بصدد الإكفار وعدم الإكفار، فالكاتب اسمه إسلامي -فيما يبدو-.

وقد بدأ المقال بذكر سعادة البابا والكنيسة بالفيلم رغم أنه ينتسب لطائفة من المثقفين ترى أن الأفلام والكتب والآراء لا تحكمها الشريعة ولا يضبطها القانون ولا القرابة، فحرية الرأي والتعبير عندهم مفلوتة العيار، والهوى هو الضابط والرابط عندهم، فإذا وافق المفتي مثلًا هذه الأهواء فهو المعتدل المستنير، وإن خالف نفس المفتي ما يرونه من الرقص والتماثيل فهو المتطرف المتشدد!!

يذكر الكاتب أن الفيلم كمصنف ديني يأخذ موافقة الجهة التابع لها، ولن يُعرض على الأزهر، وهذا الكلام الذي يتحلى بالموضوعية عنده غاية في الغرابة، وهل هناك صورة من صور الحياة لا تخضع لأحكام الشريعة، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة :٣]، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام : ١٦٢-١٦٣].

فما الفارق بين المصنَّف الديني وغيره؟ فديننا ليس دينًا كهنوتيًا، بل هو دين شامل للسياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والأخلاق، والحرب، والسلم، والمسجد، والسوق، والأقوال، والأفعال، والعقائد التي تعرض في الأفلام لها حكمها في دين الله، وعندما يُعرض المصنف الديني على الجهة التابع لها، فمؤدَّى ذلك توجيه الرأي العام والتأثير على هذا الشعب المسلم بما يخالف عقيدته وشريعته وقانونه ودستوره ورقابته.

يعلم الكاتب أن في قانون الرقابة الحالي مادة صريحة تمنع تجسيد الأنبياء على الشاشة، كما يعلم أيضًا أن الدولة تتغاضى عن تنفيذ القانون، فهل هذا يحل؟ وكيف

رضى الكاتب بذلك إلا أن تكون الأهواء الضالة المُضِلة هي التي تتحكم في الأفراد والدول والجماعات.

ثم يمر الكاتب بطريقة الرأي والرأي الآخر، فالأرثوذكس يرون المسيح ابن الله، ويراه المسلمون رسول الله، فما الذي يراه هو؟ أم أن المسألة لا تعنيه، وكأنها لا تتعلق بإيمان وكفر، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة :٧٢]، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة :٧٣]، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَٰرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[التوبة :٣٠].

تخوف الكاتب من مصادرة الفيلم لمعارضته للقانون والرقابة، وذكر واقعة احتيال وجرأة غريبة تتعلق بعرض فيلم آلام المسيح، فالدكتور جابر عصفور تحمل من الناحية الإجرائية مع معارضة الرقيب الذي لا يمكن أن يخترق القانون!!!

هذا الموقف يطرح عشرات الأسئلة أتركها لبداهتك، ولتكون مجرد عينة على نوعية الأفكار، والسلوكيات، والبشر الذين يتقلدون المناصب كمنصب الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة!!

ثم ختم الكاتب مقالة بمطالبة الوزير بالتقدم للمجلس لاستصدار قانون جديد يسقط العديد من البنود المعمول بها المقيدة لحرية التعبير، وأولها أن يتيح للأقباط تقديم أفلام عن المسيح من منظور كنسي!!

فهذه هي السماحة، والأريحية، وحرية الرأي والتعبير التي يكرس البعض حياته لها بدلًا من اتباع منهج الأنبياء والمرسلين في تعبيد الدنيا بدين الله.

ثانيًا-صدور قرار من مجلس المجمع الفقهي المنعقد بمكة المكرمة،والذي يضم ثُلة من أكابر علماء الأمة -يتعلق بشأن موضوع استنكار المجلس تصوير النبي ﷺ، وسائر الأنبياء، ومنهم عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد،

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته الثامنة المنعقدة في الفترة ما بين ٢٧ ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ و٨ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ قد اطلع على الخطاب الموجه إلى سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز من مكتب الرئاسة في قطر برقم ٥/ ١٢٠٥ وتاريخ ٢٥ ربيع الأول ١٤٠٥هـ. ومرفق به كتيب فيه صورة مرسومة يزعم صاحبها أنها صورة للنبي محمد ﷺ، وصورة أخرى يزعم صاحبها أنها صورة لعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فأحالها سماحته بموجب خطابه رقم ٢/ ٨١٣ وتاريخ ٣٠ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ إلى مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لإصدار ما يجب حيال ذلك.

وبعد أن اطلع المجلس على الصورتين المذكورتين في دورته الثامنة المنعقدة في مكة المكرمة بمقر الرابطة قرر ما يلي:

إن مقام النبي ﷺ مقام عظيم عند الله -تعالى- وعند المسلمين، وإن مكانته السامية، ومنزلته الرفيعة معلومة من الدين بالضرورة، فقد بعثه الله -تعالى- رحمة للعالمين، وأرسله إلى خلقه بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وقد رفع ذكره، وأعلى قدره، وصلى عليه وملائكتُه، وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه، فهو سيد ولد آدم، وصاحب المقام المحمود ﷺ.

وإن الواجب على المسلمين احترامه، وتقديره، وتعظيمه التعظيم اللائق بمقامه ومنزلته عليه الصلاة والسلام.

فإن أي امتهان له أو تنقص من قدره يعتبر كفرًا ورِدَّةً عن الإسلام -والعياذ بالله تعالى-، وإنَّ تخيُّل شخصِهِ الشريف بالصور، سواء كانت مرسومة متحركة أو ثابتة، وسواء كانت ذات جرم وظل، أو ليس لها ظل وجرم، كل ذلك حرام لا يحل ولا يجوز

شرعًا، فلا يجوز عمله وإقراره لأي غرض من الأغراض، أو مقصد من المقاصد، أو غاية من الغايات، وإن قصد به الامتهان كان كافرًا.

لأن في ذلك من المفاسد الكبيرة والمحاذير الخطيرة شيئًا كثيرًا وكبيرًا، وأنه يجب على ولاة الأمور، والمسئولين، ووزارات الإعلام، وأصحاب وسائل النشر منع تصوير النبي ﷺ صورًا مجسمة وغير مجسمة في القصص، والروايات، والمسرحيات، وكتب الأطفال، والأفلام، والتلفاز، والسينما، وغير ذلك من وسائل النشر، ويجب إنكار وإتلاف ما يوجد به ذلك.

وكذلك يمنع ذلك في حق الصحابة -رضي الله عنهم-؛ فإن لهم من شرف الصحبة والجهاد مع رسول الله ﷺ، والدفاع عن الدين، والنصح لله ورسوله ودينه، وحَمل هذا الدين والعلم إلينا ما يوجب تعظيم قدرهم واحترامهم وإجلالهم.

ومثل النبي ﷺ سائر الرسل والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فيحرم في حقهم ما يحرم في حق النبي ﷺ

لذا فإن المجلس يقرر بأن تصوير أي واحد من هؤلاء حرام ولا يجوز شرعًا ويجب منعه.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

ثالثًا- الفيلم الذي يسعد به البابا وترضى عنه الكنيسة، وينطرح في الأسواق، ويشاهده المسلمون ومن هم على شاكلة الكاتب -في الفهم والتحليل والدعوة- عبارة عن دعوة للتبشير أو التنصير، فيلم يثبت صلب المسيح، ويكرس لألوهيته أو بنوته، وغير ذلك من عقائد النصارى التي يريد البعض نشرها -لا في الكنيسة- ولكن وسط المسلمين، مستثمرين في ذلك أجواء الحريات والديمقراطيات، ولن تعدم الانبهار الشديد في أجواء الغربة وضعف البصيرة، بالدراما المحبوكة وإتقان الممثلين في تأدية الأدوار.

لما رأى النبي ﷺ في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة من التوراة غضب وقال: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لاَ تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَىْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلاَّ أَنْ يَتَّبِعَنِى**» [رواه أحمد، وحسنه الألباني].

فبَيَّن بذلك -صلوات الله وسلامه عليه- عالمية هذه الدعوة، وأنه لا يجوز الاهتداء بغير كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، ومن تتبع العقد الذي أبرمه عمر رضي الله عنه وغيره مع أهل الذمة، علم أن عرض فيلم كهذا يمنع من باب أولى وأحرى.

والشعوب عامة عندما تحتاط لعقائدها وقيمها وموارثيها ودساتيرها لا يستغرب معه حكم المنع، وخصوصًا إذا كان القانون والرقابة تستند لحكم الشريعة في مسألة منع فيلم المسيح.

رابعًا- التمثيل بصفة عامة لا يخلو من عنصر نسائي، واختلاط، وتبرج، وعُري، وخلاعة، وموسيقى، وأغاني، ووصل للشعر بالباروكة، والنطق بكلمات كفرية، وفي التمثيل الديني البعض يؤدي دور الرب -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا-، والبعض يؤدي دور المسيح عليه السلام ثم هو هو يؤدي دور المخمور، أو عاشق النساء في فيلم آخر.

وبالجملة فلا يخلو التمثيل من مخالفات شرعية جسيمة، والغاية لا تبرر الوسيلة، فنشر الفضائل والزجر عن الرذائل وسائله الشرعية كثيرة بعيدًا عن التمثيل، وفي الحديث: «**مَا أُحِبُّ أَنِّى حَكَيْتُ أَحَدًا وَأَنَّ لِى كَذَا وَكَذَا**» رواه الترمذي، وأحمد، وصححه الألباني، ولما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: «**حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا -قال بعض الرواة: تعني أنها قصيرة-، فقال النبي ﷺ: لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني]، والتمثيل عبارة عن تشخيص، وقد كان القانون المصري لعام ١٩٣٨ يرُد شهادة الممثل، واعتبر البعض من مفاخر يوسف وهبي إبطال هذه المادة من القانون!!

خامسًا-الحق مقبول من كل من جاء به، والباطل مردود على صاحبه كائنًا من كان، ولا يجوز أن نرضي الناس بسخط الله، وكلام البعض عن الفن والإبداع أنه لا علاقة له بالدين كلام ساقط لا يُلتفت إليه؛ فما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن أعطانا من كل شيء علمًا، وقال: «**تركت فكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا، كتاب الله وسُنَّتي**» حسنه الألباني.

وقد احتاط النبي ﷺ لجناب التوحيد وجناب التشريع، ولم يسمح لأحد بخدش هذا الجناب، والواجب علينا أن نسير على دربه -صلوات الله وسلامه عليه- قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

والحكم والخلافة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا به، وبلدان الدنيا لا تسمح للأكثرية ولا للأقلية بخرق دستورها وقوانينها، فكيف يسمح المسلمون بمخالفة الكتاب والسُنَّة والتعدي على منهج الأنبياء والمرسلين قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠].

فإن أصر البعض على التفلُّت والتحلل قلنا له: «استقم كما أُمرت»، فلا تزال طائفة من الأمة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

لا داعي للتبديل والتغيير، والانقياد الأعمى لنزعات غربية، ومناهج مستوردة تضر ولا تنفع وتفسد ولا تصلح قال تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾[الأنعام:٨٩].

اللهم أبرِم لهذه الأمة أمرَ رشد يُعز فيها أهل طاعتك، ويُذل فيها أهل معصيتك، ويُؤمر فيها بالمعروف، ويُنهى فيها عن المنكر.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

هل العادة السرية تنفيس لا حرج فيه ؟!!

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ..

فقد أثار كلام خالد الجندي -وهو من الدعاة الجدد- لغطًا بسبب إباحته العادة السرية، وقد توافقت معه دكتورة أخرى وذكرت أن هذا الفعل لا مضرة فيه وفيه تنفيس عن الشباب.

وقد يرى البعض أن هذا الكلامَ وأصحابَه ما يستحقون تعليقًا؛ ففي ذلك إشهار للشبهات وأهلها، وأن الفضائيات صارت تطرح في اليوم الواحد الكثير من المسائل الساقطة، والدنيا لم تعد أشبه بقرية صغيرة ولا بحجرة صغيرة -فهذا كنا نقوله فيما مضى-، ولكنها اليوم أشبه بجهاز صغير، وبالتالي فملاحقة الأحداث لا أقول يصعب ويعسر، بل هو محال بالنسبة لفرد يريد أن يطالع، ويحلل ويفرز الغث من السمين والسُنَّة من البدعة، والإيمان من الكفر؛ نهوضًا بواجب البلاغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن رحمة الله أن الواجبات تسقط بالعذر، والعجز، وعدم الاستطاعة، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة :٢٨٦]، ويبقى العمل من باب «ما لا يُدرك كله لا يُترك جله»، وما لا نستطيع تتميمه مائة بالمائة لا نتركه صفرًا، ومن باب ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التَّغَابُن :١٦].

وكنا نتمنى لو نهضت الفضائيات بتبرئة الساحة وتخليص الرقبة بين يدي من لا تخفى عليه خافية، فالرد يكون من خلال البوق الإعلامي وبنفس مساحة التأثير، ولكن الكثرة وكأنها لا يعنيها الأمر؛ فبينما تثور أحداث غزة يتحدث البعض في حكم شرب الدخان مثلًا، حتى صار فتنة لكل مفتون، ولا يتقن البعض الحديث إلا الرقائق، وكأنه لا يستطيع أن يخلط الرغبة بالرهبة، والمسائل الشرعية الحكمية بقضايا التوحيد والاعتقاد، وقضايا السيرة بالأصول!!

ونحن لا يسعنا إلا أن نوضح على قدر حالنا، حتى لو كان حديثنا في القضايا والمسائل المطروحة لا يزيد عن الهمس أو وسط من يُعد على أصابع اليدين.

وقبل أن نرد على هذه القضية التفصيلية نلقي الضوء على مسائل مهمة تتعلق بها وبما شابهها:

أولاً- مشاركة النساء في أحاديث وبرامج وحوارات صحفية وإذاعية والتطرق إلى موضوعات تتعلق بالڤياجرا والثقافة الجنسية والختان والعادة السرية، مع ذكر تفاصيل قد يستحي الرجل من عرضها، وبحيث تُدلي المرأة برأيها جنبًا إلى جنب مع الرجل، مشهدٌ ينم عن جهالة فادحة وعدم حياء، وقد قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِى فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**» [رواه البخاري]، و«**الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**» [رواه مسلم]، و«**الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِى إِلاَّ بِخَيْرٍ**» [رواه مسلم]، و«**الحياء والإيمان قُرنا جميعًا، فإذا رُفِعَ أحدهما رُفِعَ الآخر**» [صححه الألباني].

إن الحياء لا يمنع من السؤال والتحري وقول الحق، وكل ذلك معلوم، ولكن أن تظهر المرأة أمام ملايين المشاهدين تتحدث عن الجنس، وتصرح في موطن لو تكلمَ فيه رجل لاستخدام ألفاظ الكناية كقول النبي ﷺ لمن سألته عن الاحتلام، قال: «**نَعَمْ، إِذَا رَأَتِ الماء**» متفق عليه، بمعنى من أصابتها الجنابة تغتسل.

المتحدث قد يكفي المرأة الحديث في مثل هذه المسائل، وإذا تكلم فعليه أن يراعي الضوابط الشرعية، وينتبه لمسائل الاستثارة وتحريك الشهوات بالنفوس، وقد كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، ومجموع الأوامر الشرعية في حق المرأة توجب عليها الصيانة والتحفظ، والتحجب والتستر، والتباعد عن مواطن التهم والريب والشكوك، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران:٣٦]، ويبدو أن دعوات حرية المرأة قد أحدثت أثرها وولدت تحللًا وجرأة.

ثانيًا- جهالات كثيرة تُعرض في قالب علمي، فمن رفض ختان البنات وتغطية الوجه والكفين بالنسبة للمرأة، ومن أباح تولية المرأة الحكم والوزارة، وأجاز العادة السرية، نجد أن من جملة أجوبته: أنه لا دليل صحيح يمنع العادة السرية أو تولية المرأة، وكذلك لا دليل يفيد مشروعية الختان والنقاب!!

ولعل المتكلم أراد إفحام المخالف، ومواكبة التطور العلمي، ومجاراة المتدينين في طريقتهم في الاستدلال، وهذه المجاراة يلجأ إليها الصحفي والعلماني والملحد الآن، وكان الناس بالأمس القريب يقولون بالعيب وما يعرفون حلالًا ولا حرامًا، فمن العيب عندهم مثلًا إظهار المرأة ما تحت الركبة وإظهار الإبط، فإذا سترت ذلك فهي محتشمة عندهم وبنت ناس!!، وكانوا لربما قالوا لمن لا يصافح النساء ولا يشاهد الأفلام: حرام عليك!! وقد تغير الحال وتبدل -بفضل الله-، واضطر الكثيرون للكلام بلسان المسلمين.

ثالثًا- من بركة العلم أن ينسب القول لقائله، وإن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر، وهم أهل البدع، وإن هذا الأمر دين فانظروا ممن تأخذون دينكم، وسيظل منهج التلقي هو الرجوع للكتاب والسُنَّة بفهم علماء الأمة المعتبرين، وأن نكون على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام، وكل إنسان يُؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ.

وإذا كان البعض يعتب على إساءات خالد الجندي والدعاة الجُدد، فالعتب لا يقل على من اعتبرهم علماء وحَمَّلهم ما لا يحتملون، وكان عمر رضي الله عنه يقول: ما خان أمين قط، ولكن أُؤتمن غير أمينٍ فخان.

ولقد تصدر البعض بالجهالة، وبسط الجهل ورُفع العلم ونطَق الرويبضة، وكنا نود لو أهملنا الأقوال الساقطة، ولكن ماذا نصنع؟ وقد شابهت قول البعض زلة عالم يضرب بها الطبل، فالملايين يسمعونها ويتناقلونها، وهؤلاء الدعاة صاروا يُقَدَّمون على الشيخ

ابن باز وابن عثيمين، وولدت أجيالٌ لا تعرف إلا عمرو خالد وخالد الجندي، فهذه مأساة ومن إفرازات عصر الإعلام.

رابعًا- العادة السرية هي: الاستنماء، والخضخضة، وجلد عميرة، وهذه العادة محرمة على قول جمهور العلماء، وقد استدل الجمهور على حرمتها بنصوص من الكتاب وصحيح السُّنَّة مثل: قال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٥-٧]، والمستمني بيده قد ابتغى لشهوته شيئًا وراء ذلك، وقد أمرت الآيات بحفظ الفروج إلا على الزوجة ومِلك اليمين، فلو كانت العادة السرية مباحة لذكرتها الآية، واستدلوا قال تعالى: ﴿ **وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ** ﴾ [النور: ٣٣]، فأمرت الآية بالاستعفاف لا بالاستمناء، وفي الحديث: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**» [رواه البخاري]، قال النبي ﷺ: «**وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ -أي الزواج- فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ**»، فلو كان الاستمناء أو العادة السرية تنفيس مُباح لذكره الصادق المصدوق ﷺ ولما عَدَل عنه إلى الصوم.

ولَمَّا شقت عليهم العزوبة في الغزو وهمَّ البعضُ بالاختصاء كعثمان بن مظعون لم يأذن لهم النبي ﷺ فلو كانت العادة السرية مباحة لذكرها لهم وخصوصًا مع وجود المشقة واشتداد الشهوة.

ولذلك فلا يجوز التساهل في إباحة هذه العادة المحرمة السيئة بزعم التيسير على الشباب عند وجود الشهوة، ومن أباحها من العلماء عند الضرورة قال: لخشية الوقوع في الزنا، وتشقق الأنثيين، وهذا لا ينطبق مع التيسير المزعوم، ولا السماحة التي يتكلم بها البعض الآن، كما لا يجوز إطلاق البصر في المواقع الإباحية، ولصور النساء العارية، وللكليبات والإعلانات الفاضحة، أو سماع الأغاني الماجنة، ثم الاسترسال في العادة السرية بزعم أنه يخاف الوقوع في الزنا أو أنه مضطر، فكل مقدمة لها نتيجة، ومعظم النار

من مستصغر الشرر، والوقاية خير من العلاج قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

نصيحة:

اجتهد في الأذكار والدعاء، وتلاوة القرآن، وتفكر في الموت والقبور والآخرة، واعلم أنها لذة ساعة وألم الدهر، وأن هذا الفعل دناءة، ويترتب عليه سرعة القذف، والكثير من المشاكل الجنسية بعد الزواج، ولا ضرر ولا ضِرار. وكان الإمام الشافعي يقول: لو أعلم أن شرب الماء يخرم مروءتي ما شربته.

أكثر من الصيام، وصاحبْ من يعينك على طاعة الله، واشغل نفسك، فنفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين

التجربة والواقع وقبل ذلك الشرع يثبت فشل النظام الربوي .. فهل أنتم منتهون ؟؟؟

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد توالت النداءات والمطالبات الغربية والأمريكية تستحث على العمل بالنظام الاقتصادي الإسلامي، وخصوصًا بعد الكبوة التي عصفت بالنظام المالي هناك، وجَرَّت معها الكثير من دول العالم ومن بينها دول الخليج التي ربطت نفسها بالغرب والأمريكان.

وقد احتاج الأمريكان لترقيع الاقتصاد بحوالي ٨٠٠ مليون مليار دولار، وأوضحت هذه الأزمة أن الخبرات والدراسات بل والأنظمة عبارة عن نمور ورقية صنعت حولها هالات ضخمة، وساعد البريق الإعلامي على خطف أبصار من لا حظ له من البصيرة قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٧٢].

لقد خرج كبير أساقفة انجلترا يطالب أكثر من مرة بتطبيق تشريعات إسلامية، ونادى الرئيس الأمريكي بوش بأن يصبح سعر الفائدة صفرًا، وكان آخر هذه التصريحات مطالبة بابا الفاتيكان بروما بالعودة للنظام الإسلامي لإصلاح الانهيار الاقتصادي الغربي.

فالتجربة والواقع يثبت فشل النظام الربوي هنا وهناك بالأمس واليوم، والشرع قبل ذلك، قد حذرنا من التعاملات الربوية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٥-٢٧٦]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم

مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

وقد نزلت هذه الآيات بشأن أهل الطائف، وكانوا يصلون ويصومون، ولكنهم كانوا يتعاملون بالربا، والربا هو آخر المحرمات في القرآن الكريم، تهددهم الله -سبحانه- فيها بحرب لا طاقة لهم بها، إن هم استمروا على هذه التعاملات الربوية، والشرع لا يفرق بين المتساويين، ولا يساوي بين المختلفين، وفي الحديث الذي رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه والبخاري من حديث أبي جحيفة، أن رسول الله ﷺ: «**لعن آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ**».

فالإسلام قد حرَّم الربا بنوعيه: ربا (الفضل) الزيادة، وربا النسيئة (ربا الجاهلية)، وهذا التحريم ثابت بالقرآن، والسُنَّة الشريفة، وإجماع أئمة المسلمين منذ صدر الإسلام حتى الآن، ولا يجوز التعامل الربوي على مستوى الفرد والدولة، وسواء كان إنتاجيًا أو استهلاكيًا، قليلًا أو كثيرًا، اختياريًا أو اضطراريًا.

والبنك الربوي أشبه ببناية لها بابان، الأول يدخل منه الناس بنقودهم لأخذ ربح ثابت على أصل رأس المال، وليكن ١٠٪، أما الباب الثاني فيخرج منه الناس بنقود على أن يدفعوا له ٢٠٪ فائدة على هذه القروض، ومن المعلوم أن كل قرض جر نفعًا فهو ربا.

وقد هرب الكثير من المقترضين بالمليارات إلى الغرب، ولم يسددوا أصل رأس المال، ومنهم من تراكمت عليه المديونيات نتيجة الكساد، ولم يستطع الوفاء، فبعد سنوات أصبح مَن اقترض المليون مطالبًا بسداد ٢ مليون قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

والبنوك كانت تموِّل ٤٠٠ شركة قطاع عام خاسرة، وقد أغلق بنك الاعتماد أبوابه، وسمعنا من قبلُ عن سرقة قطار بريد جلاسجو بما فيه من ملايين البنك، وبالتالي

فالادعاء بأن البنوك لا تخسر عبارة عن وهم كبير، ولا يجوز تشبيه التعاملات البنكية الربوية بالمضاربة الإسلامية كما فعل شيخ الأزهر والمفتي.

فالبنوك تثبّت الفائدة على أصل رأس المال وبغضِّ النظر عن ربح البنك وخسارته، أما المضاربة الإسلام فتوزع الأرباح وِفق النسب المتفق عليها (مثلًا ٢/ ١، ٢/ ١ من المكسب)، ونحن لا ندري سيكون الربح ١٠ أم ١٠٠ أم ١٠٠٠.

ففي الصورة الأولى يأخذ صاحب رأس المال ٥، ويأخذ الشريك الإداري الـ٥ الباقية، ولو كان الربح ١٠٠ فكل طرف له (٥٠) وهكذا، ثم في حالة الخسارة فإنها تعود على رأس المال، ويخسر الشريك الإداري عمله طالما وفَّى بالمتفق عليه، أما في حالة الإخلال أو الإهمال فإنه يضمن.

وهكذا ففي المضاربة الإسلامية الغُرم بالغُنْم، أما في التعاملات البنكية ففيها ضمان الربح، وهذا لا يجوز لمعارضته للشرع ومخالفته لواقع البنوك الخاسرة.

وقد انتشرت التعاملات الربوية الماحقة للخيرات والبركات في البورصة، والتأمين على الحياة، وضد الغرق والحريق، كما انتشرت الربويات في سوق الذهب، وفي دفتر التوفير وبنوك التسليف الزراعي، وقد عمّت البلوى بالتعامل مع البنوك في التصدير والاستيراد، وقبض الرواتب والمعاشات.

ولا مانع من إيداع المال في البنك الربوي على جهة الحفاظ والصيانة، لا على جهة التربح، فإذا نجمت أرباح ربوية فإنها تُنفق في أي مصلحة عامة من مصالح المسلمين، ولا شبهة فيها، فإن احتاجها الإنسان في سداد دين أو نفقة واجبة أخذها لنفسه، وانتهى عن التعاملات الربوية.

والتعامل مع الأفرع الإسلامية أخف في الشبهة، وشأنها لا يقل عن اليهودي الذي تعامل معه النبي ﷺ ببيع وشراء، ودُعي لطعام يهود المدينة، ومات ﷺ ودرعه مرهونة



من يهودي، ولكن لما كانوا أهل تجارة تعامل معهم النبي ﷺ، وهكذا الأمر إذا اختلط الحلال بالحرام جاز التعامل فيه بنية التعامل في المباح المشروع.

واليوم عندما نرى الغرب يتراجع من التعاملات الربوية، وتصدر النداءات تطالب بالعودة للنظام الاقتصادي الإسلامي، فلا أقل -ونحن الذين ورثنا الإسلام- من أن نعمل بمقتضاه؛ فنحل حلاله، ونحرِّم حرامه، ونعظم حدوده وشرائعه، والرجوع للحق خير من التمادي في الباطل، وإلا فنُذُر الدمار التي تلوح في الغرب وتكاد تعصف بالأمريكان بمثابة نذير لنا قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢].

إن الربا وحده كاف في دمار البلاد والعباد، فكيف إذا انضاف له الظلم والبغي والعدوان، وغرور القوة عند الأمريكان، والتطاول والعسف بالأبرياء؟!

لابد من قراءة واعية للسُنن والسير، فمعصية الجيش أضر عليه من سيوف أعدائه، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:٢٤]، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:١٦].

اللهم إنا نعوذ بك أن نقول زورًا أو أن نغشى فجورًا، أو أن نكون بك من المغرورين.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين



حسن نصر الله وتنظيم حزب الله

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ..

فقد أعلنت أجهزة الأمن المصرية القبض على ٢٥ متهمًا، وهناك ٢٤ متهمًا آخرون جارٍ البحث عنهم، إلا أن أجهزة الأمن تواجه صعوبة في تعقبهم، خاصة بعد أن اعترف المتهمون المقبوض عليهم بأن جميع أفراد التنظيم يتحركون بأسماء حركية غير أسمائهم الحقيقية، وهذا هو التنظيم المصري التابع لحزب الله اللبناني.

وقد وجهت لهم النيابة تُهَم: التخابر لصالح دولة أجنبية، وحيازة أسلحة ومتفجرات، ومواد لصنع قنابل.

وقد أرسل المتهم الأول في قضية حزب الله في مصر اعتذارًا إلى الأمين العام لحزب الله اللبناني حسن نصر الله عن القبض على أعضاء التنظيم، وقال في رسالة لبعض الصحف: قولوا للسيد نصر الله: لو خضت بنا البحر لخضناه وراءك، وأعتذر لك عما وقع من الكشف عن جنودك الذين يجب أن يكونوا على مستوى المسئولية التي علمتنا إياها.

وعندما سئل عن سر اعترافاته الكاملة التي تدينه قضائيًا قال: «دعمُ المقاومة ليس عيبًا في فلسفة حزب الله، بل إنه شرف نقدمه للأمتين العربية والإسلامية، وقد تلقيت تكليفًا من الحزب بأن أقول كل شيء؛ لأنه لا يوجد شيء معيب في القضية، وقد ذكر أنه طلب القيام بعمليات تفجيرية ضد السياح الإسرائيليين في سيناء، لكن قيادة الحزب رفضت وطلبوا عدم تنفيذ أي عمليات في مصر.

وقد أعلنت حركة حماس تضامنها مع حزب الله في مواجهة الحملة المصرية التي وصفتها بالقاسية، واعتبر البعض الاتهامات الموجهة إلى حسن نصر الله بأنها نوع من الإفك والكذب، وادعاء مجاف للحقيقة.

وتشهد الساحة اللبنانية انقسامات حول قضية حزب الله في مصر بين أنصار الحزب الذين يدافعون عنه، والفريق الآخر الذي يرفض المزايدة على موقف القاهرة الداعم للقضية الفلسطينية، وطالب فريق في مواجهة هذه القضية التي طغت على كل شيء بالتحلي بالحكمة والبُعد الاستراتيجي، وترك حملات التلاسن بين القاهرة وحزب الله، والتي لن تفيد سوى إسرائيل؛ فلابد من مواجهة واعية بعيدًا عن الانفعال والتشنج.

وحتى يصطلح كل فريق على حقه، ونميز بين المقبول والمرفوض ويتم استخلاص الدروس والعبر من هذه القضية، ونُذَكِر أنفسنا والدنيا من حولنا بعدة مسائل:

أولًا- أن مصر مستهدفة في عقيدتها وأمنها ومصالحها، ليس فقط من الشيعة وإنما أيضًا من اليهود والأمريكيين والأوروبيين، والنصارى الملحدين، والعلمانيين، والبهائيين، وأصحاب ثقافة التحلل والفجور، وفي مواجهة ذلك لابد وأن نكون يدًا واحدة معتصمين بحبل الله المتين وذكره المحكم، عاملين بكتاب الله وبسُنَّة رسول الله ﷺ وإلا فسنصير مرتعًا لكل طامع، وفريسة سهلة لكل مارق ومنحرف.

ثانيا- حسن نصر الله صاحب عقيدة شيعية، ويريد أن يخدم عقيدته، وشأنه في ذلك كشأن غيره، وقد يبذل الغالي والرخيص في سبيل ذلك، وهو متمرس بالإضافة لذلك في استخدام المفردات السياسية، والعبارات الحماسية، ولا ينسى عقيدته الشيعية وبثها في ثنايا ذلك، ومن أمثلة ما نقول: أنه كان يأتي بالعملية الفدائية الفلسطينية الاستشهادية، ثم يعلق عليها بأن الإمام الخميني قال لهم: كذا وكذا!!

وفي الحرب الأخيرة بين اليهود وأهالي غزة لم يطلق حزب الله صاروخًا واحدًا على يهود في الوقت الذي صرح فيه حسن نصر الله بأنهم يمتلكون ٢٠٠٠ صاروخ واكتفى بالحرب الكلامية!!

ثانيًا- الشيعة منذ بدايتهم يتقنون العمل التنظيمي، والدخول في السراديب، والعيش في الدهاليز؛ فبدايتهم ترجع لعبد الله بن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام،

ونقل ما وجده في الفكر اليهودي إلى التشيع، فهو أول من نادى بالأفكار المنسوبة إليهم، وعندما ظهر الخميني رفع شعارات إسلامية عامة في بداية الثورة إلا أنه كشف عن نزعة شيعية متعصبة ضيقة، ورغبة في تصدير الثورة إلى بقية العالم الإسلامي، وقد ذكرت الشيعية الإمامية الاثنى عشرية أن الإمام الثاني عشر -محمد بن الحسن العسكري- دخل سرداب سامراء ٢٥٦ هـ ولم يعد.

ومن تتبع الدولة الفاطمية التي أقامها العبيديون في مصر -وكان ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض-، والدولة النصيرية، وكذلك طوائف الشيعة الغلاة علم أن سلوكهم هذا غير مستغرب.

رابعًا- الشيعة أصحاب فكر سردابي مظلم والتقية أحد أصولهم، وهم يعدونها من أصول الدين، ومن تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة، وهي واجبة لا يجوز رفعها حتى يخرج الإمام الغائب، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله -تعالى-، وعن دين الإمامة، كما يستدلون على ذلك قال تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، وينسبون إلى أبي جعفر الإمام الخامس قوله: «التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له»، وهم توسعوا في مفهوم التقية إلى حد كبير حتى صاروا أكثر الطوائف كذبًا على المخالفين.

خامسًا- يتعجب الإنسان من جَلد الفاجر وعجز الثقة، وقد كان عمر رضي الله عنه يشكو ذلك لربه، فقضية فلسطين وأحداث غزة هي قضية المسلمين جميعًا، والواجب علينا نصرتهم، ودفع العدو الصائل عنهم، وإمدادُهم بكل ما يحتاجونه من مال وسلاح ورجال أمرٌ تُقره القوانين الوضعية، وقبل ذلك الأحكام الشرعية، وهذا الواجب الشرعي لا يصح أن يكون موضع مساومة، ولا مفاصلة، ولا ابتزاز، وليس لحسن نصر الله الشيعي ولا لغيره أن يستثمره لنشر عقيدته الشيعية أو لكسب زعامة تؤهله لذلك.

سادسًا- الحق مقبول من كل من جاء به، والباطل مردود على صاحبه كائنًا من كان، والحق ما وافق الكتابَ والسُّنَّةَ، ونحن نقبل مناصرة الشيعة لقضايا المسلمين وغيرها، ونرفض استثمار حسن نصر الله وحزب الله لهذه القضية في ترويج المعتقدات الشيعية، وتكوين خلايا تنظيمية سرطانية تعمل لأجل هذا الغرض، فلست بالخِبِّ ولا الخِبُّ يخدَعُني.

لا نقبل أن تتكرر مأساة العراق في مصر، وأن تصبح الشيعة مخلب قط لأعداء الإسلام والمسلمين وعونًا لهولاكو العصر، كما صنعوا في أفغانستان والعراق؛ فماضيهم مشبوه وحاضرهم كذلك، ولا يشفع لهم الكلام عن الشيطان الأكبر ولا فتات المناصرة لفلسطين، فهذه المعاني لا ينخدع بها إلا السذج ومَنْ لا حظَّ له من النظر.

نحن نحب الخير للشيعة ولحسن نصر الله ولحزب الله؛ ولذلك نقول لهم: اتركوا القول بالرجعة، والتقية، وسب الصحابة، والقول بعصمة الأئمة، وزواج المتعة، وليترك أتباع الخميني قولَه: «ومن ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مُقرب ولا نبي مُرسل»، وقولَه: «فإن للإمام مقامًا محمودًا، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميعُ ذرات هذا الكون»، وقولَه: «والأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة»، وتوثيقَ الخميني لأمثال: نصير الدين الطوسي وزير هولاكو الذي دمَّر بغداد وقضى على الخلافة الإسلامية.

والخميني له نفس موقف الشيعة من الصحابة ﭫ، ويرى أن الإسلام لم يتمثل إلا في عهد الرسول ﷺ، وعهد عليّ ﭬ.

فليترك أتباع الخميني ذلك كله، وليرجعوا لإسلام الكتاب والسُنَّة والجماعة، ولا يسعُنا حينئذ إلا أن نرحب بهم ونقول لهم: جزاكم الله خيرًا.

أما أن يأتي حسن نصر الله وحزب الله لنشر معتقده الفاسد، فلابد من الأخذ على يده وفق معاني الحق والعدل، فنحن نرفض الظلم له ولغيره، وأهل السُنَّة أولى بفلسطين

منه، ومواقفنا تنطلق من عقيدة الكتاب والسُنَّة لا تصدر عن حسابات سياسية أرضية وضعية.

ولا يجوز أن ننخدع بقول البعض عن الجعفرية الإمامية الإثنى عشرية بأنهم مذهب خامس يجوز التعبد به؛ ففكرهم أَسْوَد، وهم فرقة نارية، وعقيدتهم إضاعة للدنيا والآخرة، وتآمرهم وخستهم فيها دمار البلاد والعباد، وتسلطهم ونكايتهم في أهل السُنَّة إن تمكنوا من مصر لن تقل عن فعلهم في أهل العراق.

فالحذر واجب، والمؤمن لا يُلدغ من جحر مرتين، واللهَ اللهَ في دينكم وبلادكم.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

لماذا يتبع الابن المسلم من والديه؟

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه ،أما بعد ..

فقد صرح أحد القساوسة بأن المسلمين يقولون كلامًا حلوًا جدًا: قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البَقَرَة :٢٥٦]، وقانونهم يقول: «المسلم لمن أسلم من الولدين»، ويتضح من تعبيره نبرة التهكم، وإظهار التناقض من وجهة نظره بين الكلام الحلو جدًا، والذي هو آية بيِّنة: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، وبين قانون المسلمين الذي يجعل الابن مسلمًا تبعًا لمن أسلم من والديه.

ونحن بدورنا نجيبه -بفضل الله- ونوضح له أنه لا إشكال في هذه المسألة:

أولاً- نعيش في عصر ذهبي - باصطلاح الماديين - هو عصر الحريات والديمقراطيات، سمح لكل الطوائف أن ترفع صوتها وتطالب بما تتوهمه حقها، وأن تسعى في توطين معتقداتها، واكتساب أنصار جدد لها، وامتلاك نواصي البلاد والعباد ومتى سنحت الفرصة، وقد لا نعتب على الأمريكان، واليهود، والبهائيين، والعلمانيين، والمثقفين المحلدين، ولا على النصارى أيضًا، إذا صنعوا ذلك؛ فكل طرف يريد أن يخدم نفسه وعقيدته.

والعتب كله على أهل الحق إذا تهاونوا في إسلامهم، وفرَّطوا في معتقداتهم، وباعوا دينهم بدنيا غيرهم، والمطالبات والمماحكات أو التدخلات قد صارت سافرةً في الآونة الأخيرة نتيجة تسلط الأعداء على رقاب المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى فإن الدنيا لم تعد قرية أو حجرة صغيرة، كما كان يُقال من قبل، بل صارت أشبه بجهاز صغير.

ثانيًا- القانون والدستور يُلزم جميع الرعايا المقيمين في هذا البلد، ويعلقون المشانق لمن خرج على دستور البلاد، ويفرضون احترامه بالقوة. وفي بلدٍ كأمريكا ينفذون القانون الأمريكي على المسلمين المقيمين هناك حتى في أحكام الزواج والطلاق والميراث؛ أي يصل تطبيق القانون حتى للأحوال المدنية، إذا كان هذا حالُ أهل الباطل فكيف لا يذعن

المسلم لإسلامه؟! وكيف لا تخضع القوانين والدساتير لأحكام الشريعة الإسلامية؟! وما الذي يحول دون سياسة البلاد والعباد بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

ثالثًا- لا تناقض بين الآية التي استدل بها القس وبين قانون المسلمين بجعل الولد لمن أسلم من الوالدين؛ فالإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، وقد فطر اللهُ عبادَه على توحيده، والإقرار بوجوده، وفي ذلك قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

ويقول النبي ﷺ في الحديث: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**» متفق عليه، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «**وَإِنِّى خَلَقْتُ عِبَادِى حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ**» رواه مسلم.

فهذه الآيات والأحاديث تدل صراحة على أن التوحيد هو الأصل، والشركَ طارئ عليه، وأن الناس كانوا أولًا على هُدَى قبل أن تنحرف بهم الأهواء، وتزلهم الشياطين، ولسنا بحاجة لإيراد الأبحاث العلمية القائمة على التجربة التي تؤيد أن أمر التوحيد والتدين أصيل في النفس الإنسانية، وأنه لم يحدث نتيجة لعوامل اقتصادية، أو اجتماعية كما يزعم بعض السطحيين.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على التوحيد، قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة:٢١٣]، وهذه الأمة كانت متفقة على الحق والهدى، وهذا هو المأثور عن ابن عباس، وأُبي ابن كعب، وابن مسعود، وعكرمة، وقتادة، وأبي العالية، ومجاهد، وغيرهم مما يكاد يكون إجماعًا، وهذا هو الموافق للواقع.

رابعًا- دين الأنبياء واحد؛ ففي الحديث «**وَالأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**» متفق عليه، وورد في صفته ﷺ في التوراة: «**وَلَنْ يَقْبِضَهُ الله حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله. وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا**» [رواه البخاري].

وقد ترجم البخاري (باب ما جاء في أن دين الأنبياء واحد)، فالإسلام هو دين جميع المرسلين من لدن آدم، قال نوح عليه السلام: قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، وقال الله عنسحرة فرعون قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وقال فرعون: قال تعالى: ﴿آمَنتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، وقال الحواريون: قال تعالى: ﴿آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١]، وقال يوسف عليه السلام: قال تعالى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقالت بلقيس: قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وعندما ينزل المسيح عليه السلام في آخر الزمان يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويحكم بشريعة الإسلام. فشريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع، والإسلام هو وصية إبراهيم وبنيه، قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، ثم قال بعدها: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

فأمر باتباع ملة إبراهيم، ونهى عن التهود والتنصر، وأمر بالإيمان الجامع كما أنزل على النبيين والإسلام له، وأن ننصبغ بصبغة الله، وأن نكون له عابدين، ورد على من زعم أن إبراهيم وبنيه، وإسرائيل وبنيه كانوا هودًا أو نصارى، وقد قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال سبحانه حاكيًا عنهم: قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ

عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾[البقرة:١١٣].وقال تعالى بعد أن قص أمر المسيح ويحيى: قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران:٦٤].

خامسًا- ما العجب في أن يكون الولد لمن أسلم من الوالدين، أو أن يتبع المسلم منهما والله يقول: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران: من الآية١٩]، وقال: قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران:٨٥].

وكل مولود يُولد على الفطرة، ولذلك يحرص النصارى على وضع المولود في مياه المعمودية في اليوم السابع، وإن تأخر يقولون ما زال على الإسلام، فالتهويد والتنصير انحراف بالعبد عن الفطرة السوية التي خلق ربُنا الخلقَ عليها، ولذلك قال النبي ﷺ: «**فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ**» ولم يقل يمسلمانه، وفي الحديث: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ... وذكر منهم... عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ**» [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني].

الخطاب قبل البلوغ يتوجه لولي أمر الصغير قال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[النساء:١٤١].

وقد تناولت كتب الفقه والعقيدة أحكامًا تمس هذه القضية فقالوا:

- من مات من أولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم فهو في الجنة؛ لقول النبي ﷺ لَمَّا توفي إبراهيم ابنه: «**إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِى الْجَنَّةِ**» [رواه البخاري].

- وأما أولاد المشركين، فقد رأى بعض أهل العلم أنهم مثل أولاد المسلم في دخولهم الجنة، قال النووي: وهو المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[الإسراء:١٥]، وإذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة، فلأَن لا يعذب غير العاقل من باب أولى، ولما رواه أحمد عن خنساء بنت معاوية بن صريم عن عمتها قالت: «**يا رسول الله، مَنْ في الجنة؟ قال: النَّبِيُّ فِى الْجَنَّةِ**

وَالشَّهِيدُ فِى الْجَنَّةِ وَالْمَوْلُودُ فِى الْجَنَّةِ وَالْمَوْءُودَةُ فِى الْجَنَّةِ» صححه الألباني، وقد رأى النبي ﷺ إبراهيم، وحوله أولاد الناس في الجنة.

- وقالوا: إذا ماتت المرأة وفي بطنها جنين حي وجب شق بطنها، لإخراج الجنين إذا كانت حياته مرجوة، ويعرف ذلك بواسطة الأطباء الثقات، فإذا كانت الزوجة كتابية (يهودية أو نصرانية) وماتت وهي حامل من مسلم، فتدفن وحدها.

روى البيهقي عن واثلة بن الأسقع: أنه دفن امرأة نصرانية في بطنها ولد مسلم في مقبرة ليست بمقبرة النصارى، ولا المسلمين.

واختار هذا الإمام أحمد، لأنها كافرة لا تدفن في مقبرة المسلمين، فيتأذوا بعذابها، ولا في مقبرة الكفار، لأن ولدها مسلم، فيتأذى بعذابهم.

سادسًا- لم يستكره المسلمون أحدًا على الدخول في دين الله، وعملوا بقوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البَقَرَة :٢٥٦]، وقد دخل القبطُ أهلُ مصر في دين الله، وهذا لِمَا أراد الله لهم من السعادة، فوافقوا بذلك العقل السليم، والفطرة السوية، والشريعة المطهرة.

كما حرص المسلمون على وضع الحق في نِصابه وإيصال الخير إلى الخلق، ولذلك قال قانونهم: الولد لمن أسلم من الوالدين، وخلاف ذلك ظلم وعدوان، وشر وفساد، وخيانة للأمانة، وقد قال تعالى : قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النِّسَاءِ :٥٨].

اللهم توفَّنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين

شم النسيم

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد دأب الناس على الاحتفال بشم النسيم من كل عام ويعتبرونه يوم عيد، حيث اعتاد الناس الخروج إلى المنتزهات والحدائق، ويحرص الفلاح على الخروج بأسرته إلى الحقل، وتمتلئ النوادي والملاهي والشواطئ ودور السينما بالرواد، وتكثر الرحلات، وتتعطل المصالح والمدارس في هذا اليوم، وللناس أكلات مخصوصة في هذا اليوم كالبيض الملون، والفسيخ، والرنجة، والسردين المملح، والخس، وغير ذلك.

والاحتفال بهذا اليوم معدود من جملة البدع المحرمة، وفيه تشبه بأهل الأوثان الذين كانوا يحتفلون بهذا اليوم، وكانت هذه المأكولات المذكورة ترمز إلى معتقدات عند قدماء المصريين تتعلق بالآلهة المعبودة من دون الله، وقد قال النبي ﷺ: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**» رواه أبو داود وأحمد، وحسنه الألباني، «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَومَ الْقِيَامَةِ**» رواه الترمذي، وحسنه الألباني، وتشابه الظواهر قد يجر لتشابه البواطن، وقد قطع الشرعُ علائق المشابهة مع أهل الكتاب والمشركين والشياطين، وأمر بمخالفتهم في الأعياد والصلاة والصيام والأزياء حتى قالت يهود: «**مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ -يقصدون رسول الله ﷺ- أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلاَّ خَالَفَنَا فِيهِ**» [رواه مسلم].

وقد نجهل العقائد التي ترتبط بهذا العيد، كما قد نجهل بدايته، وهل احتفل به الفراعنة أم أهل الكتاب؟، ولكن يبقى الامتثال وترك الابتداع فالأعياد من أعظم شعائر الدين، ولذلك ود الكفار لو بذلوا الأموال العظيمة في سبيل مشاركة المسلمين لهم في أعيادهم.

وأعيادنا توقيفية تؤخذ دون زيادة ودون نقصان، فقد قال ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَإِنَّ عِيدَنَا هَذَا الْيَوْمُ**» [رواه البخاري]، ولَمَّا رأى أهلَ المدينة يلعبون في يومين وسأل عن



هذين اليومين فقالوا: يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

ومن المعلوم أن يوم الجمعة هو خير يوم طلعت علينا فيه الشمس، فمن أراد أن يتوسع في المباحات، ويظهر الفرحة والبهجة، ويرتدي أحسن ما عنده، فليكن ذلك في الأعياد الإسلامية لا البدعية؛ فإنها تمرر كما جاءت دون استحداث لشيء زائد، فمن كانت عادته الذهاب إلى حقله وإلى زرعه في غير ذلك من الأيام فليذهب في هذا اليوم، وقس على ذلك من كانت عادته أكل البيض أو غيره فليأكل في هذا اليوم.

وقد أغنانا -سبحانه- وكفانا بالحلال عن الحرام وبالسُنن عن الابتداع قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال ﷺ: «**لِتَعْلَمَ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ**» [رواه أحمد، وحسنه الألباني].

وقد انقضت خير القرون دون احتفال بشم النسيم، وهم على علم وفقه وببصر نافذ كفوا، وكل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف.

وهكذا موقفنا من شم النسيم هو نفس الموقف من سائر الأعياد اليومية كرأس السنة الميلادية، وعيد الأم، والطفل اليتيم، وعيد النيروز، وهو نفس الموقف تجاه الاحتفال بالمولد النبوي، ورأس السنة الهجرية، وذكرى الإسراء والمعراج، وهذا الموقف ليس جمودًا أو تخلفًا ورجعية، بل هو الثبات على الحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعدم السماح بخدش جوانب التوحيد والتشريع، وإلا فما هو التطور والتقدم والتحضر، هل هو في أكل البيض الملون، والفسيخ ومشابهة الوثنيين في شم النسيم؟!

لقد كان الاحتفال بشم النسيم والأعياد البدعية سببًا في إضاعة مفهوم الولاء والبراء، فالمسلم والكافر والبر والفاجر لا فرق بينهم في هذا اليوم، وأوثق عرى الإيمان الحب في الله والبُغض في الله.

كما كان هذا الاحتفال سببًا في ارتكاب المعاصي والذنوب، وكل إناء بما فيه ينضح، والطيور على أشكالها تقع، ففي هذا اليوم يشيع الاختلاط والعُري، والتبرج، والرقص، والغناء عن سائر الأيام، قال تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

الأمة كلها تكاد تستنفر لهذا الاحتفال، طالع الصحف والمجلات وسائر وسائل الإعلام، انظر في قائمة الرحلات والحفلات الغنائية والراقصة وحجز الفنادق والمراكب... تناول المسكرات وارتكاب المخازي وسائر صور عدم الحياء.

إن احتفالًا كهذا كافٍ في هدم أمة، وإضاعة الكثير من مجهودات البناء التي يبذلها العلماء والدعاة في إعادة البلاد والعباد إلى دين الله وإلى حظيرة الإيمان، فالهدم أسرع من البناء، وواحد في الجيش يفسد تدبيره فكيف بألف؟!.

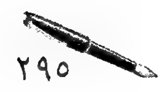
وطابورُ الهَدْم طابور طويل جدًا، ويعمل بلا كلل ولا ملل، فرائدهم في ذلك الشيطان، والشيطان لا ينام ولو نام لاسترحنا، وهذا يوجب علينا الحيطة والحذر تجاه كل معصية وبدعة؛ فمعظم النار من مستصغر الشرر، وإن لم تستمطر النقم بمثل هذه الانحرافات فبأي شيئ تستمطر؟! قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

ما دخلت بدعة إلا وخرجت في المقابل سُنَّة، فأين الاحتفال بعيد الفطر والأضحى الآن من الاحتفال بشم النسيم ورأس السنة الميلادية؟!!، لقد صورت عدسات المصورين أحد شوارع القاهرة الكبرى في عيد الأضحى فظهر خاليًا من المارة والسيارات -سكون كسكون القبور- بينما يخرج الكبير والصغير والرجل والمرأة في شم النسيم.

لا يجوز أن نكرس للانحطاط، ولا أن نبرر المعاصي والذنوب، ولا أن نيأس في مواجهة الأباطيل، لابد من شفقة حقيقية وبصيرة تدفعنا للخروجِ من الواقعِ السيئ،

والارتفاع بالبلاد والعباد إلى ما يُرضي الله تعالى، وعدم مشابهة أهل الفجور في فجورهم، وأن نعلم أن السُنن ماضية في الخلق قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البَقَرَة:٢٥١]، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[الحَجّ:٤٠-٤١].

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين



مسابقة ملكة جمال المحجبات...
ومنع النقاب في المستشفيات وغيرها

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد صدر قرار بمنع ارتداء الممرضات للنقاب في المستشفيات، كما تم منعه من قبل في المدارس، ووصل الأمر إلى حد منع المحجبات من الظهور في التلفزيون، وبين الحين والآخر تسمع عن مشاكل مماثلة في بلدان كفرنسا وتركيا، بحيث يسمح بكل صور الخلاعة والتبرج والفجور بينما يُمنع الحجاب؛ لأنه رمز ديني كما يقولون في فرنسا والتي تزعم أنها بلد الحريات، وفي تركيا التي كانت دولة الخلافة في وقت من الأوقات، ثم صارت حربًا على الإسلام والمسلمين على يد مصطفى كمال أتاتورك، فتحولت إلى دولة علمانية لا دينية تحارب المدارس الدينية، وتمنع ارتداء الحجاب في الجامعات والوظائف والمؤسسات الرسمية.

وقد بدأت تركيا -بفضل الله- تعود إلى جذورها الإسلامية، فشن العلمانيون باسم الدستور والقانون حربًا لا هوادة فيها على حجاب زوجة رئيس الجمهورية -وهو حجاب غير كامل وينقصه بعض الضوابط الشرعية- ويبدو أن الحجاب كزي شرعي وكهدي ظاهر يعبر عن عودة الأمة لدين الله؛ ولذلك استنفر واستفز مشاعر الأعداء هنا وهناك.

فرغم المحاولات المستميتة لإبعاد الأمة عن دينها، ورغم التركيز على المرأة بصفة خاصة حتى تتعرى فتضيع الأمة بضياعها، إلا أننا نستبشر الخير لقول النبي ﷺ: «**بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا**» [متفق عليه]، ولأن الواقع يصدق، فها هي الأمة تعود لدينها عودًا حميدًا حتى بات التدين يشكل طوفًا جارفًا بفضل الله.

ومن مظاهر هذه العودة وهذا التدين عودة الحجاب رغم الهجوم السافر، فالإحصائيات تقول: إن نسبة المحجبات في مصر ٨٥٪، ويعبر البعض أن مكشوفة الرأس تعرف بأنها نصرانية، وفي آخر استطلاع أمريكي ذكروا أن مصر من أوائل الشعوب تدينًا، وأن نسبة التدين ١٠٠٪ وهذا تهويل واستطلاع يحتاج إلى تدقيق، ولكنه لا ينفي طيبة هذا الشعب وأن التدين يجري في عروقه، بحيث لا يصح القول بأننا نؤذن في خرابة أو في مالطة، أو أننا نحرث في البحر.

ولا نعوِّلُ على الحَوْل والطَوْل في انتشار الحجاب والتدين، فالفضل كله بيد الله، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوامٍ لا خلاق لهم، لا نستبعد أن يكون الهجوم على الحجاب من أعظم أسباب انتشاره.

لقد سمعت بأذني في أواخر الستينات مدرسًا في الجمعية الشرعية يتكلم في الحجاب مع رواد المسجد، ويقول: شيء ظريف، وأشارَ بيده إلى منتصف الساق والساعد!!. وكانت للرجل مؤلفات شرعية، وما زلت أذكر اسمه إلى الآن، ومن طَالَع الأفراح في الجامع الأزهر في منتصف الستينات رأى العرائسَ بكامل زينتهن، وبدون غطاء للرأس في صحن الجامع الأزهر، ويحيط بالعروس كوكبة من أكابر الشيوخ يومها!!.

وقد تجد يومئذ صاحب دعوة مشهور وبجواره امرأة صنعوا لها حجابًا صغيرًا يغطي رأسها على جهة المونتاج، وإلا فالمرأة المصورة مكشوفة الشعر والنحر، فالدنيا يومها لم تكن تعرف الحجاب بضوابطه الشرعية.

وكانت المرأة في الستينات إذا غطت ركبتها وإبطها وُصِفت بأنها محتشمة وبنت ناس، فإذا كشفت الركبة والإبط لربما قالوا لها: عيب.

واليوم عندما ينتشر الحجاب على مثل هذا النحو، ويتساءل البعض عن لون الجلباب: هل يجوز أن يكون بنيًا أو أزرقًا؟ لابد وأن يطول بك العجب، وتدرك الفارق الكبير بين أمسنا ويومنا.

وبعدما كان التباري في محيط النساء قاصرًا على الموضات انتقل الأمر إلى حفظ القرآن ومعرفة القراءات، فالمتقنات للقراءات العشر اليوم بالمئات -بفضل الله-.

وصور الخير كثيرة وعديدة ومن شأنها أن تستفز الجهال والأعداء، وأن يسفر الباطلُ عن وجهه الكالح فيما هو أشبه برقصة مذبوح أو استبقاء الرمق الأخير، فالبعض يطالب بالتبرج، ويقول: المرأة كالزهرة كيف تستر زينتها؟!، والبعض يتغنى بالماضي وينعي الحاضر الذي انتشر فيه المحجبات والمنقبات!! والبعض يثير الشبهات حول المنقبات، ويشهر بطريقة ضبطنا منتقبة تصنع كذا، أو أن رجلًا تخفى في زي منتقبة؟!

شبهاتٌ كثيرة وكأنها كانت سببًا في انتشار الحجاب حتى وسط الفنانات وفي جميع فئات المجتمع، وهل منعت كلمات المنسوبين للعلم والمهاجمين للنقاب من تزايد الأمر يومًا بعد آخر، مما يثبت لك أنه لا طاقة لأحد بحرب الله، وأن الله غالبٌ على أمره، ومُتمُّ نورِه، وأن المستقبل للإسلام بعز عزيز وبذل ذليل.

ولك أن تتعجب من المحاولات المكشوفة والمفضوحة، فقد لجأ البعض مؤخرًا إلى عمل مسابقة لملكة جمال المحجبات!!

ويكفي في الرد على هذا السفه أن نردد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

كيف تشارك امرأة محجبة تضرب جلبابها من رأسها على بدنها وبحيث يستر قدمها -ومن باب أولى وجهها، وتحرص على أن يكون الجلباب غير زينة في نفسه؟! فهذه المسابقة لن تشارك فيها إلا متبرجة.

وهكذا فالمحاولات لا تنتهي، والاستدراج والاستخفاف بالعقول لا يهدأ، والشيطان لا ينام ولو نام لاسترحنا، وكذلك الأمر بالنسبة لأوليائه.

ونحن بفضل الله نكسب أرضًا جديدة كل يوم، ومن صور ذلك أن المخالفين للنقاب والمحاربين له، وكأنهم يقفون في خندق الاعتدال ومحاربة التطرف، فيتكلمون تارة عن الحشمة أو الحجاب، مع كشف الوجه مع الكفين، وهذا بلا شك قد ساعد على زيادة نسبة المحجبات، وكان هؤلاء لا يتكلمون في مسألة الزي الشرعي للمرأة من قبل، فهل هو الاستدراج الذي لم ينتبهوا له، ومحاولة ركوب الموجهة بعد اشتدادها، ولو أحسنَّا الظن لقلنا لعلهم انتبهوا لخطورة العُري والتبرج، ورأوا أن الانتقال إلى الحشمة والحجاب بمفهومهم هو المطلوب.

وعلى كل حال فالعَوْد أحمد، وبعض الشر أهون من بعض، وعلينا أن نستمر في توضيح المفاهيم وإزالة الشبهات؛ فالاستجابة عظيمة والمكاسب كبيرة، والتمكين محض فضل وتوفيق من الله.

وكان الواجب أن تدعوَ وتعبِّدَ الدنيا بدين ربها حتى وإن لم تجد نتيجة مادية ملموسة، فكيف وأنت تقطف ثمارًا ناضجة، وتشاهد معالم الحجاب والتدين تستشري في البلاد والعباد، تقرب البلاد من معاني النصر والعز والعباد من رضوان ربهم قال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الرُّوم: ٤-٥].

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

راجع رسالة «الهجوم على الحجاب... لماذا» على هذا الرابط:

http://www.al-fath.net/new/detailes.asp?nID =٣٠٨٥&ID=٢٠

حكم تسليم المسلم للكافر

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فكثيرًا ما نسمع عن اتفاقيات تسليم المجرمين، وقد يشمل ذلك تسليم مسلم للكفار، كما قد تطالب الكنيسة بتسليم من أسلم إليها وبخاصة من الفتيات والنساء، وما زالت مطالبة المحكمة الجنائية الدولية بتسليم "البشير" تثير ردود فعل كثيرة، ولسنا هنا بصدد إثبات التهمة أو نفيها، كما أننا لسنا بصدد إثبات إسلام الشخص المطلوب أو إخراجه من الملة.

وقد نرى بعض الدول تبادر بتسليم المطلوبين، وقد يفعله الأفراد أيضًا بينما تمتنع جهات أخرى، وحديثنا هنا لا يتطرق لأسْر الكفار لبعض المسلمين في الحرب كما في حرب الصرب لمسلمي البوسنة، أو حرب يهود مع المصريين، أو حرب الروس مع الأفغان، كما لا يتطرق أيضًا لأخذ أولاد المسلمين في هذه الحروب، وإرسالهم إلى روسيا حتى يتربوا تربية شيوعية، أو نقلهم إلى أوروبا حتى يكونون رأس حربة على الإسلام وأهله بعد ذلك، ولكننا نقصر الحديث هنا على حكم تسليم المسلم للكافر مما يكون سببًا في قتل هذا المسلم، أو أذيته، أو فتنته في دينه على أيدي هؤلاء الكفرة.

ومن المعلوم أن غلبة الظن تقوم مقام اليقين في الحكم، ومع محبتنا للحق والعدل، ورفْضِنا للظلم والجور دقه وجله، مع المسلم والكافر، وحرصنا على الوفاء بالعهود والعقود والمواثيق، إلا أن هذه المسألة تبقى بحاجة لعدة تعليقات:

أولاً- جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠]، وأكثر أهل العلم أن التي جاءت مسلمة هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط.

قال القرطبي: أكثر العلماء على أن هذا ناسخ لما كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عاهد عليه قريشًا من أن يرد إليهم من جاءه منهم مسلمًا فنُسخ من ذلك النساء، وقال بعض العلماء: كله منسوخ في الرجال والنساء، ولا يجوز أن يهادن الإمامُ العدوَ على أن يرد إليهم من جاء مسلمًا، لأن إقامة المسلم بأرض الشرك لا تجوز، وهذا مذهب الكوفيين وعقد الصلح على ذلك جائز عند مالك، وقد احتج الكوفيون بحديثٍ ساقه القرطبي وفيه: «**أنا بريء من كل مسلم أقام مع مشرك في دار الحرب لا تراءى نارُهما**»، قالوا: فهذا ناسخ لرد المسلمين إلى المشركين، إذ كان رسول الله ﷺ قد برئ ممن أقام معهم في دار الحرب، ومذهب مالك والشافعي أن هذا الحكم غير منسوخ، قال الشافعي: وليس لأحد هذا العقد إلا الخليفة أو رجل يأمره؛ لأنه يلي الأموال كلها، فمن عقد غير الخليفة هذا العقد فهو مردود.

وساق القرطبي أن من فرَّق بين النساء والرجال لأمرين: **أحدهما-** أنهن ذوات فروج يحرمن عليهم، **الثاني-** أنهن أرق قلوبًا وأسرع تقلبًا منهم. قال: فأما المقيمة على شركها فمردودة عليهم. اهـ

وقد كان من بنود الصلح يوم الحديبية رد من جاء من المسلمين لاجئًا، ولا تلتزم قريش برد من جاءها من المسلمين مرتدًا، وذكر بعض المؤرخون أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أتى رسول الله ﷺ يقول له: «**أَلَسْتَ نَبِيَّ الله حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِى الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: إِنِّى رَسُولُ الله، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِى**» رواه البخاري، وفي رواية عند أحمد بسند صحيح: «**أَنَا عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ لَنْ أُخَالِفَ أَمْرَهُ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي**»، ولما ذهب عمر لأبي بكر رضي الله عنهما يكرر عليه مثل ذلك قال أبو بكر: «**إِنَّهُ لَرَسُولُ الله ﷺ وَلَيْسَ يَعْصِى رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ**».

ثانيًا- لا يقاس ما يحدث اليوم مع ما جاء في صلح الحديبية، فالقياس مع الفارق، والفارق كما بين الأرض والسماء، فأين الصلح الذي يبرمه النبي ﷺ بوحي ربه ويترتب عليه فتحٌ مُبين وتضطر قريش إلى أن تطالب بفسخه ويدخل في دين الله بسببه عشرة أضعاف الذين دخلوا فيه من قبل وينزل فيه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾.

أين هذا كله من فعل شياطين الإنس والجن، وبنود الإذلال والإذعان وعقود الإجحاف التي يُتمها من لا حَظَّ له في الإسلام، ويترتب عليها إزهاق الأنفس وانتهاك الأعراض وضياع الدين؟!

إن الأمريكان لا يسلمون جنودهم المتهمين بالتعذيب وانتهاك الأعراض لأي محاكمة أو جهة، ولا يستطيع أحد أن يحاكم الرئيس الأمريكي بوش كمجرم حرب، ولم تشارك أمريكا ولا إسرائيل في اتفاقية المحكمة الجنائية الدولية لتسليم المجرمين، ولم نسمع عن يهود أنهم قدموا يهوديًا كمجرم حرب، ولا طالته المحاكم الدولية، بل لم يشاركوا في اتفاقيات حظر انتشار السلاح النووي، وكأننا نعيش في عصر الغابات، وحكم القوي على الضعيف، وهل الاتفاقيات -إن صحت- تنفذ من طرف واحد؟!

ثالثًا-الاستكراه يلغي الاختيار، ويرفع الإثم والذنب، والمستكرَه ينفذ إرادة من استكرَهَهُ، وهذا لا علاقة له بالعمالة والخسة والتواطؤ مع أعداء الإسلام والمسلمين، وخصوصًا إذا ترتب عليه ضياع الدين وانتهاك الأعراض وإزهاق النفوس.

جاء في مذكرة أصول الفقه لمحمد الأمين الشنقيطي:

الإكراه قسمان: قسم لا يكون فيه المكره مكلفًا بالإجماع، كمن حلف لا يدخل دار زيد مثلًا، فقهره من هو أقوى منه، وكبّله بالحديد، وحمله قهرًا حتى أدخله فيه، فهذا النوع من الإكراه صاحبه غير مكلف كما لا يخفى، إذ لا قدرة له على خلاف ما أكره عليه.

وقسم هو محل الخلاف الذي ذكره المؤلف (ابن قدامه صاحب روضة الناظر)، وهو ما إذا قيل له: افعل كذا مثلًا وإلا قتلتك. وجزم المؤلف بأن المكره من هذا النوع مكلف، وظاهر كلامه أنه لو فعل المحرم الذي أُكره عليه هذا النوع من الإكراه لكان آثمًا، والظاهر أن في ذلك تفصيلًا، فالمكره على القتل بأن قيل أُقتله وإلا قتلتك أنت، لا يجوز له قتل غيره وإن أدى ذلك إلى قتله هو، وأما في غير حق الغير فالظاهر أن الإكراه عذر يسقط التكليف بدليل قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[النحل:١٠٦]،و في الحديث: «**إن الله تجاوز لي عن أمَّتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**» اهـ.

وفي كتاب أصول الفقه لمحمد أبو زهرة: (ومن هذا النوع الإكراه على قتل شخص معصوم الدم، فإنه لا يباح بحال من الأحوال ولا يسقط الإثم عن المباشر وفي سقوط القصاص خلاف بين الفقهاء). اهـ.

رابعًا- حكم الأفراد هو حكم الدول والجماعات، ولا يجوز ادّعاء الاستكراه والاضطرار لتسليم المسلمين للكفار يفتنونهم في دينهم ودنياهم قال تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[البقرة:١٩١]، فلا تبع دينك بدنيا غيرك، واعلم أن العملة الزائفة لا تروج على الله، وأن الله لا يُغَش، ولا يصلح لك عذرًا وضرورة إلا ما أجازته الشريعة.

قال علي بن محمد: كان سبب حبس إبراهيم التيمي أن الحجاج طلب إبراهيم النخعي فجاء الذي طلبه فقال: أريد إبراهيم، فقال إبراهيم التيمي: أنا إبراهيم، فأخذه وهو يعلم أنه إبراهيم النخعي، فلم يستحل أن يدله عليه، فجاء به إلى الحجاج فأمر بحبسه في الديماس (حفرة تحت الأرض)، ولم يكن لهم ظل من الشمس ولا كِنٌّ من البرد، وكان كل اثنين في سلسلة، فتغير إبراهيم فجاءته أمه في الحبس، فلم تعرفه حتى كلمها، فمات في السجن، فرأى الحجاج في منامه قائلًا يقول: مات في هذه الليلة رجل من أهل الجنة، فلما أصبح قال: هل مات الليلة أحد بواسط؟، قالوا: نعم، إبراهيم التيمي مات في السجن، فقال: حِلمٌ نزغة من نزغات الشيطان، فأمر به فألقى على الكناسة.

تذكر وأنت تقف على الضد والنقيض كيف فُتحت عمورية بسبب استصراخ امرأة تكشفت، فركب المعتصم فرسه وانطلق يعدو والجيش على إثره، وبعد ما فتح عمورية قال: أين التي تستصرخ؟

ولما علم هارون أن نقفور ملك الروم يؤذي المسلمين عنده خاطبه بقول: (أما بعد فمن هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم فإن الأمر ما ترى لا ما تسمع).

فأين ذهبت النخوة والعزة الإسلامية حتى وصل بنا الهوان لتسليم المسلمة للكفرة؟!

واعلم أيضًا: أن الإمام أحمد كره رفع من استوجب الحد للحكام لَمّا أساءوا التطبيق، وهذه المسلمة تهمتها أنها قالت: (رَبِّيَ اللهُ)، قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[البروج :٨].

خامسًا- في الحديث الذي [رواه مسلم] «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا. وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**».

قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»: وأيضًا فإن الأخ من شأنه أن يوصلَ لأخيه النفع، ويكفَ عنه الضرر، وهذا من أعظم الضرر الذي يجب كفّه عن الأخ المسلم، وهذا لا يختص بالمسلم بل هو محرم في حق كل أحد. ومن ذلك خذلان المسلم لأخيه؛ فإن المؤمن مأمور أن ينصر أخاه كما قال النبيﷺ «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ قَالَ: تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**» [رواه البخاري]، وعن النبي ﷺقال: «**ما من امرئ يخذل امرءًا مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن**

يحب فيه نصرته» [حسنه الألباني في صحيح الجامع]، وخرَّج الإمام أحمد من حديث أبي أمامة بن سهل عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**من أُذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة**» [صحح إسناده الشوكاني]، وخرّج البزار من حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: (من نصر أخاه بالغيب وهو يستطيع نصره نصره الله في الدنيا والآخرة) صححه الألباني اهـ.

سادسًا- خطب النبي ﷺ يوم حجة الوداع فقال: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِى شَهْرِكُمْ هَذَا فِى بَلَدِكُمْ هَذَا**» رواه مسلم، وفي حديث عائشة ﵂: «أتدرون أربى الربا عند الله ؟، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم» إسناده صحيح، ثم قرأ رسول الله ﷺ: قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٥٨]، وإيقاع المسلم في الكفر أشد من ذلك بكثير، وفي الحديث: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم»[صححه الألباني].

وقد تكلم العلماء على فداء الأسير المسلم، حتى ولو أدى إلى خلو بيت المال عن المال، وقالوا: إذا أُسر رجل مسلم فلم يُطلق إلا بفدية جاز، وأجازوا دفع مال للكفار إن خفنا على المسلمين الهلاك أو الأسر، وفي ذلك دفع لصَغَارٍ أعظم وهو القتل والأسر وسبي الذرية الذي يفضي سبيهم إلى كفرهم، فهل يجوز بعد ذلك إعانة الكافر على أسر المسلم؟!

وإن سولت النفوس الضعيفة لأصحابها ذلك مع الرجل فكيف يسوغ ذلك مع النساء، بحيث يتسلط الكفار على دينهن وأعراضهن، نعوذ بالله من الخذلان، ومن ذهاب الدين والعقل والنخوة.

سابعًا- ذهب فريق من العلماء إلى عدم جواز الاستعانة بالكفار في الحرب مطلقًا، سواء كنا نقاتل الكفار أو البغاة قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ [آل عمران: ٢٨]، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران: ١١٨]، والحديث: «ارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ» [رواه مسلم].

ومن جوَّز الاستعانة بهم قيدها بشروط منها:

١- الحاجة إلى الكفار في حالة عدم وجود من يحل محلهم من المسلمين.

٢- الوثوق بهم وغلبة الظن على أمانتهم وعدم مكرهم، وأن يكونوا مغلوبين مقهورين بحيث تكون مع الإمام قوة تقهرهم لسلطانه.

٣- اشتراط ابن حزم ألا يتعدى أذاهم لمسلم ولا ذمّي وإلا وجب الصبر.

وبدون هذه الشروط لا تجوز الاستعانة بهم (راجع كتابي: تحصيل الزاد في تحقيق الجهاد).

وهذه الشروط لا يتوافر منها شيء الآن لا في حال الحرب أو السلم، ولا يجوز التبرير بعقود واتفاقيات تنطوي على تسلط الكفار على رقاب البلاد والعباد، فقديمًا قالوا: ما عُصِي اللهُ إلا بالتأويل.

ثامنًا-يشمل الإجرام فعل المحظورات كالسرقة، والزنا، والقتل، وما أشبهها، وترك المأمورات من نحو ترك الصلاة، والامتناع عن دفع الزكاة، أو ترك الدِّين بالكلية كالارتداد.

أما في كتب القانون والمصطلحات الحديثة فقد أخذ مصطلح الإجرام والجريمة بُعدًا اجتماعيًا وقانونيًا واسعًا فقيل: (الجريمة كل فعل يعود بالضرر على المجتمع ويعاقب عليه القانون).

وقد ورد وصف الكفر بالإجرام كما ورد التحذير منه، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥].

ومن عجيب الأمر أن يتطاول الكفرة ويصفون المسلم بالإجرام لكونه يصدع بكلمة الحق ويريد تعبيد الدنيا بدين الله، "رمتني بدائها وانسلت"، ونفس القضية مع مسمى الإرهاب الذي يُتهم به من قصَّر ثوبه وأطلق لحيته وقال ربي الله، بينما يقف الأمريكان واليهود والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة في مقام القاضي الذي تخضبت يداه بدماء ملايين المسلمين في العراق وأفغانستان وفلسطين.

نحن نعيش في عصر انقلبت فيه الموازين حتى أصبح فيه المتهم قاضيًا وجلادًا، وصار المجني عليه جانيًا، وتحول فيه الكفر إلى إيمان والإيمان إلى كفر، فكيف نتجارى مع مصطلحات مشبوهة وجهات تكيل بمكيالين، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]، قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٢]، والحقائق وإن التبست على العميان، فستظل طائفة ظاهرة على الحق لا يضرها من خالفها أو خذلها حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وعند الله تجتمع الخصوم.

تاسعًا- تسليم المسلم -أو المسلمة- للكافر، كفر وردة، قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨].

قال ابن جرير في تفسيرها: من اتخذ الكفار أعوانًا وأنصارًا وظهورًا يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين فليس من الله في شيء، أي قد برئ من الله، وبرئ اللهُ منه بارتداده عن دينه، ودخوله في الكفر. (إلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) أي إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتُظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا العدواة ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١]، قال ابن حزم: صح أن قول الله تعالى:

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ إنما هو على ظاهره: بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين. (المحلى ١٣/٣٥).

وقال ابن القيم: (فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم، وهذا عام وخص منهم من يتولاهم، ودخل في دينهم بعد التزام الإسلام فإنه لا يقر ولا تقبل منه الجزية، بل إما الإسلام أو السيف لأنه مرتد بالنص والإجماع) (أحكام أهل الذمة).

عاشرًا: إن من مقتضياتِ الموالاة في الله لإخواننا المؤمنين النصرةَ، وهي نصرة المسلمين في كل بلد، وعلى كل أرض، وفي أي وقت، وفي كل عصر؛ فالنصرة حق إسلامي، وواجب إيماني، وموالاة في الله تعالى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ قال تعالى: ﴿ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ [الأنفال: ٧٢]

فالمؤمنون ليس لهم أولياء إلا إخوانهم في الإيمان، كما أن الكافرين بعضهم أولياء بعضهم قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [الأنفال: ٧٣]، فإن لم نتشبه بالمهاجرين والأنصار، ونكون عونًا للمسلمين على طاعة ربهم، وسببًا في تكثير عددهم، فلا أقل من أن نمتنع عن تنفيرهم وصدهم عن سبيل الله، ونتركهم وشأنهم، بدلًا من أن نصبح مخالب قط لأعداء الإسلام والمسلمين، وفتنة لعباد الله الصالحين.

نحن بحاجة لتجديد معاني الإيمان والتوبة إلى الله، والمسارعة في الخيرات؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات، والمرجع والمآب إلى الله، والموقف عسير بين يديه -سبحانه-، فريق في الجنة وفريق في السعير، فقدّموا لأنفسكم قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين

إنكار البابا عذاب القبر!!!

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد دأبت وسائل الإعلام في الآونة الأخيرة على نقل رأي الكنيسة والبابا في القضايا المطروحة على الساحة مثل: الختان، ونقل الأعضاء، وتطبيق الشريعة، والشذوذ الجنسي، وبحيث صارت المسألة أشبه باستعراض الآراء، وتحقيق معنى المواطنة، ومساواة الأزهر وشيخه بالكنيسة والبابا.

وفات من يصنع ذلك أن الشرائع وإن تنوعت وتعددت فإن شريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع، وأن الدين من لدُن آدم حتى قيام الساعة هو دين الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وهذا الدين هو الذي بُعث به موسى وعيسى ونبينا -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-، فما من نبي إلا وقال لقومه: قال تعالى: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وأن المسيح إذا نزل في آخر الزمان يحكم بشريعة الإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، وفي الحديث الذي رواه مسلم «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِى أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»، وذلك لأن بشارة النبي ﷺ موجودة في الكتب السابقة -مبعثه، مهجره، صفاته- فمن آمن بموسى والتوراة، أو من آمن بعيسى والإنجيل فعليه أن يؤمن برسول الله ﷺ وإلا كان مكذِّبًا بما يدَّعي الإيمانَ به.

وأهل الكتاب إن تحاكموا إلينا حكمنا فيهم بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وشعبُ مصرَ في مجموعه شعبٌ مسلمٌ ودستوره الإسلام، وما من أمة إلا وهي تحكّم دستورها، وشرعُ من قبلنا ليس شرعًا لنا إذا خالفنا، فلمَ البلبلةُ والمخالفةُ والمجاملةُ على حساب

الحق فالعُهدة على ما جاء في الكتاب والسُنَّة دون التفات لأقوال المسلمين والعلماء إذا خالفوا ذلك، فكيف بأقوال أهل الكتاب؟! وقال تعالى: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقد ذكر العلماء: أن كل إنسان يُؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ.

وفي عظته الأسبوعية بمقر الكنيسة المرقسية بالإسكندرية الأحد الماضي ٩ ربيع الآخر، الموافق ٥ إبريل ٢٠٠٩ رفض البابا الاعتراف بعذاب القبر قائلًا: "مفيش حاجة اسمها عذاب القبر، لمّا الإنسان بيموت الروح بتروح عند ربنا، والجسد ما بيحسش، فإزاي يتم عذاب جسد بلا روح، الحساب يوم القيامة مش في القبر).

ولنا عدة تعليقات على هذا الكلام:

أولًا- للبابا أن ينكر عذاب القبر، وله أن يدين بما هو أشد من ذلك كقولهم: إن الله هو المسيح بن مريم، أو إن المسيح هو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، وله أن يجهر بمعتقده داخل الكنيسة ووسط أتباعه، والعتب على وسائل الإعلام التي تنقل هذا الكلام وتروّجه في أوساط المسلمين كجريدة «الدستور» التي نقلتُ أنا عنها الخبر، وقد كتبته الصحيفة ودون

إنكار أو رد، وبالخط العريض في الصفحة الأخيرة: البابا شنودة في عظته بالإسكندرية: مفيش حاجة اسمها عذاب القبر!!!، وعلامات التعجب هذه من عندي.

ومن البديهيات أن الخطأ على الملأ يستوجب الرد على الملأ؛ حيطةً للمسلمين، وذودًا عن شريعة رب العالمين، قال تعالى: ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٩]، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ [المائدة: ٧٣]، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ ﴾ [المائدة: ١٧]، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠-٣١].

ثانيًا-أجاب البابا في نفس العظة على فتاة ترتبط في علاقتها بشاب يصغرها بعامين ونصف العام، فداعبها البابا: «ما يهمش اعتبريه زي ابنك الكبير!!!، ناصحًا إياها أن تستمر في علاقتها بالشاب!!!

بينما طلبت فتاة أخرى نصيحة البابا في كونها عاطفية جدًا ومش بتقدر تتحكم في مشاعرها، فعلّق البابا ضاحكًا: "ده عيبه" !!!

وثالثة تشكو من كونها تحب شابًا، وتخشى أن تخبره بمشاعرها، ولا تعرف ماذا تفعل؟ فقال البابا: من الأفضل أن توسط إحدى صديقاتها المقربات لإخباره بالأمر، ثم صمت قليلًا وقال: أنا آسف... أنا مش بعلمكم الشقاوة!!!.

وهي إجابات في غاية الغرابة، ومن شأنها أن تكرّس للرذيلة وتشبع الفجور، وخصوصًا عندما تُنْشَر على الملأ، ويغتر بها البعضُ، ويضفي عليها القداسة.

ويزولُ العجبُ أو يخفُّ إذا علمت معتقدات القوم، وأن الإنجيل عبارة عن بعض الأحكام والأخلاق المكملة للتوراة وليس شريعة مستقلة، ولذلك لما تنادت الجن قالوا:

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[الأحقاف :٣٠]، ولم يقولوا: أُنزل من بعد عيسى، فالتوراة أصل كالقرآن، ولذلك فالنصارى يقبلون الحكم بأي شريعة لأنهم لا شريعة عندهم.

ثالثًا-وردت النصوص الشرعية بصفة نعيم القبر وعذابه، وهو ما يطلق عليه اسم الحياة البرزخية، وقد سمع النبي ﷺ أصوات المعَذّبين.

وورد أن من أسباب عذاب القبر: عدم الاستتار من البول، والنميمة، والغلول، والكذب، وهجر القرآن، والزنا، والربا، ويحبس المدين في قبره بدينه، ويُعذب الميت ببكاء الحي.

وهناك طوائف تُعصم من فتنة القبر، كما أن هناك أعمال مُنجية من عذاب القبر، كما وردت النصوص بالاستعاذة من فتنة القبر وعذابه، والإنسان ينتقل من حياة دنيوية، إلى حياة برزخية، إلى حياة أخروية، وكل صورة من هذه الصور لها أحكامها، والرب قدير -سبحانه-، وإذا ورد شرع الله بطل نهر معقل فهل من يعقل؟!

جاء في كتاب القيامة الصغرى للأشقر ما نصه:

يقول شارح الطحاوية: (وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، بل إن الشرع قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا).

وقال في موضع آخر: «واعلم أن عذاب القبر وعذاب البرزخ حق، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قُبِر أو لم يُقبَر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادًا ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما

يصل إلى المقبور، وما ورد من إجلاسه، واختلاف أضلاعه ونحو ذلك، فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير».

وأنكرت الملاحدة ومن تمذهب بمذهب الفلاسفة من الإسلاميين عذاب القبر، وقالوا: ليس له حقيقة، واحتجوا لذلك بأنهم يفتحون القبور فلا يرون شيئًا مما أخبرت به النصوص.

وأنكره أيضًا الخوارج، وبعض المعتزلة كضرار بن عمرو، وبشر المريسي، وخالفهم جميع أهل السنة، وأكثر المعتزلة.

وهؤلاء كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، وقد ظن هؤلاء أن أبصارهم يمكن أن ترى كل شيء، وأن أسماعهم يمكن أن تسمع كل شيء، ونحن اليوم نعلم من أسرار الكون ما كانت أسماعنا وأبصارنا عاجزة عن سماعه ورؤيته، ومن آمن بالله صدَّق خبره.

وقد وردت إشارات في القرآن تدل على عذاب القبر، وقد ترجم البخاري في كتاب الجنائز لعذاب القبر، فقال: باب ما جاء في عذاب القبر، وساق في الترجمة قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام:٩٣]، قال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]. قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٥-٤٦].

والآية الأولى التي ساقها البخاري إنما هي في تعذيب الملائكة الكفار في حال الاحتضار كما سبق بيانه، والآية الثانية تدل على أن هناك عذابين سيصيبان المنافقين قبل عذاب يوم القيامة، العذاب الأول ما يصيبهم الله به في الدنيا إما بعقاب من عنده وإما بأيدي المؤمنين، والعذاب الثاني عذاب القبر، **قال الحسن البصري:** ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ : عذاب الدنيا، وعذاب القبر، وقال الطبري: والأغلب أن إحدى المرتين عذاب القبر، والأخرى تحتمل أحد ما تقدم ذكره من الجوع أو السبي أو القتل والإذلال أو غير ذلك.

والآية الثالثة حجة واضحة لأهل السنة الذين أثبتوا عذاب القبر، فإن الحق -تبارك وتعالى- قرر أن آل فرعون يعرضون على النار غدوًا وعشيًا، وهذا قبل يوم القيامة، لأنه قال بعد ذلك: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[غافر:٤٦]، **قال القرطبي**: (الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر).

ومن الإشارات القرآنية الواضحة الدالة على فتنة القبر وعذابه قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[إبراهيم:٢٧]، ففي الحديث الذي يرويه البراء بن عازب ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِى قَبْرِهِ أُتِىَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾»، وفي رواية أخرى: وزاد: «**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ**» نزلت في عذاب القبر. [رواه البخاري].

وقد روت لنا السيدة عائشة ﵂: **أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.** فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللهِ ﷺ **عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَقَالَ: نَعَمْ عَذَابُ الْقَبْرِ. قَالَتْ عَائِشَةُ** ﵂: **فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ** ﷺ **بَعْدُ صَلَّى صَلاَةً إِلاَّ تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. زَادَ غُنْدَرٌ «عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ»** [رواه للبخاري].

وفي صحيح مسلم عن عائشة ﵂ قالت: **دَخَلَتْ عَلَىَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ فَقَالَتَا إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِى قُبُورِهِمْ. قَالَتْ: فَكَذَّبْتُهُمَا، وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا، فَخَرَجَتَا، وَدَخَلَ عَلَىَّ رَسُولُ اللهِ** ﷺ **فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَجُوزَيْنِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ دَخَلَتَا عَلَىَّ فَزَعَمَتَا أَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِى قُبُورِهِمْ، فَقَالَ: صَدَقَتَا، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ. قَالَتْ: فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلاَةٍ إِلاَّ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.**

ولعظم هذا الأمر وخطورته كان الرسول ﷺ يعلمه لأصحابه، بل وخطب فيهم مرة به، ففي «صحيح البخاري» عن أسماء بنت أبي بكر ﵁: قالت: **قَامَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ

خَطِيبًا فَذَكَرَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ الَّتِي يَفْتَتِنُ فِيهَا الْمَرْءُ، فَلَمَّا ذَكَرَ ذَلِكَ ضَجَّ الْمُسْلِمُونَ ضَجَّةً. [رواه البخاري والنسائي، وزاد النسائي]: حَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَفْهَمَ كَلَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا سَكَنَتْ ضَجَّتُهُمْ قُلْتُ لِرَجُلٍ قَرِيبٍ مِنِّي أَيْ بَارَكَ اللهُ لَكَ، مَاذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي آخِرِ قَوْلِهِ؟ قَالَ: قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وضع (-) أمام خانة الديانة للبهائيين

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ..

فقد انتهت الأحوال المدنية بوزارة الداخلية إلى وضع (-) أمام خانة الديانة للبهائيين بمصر، وذلك في البطاقات الشخصية بعد صدور حكم قضائي بذلك، وقد أثيرت قضية البهائيين في الآونة الأخيرة في وسائل الإعلام على نطاق واسع، وتم استضافة بعضهم في القنوات الفضائية لتوضيح معتقدهم ومعاناتهم وعدم حصولهم على أوراق ثبوتية بالديانة البهائية، واضطرارهم إلى إثبات كلمة مسلم أمام خانة الديانة.

ثم جاءت أحداث الشورانية بسوهاج حيث تم إحراق بعض بيوت البهائيين واضطروا للنزوح من القرية خوفًا من الأهالي ليلقي الضوءَ على هذه القضية أكثر وأكثر، وقد أوصل البعضُ عدد البهائيين بسوهاج إلى ١٨٢، وبالشورانية وحدها إلى أكثر من ١٣٠ بهائيًا.

ومن قبل كانت قضية تنظيم البهائيين والتي حُكم فيها على الرسام بيكار بأخبار اليوم ورفاقه البهائيين.

ولنا عدة تعليقات على هذه المسألة:

أولاً- العصر الذي نعيش فيه بمثابة عصر ذهبي -باصطلاح الماديين- ليس فقط للبهائيين وإنما هو كذلك بالنسبة للأمريكان واليهود والشيعة والعلمانيين، وهو أيضًا عصر ذهبي بالنسبة للتدين والالتزام، حتى باتت الخطوط واضحة -بفضل الله- أو قريبة من الوضوح، وتشكل طوفان تدين واضح المعالم في مواجهة طوفان إلحاد وزندقة، وبين هذا وذاك طوفان ثالث يعيش نقرة ونقرة وساعة وساعة، ونتوسم أن يكون مآله إلى الخير بإذن الله.

ثانيًا- ساعدت أجواء الحريات والديمقراطيات وكلام الغرب والأمريكان على الأقليات وحقوق الإنسان على إبراز قضية البهائيين وغيرها.

والوسائل والجهات المشبوهة عندما تكيل بمكيالين وتغض الطرف عن مذابح المسلمين هنا وهناك، فهذا مستوعب، ومع حرص أعداء الإسلام والمسلمين على تحقيق مآربهم إلا أن كيدَهم يرتد إلى نحورهم، وتدبيرَهم تدميرُهم، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم. وها هي الأمة تعاود الرجوع لدين الله والالتزام بشرع الله وصار المتدينون أقرب للطوفان الهادر الذي يجرف أمامه الأباطيلَ. والمستقبلُ لدين الله بغلبته وظهوره على الأديان كلها ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٨]

ثالثًا- وضع (-) أمام خانة الديانة للبهائيين تميزهم، والتمايز كثيرًا ما تتحقق به المصلحة وتندفع به المضرة والمفسدة، بعكس الأوضاع المائعة والشائعة؛ فالبهائي عندما يوضع في خانة ديانته مسلم قد يترتب على ذلك زواج وميراث دون وجه حق، فالبهائي ليس بمسلم ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، والإسلام يعلو ولا يُعلى، والكافر لا يَرِث ولا يُورث.

وهذا الجانب لا تجد فرقًا بين (-) الدالة على البهائي وبين أن يكتب في خانة الديانة بهائي طالما التميز حاصل، وقولُ البعض بأن كلمة بهائي تكتب في العقيدة بالبطاقة، أما الديانة فهي لأصحاب الديانات الثلاثة، اليهود، والنصارى، والمسلمين، فهذا الكلام لا طائل تحته ولا فائدة من ورائه، فدين الحق واحد هو الإسلام، وما سوى ذلك فهذا فيه تلبيس وتغرير وتدليس، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]، وما الحق إلا واحد فاعرف الحق تعرفْ أهلَه، واعرف الباطل تعرف من آتاه، وما من نبي إلا ودعا قومه للإسلام، فالإسلام واحد ولكن تتعدد الشرائع، وشريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع.

رابعًا- مواجهة الأباطيل وأهل الديانات الفاسدة يتم بالحق وبالعدل لا بالجور والتعدي، ووفق ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبحيث تتحقق المصلحة وتندفع المضرة والمفسدة، ولابد في ذلك من النظر في عواقب الأمور، نحتاج للتثبت ولإقامة الحجة الرسالية التي يكفر مخالفها وبحيث تنتفي الشبهات وتدرأ المعاذير، ويحيى من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك أيضًا عن بينة.

خامسًا- البهائية كفر وضلال مبين، وقد أفتت المجامع الفقهية بخروج البهائيين عن شريعة الإسلام، وحكمت بكفر أتباعها كفرًا بواحًا لا تأويل فيه.

وإليكم كلمة عن نشأة البهائية ومعتقداتها من كتاب (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المجلد الأول):

البابية والبهائية حركة نبعت من المذهب الشيعي الشيخي سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م، تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي؛ بهدف إفساد العقيدة الإسلامية، وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

١- أسسها الميرزا علي محمد رضا الشيرازي ١٢٣٥هـ-١٢٦٦هـ(١٨١٩-١٨٥٠م)، ففي السادسة من عمره تلقى تعليمه الأولي على يد دعاة الشيخية من الشيعة ثم انقطع عن الدراسة ومارس التجارة.

- وفي السابعة عشر من عمره عاد للدراسة واشتغل بدراسة كتب الصوفية والرياضة الروحانية، وخاصة كتب الحروفيين وممارسة الأعمال الباطنية المتعبة.

١- في عام ١٢٥٩م ذهب إلى بغداد وبدأ يرتاد مجلس إمام الشيخية في زمانه كاظم الرشتي ويدرس أفكاره وآراء الشيخية. وفي مجالس الرشتي تعرف عليه الجاسوس الروسي كينازد الغوركي والمدعي الإسلام باسم عيسى النكراني، والذي بدأ يلقي في روعهم أن الميرزا علي محمد الشيرازي هو المهدي المنتظر والباب الموصل إلى الحقيقة

الإلهية، والذي سيظهر بعد وفاة الرشتي؛ وذلك لما وجده مؤهلًا لتحقيق خطته في تمزيق وحدة المسلمين.

٢- في ليلة الخميس ٥ جمادى الأولى ١٢٦٠هـ-٢٣ مارس ١٨٤٤م أعلن أنه الباب؛ نسبة إلى ما يعتقده الشيعة الشيخية من ظهوره بعد وفاة الرشتي المتوفى ١٢٥٩هـ، وأنه رسول كموسى وعيسى ومحمد -عليهم السلام-، بل ادعى -عياذًا بالله- أنه أفضل منهم شأنًا.

٣- فآمن به تلاميذ الرشتي وانخدع به العامة، واختار ثمانية عشرة مبشرًا لدعوته أطلق عليهم حروف (الحي) إلا أنه في عام ١٢٦١هـ قبض عليه، فأعلن توبته على منبر مسجد الوكيل بعد أن عاث وأتباعه في الأرض فسادًا وتقتيلًا وتكفيرًا للمسلمين.

٤- في عام ١٢٦٦هـ ادعى الباب حلول الإلهية في شخصه حلولًا ماديًا وجسمانيًا؛ لكن بعد أن ناقشه العلماء حاول التظاهر بالتوبة والرجوع، ولم يصدقوه فقد عرف بالجبن والتنصل عند المواجهة. وحكم عليه بالإعدام هو والزنوزي وكاتب وحيه حسين اليزدي الذي تاب وتبرأ من البابية قبل الإعدام فأفرج عنه وذلك في ٢٧ شعبان سنة ١٢٦٦هـ ٨ يوليو ١٨٥٠م.

٢- قرة العين: واسمها الحقيقي أم سلمى، ولدت في قزوين سنة ١٢٣١هـ أو ١٢٣٣هـ أو ١٢٣٥هـ للملا محمد صالح القزويني أحد علماء الشيعة، ودرست عليه العلوم ومالت إلى الشيخية بواسطة عمها الأصغر الملا علي الشيخي، وتأثرت بأفكارهم ومعتقداتهم، ثم رافقت الباب في الدراسة عند كاظم الرشتي بكربلاء حتى قيل إنها مهندسة أفكاره؛ إذ كانت خطيبة مؤثرة، أديبة فصيحة اللسان فضلًا عن أنها جميلة جذابة، إلا أنها إباحية فاجرة طلقها زوجها وتبرأ من أولادها. كانت تلقب بـ زرين تاج -صاحبة الشعر الذهبي- بالفارسية.

* في رجب ١٢٦٤هـ اجتمعت مع زعماء البابية في مؤتمر بيدشت وكانت خطيبة القوم ومحرضة الأتباع على الخروج في مظاهرات احتجاج على اعتقال الباب، وفيه أعلنت نسخ الشريعة الإسلامية.

* اشتركت في مؤامرة قتل الشاه ناصر الدين القاجاري، فقبض عليها وحكم بأن تحرق حية، ولكن الجلاد خنقها قبل أن تحرق في أول ذي القعدة ١٢٦٨هـ الموافق ١٨٥٢م.

٣- الميرزا يحيى علي: أخو البهاء والملقب بصبح أزل، أوصى له الباب بخلافته، وسمي أصحابه بالأزليين، فنازعه أخوه الميرزا حسين البهاء في الخلافة، ثم في الرسالة والإلهية وحاول كل منهما دس السم لأخيه. ولشدة الخلافات بينهم وبين الشيعة تم نفيهم إلى أدرنة بتركيا في عام ١٨٦٣م حيث كان يعيش اليهود، ولاستمرار الخلافات بين أتباع صبح أزل وأتباع البهاء نفى السلطان العثماني البهاء وأتباعه مع بعض أتباع أخيه إلى عكا، ونفى صبح أزل مع أتباعه إلى قبرص حتى مات ودفن بها في ٢٩ إبريل ١٩١٢م صباحًا، عن عمر يناهز ٨٢ عاما، مخلفًا كتابًا أسماه الألواح -تكملة البيان بالفارسي- والمستيقظ ناسخ البيان وأوصى بالخلافة لابنه الذي تَنصّر وانفض من حوله الأتباع.

٤- الميرزا حسين علي: الملقب بهاء الله المولود ١٨١٧م نازع أخاه خلافة الباب، وأعلن في بغداد أمام مريديه أنه المظهر الكامل الذي أشار إليه الباب، وأنه رسول الله الذي حلّت فيه الروح الإلهية لتنهي العمل الذي بشر به الباب، وأن دعوته هي المرحلة الثانية في الدورة العقائدية.

حاول قتل أخيه صبح أزل، وكان على علاقة باليهود في أدرنة بسالونيك في تركيا، والتي يطلق عليها البهائيون أرض السر التي أرسل منها إلى عكا فقتل من أتباع أخيه صبح أزل الكثير.



وفي عام١٨٩٢م قتله بعض الأزليين ودفن بالبهجة بعكا، وله الأقدس الذي نسخ به البيان والإيقان، وكانت كتبه تدعو للتجمع الصهيوني على أرض فلسطين.

٥-عباس أفندي: الملقب بـ عبد البهاء، ولد في ٢٣ مايو ١٨٤٤ م نفس يوم إعلان دعوة الباب، أوصى له والده البهاء بخلافته فكان ذا شخصية جادة لدرجة أن معظم المؤرخين يقولون بأنه: لولا العباس لما قامت للبابية والبهائية قائمة، ويعتقد البهائيون أنه معصوم غير مشرع، وكان يضفي على والده صفة الربوبية القادرة على الخلق.

زار سويسرا وحضر مؤتمرات الصهيونية ومنها مؤتمر بال ١٩١١م، وحاول تكوين طابور خامس وسط العرب لتأييد الصهيونية، كما استقبل الجنرال اللنبي لما أتى إلى فلسطين بالترحاب لدرجة أن كرمته بريطانيا بمنحه لقب «سير» فضلًا عن أرفع الأوسمة الأخرى.

ـ زار لندن وأمريكا وألمانيا والمجر والنمسا والإسكندرية للخروج بالدعوة من حيز الكيان الإسلامي، فأسس في شيكاغو أكبر محفل للبهائية، رحل إلى حيفا ١٩١٣م ثم إلى القاهرة حيث هلك بها في ١٩٢١م / ١٣٤٠هـ بعد أن نسخ بعض تعاليم أبيه وأضاف إليها من العهد القديم ما يؤيد أقواله.

٦- شوقي أفندي: خلف جده عبد البهاء وهو ابن الرابعة والعشرين من العمر في عام ١٩٢١م / ١٣٤٠هـ، وسار على نهجه في إعداد الجماعات البهائية في العالم لانتخاب بيت العدالة الدولي، ومات بلندن بأزمة قلبية ودفن بها في أرض قدمتها الحكومة البريطانية هدية للطائفة البهائية.

- في عام ١٩٦٣م تولى تسعة من البهائيين شؤون البهائية بتأسيس بيت العدالة الدولي من تسعة أعضاء أربعة من أمريكا، واثنان من إنجلترا وثلاثة من إيران، وذلك برئاسة فرناندو سانت ثم تولى رئاستها من بعده اليهودي الصهيوني ميسون الأمريكي الجنسية.

الأفكار والمعتقدات:

- يعتقد البهائيون أن الباب هو الذي خلق كل شيء بكلمته، وهو المبدأ الذي ظهرت عنه جميع الأشياء.
- يقولون بالحلول والاتحاد، والتناسخ، وخلود الكائنات، وأن الثواب والعقاب إنما يكونان للأرواح فقط على وجه يشبه الخيال.
- يقدسون العدد ١٩، ويجعلون عدد الشهور ١٩ شهرًا، وعدد الأيام ١٩ يومًا، وقد تابعهم في هذا الهراء المدعو محمد رشاد خليفة حين ادَّعى قدسية خاصة للرقم ١٩، وحاول إثبات أن القرآن الكريم قائم في نظمه من حيث عدد الكلمات والحروف على ١٩، ولكن كلامه ساقط بكل المقاييس.
- يقولون بنبوة بوذا، وكنفوشيوس، وبراهما، وزاردشت، وأمثالهم من حكماء الهند والصين والفرس الأول.
- يوافقون اليهود والنصارى في القول بصلب المسيح.
- يؤولون القرآن تأويلات باطنية ليتوافق مع مذهبهم.
- ينكرون معجزات الأنبياء وحقيقة الملائكة والجن، كما ينكرون الجنة والنار.
- يحرمون الحجاب على المرأة، ويحللون المتعة وشيوعية النساء والأموال.
- يقولون إن دين الباب ناسخ لشريعة محمد ﷺ.
- يؤولون القيامة بظهور البهاء، أما قبلتهم فهي إلى البهجة بعكا بفلسطين بدلًا من المسجد الحرام.
- والصلاة تؤدى في تسع ركعات ثلاث مرات، والوضوء بماء الورد، وإن لم يوجد فالبسملة بسم الله الأطهر الأطهر خمس مرات.
- لا توجد صلاة الجماعة إلا في الصلاة على الميت، وهي ست تكبيرات يقول كل تكبيرة (الله أبهى).

- الصيام عندهم في الشهر التاسع عشر شهر العلا، فيجب فيه الامتناع عن تناول الطعام من الشروق إلى الغروب مدة تسعة عشر يومًا (شهر بهائي) ويكون آخرها عيد النيروز ٢١ آذار، وذلك من سن ١١ إلى ٤٢ فقط يعفى البهائيون من الصيام.
- تحريم الجهاد وحمل السلاح وإشهاره ضد الأعداء خدمة للمصالح الاستعمارية.
- ينكرون أن محمدًا خاتم النبيين، مدعين استمرار الوحي وقد وضعوا كتبًا معارضة للقرآن الكريم مليئة بالأخطاء اللغوية والركاكة في الأسلوب.
- يبطلون الحج إلى مكة وحجهم حيث دفن بهاء الله في البهجة بعكا بفلسطين.

الجذور الفكرية والعقائدية:

- الرافضة الإمامية.
- الشيخية أتباع الشيخ أحمد الإحسائي.
- الماسونية العالمية.
- الصهيونية العالمية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

تقطن الغالبية العظمى من البهائيين في إيران، وقليل منهم في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين المحتلة حيث مقرهم الرئيسي، وكذلك لهم وجود في مصر حيث أغلقت محافلهم بقرار جمهوري رقم ٢٦٣ لسنة ١٩٦٠م، وكما أن لهم عدة محافل مركزية في أفريقيا بأديس أبابا وفي الحبشة، وكمبالا بأوغندا، ولوساكا بزامبيا التي عقد بها مؤتمرهم السنوي في الفترة من ٢٣ مايو حتى ١٣ يونيو ١٩٨٩م، وجوهانسبرج بجنوب أفريقيا، وكذلك المحفل الملي بكراتشي بباكستان.

وهم أيضًا حضور في الدول الغربية فلهم في لندن وفيينا وفرانكفورت محافل، وكذلك بسيدني في استراليا.- ويوجد في شيكاغو بالولايات المتحدة أكبر معبد لهم، وهو ما يطلق عليه مشرق الأذكار، ومنه تصدر مجلة نجم الغرب، وكذلك في ويلمنت النويز

(المركز الأمريكي للعقيدة البهائية)، وفي نيويورك لهم قافلة الشرق والغرب وهي حركة شبابية قامت على المبادئ البهائية، ولهم كتاب دليل القافلة وأصدقاء العلم.

ولهم تجمعات كبيرة في هيوستن، ولوس أنجلوس، وبيركلين بنيويورك، حيث يقدر عدد البهائيين بالولايات المتحدة حوالي مليوني بهائي ينتسبون إلى ٦٠٠ جمعية.

ومن العجيب أن لهذه الطائفة ممثل في الأمم المتحدة في نيويورك فيكتور دي أرخو، ولهم ممثل في مقر الأمم المتحدة بجنيف ونيروبي، وممثل خاص لأفريقيا، وكذلك عضو استشاري في المجلس الاجتماعي والاقتصادي للأمم المتحدة أيكوسكو Ecosco، وكذلك في برنامج البيئة للأمم المتحدة Unep، وفي اليونيسيف Unicef وكذلك بمكتب الأمم المتحدة للمعلومات N. office of public information، ودزي بوس ممثل الجماعات البهائية الدولية لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة، ورستم خيروف الذي ينتمي إلى المؤسسة الدولية لبقاء الإنسانية.

ويتضح مما سبق:

أن البابية والبهائية من الفئات الضالة الخارجة عن الإسلام بحكم إنكارهم أن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وادعائهم بأن روح الله -عز وجل- حلَّت في الباب أو البهاء، وإنكارهم للعقوبات الإلهية وموالاتهم المستمرة لليهود وسعيهم الدائب لتهويد المسلمين، وإعلامهم أن كتابهم البيان قد نسخ القرآن الكريم.

وقد صدرت الفتاوى من المجامع العلمية مثل مجمع الفقه الإسلامي بمكة ودار الإفتاء المصرية بخروج البهائية والبابية عن شريعة الإسلام واعتبارها حربًا عليه، وكفر أتباعها كفرًا بواحًا سافرًا لا تأويل فيه (جريدة المدينة الأحد ١٣٩٩/١١/٢هـ ٢٣ سبتمبر ١٩٧٩م).

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

حكم زواج المسيار

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد أعلنت دار الإفتاء المصرية مساء الاثنين ١٠ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ، الموافق ٦ أبريل ٢٠٠٩م، إباحة زواج المسيار في مصر بشرط موافقة رئيس الجمهورية أو ولي الأمر، وقد أصدر مركز البحوث الشرعية التابع لدار الإفتاء فتوى تبيح هذا النوع من الزواج الذي عرفته مجتمعات خليجية وثار بشأنه جدل كبير بين الفقهاء بين مُبيح ومُحرم.

وأكدت الفتوى أنه صحيح وجائز إذا استوفى الشروط التي نصت عليها أحكام الشريعة الإسلامية.

وأشارت الفتوى المفاجئة إلى أن تنازل المرأة عن حقها في المبيت والنفقة لا يبطل عقد الزواج؛ لأن تنازلها عن حقوقها المادية هو اختيار حر لها لا يتعلق بأي فرد آخر، وأن الشرع يبيح لها المطالبة بحقها المادي متى أرادت.

لكن الفتوى عادت لتؤكد حق الرئيس أو الحاكم في أن يمنع هذا الزواج إذا خشي كثرة فساده أو إذا كان سببًا في عزوف الناس عن الزواج الشرعي بالطريقة المتعارف عليها. أهـ الخبر نقلًا عن جريدة الدستور يوم الثلاثاء.

ولنا عدة تعليقات على هذا الخبر:

أولاً- زواج المسيار صحيح وجائز كما قالت لجنة الفتوى المصرية. وتنازُل المرأة عن حقها في المبيت والنفقة لا يبطل عقد الزواج فليس فيه تحليل للحرام، أو تحريم للحلال وبه تتحقق مصلحة الطرفين وتنتفي المضرة والمفسدة، وغاية ما فيه تقييد المباح برضى الطرفين، كاشتراط اللون الأبيض في الثوب دون تحريم للأخضر والأزرق، وقد يتنازل

الإنسان عن حقه في الميراث مع معرفته بأن الله قد أعطى لكل ذي حق حقه، وأن للذكر مثل حظ الأُنثيين.

ومسألتنا هذه لا تتشابه مع تراضي الزناة والتراضي على التعامل الربوي، فتراضي المرابين والزناة لا يجعل الحرام حلالًا، أما تنازل الإنسان عن حقه وبلا استكراه، فقد يوصف بأنه من أفعال المروءة أو بغير ذلك من الصور المشروعة، فمثلًا قد تتضرر الزوجة بالبيات والزوج لديه بيت آخر يبيت فيه، واجتمعت مصلحتهما فيما يسمى بزواج المسيار فلا حرج، وفي ذلك تيسير وتخفيف وتكثير للخير والصلاح وتقليل للشر والفساد.

ثانيًا- لا يخفى عليك وجوب النفقة والسكنى بمقتضى العقد، وإذا تزوج الرجل بأخرى فيجب عليه العدل بين نسائه في المبيت وغيره مما هو مستطاع ومقدور بالنسبة له، فإن تنازلت المرأة عن حقوقها المادية فيحل لها المطالبة بهذه الحقوق متى أرادت.

وتصرف الحاكم منوط بالمصلحة في هذا وغيره ولا مصلحة للأمة في حملها على ترك مستحب، وليس للحاكم أن يحل حرامًا ولا أن يحرم حلالًا، والخلافة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا به.

ولابد من ضبط الصور المستوردة والمستحدثة كزواج الدم والفريند بضوابط الزواج الشرعية كموافقة الولي وشهادة الشهود، والإيجاب والقبول قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤].

ثالثًا- تكلمت في كتاب «الزواج العرفي» عن قاعدة الشروط في الزواج وحكم زواج المسيار وهذا نصه:

ما يوفي به وما لا يُوفي به من شروط الزواج:

- من الشروط ما يجب الوفاء به، وهي ما كانت من مقتضيات العقد ومقاصده، ولم تتضمن تغييرًا لحكم الله ورسوله، كاشتراط العشرة بالمعروف، والإنفاق عليها وكسوتها

وسكناها بالمعروف، وأنه لا يُقصِّر في شيء من حقوقها، ويقسم لها كغيرها، وأنه لا تخرج من بيته إلا بإذنه ولا تنشز عليه، ولا تصوم تطوعًا بغير إذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه ولا تتصرف في متاعه إلا برضاه ونحو ذلك.

- ومن الشروط ما لا يجب الوفاء به مع صحة العقد، وهو ما كان منافيًا لمقتضى العقد، كاشتراط ترك الإنفاق والوطء، أو كاشتراط أن لا مهر لها، أو يعزل عنها، أو اشتراط أن تنفق عليه، أو تعطيه شيئًا أو لا يكون عندها الأسبوع إلا ليلة، أو شرط لها النهار دون الليل، فهذه الشروط كلها باطلة في نفسها لأنها تنافي العقد، أما العقد في نفسه فهو صحيح، إذ يصح العقد مع الشرط الفاسد في الأحوال المذكورة.

- ومن الشروط ما يعود نفعه وفائدته إلى المرأة مثل: أن يشترط لها ألا يُخرجها من دارها أو بلدها، أو يسافر بها أو لا يتزوج عليها، ونحو ذلك، فيجب على الرجل الوفاء بها اشترط للمرأة في أصح أقوال أهل العلم، فإن لم يَفِ لها فُسِخَ الزواج، إذ المسلمون عند شروطهم، وقد قال النبي ﷺ: «**أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجِ**» [متفق عليه].

زواج المتعة وحكم العقد على المرأة وفي نية الزوج طلاقها:

زواج المتعة أو الزواج المؤقت، وهو أن يعقد الرجل على المرأة يومًا أو أسبوعًا أو شهرًا فهو زواج باطل، وقد جاءت الأحاديث مُصرحة بتحريمه مثل ما ورد عن عليّ رضي الله عنه: «**أن رسول الله ﷺ نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ أَكْلِ الْحُمُرِ الإِنْسِيَّةِ**» متفق عليه، وفي الحديث: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى قَدْ كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِى الاِسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ وَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَىْءٌ فَلْيُخَلِّ سَبِيلَهُ وَلاَ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا**» [رواه مسلم]، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة في صحيح مسلم وغيره.

قال الخطابي: تحريم المتعة كالإجماع إلا عن بعض الشيعة.

وقد صح عن عليّ أنها نُسخت، ونقل البيهقي عن جعفر بن محمد أنه سئل عن المتعة فقال: هي الزنا بعينه.

عن ابن عمر قال لما ولي عمر بن الخطاب خطب الناس فقال: إن رسول الله ﷺ **"أذن لنا في المتعة ثلاثا ثم حرمها. والله لا أعلم أحدًا يتمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة»** [رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني].

ولا قول لأحد مع قول رسول الله ﷺ، فقد صح عنه التحريم المؤبد لزواج المتعة.

وقد اتفق الفقهاء على أن من تزوج امرأة دون أن يشترط التوقيت، وفي نيته أن يطلقها بعد زمن، أو بعد انقضاء حاجته في البلد الذي هو مقيم فيه، أن الزواج صحيح، ولم يخالف في ذلك إلا الأوزاعي، فطالما لم يشترط التوقيت كشهر أو سنة مثلًا وفي صيغة العقد، فالزواج يكون صحيحًا حتى وإن بيّتَ الرجلُ نيةَ التوقيت في نفسه، وكتمها، وهذا من باب إجراء الأحكام على الظاهر، والله يتولى السرائر.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

تجدد الكلام حول التماثيل والتصاوير

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد جاء في جريدة الدستور بتاريخ الثلاثاء ١١ ربيع الآخر الموافق ٧ أبريل وتحت عنوان «حدث في يوم الجمعة ما نصه»:

(صباح الجمعة الماضية، أشارت الصحف إلى العظة التي ألقاها (البابا شنودة) والتي يشير فيها إلى تحريم النحت وصنع التماثيل، تصورت في البداية أن هذا التصريح منسوب إلى مفتي الديار المصرية الشيخ «د. علي جمعة» لأن الرجل مشهور عنه التشدد، وسبق له قبل عامين أن أعلن ذلك في برنامج «البيت بيتك» بالتليفزيون وحرَّم النحت مستندًا إلى حديث شريف أكد أغلب رجال الدين أنه مشكوك في صحته.

والغريب لم يكن تحريم المفتي للنحت ولكن بعض أساتذة الفنون الجميلة قرأنا لهم تصريحات مماثلة؛ مما أدى إلى تضاؤل التحاق الطلبة بهذا القسم، وتم أيضًا تحريم الاستعانة «بالموديل» في الرسم، أما الأغرب فإنه تحريم «البابا شنودة»!!

نعم ليس كل رجال الدين متشددين، وكثيرًا ما نجد السكينة في آراء عدد من رجال الدين مثل الشيخ الإمام «محمد عبده» الذي رحل عام ١٩٠٥ لكنه أباح صناعة التماثيل، وقال: لو كانت للزينة حلال، أما للعبادة فإنها حرام، وبسبب هذا التصريح أنشئت في مصر مدرسة الفنون الجميلة كما أن الجمهور المصري بدأ بعدها بسنوات قليلة يتعرف على فن السينما، لولا ذلك لأصبحت السينما أيضًا في عرف المتشددين حرام.

والمعروف أن الفن الإسلامي ابتعد عن التشخيص لأسباب متعلقة بالظرف التاريخي للرسالة المحمدية؛ حيث أنها جاءت لتقضي على عبادة الأصنام فكان رد الفعل المبدئي هو أن التشخيص صار غير مستحب.

أما الديانة المسيحية فإنك دائمًا تجد الصور والتماثيل في كل الكنائس فنرى العذراء والسيد المسيح -عليهما السلام-، بل أكثر من ذلك هناك صور للقديسين، فكيف يتم تحريم النحت وصنع التماثيل في المسيحية؟!

سألت القس البروتستانتي «د. أكرم لمعي» أستاذ علم مقارنة الأديان عن حقيقة ذلك أجابني: المسيحية لا يمكن أن تقف ضد الرسم والنحت، ولدينا تحف فنية في الكنائس لمايكل أنجلو الذي رسم آدم وحواء في الجنة، ولا يسترهما سوى ورقة التوت.... انتهت كلمات «د. أكرم».

ولكن لم تنته فصول الحكاية؛ فلقد تصادف أنني قرأت الخبر السابق صباح الجمعة، ثم شاهدت عصر الجمعة «د.عبلة الكحلاوي» مع «أحمد عبدون» في برنامجه «عمَّ يتساءلون» يسألها عن النحت (حرام أم حلال؟)، لم تقدم له إجابة قاطعة لم تقل مباح أو غير مباح، أرادت أن تقف على الحياد دون أي مبرر سوى محاولة إرضاء كل الأطراف حتى إنه قال لها ساخرًا بمعنى ما ننحتش قوي... ننحت نص نص؟!.، أما في مساء يوم الجمعة فقد ذهبت دار الأوبرا وشاهدت عرض باليه لكل من «بحيرة البجعة» و«سندريلا» ووجدت نفسي أردد بعد كل مشهد «الله الله») اهـ.

ولنا عدة تعليقات على هذا الكلام:

أولًا- هذه صورة لعدم المنهجية وفقدان الضوابط الشرعية في تناول الأحداث وذكر الأحكام، فطارق الشناوي صاحب المقال يستغرب تحريم الباب شنودة للنحت وصنع التماثيل، فيسأل القس البروتستانتي عن حقيقة ذلك!، ويصف المفتي الدكتور علي جمعة بالتشدد في تحريم النحت، ويجد السكينة في عدد من رجال الدين مثل الشيخ محمد عبده الذي أباح صناعة التماثيل إذا كانت للزينة!

صورة من الهوائية والانتقائية، فالأهواء والآراء والاستحسانات صارت هي الضابط والرابط، ومن وافق هؤلاء فهو المعتدل، ومن خالف أهوائهم فهو المتشدد، وأحيانًا يصفون نفس الشخص بالاعتدال تارة والتشدد تارة أخرى.

والكاتب وأشباهه لم يتقن هذه المسألة عندما يصف المفتي بأنه حرَّم النحت مستندًا إلى حديث شريف أكد أغلب رجال الدين أنه مشكوك في صحته !!

ونحن نورد له هنا الكثير من الأحاديث المتفق عليها، ويبقى التنويه على المسلك العصري عند هؤلاء وهو رد ما لا يعجبهم من الأحكام كالختان والنقاب وتحريم النحت بزعم أن النصوص ضعيفة، وقد يتوهم من لا حظ له من البصر أنهم يتكلمون بأسلوب علمي، وفي الحقيقة هم يهرفون بما لا يعرفون ويخوضون فيما ليس لهم به علم.

ثانياً- روح السخف والكوميديا وأساليب الاستخفاف والطيش تغلب على كثير من المثقفين والصحفيين في تناول الأحكام الشرعية، وعلى سبيل المثال لا الحصر فالكاتب يختم مقاله بقوله: «أما في مساء يوم الجمعة، فلقد ذهبت إلى دار الأوبرا، وشاهدت عرض باليه لكل من بحيرة البجعة وسندريلا ووجدت نفسي أردد بعد كل مشهد «الله الله»!!

وفن الباليه هو فن العُري والخلاعة والاختلاط والإباحة، وإقحام اسم الله لا يجوز أثناء مواقعة المعاصي والذنوب، وشبيه به قول النسوة في النظر ليوسف عليه السلام: ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف:٣١]. كان الواجب على الكاتب أن يحتاط لنفسه ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]، وقال النبي ﷺ: «**فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**» [متفق عليه].

ثالثًا-الأحكام الشرعية تؤخذ من الكتاب والسُنَّة، وما عند أهل الكتاب إن وافَقَنا أخذناه، وإن خالفنا تركناه، وإن لم نعلم موافقته أو مخالفته ذكرناه على وجه الاستئناس به، والحق مقبول من كل من جاء به، والباطل مردود على صاحبه كائنًا من كان، وما كل خلاف جاء معتبرًا، ولكل جوادٍ كبوة، ولكل عالم زلة، ومن تتبع رخص المذاهب تجمع فيه الشر كله، فكيف بمن تتبع زلات العلماء وصنع منها دينه؟!، وكل إنسان يُؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ، وشيخ الإسلام حبيب إلى أنفسنا والحق أحب إلينا منه، وإذا رأيتم قولي يخالف قول رسول الله ﷺ فخذوا بقول رسول الله ﷺ واضربوا بقولي عُرض الحائط، هكذا نطقت أقوال أهل العلم.

رابعًا- رغم عبث الصحفيين والمثقفين ومن على شاكلتهم في العرض والطرح، وامتلاكِهم لوسائل التوجيه والتأثير إلا أن البِساط يُسحب -بفضل الله- من تحت أقدامهم، بحيث صار هؤلاء في واد والشَعبُ بمجمله في وادٍ آخر، وكأن الفريق المذكور ينظر في المرأة ويخاطب نفسه.

وانظر لقول الكاتب: «ولكن بعض أساتذة الفنون الجميلة قرأنا لهم تصريحات مماثلة مما أدى إلى تضاؤل التحاق الطلبة بهذا القسم «النحت»، وتم أيضًا تحريم الاستعانة بالموديل في الرسم». والموديل المذكورة التي يأسى عليها الكاتب، وينعي تحريمها هي عبارة عن امرأة عارية يقوم الطلبة برسمها!!!

وهذا نمط من الآراء يروج له بزعم التطور والتحضر والتقدم وبزعم حرية التعبير، وتحت عنوان «الرأي والرأي الآخر»، وما هي إلا مخالفات للعقل السليم والفطرة الصحيحة، وقبل ذلك مناقضات سخيفة لتشريع رب العالمين.

لقد صارت الراقصة والمغنية والملحد والزنديق من أصحاب الآراء، ويُراد لأمثالهم امتلاك ناصية التوجيه، ولا فرق عند هؤلاء بين رأي شيخ الإسلام وبين رأي الراقصة!، والعبرة عندهم برأي الأكثرية والأغلبية دون التفات لشرع ودين، وقد يزيفونها ويختلقونها ثم يحتجون بها، قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام:١١٦]، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف:١٠٣]، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]

خامسًا- قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ**» [متفق عليه]، وقال النبي ﷺ: «**مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ**» وفي رواية: «**الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ الله**» [متفق عليه]، وقال ﷺ: «**الَّذِينَ يَصْنَعُونَ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**» [رواه مسلم]، وقال النبي ﷺ: «**قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**» [متفق عليه].

فلا يجوز تعليق التصاوير، ولا الحيوانات المحنطة في المنازل، ولا في المكاتب ولا في المجالس؛ لعموم الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ الدالة على تحريم تعليق الصور وإقامة التماثيل في البيوت وغيرها؛ لأن ذلك وسيلة للشرك بالله؛ ولأن في ذلك مضاهاة لخلق الله، وتشبهًا بأعداء الله؛ ولما في تعليق الحيوانات المحنطة من إضاعة المال، والتشبه بأعداء الله، وفتح الباب لتعليق التماثيل المصورة.

وقد جاءت الشريعة الإسلامية الكاملة بسد الذرائع المفضية إلى الشرك أو المعاصي، ويجوز تصوير ما لا روح فيه كالشجر والزهر والماء وبيع صورته وتعليق صورته، والترفيه بمشاهدة مثل هذه التصاوير.

فإذا كانت صور ذوات الأرواح فيما يُمتهن كالأريكة أو فرش أو بساط أو نحو ذلك فلا حرج، وكذلك تجوز لعب البنات وما شابه ذلك؛ فقد كان لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حصان له جناحان، وكان عندها لعب البنات فيباح مثل ذلك للتدريب على صنعة الأمومة.

كما يباح ما فيه مصلحة، راجحة مثل التصوير للبطاقات وجوازات السفر، والتصوير للطب والجغرافيا وتعقب المجرمين، فما مُنع سدًا للذريعة أُبيح للمصلحة الراجحة، ويحرم ما له ظل وما لا ظل له من التصاوير، سواء كان للذكرى أو للتعليق على الجدران، أو في الثياب وللألبومات، وسواء كانت الصورة باليد أو ملتقطة بالفوتوغراف.

واستشراء وانتشار التصاوير والتماثيل في الواقع لا يصيرها مباحة، فالعبرة بما جاء في الكتاب والسُنَّة لا بالبيئة أو الواقع أو النشأة أو الاستحسان أو عمل الأكثرية.

ولا يصح القول بأن التصاوير والتماثيل لا تُعبد، فالرسام العالمي الذي رسم سقف الكنيسة بإيطاليا كان أول من فتن بها وأخذ يستنطقها ويقول: تكلمي تكلمي. ومن طالع بداية الشرك في قوم نوح علم خطورة التماثيل والتصاوير.

والواجب على العاقل أن يدور مع نصوص الشريعة حيث دارت، وأن يمتنع عما نهى عنه الشرع وزجر، والأصنام عُبدت عند العرب وتُعبد في آخر الزمان، فلن تقوم الساعة حتى تُعبد اللات والعُزى، ولن تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة، وهو صنم كانت تعبده دوس بتبالة وقد كسره الصحابة، وسيعود ويُعبد في آخر الزمان.

والصورة الوجه، فلابد من طمس الوجه بالنسبة للرجال أما صورة المرأة فتطمس بالكلية، وما له ظل يحرم باتفاق أهل العلم، وإن كان بغير ظل فإن بعض العلماء أباحه بشرط الامتهان، وأن يكون على هيئة لا تقوم بها الحياة، وهذا مذهب الإمام مالك، أما الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل فالمنصوص عندهم حرمة التصوير سواء كان له ظل أو لا ظل له.

والصورة الموجودة في علب الحلوى أو ما شابه ذلك لا تحرم الانتفاع بالحلوى مع طمس الصورة متى استطعنا.

وحرفة المصوراتي أو النَّحات من الحرف المحرمة، ولا يجوز التزين بالحرام، وإن الله إذا حرَّم شيئًا حرَّم ثمنه، وربنا طيب لا يقبل إلا طيبًا، وما نبت جسمٌ من حرام فالنار أولى به، أما لو دعت الحاجة أو الضرورة كالتصوير للبطاقات ودخول المدارس فلا بأس ولا حرج في أخذ الأجرة على ذلك.

وطرب النفس وتلذذها بالتصاوير لا يصيرها مباحة؛ فالغاية لا تبرر الوسيلة، وهذا شبيه بالتلذذ بالزنا وأغاني العشق والموسيقى التي تشبب النفوس.

ولا يجوز الاحتجاج بوجود تماثيل الفراعنة والقول بأن الصحابة أقروها، هذه التماثيل ما وُجدت وما ظهرت إلا في الآونة الأخيرة بعد اشتداد الحفريات، هذا بالإضافة إلى التكسيرات الكثيرة الموجودة فيها، نعم مر الصحابة على إيوان كسرى بالعراق وعلى

الأهرامات بمصر ولم يعيروها اهتمامًا، ولم يصنعوا منها حضارة يفتخرون بها وينتسبون إليها، فقد كان إسلامهم أغلى عندهم من الدنيا وما فيها.

سادسًا- النحت والتصوير وصناعة التماثيل مُنكر لابد من إخضاعه لقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتطلب ذلك توضيح المفاهيم بلين ورفق وإزالة الشبهات والنظر في عواقب الأمور، فيحرم إزالة المنكر إذا كان يخلفه منكرٌ أعظم من المنكر المُزال، كما يحرم تثبيت المنكر والإتيان بمنكر آخر أو إتلاف النفس في غير مصلحة شرعية، والواجبات تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وفي الحديث: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»[رواه مسلم].

وفق اللهُ الجميع لما يحب ويرضى

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

إسقاط الحرب على الإرهاب
من القاموس الأمريكي

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد أطلق شباب ما يُسمى بحركة ٦ أبريل دعوة للغضب في هذا اليوم، بحيث يتم التظاهر في هذا اليوم أمام مبنى اتحاد عمال مصر، وأمام نقابة الصحفيين، وتظاهرات لطلاب ١٤ جامعة، كما أعلنت حركة أطباء بلا حدود عن تنظيم وقفة احتجاجية أمام مبنى النقابة، وقرر بعض نواب مجلس الشعب الانسحاب الكامل من جلسة المجلس يوم الاثنين، واحتشد عدد كبير من المصريين بالولايات المتحدة الأمريكية أمام السفارة المصرية بواشنطن لمساندة الإضراب.

وقد تزعمت الدعوة على ما يسمى «الفيس بوك» على شبكة الانترنت فتيات، وتجاوب معها بعض القوى والمنظمات مستخدمين في الدعوة للإضراب الأول وسائلَ مثل الامتناع عن شراء أي شيء في هذا اليوم ٦ إبريل، والامتناع عن إجراء أي اتصالات تليفونية، والامتناع عن الذهاب إلى المدارس والجامعات ومعاهد العلم، والامتناع عن الخروج من المنزل والبقاء بالبيوت، ورفع الأعلام المصرية والشارات السوداء من شرفات المنازل.

واليوم تتكرر الدعوة ويتمنى البعض أن تكون المشاركة أوسع وأن تظهر مصر غضبها، ومن عجيب ذِكر بعض الدعاة أنهم أحيوا بذلك أمل الأمة في حاضرٍ واعد، ومستقبلٍ مشرق في الإصلاح والتغيير، وطالبوا جميع المشاركين باحترام الممتلكات العامة والخاصة، والحفاظ على المال العام وعدم السماح بتكدير اليوم بأي أعمال شغب أو السماح لمندسين بإفساد المشهد العام.

وقد ذكر بعضهم أنه سيؤجل مواعيده إلى أيام أخرى، وسيرفع علم مصر في شرفة بيته، ويخرج إلى الصلاة بملابس سوداء، أو وضع شارة سوداء، وسيحبذ المشاركة لأسرته وأقاربه وجيرانه، وسيقنت في الصلوات الخمس لرفع البلاء عن مصر وطلب النصرة من الله للمظلومين، وسيجتهد في صياغة دعاء للقنوت يدعو به طوال اليوم في سجوده، ويخصص كل السجود في ذلك اليوم لمصر وشبابها وطلابها وعمالها المظلومين، ولمسجونيها الأحرار.

وفي مقابل ذلك أطلقت حملة باسم عطاء الشباب في ١٤ محافظة للنظافة والتشجير، ومكافحة الإدمان، والتبرع بالدم، بالإضافة إلى عدد من الأنشطة والمسابقات الرياضية والثقافية؛ بهدف الارتقاء بالحياة اليومية.

ولنا عدة تعليقات على هذا الخبر:

أولاً- نرفض الأساليب المذكورة في التعبير عن الغضب بها في ذلك تحديد ٦ أبريل كيوم للغضب، وارتداء الملابس السوداء، وتخصيص هذا اليوم بالقنوت، والدعوة لعدم الخروج من المنازل، والامتناع عن الشراء والاتصالات التليفونية، وعدم الخروج لدور العلم، ورفع الأعلام والمشاركة في الإضرابات والتظاهرات التي لا تنفك عن مندسين ومخربين وأعمال شعب.

فهذه الوسائل المستحدثة في الساحة العامة لا تجوز؛ لما تؤدي إليه من شر وفساد، فليست هي كصناعة السيارة، وبناء المستشفى، والغاية لا تبرر الوسيلة، ولا يجوز تعطيل مصالح البلاد والعباد على مثل هذا النحو، وتخصيص هذا اليوم بلبس الأسود، والقنوت في الصلوات، وما شابه ذلك بدعة منكرة.

ثانيًا- المطالبة برفع الأجور، وما يسمى بالاحتقان، أو الانسداد السياسي، ورفض التردي في مختلف مناحي الحياة، واستشراء الظلم والفساد، وعدم احترام عادات وتقاليد

المجتمع... هذا وغيره يبعث على الغضب، ولكن قَصْرَه على ٦ أبريل، وبوسائل مستوردة من الغرب، وكأنه اكتشاف جديد اخترعه الشباب على «الفيس بوك» فهذا نرفضه.

ثالثًا- من الغضب ما يكون محمودًا، وذلك إذا صدر الغضب من الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وليس مثل غضبه شيء، ومن ذلك غضبه -تعالى- على أعدائه من اليهود ومن كان على شاكلتهم من الكفار والمنافقين والطغاة والمتجبرين.

كما يكون الغضب محمودًا إذا كان لله -عَزَّ وَجَلَّ- عندما تُنتهك حرماته، وقد أثبت القرآن ذلك للرسل الكرام في مواضع عديدة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**مَا ضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِمًا إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِى سَبِيلِ الله، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ الله فَيَنْتَقِمَ لله عَزَّوَجَلَّ**» [رواه مسلم].

وهناك صور من الغضب لا تخلو من إفراط أو تفريط، ومن طاش عقلُه وقتَ الغضب ضل عنه وجهُ الصواب، والخلاصة أن الغضب المضبوط بالشرع والذي يتحكم فيه صاحبه بالحِلْم هو غضب محمود.

رابعًا- لابد من حذر متأكد من اتباع سبيل المجرمين، وعدم ركوب موجة الاستثارةِ والمزايدةِ، والإقدامُ والإحجامُ يجب أن يكون على بصيرة وابتغاءِ مرضاة الله.

كما يجب النظر في عواقب الأمور، واتباع منهج الأنبياء والمرسلين في الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

والمدخل والبوابة التي يتم التركيز عليها في تحقيق خير البلاد والعباد، هي تعبيد الدنيا بدين الله، والجهر بذلك بعيدًا عن صور الميوعة التي تكرس للانحطاط، وفي أحسن أحوالها تحقق بعض صور النفع المادي.

وما من نبي إلا وقال لقومه قال تعالى: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: ٥٠]، فهذا هو أساس الإصلاح الذي رضيه

سبحانه للعالمين. وعلى ضوء هذه القاعدة الإيمانية يتم علاج اللواط، وتطفيف المكيال والميزان، كما يتم علاج الانسداد السياسي وغيره مما يتحدثون عنه.

وعلينا أن نوقن أن الله قد أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]، وذلك يشمل كل مناحي الحياة، وقد قال الصادق المصدوق -صلوات الله وسلامه عليه- يوم حجة الوداع: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ؛ بِهِمَا كِتَابَ الله وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**» [رواه مالك في الموطأ وحسنه الألباني]، وإذا ورد شرع الله بطل نهر معقل، فهل منكم من يعقل؟!

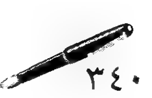
خامسًا- من السخف مشاركة الشيوعيين والعلمانيين والوطنيين والقوميين في كل مناسبة كيوم الغضب في ٦ أبريل وغيره، دون أن نردَ عليهم خطأَهم ونعبّدَهم بدين الله، ونقولَ لهم: أسلموا وجوهكم لله من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله.

فأين الشفقة على هؤلاء والرحمة بهم؟ وما الفارق بيننا وبينهم إذن؟ وكيف أصبحنا نتغير بدلًا من أن نُغَيّر؟ وإذا كنا ننشد رفع الظلم المادي عن طائفة من الطوائف -وهذا حسن- فالصدق يقتضينا أن نسعى في تخليص البشر من نيران الجحيم، ولا سبيل لذلك إلا بأن يدخلوا في الإسلام كافة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، نحن نتشرف بالانتساب لأمة ريادة وقيّادة لا يصلح أن تقودها الأطماع المادية، أو أشباه الشيوعيين والعلمانيين والمنحرفين.

سادسًا- الغضب من الظلم والفساد قاسم مشترك ويحدث في كل زمان ومكان، ولا يقتصر على الغضب تُجاه أنظمة الحكم الفاسدة، فالواجب أن نغضب من الشر والكفر بخالق الأرض والسموات وعدم تحكيم شرع الله، نغضب من صرف العبادة لغير الله ودعاء المقبورين والصالحين وتأليه البشر، نغضب ممن قال المسيح ابن الله، ومن سبّ

الصحابة الكرام، أو كفَّر الناس بالكبيرة، أو قدَّم عقله على شرع الله، نغضب من التبرج والعري والخلاعة والاختلاط، نغضب من أنفسنا إذا ابتدعنا وتناسينا إسلامنا ونادينا بالاشتراكية والديمقراطية، نغضب من يوم الغضب المبتدع والمخترع الذي ضاعت فيه معالم الغضب المشروع مما جعلنا نسأل: متى؟ ولماذا؟ وكيف يغضبون؟!

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ



يوم اليتيم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد .. فالاحتفال بيوم اليتيم ترجع فكرته إلى دار الأورمان منذ عام ٢٠٠٤م حيث صارت الجمعيات والمنظمات... تحتفل بيوم اليتيم في أول إبريل من كل عام، يحدث ذلك في وقت وصل فيه عدد أطفال الشوارع إلى ثلاثة ملايين طفل مشرد، فهل يكفي تذكر اليتيم في يوم واحد طوال العام في علاج هذه ا لكارثة وهذه المأساة، لقد فرغنا هذه القضية من محتواها وتعاملنا معها كما نتعامل مع الأم بحيث نقدم لها الهدية يوم ٢١ مارس ونمارس العقوق معها طيلة العام ونحتفل بمولد النبي ﷺ في الوقت الذي نهجر فيه سُنّته ولا نطبق شريعته، ونحتفل بذكرى الإسراء والمعراج ونحن نتعامل بالربا ونبيح العُري والخلاعة والخنا وبعضنا صار سِلمًا لأعداء الله حربًا على أوليائه... نعيش حالة من حالات الغش والخداع والكذب، ولما هجرنا إسلامنا ونسينا ربنا صرنا نستحسن يوم اليتيم ونتبنى فكرة دار الأورمان !!! ونحتفل بعيد الأم كما تصنع فرنسا، ولن نعدم من يرقع ويزيف ويكرس للبدع والضلالات ويأتي ببعض النصوص للتدليل على أن الإسلام اهتم باليتيم والأم...

وكما يشيع الكذب في أول إبريل بغرض المزاح، فكذلك الأمر بالنسبة ليوم اليتيم الذي يأتي في نفس التوقيت، والذي لا يتعدى بعض الأغاني وتقديم الهدايا للأيتام، فهل هذه الصور تكفي في التعامل مع هذا القطاع أم أنه نوع من المزاح واللعب والكذب، وقد أمرنا أن نسمي الأشياء باسمها.

إن اليتيم يحتاج إلى رعاية جيدة من صحة وتعليم وحب وحنان ومحافظة على دينه وعقله وفطرته، وهذا من جملة فروض الكفاية، وإلا صار نقمة على نفسه وعلى مجتمعه وتكفي نظرة سريعة على دور رعاية الأيتام وكيف يتربى الأولاد على الرذائل وبحيث أصبحت مأوى للمُبشرين، وتذكروا قصة سانجور الذي أخذته فرنسا وعاد ليحكم

بلاده بعد أن تَنَصّر وهو الذي وُلد لأبوين مسلمين، ولك أن تتخيل حكم أصحاب العاهات النفسية.

لقد ذاق النبي ﷺ طعم اليُتم وقال له سبحانه ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [الضحى: ٩ - ١١] أي لا تسلط عليه بالظلم وادفع إليه حقه، واذكر يُتمك ولا تقهر أي لا تحقر ولا تظلمه بأخذ ماله، وخص اليتيم لأنه لا ناصر له غير الله تعالى، فغلظ في أمره بتغليظ العقوبة على ظالمه.

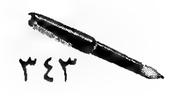
ودلت الآيات على اللطف باليتيم وبره والإحسان إليه حتى قال قتادة: «كن لليتيم كالأب الرحيم»، وروي عن أبي هريرة أن رجلًا شكا إلى النبي ﷺ قسوة قلبه فقال: «**إن أردت أن يلين فامسح رأس اليتيم وأطعم المسكين**»، وفي الصحيح عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**إن اليتيم إذا بكى اهتز لبكائه عرش الرحمن فيقول الله تعالى لملائكته يا ملائكتي من ذا الذي أبكى هذا اليتيم الذي غيّبت أباه في التراب؛ فتقول الملائكة: ربنا أنت أعلم، فيقول الله تعالى لملائكته: يا ملائكتي اشهدوا أن من أسكته وأرضاه أن أرضيه يوم القيامة**»، فكان ابن عمر إذا رأى يتيماً مسح برأسه وأعطاه شيئًا، وأورد أيضًا عن أنس قال: قال النبي ﷺ: «**من ضم يتيمًا فكان في نفقته وكفاه مؤنته كان له حجابًا من النار يوم القيامة، ومن مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة**»، وقال أكثم بن صيفي: الأذلاء أربعة: النمام والكذاب واليتيم والمديون».لقد كتب الله الإحسان على كل شيء وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ولو نزل الإنسان نفسه أو أولاده منزلة الأيتام لعلم ما الواجب تجاههم والإحسان إليهم هو في واقع الأمر وحقيقته إحسان إلى النفس، قال تعالى: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، وقال: «من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها»، ومن جملة الخيرات المترتبة على رعاية الأيتام إيجاد المجتمع المتراحم المتحاب المترابط، وشيوع معاني الأمن والأمان والطمأنينة

وانخفاض نسب الجرائم، وهذه المعاني لا تتحقق بالتزييف والتدليس والاحتفال بيوم اليتيم أول إبريل بالغناء وتقديم الهدايا لهم.

لابد من الانطلاق في التعامل مع هذه القضية مما في الكتاب والسُنّة وإعمال معاني الإيمان في حياتنا الخاصة والعامة، فالمؤمن مرآة أخيه ويحب لأخيه ما يحب لنفسه، والمؤمن للمؤمن كالبينان يشد بعضه بعضًا، ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، ولن تؤمنوا حتى تراحموا، والراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

لابد من تكاتف الجهود للنهوض والإهتمام بالأيتام، فإن قصرت الدول في القيام بدورها فعلى الأفراد أن يبذلوا وسعهم ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، وخير الناس أنفعهم للناس، ومن أحب الأعمال إلى الله سُرور تُدخله على مسلم وتكشف عنه كربة أو تقضي له حاجة أو تطرد عنه خوفًا، ومن لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة، والمؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم، وفق الله الجميع لما يحب ويرضى.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين



كيف يقتل الابن أمه وأباه؟!!
وهل وصل العقوق لمثل هذا الحد؟!!!

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد .. فما من يوم يمر إلا ونسمع عن ابن قتل أباه أو أمه، وقد ذكر لي أحد الإخوة أن حادثة من هذا النوع ارتكبت في شارع بمصطفى كامل بالإسكندرية منذ أيام، حيث قام الشاب بضرب والده حتي الموت؟!! حتى أصبح العقوق يُشكل ظاهرة، ولو قيل عن عصرنا هو عصر العقوق فلا منازعة.

وقد ساهم التصوير الإجرامي في إيصال العقوق لمثل هذا الحد، فالأفلام والتمثيليات والجرائد والمجلات تحاول إيجاد المبررات وتلمس المعاذير للجاني على حساب المجني عليه، بل كانت أحد أسباب ظاهرة العقوق، فهذا الإبن قتل أباه لأنه منعه من زواج محبوبته ولم يدفع له رغم غناه !!! وكأنه يستحق هذه العقوبة وقد أخذ جزاءه !!!وهذا الإبن يضرب أمه لأنها خرجت تعمل ولم تُعدّ له الطعام أو لم توفر له مصروفه !!! وهكذا فالإعلام قد كرس للعقوق وأطاح بمعاني البر ولو شئت لقلت إجرام يصور إجرامًا ويعبر عنه بروح التبرير أو الميوعة.

وقد أدى تعاطي المخدرات إلى زيادة نسبة الجرائم كالقتل والسرقة والاغتصاب والزنى وشمل ذلك عقوق الوالدين من قتل وضرب وشتم، فلم يقتصر الأمر على مجرد التأفف وإظهار الضيق والضجر أو إحداد النظر بل تعداه إلى صور لا تفعلها إلا الحيوانات المفترسة التي تجردت من كل رحمة، تأمل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤]، وفي الحديث: «**من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟، قال: «نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**» [رواه البخاري ومسلم]، وقارن ما ورد في الحديث مع ما يحدث في الواقع يطول عجبك.

وعن عروة قال: إن أغضباك فلا تنظر إليهما شزرًا، فإنه أول ما يعرف من غضب المرء شدة نظره إلى من غضب عليه، وعن الحسن قيل له: إلامَ ينتهي العقوق؟، قال: أن يحرمهما ويهجرهما ويحد النظر إليهما.

ولا يخفى أن الأمراض النفسية هي أحد أمراض العصر، فالمصحات النفسية، والمستشفيات العقلية تمتلئ بالنزلاء نتيجة انفصال الروح عن الجسد والدنيا عن الآخرة، والأرض عن السماء، ولا يستبعد أن تكون هذه الأمراض وراء انتشار ظاهرة العقوق، وسبب من أسبابها، فقد سمعنا عمن قتل أمه وهي تصلي، والثاني الذي ظل يضرب أباه حتى الموت، وقد يكون الإبن مغلوبًا على عقله في ذلك، وليس الأمر مجرد إدعاء أو براعة محامي يريد لموكله أن يفلت من العقوبة.

ومما لا يغفل هنا ما أدى إليه الانبهار بصور الحياة المادية والانفتاح على الغرب وضعف معاني التدين، وانتشار الأخبار بسرعة مذهلة، فالحادث تناقلته وسائل الإعلام، والدنيا أشبه بجهاز صغير وأحيانًا لا يتثبت الناس في إثبات التهم، وهذا وغيره من شأنه أن يشيع الفاحشة في الذين آمنوا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، ليس كل ما يُعرف يقال فقد يكون مما يُزكم الأنوف ويشيع الرذيلة وإذا اضطررنا للنقل بعد التثبت فلابد من تنفير من المعاصي والذنوب وتحبيب الناس في الخير والبر.

حكى لي أحد الإخوة السائقين أنه كان يقود سيارته قرب منتصف الليل فوجد امرأة تبكي فظن أنها تريد أن تصل إلى بيتها ولا تجد مالًا تدفعه، فأركبها معه، وأخذت تحكي له قصتها، وأن لها أولاد ثلاثة أخذوا يعنفونها على زواجها من أبيهم العجوز، ويتهددون ويتوعدون بضربه عند رجوعه من السعودية لأنه لم يأتهم بالسيارات ولم يضع لهم النقود في البنك، وهكذا فالواقع أغرب من الخيال، وصور العقوق التي يطفح بها المجتمع لا تحتاج لريشة رسام أو أديب عالمي يؤلف لنا القصص من وحي الخيال.

قد يُضاف إلى ما ذكرناه مسألة المراهقة ومحاولة إثبات الرجولة الزائفة على حساب الوالدين، كما أن الإنسان ابن بيئته، فسوء البيئة والتربية على المعاني المادية قد تقف وراء استشراء هذه الظاهرة، وكما قال البعض: عققناهم صغارًا فعقّونا كبارًا، والجزاء من جنس العمل، فالأب لا يتطلع في أحسن أحواله إلا في نجاح ابنه آخر العام، وأن يكون الولد طبيبًا، أو مهندسًا أو لاعب كرة، ولربما لم يكلف نفسه بنصح أولاده بالصلاة والصيام وتلاوة القرآن، وإن كان تقصير وتفريط الوالدين في التربية لا يبرر عقوق الأبناء، فقد أمرنا أن نتقي الله فيمن لا يتقى الله فينا، وأن نعدل فيمن جار علينا، وأن نحسن لمن أساء إلينا ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦] ، وكم من نبتة طيبة ظهرت وسط الحشائش السامة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[العنكبوت: ٦٩].

لا يستقيم معنى البر مع التقليد الأعمى ومصاحبة قرناء السوء، فالصاحب ساحب، والحمام مع الحمام، والحيات مع الحيات، والطيور على أشكالها تقع، وكل قرين بقرينه يَقتدى، ومصاحبة العاق شُؤم، والتباعد عنه أوكد من التباعد عمن به جرب وجذام، والمرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل، وقالوا: قل لي من صاحبك أقول لك من أنت، إياك وفلسفة العقوق والذنوب، فما عُصي الله إلا بالتأويل، ولا تتذرع بالنوايا الطيبة، فأنت محاسب على سوء الصنيع حتى وإن قلت إن نيتك حسنة، وقدّم لنفسك في التعامل مع والديك وزوجتك وأولادك، كن دافعًا لهم للبر بالقول والفعل، وصولًا للرحم، وحريصًا على تقوية صلات الزوجة بأهلها، فأعين الأولاد معقودة على ما يشاهدونه وما يتربون عليه، واعلم أن الوقت وقت غربة وجهالة، وأن الطاعات لا تُقتصر على مجرد الصلاة والصيام، فقد رتب سبحانه قضية البر بعد أخطر قضية في الوجود، فقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال في حق الأبوين المشركين: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا

تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ فالرحم الكافرة لا العاصية فقط أو الظالمة تُوصل من المال ونحوه.

نحن بحاجة لأن نتعلم معاني البر، فما بعد البر إلا العقوق والبر لا يقتصر على احتفال مبتدع يوم ٢١ مارس وتقدم فيه الهدايا ثم نعود سيرتنا الأولى في العقوق، ففي السُنن كفاية وهي بمثابة عيد للوالدين في كل آنٍ وحين، وياليتنا ننهض جميعًا بحيث نعلّم الناس ما جهلوه من دين الله تكثيرًا للخير والصلاح وتقليلًا للشر والفساد، وفق الله الجميع لما فيه صلاح البلاد والعباد.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين

العنف الجنسي بين المرء وزوجه

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد اشتكت بعض النسوة من عنف وقسوة الأزواج في جماعهن، وإتمام المعاشرة بغير رضاهن، وشابهت هذه الظاهرة في جرأتها وتصريحها ما حدث مع ظهور الفياجرا والمنشطات الجنسية، فلم يقتصر الحديث على الرجال، بل شاركت النساءُ في ذلك، وأدلت الصحفيات والمثقفات بدلوهن في هذا الموضوع!!

لقد أثيرت هذه الشكاية على صفحات الجرائد والمجلات، وفي غيرها من وسائل الإعلام، واستدعى الأمر سؤال الشيوخ والأخصائيين الاجتماعيين والنفسانيين عن أسباب ظاهرة العنف هذه وسبل علاجها.

وقد وصل الأمر ببعض الزوجات والمعالجين إلى حد وصف هذا الأمر بالاغتصاب!!، فمن المعروف والمتبادر للأذهان عند سماع كلمة الاغتصاب أنها تنصرف إلى اغتصاب الرجل لامرأة أجنبية، لا ممارسة الرجل لهذا الفعل مع امرأته، ويتواكب هذا الطرح مع المناداة بمنع ختان البنات، ومنع التعدد، ومنع زواج البنت قبل سن الثامنة عشرة، وعدم عقوبتها إذا زنت قبل هذا السن!!

فالطرح والعرض مريب، ويأتي من عناصر مشبوهة، وضمن هجمة شرسة لتغريب الأمة وإبعادها عن دينها.

ومن عجيب الأمر أن الظاهرة المذكورة تتعارض فيما يبدو مع ما قرأته من أن ٥٠٪ من الرجال يعانون من الضعف الجنسي بسبب الهرمونات التي لا تخلو منها كثير من المأكولات، أو لغير ذلك من الأسباب التي ذكرها الباحثون في تحليل وتشخيص هذه الظاهرة، فهل صار المجتمع بين إفراط وتفريط أو بين عنيف وضعيف؟!!

وعلى كل حال فلنا عدة تعليقات على شكاية العنف الجنسي بين المرء وزوجه:

أولاً- ما كنت أتخيل أن الجرأة تبلغ بالنساء على جهة الخصوص لمثل هذا الحد من التصريح، ففي التعريض مندوحة عن الكذب وكفاية عن الظهور في وسائل الإعلام بالصوت والصورة، فالحياء خير كله، ولا يأتي إلا بخير، والحياء والإيمان قرنا جميعًا، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر، و«**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**» [رواه البخاري].

لا حرج أبدًا في سؤال أهل العلم عن هذه المسألة وغيرها، ولكن الحرج في التبذل وفقدان الحياء ومشابهة الرجال في الجرأة في غير مواضعها، والتشبه بالأجنبيات في تحللهن الذي يطلق عليه وصف التحرر.

ثانيًا- الجهل مصيبة، وأشد منه الاستخفاف والتهكم بحق الزوج على زوجته، كما حدث في هذه القضية وغيرها، فالواجب على المرأة طاعة زوجها في غير معصية ربها، وألا تدخر وسعًا في إرضائه، وفي إنفاذ ما يطلب منها.

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلاَّ كَانَ الَّذِى فِى السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرضي عَنْهَا**» [رواه مسلم]. وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ الله لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ تُؤَدِّى الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّىَ حَقَّ زَوْجِهَا وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِىَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْهُ**» [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ**» [رواه ابن حبان، وأحمد، وصححه الألباني].

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**»، [ورواه مسلم] ولفظه:

«إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾ قال تعالى: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [النساء: ٣٤].

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه: «الهجر هو أن لا يجامعها، ويضاجعها على فراشها ويوليها ظهره»، وكذا قال غير واحد، وزاد آخرون منهم السدي والضحاك وعكرمة وابن عباس في رواية: «ولا يكلمها مع ذلك ولا يحدثها»، وقال البعض: «لا يضاجعها» اهـ باختصار.

ضرب الزوجة:

قال رجل من الصحابة: « **يَا رَسُولَ اللهِ مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ قَالَ: أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ - أَوِ اكْتَسَبْتَ - وَلاَ تَضْرِبِ الْوَجْهَ وَلاَ تُقَبِّحْ وَلاَ تَهْجُرْ إِلاَّ فِى الْبَيْتِ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

ويقول النبي ﷺ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ؛ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِى حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**» [رواه مسلم].

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في حجة الوداع: «**فَاتَّقُوا اللهَ فِى النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ. فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**».

وقال ﷺ: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الْفَاحِشِ وَلاَ الْبَذِيءِ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

ويقول النبي ﷺ: «**لاَ يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِى آخِرِ الْيَوْمِ**» [رواه البخاري].

والسيدة عائشة رضي الله عنها تبين أنه: «**مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِمًا إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِى سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَىْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَىْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ فَيَنْتَقِمَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ**» [رواه مسلم].

والرجل إذا ضرب امرأته على سبيل التأديب فليس له أن يحدث أثرًا بها، ولا يضرب بالسوط ولا العصا وإنما بمثل السواك.

قال ابن عباس وغير واحد: ضربًا غير مبرح، وقال الحسن البصري: غير مؤثر. قال الفقهاء: أن لا يكسر فيها عضوًا ولا يؤثر فيها شيئًا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «يهجرها في المضجع فإن أقبلت وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضربًا غير مبرح، ولا تكسر لها عظمًا فإن قبلت وإلا فقد أحل الله لك منها الفدية».

وقال النبي ﷺ: «**لاَ تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللهِ. فَجَاءَ عُمَرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: ذَئِرْنَ النِّسَاءُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ. فَرَخَّصَ فِى ضَرْبِهِنَّ، فَأَطَافَ بِآلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ: لَقَدْ طَافَ بِآلِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ**» [رواه أبو داود، وابن ماجه، وصححه الألباني].

ويقول تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤]. أي إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريده منها مما أباحه الله له منها فلا سبيل له عليها بعد ذلك، وليس له ضربها ولا هجرها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]. تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فإن الله العلي الكبير وليُّهن وهو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن.

فإذا أحدث الرجل لامرأته عاهة بضربه لها عزره الحاكم بما يناسب الضرر.

ثالثًا- العرض الجماهيري الديمقراطي لهذه القضية وغيرها لا يصلح، ومن شأنه أن يحدث اضطرابًا وينحرف بالخلق عن صراط الله المستقيم، يكفي سؤال أهل العلم

الثقات قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، فلا يجوز التعويل على رأى الأكثرية أو الأقلية في حسم موارد النزاع، كما لا فائدة في سؤال المغنية والراقصة، والمثقف الملحد، والصحفي الشيوعي، ولا قيمة لعرف وبيئة ونشأة تتصادم مع ما جاء في الكتاب والسُّنَّة.

رابعًا- الالتزام بدين الله فيه صلاح الفرد والمجتمع، ومعاشرة الزوجة بالمعروف طاعة وقربة لله -تعالى-، فخيركم خيركم لأهله.

وهذه بعض النصائح تتعلق بالقضية المثارة نقلتها من كتابي «وعاشروهن بالمعروف»:

١- ملاطفة الزوجة عند البناء بها:

يستحب له إذا دخل على زوجه أن يلاطفها كأن يقدم إليها شيئًا من الشراب ونحوه لحديث أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: «**إِنِّي قَيَّنْتُ (أي زيَّنت) عَائِشَةَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ جِئْتُهُ فَدَعَوْتُهُ لِجِلْوَتِهَا (أي النظر إليها مجلوة مكشوفة)» فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهَا فَأُتِيَ بِعُسٍّ لَبَنٍ (وهو القدح الكبير) فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَخَفَضَتْ رَأْسَهَا وَاسْتَحْيَتْ، قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَانْتَهَرْتُهَا، وَقُلْتُ لَهَا: خُذِي مِنْ يَدِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ فَأَخَذَتْ فَشَرِبَتْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: أَعْطِي تِرْبَكِ، قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَلْ خُذْهُ فَاشْرَبْ مِنْهُ ثُمَّ نَاوِلْنِيهِ مِنْ يَدِكَ، فَأَخَذَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ ثُمَّ نَاوَلَنِيهِ، قَالَتْ: فَجَلَسْتُ ثُمَّ وَضَعْتُهُ عَلَى رُكْبَتِي ثُمَّ طَفِقْتُ أُدِيرُهُ وَأَتْبَعُهُ بِشَفَتَيَّ لِأُصِيبَ مِنْهُ مَشْرَبَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ لِنِسْوَةٍ عِنْدِي: نَاوِلِيهِنَّ، فَقُلْنَ: لَا نَشْتَهِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تَجْمَعْنَ جُوعًا وَكَذِبًا**» [رواه أحمد والطبراني].

٢- وضع اليد على رأس الزوجة والدعاء لها:

وينبغي أن يضع يده على مقدمة رأسها عند البناء بها أو قبل ذلك، وأن يسمي الله -تبارك وتعالى-، ويدعو بالبركة ويقول ما جاء في قول النبي ﷺ: «**إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً أَوِ اشْتَرَى خَادِمًا فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ**» [رواه أبو داود، وحسنه الألباني].

٣- صلاة الزوجين معًا:

ويستحب لهما أن يصليا ركعتين معًا؛ لأنه منقول عن السلف، وفيه أثران، الأول: عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال: «وساق الحديث...، وفيه: وعلموني فقالوا: إذا دخل عليك أهلك فصلِ ركعتين، ثم سل اللهَ من خير ما دخل عليك، وتعوذ به من شره، ثم شأنك وشأن أهلك».

الثاني- عن شقيق أيضًا وفي الرواية: «فإذا أتتك أيضًا»، في رواية: «فإذا أتتك فأمرها أن تصلي وراءك ركعتين»، وزاد في رواية أخري عن ابن مسعود فقل: «**اللهم بارك لي في أهلي وبارك لهم فيَّ، اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخير، وفرق بيننا إذا فرقت إلى خير**» اهـ باختصار.

لاشك أن هذه معانٍ واضحة وظاهرة في المعاشرة بالمعروف، غفل عنها كثير من الناس الظانين أن السعادة والهناءة بالسيارة والجاه والثراء، ثم لا يبالون بعد ذلك بصلاة ولا صيام ولا طاعة، فسرعان ما تستحيل حياتهم غمًا ونكدًا، وحياة الترف المادي أنست الناس كثيرًا من معاني الإيمان والتعلق برب العزة -جل وعلا- في جلب النفع ودفع الضر.

مسائل تتعلق بالوقاع:

المسألة الأولى- التسمية إذا أراد أن يأتي أهله فيقول: «**بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا**»، قال رسول الله ﷺ: «**فَإِنْ قَضَى الله بَيْنَهُمَا وَلَدًا لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

المسألة الثانية: يحرم إتيان المرأة في دبرها؛ لقول النبي ﷺ: «**مَنْ أَتَى حَائِضًا أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ كَاهِنًا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**» [رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني].

وعن طاوس قال: «سئل ابن عباس عن الذي يأتي امرأته في دبرها، فقال: هذا يسألني عن الكفر».

وقال النبي ﷺ: «**أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ وَاتَّقِ الْحَيْضَةَ والدُّبُرَ**» [رواه أحمد، وحسنه الألباني]، وقال النبي ﷺ لمن سأله: «**أمن دبرها في قبلها؟ فنعم أم من دبرها في دبرها؟ فلا؛ فإن الله لا يستحيي من الحق، لا تأتوا النساء في أدبارهن**» [أخرجه الشافعي والنسائي، وحسنه الألباني].

قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات إذا كان ذلك في الفرج، أي: موضع الولد، كما قال جابر وابن عباس رضي الله عنهما.

المسألة الثالثة: وإذا أراد الرجل أن يعاود الوطء فيسن له الوضوء لقول النبي ﷺ: «**إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيَتَوَضَّأْ**» [رواه مسلم]، وفي رواية: «**وضوء الصلاة، فإنه أنشط للعود**».

ولو اغتسل لكان أفضل لحديث أبي رافع: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَافَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى نِسَائِهِ يَغْتَسِلُ عِنْدَ هَذِهِ وَعِنْدَ هَذِهِ، قَالَ فَقُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ الله أَلاَ تَجْعَلُهُ غُسْلًا وَاحِدًا قَالَ: هَذَا أَزْكَى وَأَطْيَبُ وَأَطْهَرُ**» [رواه أبو داود، وحسنه الألباني].

المسألة الرابعة- يجوز لهما أن يغتسلا معًا في مكان واحد، لقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «**كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ - بَيْنِى وَبَيْنَهُ - وَاحِدٍ فَيُبَادِرُنِي حَتَّى أَقُولَ دَعْ لِى دَعْ لِى. قَالَتْ: وَهُمَا جُنُبَانِ**» [رواه مسلم].

ملاطفة ومداعبة:

تروى السيدة عائشة رضي الله عنها وتقول: «**كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِىَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِىَّ فَيَشْرَبُ وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِىَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِىَّ**» [رواه مسلم].

وكان يقول لها: «**يَا عَائِشَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ. فَقُلْتُ وَعليه السلام وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لاَ أَرَى**» **تُرِيدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ**». [رواه البخاري ومسلم]، فترخيم اسم الزوجة نوع من الملاطفة والمداعبة.

وروت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «**أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَبَّلَ بَعْضَ نِسَائِهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ**» [رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني]، وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُ وَهُوَ صَائِمٌ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ وَلَكِنَّهُ أَمْلَكُكُمْ لإِرْبِهِ**» [رواه مسلم].

ولمس المرأة ولو بشهوة لا ينقض الوضوء لهذه الأدلة؛ ولأنه أمر تعم به البلوى ولا دليل يدل على انتقاضه، وقول الله تعالى: ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[النساء:٤٣]، وذلك لأن الله -تعالى- حيي كريم يُكنِّي بما شاء عما شاء، فكنَّى بالمس والمسيس عن الجماع، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

ويحرم على الرجل مس المرأة الأجنبية عنه إلا لضرورة، ولا تعلق للمسألة بنقض الوضوء والحرمة؛ لأن اللمس حاسة من الحواس كالنظرة ونحوه.

وتروي السيدة عائشة رضي الله عنها وتقول: «**قَالَ لِى رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنِّى لأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّى رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَىَّ غَضْبَى. قَالَتْ فَقُلْتُ مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ فَقَالَ: أَمَّا**

إِذَا كُنْتِ عَنِّى رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ لاَ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ غَضْبَى قُلْتِ لاَ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ. قَالَتْ قُلْتُ أَجَلْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَهْجُرُ إِلاَّ اسْمَكَ» [متفق عليه].

وعنها ﵂ قالت: «خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِى بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ فَقَالَ لِلنَّاسِ: تَقَدَّمُوا، فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِى: تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ فَسَكَتَ عَنِّى حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ خَرَجْتُ مَعَهُ فِى بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَقَالَ لِلنَّاسِ: تَقَدَّمُوا، فَتَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ: تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَجَعَلَ يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ: هَذِهِ بِتِلْكَ» [رواه أحمد، وصححه الألباني].

وهي روايات تدل على كيفية معاشرة النساء وإحسان العشرة لهنَّ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين



الرد على القرضاوي في منعه ختان البنات

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

فقد ذكر موقع الشيخ القرضاوي على الإنترنت أنه يوافق الأزهر في منعه الختان ويخالف العلماء السابقين في ذلك، وأن الختان غير جائز شرعًا ولا دليل على وجوبه، ولأنه ثبتت مضرته ولا حرج عنده في منع المباح والجائز، فلا دليل يوجب أو يحرم الختان، ومنذ أيام سُئل المفتي الدكتور/ علي جمعه في موضوع الختان، وأن البعض ما زال يتكلم فيه فقال: «اختشوا بقه» على حد تعبيره، ثم استطرد في الحديث في القضية وأن الختان ثبتت مضرته الأمر الذي لم يكن معروفًا من قبل!!! وذكر أيضًا أن الختان لا دليل عليه!!.

وما زالت الحملة الإعلامية الرسمية تطالب بمنع الختان واللافتات تعلق في الميادين في المدن والقرى «لا للختان»!!! فمن الذي ينبغي أن ينكف عن الحديث في هذه القضية ؟!!.

فهذا مثال – لا على سبيل الحصر – لمسائل كثيرة معروضة على الساحة يُخشى من السكوت عليها – رغم الضعف المادي وامتلاك الطرف الآخر للأدوات الإعلامية الضخمة – من أن تنقلب الموازين وتطمس الحقائق ويصبح الحلال حرامًا والحرام حلالًا والسُّنَّة بدعة والبدعة سُنَّة. .... فلابد من إبراء الذمة والساحة قدر الاستطاعة، إبلاغًا للرسالة وتأدية للأمانة وليحيى من حيّ عن بينة ويُهلك من هلك أيضًا عن بينة.

ما أثير في منع ختان البنات لا يزيد عن كونه شبهات ضعيفة جدًا، فالنصوص الدالة على مشروعية ختان البنات كثيرة بفضل الله، وإذا ورد شرع الله بطل نهر معقل، فهل من يعقل؟، واكتشاف مضرة الختان في السنوات الأخيرة ينقصه ورود النصوص بمشروعيته وينقصه الدراسات الطبية التي تبين فوائده كما ينقصه أيضًا عمل الأطباء جيلًا بعد جيل به، وكلام الثقات الموافق للشرع مقدم على كلام المهزومين نفسيًا والمنخدعين

بكلام الغرب، ولا نقصد بهذا الكلام أحدًا بعينه -كما لا يحل لأحد أن يخرق إجماع العلماء المتقدمين في إفادتهم مشروعية الختان- وليس لأحد أن يتكلم في دين الله إلا بعد أن يتعرف على ما اتفق عليه العلماء، وما اختلفوا فيه، وقد رأيت أن أنقل هنا ما سبق أن كتبته في نفس الموضوع وهو:

ختــان البنــات:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد ..فقد قامت الدنيا ولم تقعد منذ أن أعلنت قناة (C.N.N) الإخبارية قصة الرجل الذي قام بختان الفتاة، فجار وتعدى مما استلحق الفتاة بأذىً ومضرة، وارتفعت الأصوات تُطالب بمنع ختان النساء وتصفه بالرجعية، وبالعادة السيئة المذمومة، وثارت الجمعيات التي تُطالب بحُريّة المرأة ومساواة المرأة بالرجل، وكأنهم وجدوا ضالتهم المنشودة في هذا الحدث، وزعموا أنَّ الأطباء أجمعوا على منع ختان الإناث، وأنَّ هذا الختان ليس من الدين، ولم يثبت به خبر صحيح، وأنه ليس من مصلحة المرأة، وعلى حد تعبيرهم كان لابد من سن القوانين التي تمنع ختان الإناث وتُجرم فاعله حتَّى ولو كان طبيبًا، اللهم إلاَّ تحت ظروف خاصة.

وحدثت حالة استنفار، وكأن الأمة في مواجهة مع الختان، فلا حديث للناس إلاَّ في هذا الموضوع، هذا مع وجود مخاطر كبيرة تُحيط بهذه الأمة، وإنْ لم تتقدم في العرض والطرح، فلا أقل من أن تأخذ حظها من الاهتمام، بجوار قضية ختان الإناث، ورغم حرج الموضوع فقد انبرت أقلام وأصوات نسائية تتكلم بكل جرأة في هذا الأمر الذي اتسم بالجماهيرية، وصار الكل يُدلي بدلوه، بطريقة الرأي والرأي الآخر، فرأي شيخ الأزهر قد يُعرض بجوار رأي الراقصة والممثلة، والجمهور هو الحكم والفيصل في هذا النزاع، ولا تستبعد مع كثرة الآراء أن يرتفع صوت الراقصة فوق صوت شيخ الأزهر، وبالتالي يُحسم النزاع لصالحها، وتُصبح المطالبة بمنع الختان هو رأي الأغلبية وتضيع

معالم الحق والحقيقة وسط هذا الصخب الإعلامي، وهذا الضجيج الديمقراطي.

وقبل أن نشرع في بيان حكم الختان وحكمته وبيان بعض المسائل المهمة المتعلقة نودّ الإشارة إلى بعض المسائل المتعلقة بهذا الموضوع:

أولًا- لا يجوز الجور ولا التعدي، ومن تطبب بغير طب فهو ضامن، ويجب على الخاتن أن يكون عارفًا بالصناعة، وختن المولود في الزمن الذي يُختتن في مثله، ويُعطي الصناعة حقها، فإن فعل وإلاَّ كان آثمًا ووجب منعه وتضمينه قيمة التلف والجرح.

ثانيًا- خطأ الخاتن وجوره وتعديه لا يُبرر الطعن في كل من قام بالختان كما لا يُجيز منع الختان، فلو وافقنا على هذا المنع، فينبغي أن نمنع كل الأعمال والوظائف وكل المهمات؛ إذْ لن نعدم وجود المخطئين والمقصرين، ومن هذا المنطلق إذا نسى الطبيب الجرَّاح الفوطة في بطن المريض، لزم اتهام جميع الأطباء ومنع مهنة الطب، وإذا قام المهندس ببناء عمارة وانهارت على سكانها فعلينا أن نُشوّه صورة جميع المهندسين، ونُغلق أبواب كليات الهندسة، وكذلك إذا ارتكب أحد المصلين خطئًا، قمنا بالتشهير بجميع المصلين وأغلقنا أبواب المساجد التي يصنع فيها الناس كذا وكذا، وقِسْ على ذلك الحج وغيره...

فالتقاط قصة الخاتن المسيئ من قناة (C.N.N) واستثمارها في منع ختان النساء بالكلية مسألة مريبة، لو تعاملنا مع مؤسسات المجتمع بنفس الطريقة التي تعاملنا بها في قضية الختان، فمن المؤكد أنَّ هذا المجتمع لن تقوم له قائمة ولابد وأن تتعطل مصالحه، وأرفق من ذلك أن نأخذ على يد الجاني، ولا تعميم قبل حصول الاستقراء، وبذلك يصطلح كل فريق على حقه ويبقى الختان سالمًا عن المعارضة.

ثالثًا- الأطباء يقومون بعملية الختان للذكر والأنثى، وقد درسوا هذا الموضوع في كليات الطب، فالقول بأنَّ الأطباء قد أجمعوا على منع ختان البنات، ما هو إلاَّ ادعاء سخيف لا يقوم على أساس، فكيف حصروا أقوال الأطباء وآرائهم في هذا الموضوع، أم هي المجازفة والمبالغة.

لقد كان الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتحرى في المسائل التي أجمع عليها العلماء ويحتاط ويقول، لا أعلم فيها خلافًا، وعلى سبيل المجاراة، لو حدث فعلًا وأجمع الأطباء على منع ختان البنات فلا التفات لهذا الإجماع - المتوهم - وذلك لمصادمته لنصوص الشريعة.

وإذا ورد شرع الله بطل نهر معقل، فهل من يعقل، فالختان مشروع باتفاق العلماء، وقال ابن القيم: لا خلاف في استحبابه للأُنثى واختُلف في وجوبه.

فالخلاف في ختان البنات إنما هو في درجة المشروعية، وهل هو واجب أم مستحب، وإلاَّ فهو مشروع بالاتفاق، وبالتالي فمن أنكر أو انتقص ختان البنات فقد صادم النصوص الواردة، كما صادم إجماع أهل العلم الثقات قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]. النساء شقائق الرجال في الأحكام، إلاَّ ما استثناه النص والدّليل، فالمرأة تُصلي وتصوم، وتحج وتُزكي.. كما يفعل الرجل، وقد تفترق في حكمها عن الرجل في بعض الأحكام كالحيض والنفاس والحمل والرضاع قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [آل عمران: ٣٦]، والضابط عندنا في هذا وذاك هو ما ورد في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله ﷺ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمس من الفطرة: الاستحداد، والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر**» [رواه الجماعة].

والختان يشترك فيه الذكر والأنثى، ونصوص خصال الفطرة كثيرة لم يُخص فيها الختان بالذكور دون الإناث، فما المانع من ختان البنات وخصوصًا عند دعاة مساواة المرأة بالرجل؟!!.

خامسًا- النبرة الإباحية التي تتكلم بها نساء اليوم في وسائل الإعلام - بالصوت والصورة - عن الفياجرا وختان البنات... لا تليق بهن ولا بعفافهن وحيائهن، فالمرأة مأمورة بالصيانة والتحفظ والتحجب والتستر، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا



يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، وما ترك النّبيُّ ﷺ فتنة أضر على الرجال من النساء، وقد أمر الشرع بالمباعدة بين الرجال والنساء حتَّى في الصلاة والطواف بالكعبة منعًا للاختلاط ودرًا للفتنة والخطر.

سادسًا- الختان وغيره من القضايا يدور بين جهل الأبناء وكيد الأعداء، فقد حورب الإسلام بيد أبنائه، بعد أن كان يُحارب بيد أعدائه، ونحن لا نستبعد قيام البعض من جلدتنا وممن يتكلم بلساننا، فيُحل الحرام، ويُحرم الحلال، ويتكلم في دينَ الله بغير علم، ويعيش حياة الهزيمة النفسية إذا سمع التشهير والتشويه لحكم الختان، فبدلًا من أن يتعلم حكمه وحكمته، يُسارع بمجاراة الطاعنين والملحدين، فيُنكر مشروعية ختان البنات.

والناس في هذا وغيره أربعة: رجل يدري، ويدري أنه يدري، فذلك عالم فاسألوه، ورجل يدري، ولا يدري أنه يدري، فذلك ناسٍ فذكِّروه، ورجل لا يدري، ويدري أنه لا يدري، فذلك جاهل فعلموه، ورجل لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، فذلك أحمق فامقتوه.

وقد خيّل الأعداء على ضعاف البصر والبصيرة من هذه الأمة، وأثارت شياطين الإنس والجن الشبهات حول بعض الأحكام كالختان؛ رجاء إبعاد الأمة عن دينها وتشكيكها في شريعة ربها، قال تعالى: ﴿يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ﴾ [الأنفال: ٣٦]، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال جلَّ وعلا: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصف: ٨ - ٩].

كان أحرى بـ (C.N.N) وغيرها من الجهات المشبوهة أن تشفق على نفسها، فتكون دعوة للعودة لمعاني الإيمان ولإسلام الوجه لله جل وعلا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وهل أخذتهم الشفقة والرحمة بالمسلمين الذين تجري دماؤهم أنهارًا هنا وهناك، فالمذابح تُجرى للنساء والأطفال والشيوخ الرُّكّع، بلا هوادة فهذا أرفق من دسّ السمّ في العسل، ومحاولة الظهور بمظهر التحضر والمحافظة على الحقوق، ووصف المسلمين في المقابل بالهمجية والوحشية والقسوة.

سابعًا- حذرنا سبحانه من عداوة الكفرة فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [البقرة: ٨٩] وقال تعالى: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: ٩]، ولا يُنبئك مثل خبير، فخذ وصفهم من خالقهم، ولا تنخدع بمعسول قولهم.

وكان عثمان ﷺ، يقول: «ودَّت الزانية لو زنت النساء جميعًا».

والتركيز على ختان البنات بهذه الكيفية، وفي هذه الآونة من شأنه أن يُثير الريبة، فمن المعلوم ما عليه نساء الغرب من التهتك والفجور، وأنَّ الأمة تفسد بفساد نسائها، فالمرأة هي البوابة والمدخل، قال البعض: «لابد وأن نجعل المرأة رسولًا لمبادئنا التحررية، ونُخلّصها من قيود الدين».

وهذا الفريق لانعدام بصيرته رأى أن التقدم والتحضر والتطور واللحاق بركاب العصر لا يتم إلاَّ بأخذ العفن والنجاسات الموجودة عند الغرب، فإذا تبرّجت نساؤهم واختلطن بالرجال وتركن الختان.. فلتفعل ذلك نساء المسلمين وهذه هي حرية المرأة التي يتنادى بها البعض، وما هي إلاَّ دعوة للتحلل والفجور وشيوع الرذيلة في الأمة كما شاعت في الغرب.

سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية: هل تختتن المرأة أم لا ؟

فأجاب: الحمد لله. نعم تختتن، وختانها أن تقطع أعلى الجلدة التي كعرف الديك، قال رسول الله ﷺ للخافضة -وهي الخاتنة -: «**أشمي ولا تنهكي، فإنه أبهى للوجه، وأحظى لها عند الزوج**» يعني: لا تبالغي في القطع، وذلك أنَّ المقصود بختان الرجل تطهيره من النجاسة المحتقنة في القلفة، والمقصود بختان المرأة تعديل شهوتها، فإنها إذا كانت قلفاء كانت مغتلمة شديدة الشهوة.

ولهذا يُقال في المشاتمة: يا ابن القلفاء! فإن القلفاء تتطلع إلى الرجال أكثر، ولهذا يوجد من الفواحش في نساء التتر ونساء الإفرنج، ما لا يوجد في نساء المسلمين، وإذا حصلت المبالغة في الختان ضعفت الشهوة، فلا يكمل مقصود الرجل، فإذا قطع من غير مبالغة حصل المقصود باعتدال. والله أعلم.

ثامنًا- تقديم الأهم على المهم أمر واجب في العلم والعمل والدعوة إلى الله، والحذر كل الحذر من الاستدراج والانشغال بالقضايا المفتعلة، بحيث تُصبح حديث القاصي والداني والرجل والمرأة، وما تكاد تنتهي هذه القضية إلاَّ ويشغلوننا بأخرى، وتصبح القضايا كالموضات؛ فالموضة هذه الأيام الكلام على تولية المرأة قاضية، أو الكلام على الختان.. ويكون ذلك أشبه بالإلهاء، ويأتي على حساب قضايا أخرى لا تقل أهمية، لا نقول ذلك استخفافًا أو استهانة بقضية الختان، ولكن تحذيرًا من الاستغراق والنظر للأمور بعين واحدة، ولكنها المحاولة لعلو الهمة، وشمولية النظرة والاهتمام بالأهم والمهم، والتقديم والتأخير وفق شرع الله.

تاسعًا- نرفض العرض الجماهيري لختان البنات وغيره، ولا يصح أن يُعرض رأي علماء الشريعة بجوار رأي الراقصة والممثلة والملحد الزنديق بطريقة الرأي والرأي الآخر، والواجب علينا أن نرد حكم ما تنازعنا فيه لكتاب الله ولسُنَّة رسول الله ﷺ، قال تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ

وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[الأحزاب: ٣٦]

قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[النساء: ٥٩].

فالواجب علينا أن نرجع لعلماء الأمة المعتبرين في فهم كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، فهُم عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا، ولا يجوز مصادمة السُّنن برأي طبيب ولا غيره، فإذا ورد في السّنن عن الختان «**أشمّي ولا تنهكي، فإنه أبهى للوجه، وأحظى لها عند الزوج**».

قال ابن تيمية: يعني لا تُبالغي في القطع.. والمقصود من ختان المرأة تعديل شهوتها. **وقال ابن القيم:** فإذا أخذت (أي الخاتنة أو الخافضة) منها (أي جلدة الختان التي كعرف الديك) كان في ذلك تعديلًا للخلقة والشهوة.

أقول: إذا ورد ذلك فلا يلتفت لقول طبيب يصفه بالجريمة أو بأنه فعل لا فائدة فيه، وشأن المسلم في هذا وغيره أن يقول: سمعنا وأطعنا، أو آمنت بالله وكذبت عيني.

عاشرًا- الطعن في أحاديث الختان بأنها ضعيفة، وقبل أن نُجيب على هذه الشبهة السقيمة نوضح أمرًا لافتًا للنظر وهو أنَّ هذه القضايا كالاشتراكية والديمقراطية والطعن في الختان... يُثيرها أعداء الإسلام، ثم يتلقفها البعض منَّا محاولًا إمرارها وتطبيقها وسط المسلمين مستخدمًا أساليب التلبيس والتدليس؛ لإضفاء الصفة الشرعية عليها حتَّى تروج، وقريب من هذا المسلك الشيطاني، وصف الشجرة التي نُهيَ آدم عن الأكل منها بشجرة الخلد، ووصف الربا بالفائدة والخمر بالمشروبات الروحية، والرقص بالفن...

وقد احترف البعض مهنة قلب الحقائق، فالحلال يصيره حرامًا، والحرام يصيره حلالًا، دون خوف أو وجل، وشأنه في ذلك كشأن قطاع الطريق إلى الله، والبعض الآخر قد ينقاد بحسن نية، فيضعف الصحيح، ويصحح الضعيف.

والسلوك مرآة الفكر، ولا تكفي النوايا الطيبة، بل لابد من صحة العمل، وكل إنسان يُؤخذ من قوله ويُترك إلاَّ رسول الله ﷺ، وكما قال الإمام مالك - رحمه الله -: «ما منّا إلاَّ رَدَّ ورُدَّ عليه».

والختان كما ذكرنا مشروع باتفاق العلماء، والنصوص في ذلك صحيحة ثابتة، احتجَّ بها أهل العلم قديمًا وحديثًا، ومنها قول النَّبيّ ﷺ: «**إذا مسَّ الختان الختان وجب الغُسل**» [رواه مسلم في صحيحه].

وورد: «**إذا التقى الختانان فقد وجب الغُسل**»، وعن سعيد بن المسيب أنّ أبا موسى الأشعري قال لعائشة رضي الله عنها: إني أُريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحي منك، فقالت: سل، ولا تستحي، فإنما أنا أمك، فسألها عن الرجل يغشى ولا ينزل، فقالت عن النَّبيّ ﷺ: «**إذا أصاب الختان الختان فقد وجب الغسل**» [رواه أحمد ومالك بألفاظ مختلفة].

فالنصوص صحيحة ثابتة، وهي تدل على أنَّ المرأة تختتن كما يختتن الرجل، وأحاديث سُنن الفطرة كثيرة صحيحة، وقد دلَّت على مشروعية الختان فهو من جملة خصال وسُنن الفطرة بالنسبة للرجل والمرأة، ومن جملتها الحديث المتفق عليه الذي ذكرناه آنفًا.

وفي حديث أم عطية: «**لا تنهكي، فإنَّ ذلك أحظى للزوج وأسرى للوجه**» وجاء ذلك مُفصلًا في رواية أخرى تقول: «**إنه عندما هاجر النساء كان فيهن أم حبيبة (أم المؤمنين) وقد عُرفت بختان الجواري، فلما رآها رسول الله ﷺ، قال لها: يا أم حبيبة، هل الذي كان في يدك هو في يدك اليوم؟ فقالت: نعم يا رسول الله، إلاَّ أن يكون حرامًا فتنهاني عنه.. فقال رسول الله ﷺ: «بل هو حلال، فادن مني حتَّى أُعلمك»، فدنت منه، فقال: «يا أم حبيبة، إذا أنت فعلت فلا تنهكي، فإنه أشرق للوجه، وأحظى للزوج**» [رواه أبو داود وأحمد والحاكم والطبراني وله شواهد] ويشهد له حديث: «**خمسٌ من الفطرة**» [المتفق عليه]، وحديث «**إذا التقى الختانان..**» قال الإمام أحمد وفي هذا أنَّ النساء كنَّ يختتنَّ.

فهذه الروايات دعوة نبوية شريفة إلى ختان النساء دون مبالغة في القطع والاستئصال وأن يقتصر الختان على خفض الجزء الذي يعلو مخرج البول، وبذلك يتحقق الاعتدال، فلم يعدم المرأة الاستمتاع والاستجابة (كما هو حال بعض أهل السودان) ولم يبقها دون خفض فيدفعها إلى الاستهتار، وعدم القدرة على التحكم في نفسها عند الإثارة (كما هو حال نساء الغرب).

الحادي عشر- البعض متهور ومندفع وجريء جرأة مذمومة يأثم بها، ومن ذلك وصف ختان البنات بأنه غير إسلامي أو عادة جاهلية أو أنه سلوك رجعي مُتخلف..!! يحرم التقول على الله بغير علم، ومن قال: لا أدري فقد أفتى، ومن نسى لا أدري أُصيبت مقاتله، وشفاء العيّ السؤال، وما من مسألة إلاَّ ولها حكمٌ في دين الله، فمن جهل حكم الختان وغيره، فما عليه إلاَّ أن يرجع للكتاب والسُّنَّة بفهم العلماء الموثوقين.

وقد مرَّ بنا قول ابن تيمية وابن القيم في حكم الختان، وقال الإمام الشافعي: هو فرض على الذكور والإناث. وقال الإمام أحمد: هو واجب في حق الرجال وفي النساء عنه روايتان أظهرهما الوجوب. وقال الإمام أبو حنيفة ومالك: هو مسنون في حقهما، وليس بواجب وجوب الفرض، ولكن يأثم بتركه تاركه. وقال الإمام أبو حنيفة: فلو اجتمع أهل مِصْر (بلد) على ترك الختان قاتلهم الإمام؛ لأنه من شعائر الإسلام وخصائصه.

فأين الأحناف وسائر المتمذهبين الذين تركوا العمل بالمذهب كما فرَّطوا من قبل في التزام النصوص.

وقد جاء في فقه السُّنَّة: «وأما المرأة فيقطع الجزء الأعلى من الفرج بالنسبة لها، وهو سُنَّة قديمة».

وللشيخ جاد الحق شيخ الأزهر الأسبق رسالة قيّمة في الختان، ذهب فيها إلى وجوب ختان البنات،ونقل فيها أقوال أئمة المذاهب وأوضح فيها الاتفاق على مشروعيته.

وقد تكلم العلماء في أحكام الأقلف من طهارته وذبيحته وشهادته، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تقبل له صلاة ولا تُؤكل ذبيحته. وقال وكيع: الأقلف إذا بلغ فلم يختتن لم تجُزْ شهادته. وقال الإمام أحمد: لا يعجبني أن يذبح الأقلف. وقال أيضًا: لا تُؤكل ذبيحته ولا صلاة له، ولا حجّ له حتَّى يتطهر، هو من تمام الإسلام.

ولا يجب ختان الميت باتفاق الأمة، وذهب الأئمة الأربعة إلى أنه لا يُستحب ختان الميت، ويضمن الخاتن إذا مات المختون بسبب سراية جرح الختان، أو إذا جاوز القطع إلى الحشفة أو بعضها، أو قطع في غير موضع القطع، وحكمه في الضمان حكم الطبيب أي أنه يضمن من التفريط أو التعدي، وكذلك إذا لم يكن من أهل المعرفة بالختان..

ويسقط الختان إذا ولد الإنسان (رجل أو امرأة) ولا قلفة له، فهذا مستغني عن الختان إذا لم يخلق له ما يجب ختانه، وهذا متفق عليه، فإذا كانت الحشفة كلها ظاهرة فلا ختان، وكذلك إذا ضعف المولود عن احتماله بحيث يخاف عليه من التلف، ويستمر به الضعف فهذا يعذر في تركه، وكذلك أن يُسلم الرجل كبيرًا ويخاف على نفسه منه، فهذا يسقط عنه عند الجمهور.

ولم يرد نص صريح من السُّنَّة بتحديد وقت للختان، فيترك لولي أمر الطفل بعد الولادة صبيًا أو صبية، والختان من أجل الطهارة، وتُشرع الوليمة للختان ويُستسر بها في ختان البنات، بحيث تكون وسط النساء.

أحكام كثيرة وعديدة موجودة في كل كتب الفقه، ومع ذلك لم نعدم من يقول: إنَّ ختان البنات ليس من الإسلام!! سبحانك هذا بهتان عظيم.

كلام قيّم للإمام ابن القيّم في حكم الختان وفوائده:

قال ابن القيم في «تحفة المودود بأحكام المولود» ما نصه: «الختان من محاسن الشرائع التي شرعها الله سبحانه لعباده،ويجمل بها محاسنهم الظاهرة والباطنة، فهو مكمل للفطرة التي فطرهم عليها، ولهذا كان من تمام الحنيفية ملة إبراهيم، وأصل مشروعية الختان

لتكميل الحنيفية، فإنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لما عاهد إبراهيم، وعده أن يجعله للناس إمامًا، ووعده أن يكون أبًا لشعوب كثيرة، وأن يكون الأنبياء والملوك من صلبه، وأن يكثُر نسله، وأخبره أنه جاعلٌ بينه وبين نسله علامة العهد أن يختنوا كل مولود منهم، ويكون عهدي هذا ميسمًا في أجسادهم، فالختان علم للدخول في ملة إبراهيم، وهذا موافق لتأويل من تأوّل قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البَقَرَة:١٣٨] على الختان.

فالختان للحنفاء بمنزلة الصبغ والتعميد لعباد الصليب، فهم يطهرون أولادهم بزعمهم حين يصبغونهم في المعمودية، ويقولون: الآن صار نصرانيًا، فشرع الله سبحانه للحنفاء صبغة الحنيفية، وجعل ميسمها الختان، فقال: «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة»، وقد جعل الله سبحانه السمات علامة لمن يُضاف إليه المعلم بها؛ ولهذا الناس يَسِمُون دوابهم ومواشيهم بأنواع السِّمات، حتى يكون ما يُضاف منها إلى كل إنسان معروفًا بسمته، ثم قد تكون هذه السمة متوارثة في أمة بعد أمة.

فجعل الله سبحانه الختان علمًا لمن يُضاف إليه وإلى دينه وملته، وينسب إليه بنسبة العبودية الحنيفية، حتَّى إذا جهلت حال إنسان في دينه عرف بسمة الختان ورنكه (علامته)، وكانت العرب تدّعي بأمة الختان؛ ولهذا جاء في حديث هرقل: إني أجد ملك الختان قد ظهر، فقال له أصحابه: لا يهمنَّك هذا، فإنما تختتن اليهود فاقتلهم، فبينما هم على ذلك، وإذا برسول رسول الله ﷺ قد جاء بكتابه، فأمر به أن يكشف وينظر هل هو مختون؟ فوجد مختونًا، فلما أخبره أنَّ العرب تختتن، قال: هذا ملك هذه الأمة.

ولما كانت وقعة أجنادين بين المسلمين والروم، جعل هشام بن العاص يقول: يا معشر المسلمين، إنَّ هؤلاء القلف لا صبر لهم على السيف، فذكرهم بشعار عبّاد الصليب ورنكهم، وجعله مما يوجب إقدام الحنفاء عليهم وتطهير الأرض منهم.

والمقصود: أنَّ صبغة الله هي الحنيفية التي صبغت القلوب بمعرفته، ومحبته، والإخلاص له، وعبادته وحده لا شريك له، وصبغت الأبدان بخصال الفطرة من الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، والاستنجاء، فظهرت فطرة الله على قلوب الحنفاء وأبدانهم.

قال محمد بن جرير في قوله تعالى: «صبغة» يعني بالصبغة صبغة الإسلام، وذلك أنَّ النصارى إذا أرادت أن تنصر أطفالهم جعلتهم في ماءٍ لهم، تزعم أنَّ ذلك لها تقديس بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام، وأنه صبغة لهم في النصرانية، فقال الله جلَّ ثناؤه لنبيّه ﷺ لما قال اليهود والنصارى قال تعالى: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾ [البَقَرَة ١٣٥ – ١٣٨].

قال قتادة: إنَّ اليهود تصبغ أبناءها يهودًا، والنصارى تصبغ أبناءها نصارى، وإنَّ صبغة الله الإسلام، فلا صبغة أحسن من الإسلام ولا أطهر.

وقال مجاهد: صبغة الله: فطرة الله، وقال غيره: دين الله، هذا مع ما في الختان من الطهارة، والنظافة، والتزيين، وتحسين الخلقة، وتعديل الشهوة التي إذا أفرطت ألحقت الإنسان بالحيوانات، وإن عدمت بالكلية ألحقته بالجمادات، فالختان يعدلها، ولهذا تجد الأقلف من الرجل، والقلفاء من النساء لا يشبع من الجماع.

ولهذا يُذم الرجل، ويُشتم، ويُعيّر بأنه ابن القلفاء - إشارة إلى غلمتها، وأيّ زينة أحسن من أخذ ما طال وجاوز الحد من جلدة القلفة، وشعر العانة، وشعر الإبط، وشعر الشارب، وما طال من الظفر، فإن الشيطان يختبئ تحت ذلك كله، ويألفه ويقطن فيه، حتَّى إنهُ ينفخ في إحليل الأقلف، وفرج القلفاء ما لا ينفخ في المختون، ويختبئ في شعر العانة، وتحت الأظفار، فالغرلة أقبح في موضعها من الظفر الطويل، والشارب الطويل والعانة الفاحشة الطول، ولا يخفى على ذي الحس السليم قبح الغرلة، وما في إزالتها من

التحسين والتنظيف والتزيين، ولهذا لما ابتلى الله خليله إبراهيم بإزالة هذه الأمور فأتمهن، جعله إمامًا للناس، هذا مع ما فيه من بهاء الوجه وضيائه، وفي تركه من الكسفة التي ترى عليه.

وقد ذكر حرب في مسائله: عن ميمونة زوج النّبيّ ﷺ أنها قالت للخاتنة إذا أخفضت فأشمّي ولا تنهكي، فإنه أسرى للوجه، وأحظى لها عند زوجها.

وروى أبو داود عن أم عطية أنَّ رسول الله ﷺ أمر ختّانة تختن، فقال: «**إذا ختنت فلا تُنْهكي، فإنَّ ذلك أَحْظى للمرْأة وأَحَبُّ للبَعْل**» ومعنى هذا أنَّ الخافضة إذا استأصلت جلدة الختان ضعفت شهوة المرأة، فقلَّت حظوتها عند زوجها، كما أنها إذا تركتها كما هي لم تأخذ منها شيئًا ازدادت غلمتها، فإذا أخذت منها وأبقت، كان في ذلك تعديلًا للخلقة والشهوة، هذا مع أنه لا ينكر أن يكون قطع هذه الجلدة علمًا على العبودية، فإنك تجد قطع طرف الأذن، وكيّ الجبهة، ونحو ذلك في كثير من الرقيق علامةً لرقهم وعبوديتهم، حتَّى إذا أبق رُدَّ إلى مالكه بتلك العلامة، فما يُنكر أن يكون قطع هذا الطرف علمًا على عبودية صاحبه لله سبحانه حتَّى يعرف الناس أنَّ من كان كذلك فهو من عبيد الله الحنفاء، فيكون الختان علمًا لهذه السُّنَّة التي لا أشرف منها، مع ما فيه من الطهارة والنظافة والزينة وتعديل الشهوة.

وقد ذكر في حكمة خفض النساء: أنَّ سارة لما وهبت هاجر لإبراهيم أصابها، فحملت منه، فغارت سارة، فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء، فخاف إبراهيم أن تجدع أنفها وتقطع أذنها، فأمرها بثقب أُذُنيها وختانها، وصار ذلك سُنَّة في النساء بعد، ولا ينكر هذا كما كان مبدأ السعي، سعي هاجر بين جبلين تبتغي لابنها القوت، وكما كان مبدأ الجمار - حصب إسماعيل للشيطان لما ذهب مع أبيه، فشرع الله سبحانه لعباده تذكرةً وإحياءً لسُنَّة خليله، وإقامةً لذكره، وإعظامًا لعبوديّته، والله أعلم..».

إلى أن قال: «... الفصل التاسع في أنَّ حكمه يعم الذَكَر والأنثى قال صالح بن أحمد: إذا جامع الرجل امرأته ولم ينزل، قال: إذا التقى الختانان وجب الغسل، قال أحمد: وفي هذا أنَّ النساء كنَّ يختتن، وسُئل عن الرجل تدخل عليه امرأته فلم يجدها مختونة أيجب عليها الختان؟ قال: الختان سُنَّة.

قال الخلال: وأخبرني أبو بكر المروزي، وعبد الكريم الهيثم، ويوسف بن موسى، دخل كلام بعضهم في بعض، أنَّ أبا عبد الله سُئل عن المرأة تدخل على زوجها ولم تختتن: أيجب عليها الختان؟ فسكت والتفت إلى أبي حفص، فقال: تعرف في هذا شيئًا؟ قال: لا، فقيل له: إنها أتى عليها ثلاثون أو أربعون سنة، فسكت، قيل له: فإن قدرت على أن تختتن؟ قال: حسن.

قال: وأخبرني محمد بن يحيى الكحال، قال: سألتُ أبا عبد الله عن المرأة تختتن؟ فقال: قد خرجت فيه أشياء، ثم قال: ونظرتُ فإذا خبر النَّبيّ ﷺ حين يلتقي الختانان، ولا يكون واحدًا إنما هو اثنان، قلتُ لأبي عبد الله: فلابد منه، قال: الرجل أشد، وذلك أنَّ الرجل إذا لم يختتن، فتلك الجلدة مدلاة على الكمرة، فلا يبقى مأثم، والنساء أهون، قلت: لا خلاف في استحبابه للأنثى، واختلف في وجوبه، وعن أحمد في ذلك روايتان:

إحداهما- يجب على الرجال والنساء.

والثانية- يختص وجوبه بالذكور، وحجة هذه الرواية حديث شداد بن أوس: «الختان سنة للرجال مكرمة للنساء» ففرق فيه بين الذكور والإناث، ويُحتج بهذا القول بأنَّ الأمر به إنما جاء للرجال، كما أمر الله سبحانه به خليله، ففعله امتثالًا لأمره.

وأما ختان المرأة فكان سببه يمين سارة كما تقدم، قال الإمام أحمد: لا تحيف خافضة المرأة؛ لأن عمر قال لختانة: ابقي منه شيئًا إذا خفضت.

وذكر الإمام أحمد عن أم عطية، أنَّ رسول الله ﷺ أمر ختَّانة تختن، فقال: «**إذا خَتَنْتِ فلا تُنْهكي؛ فإنَّ ذلك أحظى للمرأة وأَحَبُّ للبَعْل**»، والحكمة التي ذكرناها في الختان، تعمّ الذَكَر والأنثى، وإن كانت في الذكر أبيَن، والله أعلم».

وختامًا،

فالختان أمر مشروع بالنسبة للذّكَر والأنثى، ولا مضرة فيه، فشرع الله مصلحة كله، وهو طاعة وعبودية لله سواء علمنا حكمته أو جهلناها.

وبالنسبة للبنات فهو يُهذِّب كثيرًا من إثارة الجنس، وخصوصًا في سن المراهقة، وبالإضافة للعفة الحاصلة، فهو يقطع تلك الإفرازات الدهنية التي تؤدي إلى التهابات مجرى البول وموضع التناسل والتعرض بذلك للأمراض الخبيثة، وقد لوحظ أنَّ الفتاة التي لم تُختتن تكون في مراهقتها حادة المزاج سيئة الطبع.

ونحن كمسلمين ندور مع إسلامنا حيث دار ونعتز بشعائره وشرائعه، وندعوا الدنيا بأسرها لامتثاله، واتمَّ سبحانه لنا الدين وأتمَّ علينا النعمة، وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: ٣]، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

الاحتفال بعيد ميلاد المفتي في الليونز

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد.. فقد تناقلت مواقع الإنترنت خبر احتفال المفتي بعيد ميلاده السابع والخمسين وسط أعضاء وسيدات الليونز وقام هو والمغني سمير صبري بتقطيع التورتة حيث قاموا بتهنئته بهذه المناسبة وبالكلمات الأجنبية المعهودة، ولو حدث وثبت ذلك لاستدعى الأمر عدة وقفات:

أولاً- إذا كان ظاهر الإنسان الصلاح وارتكب منكرًا فلا يجوز هتك الستر وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، قال تعالى: «إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة»، وكان النبي ﷺ يقول: «**ما بال أقوام يفعلون كذا، ما بال أقوام يقولون كذا**» والدين النصيحة، قالوا: أن تنصح أخاك فيما بينك وبينه، فتلك النصيحة، أما أن تنصحه على رءوس الخلائق فكأنما وبخته، أما إذا ارتكب المنكر على الملأ واشتهر بذلك صاحبه، فالنصيحة حينئذ تكون على الملأ، لقول النبي ﷺ «**بئس خطيب القوم أنت**»، وذلك لما قال في خطبته: «**ومن يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى**»، وصوَّبه وهو على المنبر فقال: «**ولكن قل ومن يعصي الله ورسوله فقد غوى**»، ولأن مقام الخطبة مقام توضيح وبيان.

ثانيًا- الاحتفال بعيد الميلاد بدعة مستوردة منكرة، فلا عيد عندنا إلا يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة وهو خير يوم طلعت علينا فيه الشمس، والأعياد توقيفية تؤخذ دون زيادة ودون نقصان، وفي الحديث: «**إن لكل قوم عيد، وإن عيدنا اليوم**» [رواه البخاري ومسلم]، وقال ﷺ: «**من تشبه بقومٍ فهو منهم**» [رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني] ولم يثبت أن النبي ﷺ احتفل بمولده في حياته، ولم يحتفل به أصحابه من بعده بهذه الطريقة المريبة، وكذلك لم يحتفل أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا أحد من الصحابة رضي الله عنهم وهم

على علم وقفوا وببصر نافذ كفوا، وانقضت قرون الخيرية الثلاثة دون احتفال، ومن رأى أن الاحتفال بعيد الميلاد لا شيء فيه وأنه فرحة وبهجة ونعمة أو أنه أشبه بالتطورات العصرية كصنع الطائرة والصاروخ قلنا له: الأعياد من أعظم شعائر الدين ولا يجوز الاختراع والابتداع في هذا المجال، وقد أكمل لنا سبحانه الدين وأتم علينا النعمة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ ولم ينتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وقال: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا، كتاب الله وسُنَّتي**»، فلنتهم عقولنا بالنقصان، ونعلم أن شرع الله موصوف بالكمال، وهذا ينطبق على شم النسيم وعيد الأم ورأس السنة الهجرية والاحتفال بالمولد، فكل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة، كما قال عمر رضي الله عنه، وقال ابن مسعود: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم عليكم بالأمر العتيق .وقال الشافعي: من استحسن فقد شرَّع، سواء كان المفتي أو غيره، فكل إنسان يؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ، وما منا إلا وَرَدّ وَرُدَّ عليه، ومن أراد أن يفرح أو يبتهج فلا يتم له ذلك بالابتداع والاختراع ومجاراة الواقع المنحرف، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

ثالثًا- اعتاد كثير من الناس بالاحتفال بعيد الميلاد الخاص بهم في البيوت أو في الفنادق ويتم تقديم الحلوى ويشعلون الشموع ثم يُطفئون الشمع على عدد سنوات العمر، وذلك تقليدًا للغرب بغير تفكر أو تدبر، وتقديم الهدايا في هذا اليوم تذكرة بهدية يسوع الذي يعتقد النصارى بأنه بذل نفسه ليخلصهم من خطاياهم... وهذا كله ليس من هدي المسلمين،بل لا ناقة لنا ولا جمل فيه، ولابد من إمرار اليوم الذي وُلد فيه الإنسان كسائر أيام العام دون استحداث لشيء زائد.

رابعًا- لا يجوز الاحتفال بعيد الميلاد حتى ولو كان خاليًا من المعاصي والمحرمات، لأنه بدعة، فكيف إذا انضاف إلى ذلك أمور أخرى محرمة، منها: الإسراف الزائد في

الأطعمة والأشربة وإنفاق الأموال في غير مواضعها، ومنها المباهاة والسمعة والمنافسة في غير محلها، ومنها الاختلاط بين الرجال والنساء غير المحارم، والتباري في التبرج والعري والخلاعة في مثل هذه المناسبات ومما هو معروف لا يخفى على أحد، وكلها محرمات يعلمها المفتي وغيره، بل وأسباب للوقوع في الزنى وارتكاب الفواحش، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. وقد باعد الشرع بين الرجال والنساء حتى في الصلاة وفي أماكن العبادة فلا يُباح ذلك بسبب الاحتفال بعيد ميلاد المفتي ؟!!! والنصوص كثيرة في هذه المعاني ومن المعلوم أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وأحيانًا يتم إحضار المطربين والمطربات والراقصين والراقصات وتتواجد الخمور في مثل هذه الاحتفالات فيزداد الأمر حرمة.

خامسًا- لو احتفل الناس بأعياد ميلادهم ونحن لا نجيز لهم ذلك، فلا يليق بالمفتي - وهو في مقام الأسوة والقدوة - أن يفعل ذلك، ولو أصر على ذلك وأبي إلا الابتداع فليصنع ذلك في بيته لا في الليونز المشبوه، فهو من أندية الماسونية التي أقيمت لمحاربة الدين، وكان يكفيه في اقتراف المعاصي أن يستتر بها لا أن يتجاهر بالاحتفال وسط السيدات والممثلين وأعضاء الليونز بحيث تتناقل الخبر المواقع «فإذا بُليتم فاستتروا» ولا أدري أيضًا لماذا لا يتم حساب العمر بالسنة الهجرية بدلًا من السنة الميلادية، فالأشهر العربية هي التي ارتبطت بها أحكام الشرع التكليفية، وواضح أن الانحراف عن الشرع عمى، وأن الابتداع لا بصيرة فيه ولا نور معه، والحق أبلج والباطل لجلج، وما احتج صاحب بدعة على بدعته بدليل إلا وكان في الدليل ما يرد عليه ويدحض بدعته.

سادسًا- لا يقولن أحدكم أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت ولكن وطّنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم، ولا يقلدن أحدكم دينه رجلًا، إن آمن آمن، وإن كفر كفر.

ونسأل الله تعالى لنا وللمفتي الهداية والتوفيق، والعصمة من الزلل والإعانة على المنصب، والقيام في هذه المهمة بحقها تأدية للأمانة، وإبلاغًا للرسالة، حتى لا نكون فتنة لكل مفتون، وإلا فالأمر إما جنّة وإمّا نار، والموقف عصيب غدًا بين يدي من لا تخفى عليه «أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد».

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين



الفاتيكان يدعو البنوك الغربية إلى تطبيق القواعد المالية الإسلامية لمواجهة الأزمة العالمية

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد .. فقد أكد الفاتيكان أنه يجب على البنوك الغربية النظر بتمعن في القواعد المالية الإسلامية من أجل العمل على استعادة ثقة عملائها في خضم هذه الأزمة العالمية وذكرت صحيفة (الاقتصادية السعودية) نقلًا عن تقرير لصحيفة (أوبسيرفاتور رومانو) الناطقة الرسمية باسم الفاتيكان أن التعليمات الأخلاقية التي ترتكز عليها القواعد المالية الإسلامية قد تقوم بتقريب البنوك إلى عملائها بشكل أكثر من ذي قبل، فضلًا عن أن هذه المبادئ قد تجعل البنوك تتحلى بالروح الحقيقية المفترض وجودها بين كل المؤسسات التي تقدم خدمات مالية، وجاء ذلك في الوقت الذي أثارت فيه الأرقام المخيفة لفقدان الوظائف في أمريكا خلال فبراير الماضي والتي بلغت ٦٥٥ ألف وظيفة قلق الرئيس باراك أوباما وكبار مساعديه الذين أعربوا عن أسفهم لوصول معدل البطالة إلى أعلى مستوياته منذ ٢٥ سنة، ولنا غدة تعليقات على هذا الخبر الذي نشرته جريدة المصري اليوم بتاريخ ١١ ربيع الأول الموافق ٨ مارس:

أولاً- انبهارنا بمطالبة الفاتيكان بالعودة إلى تطبيق القواعد المالية الإسلامية لمواجهة الأزمة العالمية وكذلك مطالبة رأس الكنيسة الإنجليزية بالعودة إلى الشريعة الإسلامية، وما شابه ذلك من مطالبات لا يثنينا عن محبة الخير للدنيا بأسرها ودعوة الخلق للدخول في دين الله وإسلام الوجه لله حتى يسعدوا في العاجل والآجل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ولا يجوز الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥]،



فما قيمة أن نكسب الدنيا ونخسر الآخرة؟.!!

ثانيًا- لا شريعة تفصيلية عند النصارى، فالإنجيل عبارة عن بعض الأخلاق والأحكام المكملة للتوراة، أما التوراة فهي شريعة مستقلة مثل القرآن ولذلك فالنصارى قد يقبلون أي شريعة، ومن الخطأ سؤالهم عن رأيهم في القضايا التفصيلية المعروضة كرأيهم في الربويات ونقل الأعضاء... وبالتالي فمطالبة الڤاتيكان وغيره مستوعبة.

ثالثًا- توهم البعض أن إصلاح السياسة هو المدخل لرخاء البلاد والعباد، وتوهم آخرون أن البوابة في إصلاح الاقتصاد، وهذه نظرات تخالف منهج الأنبياء والمرسلين، فما من نبي إلا وافتتح دعوته وختمها بقوله: «اعبدوا الله ما لكم من إله غيره»، «فاتقوا الله وأطيعون»، فكان لابد من تعبيد الدنيا بدين الله وتطبيق شرع الله في السياسة والاقتصاد والاجتماع والأخلاق في سائر شئون الحياة، وأن تعلم أن الحياة ممتدة زمانًا ومكانًا لأبد الآبدين، ومكانًا لجنة فيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فالحياة لا تقتصر على هذه اللحظات الفانيات.

رابعًا- عندما يطالب الأمريكان وغيرهم بأن تكون الفوائد على الودائع صفرًا، ويطالبون بإصلاح نظام الائتمان، ويضخون ٧٠٠ مليار دولارًا لإصلاح الاقتصاد الأمريكي وترقيعه، ويتكلم بعضهم عن أن حرب العراق وما استنزفته كانت سبب هذا الإنهيار... إلى غير ذلك من التصريحات، فهذا يثبت حالة الفشل الذريع في التعامل مع الدنيا، كما يثبت خطأ من انبهر بالدراسات الأمريكية والخبراء الأمريكيين، فكل شيء يتصادم مع الشرع مآله إلى الفشل إن عاجلًا أو آجلًا، «ولتعلمن نبأه بعد حين»، بل الحضارة الأمريكية والغربية آيلة إلى السقوط والأفول والإنهيار لأنها قامت على غير دين الله «يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون» وحتى الدنيا لا تصفو لهم.!!!

خامسًا- دوران الدول العربية والمسلمين في فلك الغرب وأمريكا سياسيًا واقتصاديًا.... بمثابة هلكة في الدنيا والآخرة، فالأزمة الاقتصادية الراهنة جرت معها دول الخليج وغيرها، ولذلك فلابد من عودة الدنيا إلى دين ربها، وتحقيق مفهوم الولاء

والبراء وأن نكون بما في يد الله أوثق منا بما في يد أنفسنا، فضلًا عن يد الغرب والأمريكان، وأن نقيم اقتصادنا الإسلامي بعيدًا عن عالم الربويات ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾، لماذا نضع أموالنا في بنوك الغرب ونرهن حياتنا بالأمريكان ؟!! ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾.

سادسًا- البعض يفسر الماء بعد العسر بالماء، وحساباته لا تزيد على لوثة مادية، ونظره لا يتعدى ما هو تحت قدمه، وذلك عندما يفصلون الدنيا عن الآخرة والأرض عن السماء والأسباب عن مسبباتها والمقدمات عن نتائجها، وكيف نفصل هذه الأزمة عن التطاول والتألي على الله والكفر بخالق الأرض والسموات وظلم الأمريكان والغرب للمسلمين في فلسطين والعراق وأفغانستان....... «وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليمٌ شديد»، وقال تعالى: «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرًا»، كيد وبغي، مكرٌ وتآمر، ظلم وعدوان، كفر وضلال.... شيء من ذلك كافٍ في دمار البلاد والعباد وليس الاقتصاد فحسب.

سابعًا- تتسع الأرزاق ويبارك فيها بتقوى الله والتوكل عليه سبحانه والجهاد في سبيله جل وعلا والحرص على بر الوالدين، وصلة الأرحام، والاستغفار والدعاء، وتفريج الكربات، وقضاء الحاجات ومتابعة الحج والعمرة والزواج... وبالجملة فالعمل بطاعة الله وترك الذنوب والمعاصي تتحقق به الخيرات والبركات في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾، وما تقدم من تقدم إلا بطاعة الله، وما تأخر من تأخر إلا بمعصية الله ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

التقارب الأمريكي الإيراني

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد .. فقد طالعتنا وسائل الإعلام برسالة من الرئيس الأمريكي أوباما يدعو فيها إيران لبداية جديدة وذلك عبر شريط فيديو في مناسبة عيد النيروز الذي يرمز للعام الجديد في إيران وكان الخطاب بالفارسية وحرص فيه على استخدام تعبير الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

ووُصفت رسالة أوباما إلى طهران بأنها قنبلة سلام، وذكر بعض الساسة بأن الهدف غير المباشر من تلك الرسالة هو إيجاد حل في العراق وأفغانستان ولبنان وإسرائيل وفلسطين، واعتبر البعض أن هذه الرسالة قد وضعت الأنظمة العربية في مأزق وأنها بمثابة المفاجأة لكل من تعامل مع إيران وكأنها أخطر من إسرائيل وأن الخطأ كان واضحًا في السير وراء الأمريكان بلا عقل استراتيجي على حد قولهم، وأن هذا التقارب الأمريكي الإيراني سيثير مخاوف الدول العربية.

وكان مما ذكره أوباما في خطابه: حكومتي ملتزمة الآن بالدبلوماسية التي تعالج كل القضايا التي تواجهنا ومتابعة العمل من أجل روابط بنَّاءة، وأن هذه العملية لن تتعزز بالتهديدات ونحن نسعى بدلًا من ذلك إلى حوار يكون خالصًا ويقوم على الاحترام المتبادل.

واشترط أوباما على الإيرانيين لبدء أي حوار التخلي عن السلاح ودعم ما سمّاه بالإرهاب قائلًا: إن واشنطن تريد أن تنال إيران المكانة التي تستحقها في المجتمع الدولي ودعاهم إلى إظهار القدرة على البناء والإبداع وممارسة الأعمال السلمية، التي تظهر العظمة الحقيقية للشعب الإيراني وحضارته.



ولنا عدة تعليقات على هذا التقارب:

أولًا- الحذر من التكريس للمجوسية وإثارة النعرة الفارسية، ومعرفة أن عيد النيروز ليس من أعياد المسلمين ولا يجوز التهنئة به، وأن صاحب الخطاب والأمريكان ليسوا فوق مستوى الشبهات.

ثانيًا- نرفض ظلم الأمريكان للإيرانيين، فالعدل أساس الملك، وبه قامت السموات والأرض ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المَائِدَة: ٨]، كما نرفض أيضًا امتلاك الأمريكان واليهود والإنجليز... للسلاح النووي في الوقت الذي يحرّمونه على الآخرين، ولا حرج على أهل الحق في أن يمتلكوا من السلاح والعتاد ما يرهبون به عدو الله وعدوهم.

ثالثًا- قد تكون نبرة الرئيس الأمريكي الجديد أقل حدة وشدة من سلفه، ويوصف الأول بأنه أكثر اعتدالًا وأقل تطرفًا، وبعض الشر أهون من بعض ويبقى الحذر من مسالك الأعداء وتوزيع الأدوار وتعليق القلوب بخالق الأرض والسماء لا بأوباما ولا بغيره، فالتوكل والرجاء والخوف يجب أن يكون من الله وحده، ومن السذاجة في هذا الصدد تقسيم الأعداء كاليهود مثلًا إلى حمائم وصقور أو تقسيم الأمريكان والشيعة إلى معتدلين ومتشددين.

رابعًا- لا ننسى أن الشيعة هم الذين فتحوا أبواب بغداد للأمريكان، كما فتحوها أمام هولاكو من قبل، واختلاف عقائد ومصالح الأمريكان مع عقائد ومصالح الشيعة لا تنسينا تحالف وتواطؤ الشيعة مع أعداء الإسلام والمسلمين، ونحن نرفض إسلام الشيعة، والأصول التي قامت عليها الدولة في إيران تخالف ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام، وما فعلوه من نكاية وتقتيل في أهل السُنّة في العراق لا يقل عما فعله الأمريكان.

خامسًا- شيعة العراق يشكلون خطرًا كبيرًا على الجيش الأمريكي هناك، وهذا الأمر له حسابه وتقديره، وبالتالي كان التلويح بضرب إيران أقرب إلى التهويش، وكان

لابد من التراجع عنه، بل مجرد فرض العقوبات على إيران يصبح فكرة صبيانية وخطأ كبيرًا كما وصفه الرئيس الإيراني.

سادسًا- أعلن في سنة ١٩٧٦ في باريس وتونس أنه أصبح من المقرر أن يقام في منطقتنا معسكر سُنِّي ومعسكر شيعي ويتزعم المعسكر السُني دولة من دول المنطقة، والمعسكر الشيعي دولة على أن تدار الحروب بينهما، وقد حدث ما خططوا له، فالشيعة أشبه بمخلب قط ويؤدون مصلحة بالغة لأعداء الإسلام ولم يطلقوا رصاصة واحدة على اليهود في أحداث غزة الأخيرة، وبالتالي فليس اكتشافًا أن يؤمن أوباما بأهمية الدور الإيراني في حل المشكلات التي يواجهها الأمريكان في العراق وأفغانستان ولبنان وإسرائيل وفلسطين، وهو نفس الدور المشبوه الذي مارسوه من قبل وما زالوا يمارسونه في تفتيت هذه الأمة والكيد لأهل السُنَّة.

سابعًا- الفارق كبير بين رجل العقيدة والمبدأ وبين رجل السياسة، فالأول شأنه كشأن صاحب يس لا يغير ولا يبدل، بل يثبت على عقيدته لا تزحزحه المناصب والأموال وقد يبيع نفسه رخيصة في سبيل عقيدته، أما السياسي الذي لا يؤمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا ولا بمحمد ﷺ نبيًا، فتارة تجده يتواطئ مع الأمريكان وبأخرى مع الشيوعيين حتى في الفتك بالمسلمين، قد يوالي الشيعة تارة ويعاديهم تارة أخرى، أي أن الغاية تبرر الوسيلة عنده، وهذه هي السياسة الميكافيلية والعقل المعيشي النفاقي الذي يسعى لتحقيق مصلحته الدنيوية المتوهمة حتى لو أتت على حساب دينه إن كان عنده شيء من دين.

ونحن بفضل الله لم نغير جلودنا ولم تتعلق قلوبنا بالرئيس الأمريكي الحالي ولا السابق وقد رفضنا الشيعة وعقائدهم المخالفة للكتاب والسُّنَّة ولم نعترف بثورتهم المحسوبة على الإسلام زورًا وبُهتانًا، ونسأله سبحانه الثبات على عقيدة أهل السُنَّة حتى الممات.

ثامنًا - نحن أحق بإقامة الدولة العالمية التي تقيم الحق في الخلق وتحكم بشرع الله في دنيا الناس بعيدًا عن الدوران في فلك الشرق تارة والغرب تارة أخرى، فلا يليق أن نكون ألعوبة في أيدي أعداء الإسلام، ينبغي أن يكون قرارنا نابعًا من ديننا، والولاء والبراء لا يمليه الأمريكان على هذه الأمة.

إن الحكومات العربية لا تنهض بديلًا عن الدولة الإسلامية ولا تقوم مقامها، ولا يفل الحديد إلا الحديد، وقد تتفاوت عداوة الشيعة والأمريكان لأهل الإسلام وهذا لا يمنعهم من الوقوف في خندق واحد في الكثير من الجبهات، فوجب الحذر والتحذير «يا أيها الذين أمنوا خذوا حذركم».

تاسعًا- تحليل الوقائع والأحداث، ومحاولة فهم دهاليز السياسة لا ينبغي أن يشغلنا عن منهج الأنبياء والمرسلين في تعبيد الدنيا بدين الله واستصحاب السُنن الشرعية والكونية وتأهيل النفس والأمة لتسلم زمام الريادة والقيادة، فالمستقبل لدين الله بغلبته وظهوره على الأديان كلها، ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

منع الزواج وعدم عقوبة الزناة قبل سن الثامنة عشر

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد.. فقد دأبت وزيرة الإسكان الجديدة على إصدار الآراء المناقضة لشرع الله وبالمصادمة لطبيعة هذا الشعب المسلم، فتارة تريد تجريم الزواج من الفتاة التي لم تبلغ الثامنة عشرة من عمرها، وشنت حملة لا هوادة فيها عبر كل وسائل الإعلام على ختان الإناث وأرادت تجريم تعدد الزوجات أو منعه، وتارة أخرى تنادي بعدم تجريم الفتيات اللاتي يمارسن الدعارة إذ لم يصل عمرهن إلى الثامنة عشرة، بما يعني منع البنت من الزواج قبل ١٨سنة مع إباحة الزنى لها !!!، وبمصطلح الشرع تحريم الحلال وتحليل الحرام، وهذه المعاني إن تمت سواء كانت عن عقيدة أو جهل. .. فمن شأنها أن تؤدي لمزيد من التحلل والفساد وإشاعة الرذيلة في البلاد والعباد، ومشابهة الغرب الذي تم استيراد هذه الآراء منه.

وهذه الوزيرة قد تمت ترقيتها من منصب أمين المجلس القومي للطفولة والأمومة إلى وزيرة سكان -رغم عدم التأهل لهذا المنصب أو ذاك- فالولاية والإمارة والمناصب يُقدم لها الأصلح والأمثل فالأمثل ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾، و«**لن يُفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**»، وباصطلاح العصر فهذه المعاني المثارة تعبر عن مرجعية غربية وأجندة أجنبية مستوردة تتعارض مع وجوب رد الأقوال والأفعال لكتاب الله ولسُنة رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ

يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[المَائِدَة : ٥٠] ، هذا الخطاب يتوجه للخلق كافة هنا وهناك فكيف يُحال بين المسلمين وبين دين الله، أو يُفرض عليهم غير شرع الله؟، فالخلافة والحكم موضع لإقامة الدين وسياسة الدنيا به، وتصرف الحاكم منوط بالمصلحة، وهذه المصلحة لا تتحقق إلا بتطبيق شرع الله في كل ناحية من نواحي الحياة.

والواجب علينا أن نكون على بصيرة من أمرنا وأمر الناس، وأن نقيم الحق في الخلق وما وسعنا الأمر، وقد بيّنت حكم ختان البنات في رسالة صدرت بهذا العنوان، وذكرت فيها مشروعية ختان البنات وأوردت النصوص الدالة على ذلك، وأن خلاف أهل العلم في هل هو واجب أم مستحب ولم يتحقق إجماع أطباء ولا غيرهم على منع الختان، فالأطباء كانوا وما زالوا يدرسون ويختنون البنات، وتعديل الشهوة مسألة تكلم بها ابن تيمية وغيره، والنساء شقائق الرجال في الأحكام، ولا يصح الاحتجاج بصور الجور والتعدي في الختان، فالعدل أساس الملك وبه قامت السموات والأرض.

كما رددت على مسألة تحريم تعدد الزوجات، وذلك في مقالة منشورة على الموقع وسبق أن ألفت كتابًا في هذا الموضوع بعنوان (نظرات في مسألة تعدد الزوجات) فليراجع، ولا يجوز لمخلوق أن يشرع مع الله، فالتعدد لمصلحة المرأة والرجل والمجتمع، أما الزواج العرفي فله صور كثيرة بعضها يحل وبعضها يحرم، والضابط عندنا موافقة الولي والشهود والإيجاب والقبول، أما الوثيقة التي يكتبها المأذون فهي لضمان الحقوق فقط، ويصح الزواج بدونها إذا تم وفق الضوابط الشرعية، ولا يصح للمرأة أن تزوج نفسها ولا أن تزوج المرأة المرأة، فلا نكاح إلا بولي، بل لا يجوز تزويج الأبعد في وجود الأقرب إلا لو أعضلها الأقرب عن زواج الكفؤ المناسب. طالع كتابنا في ذلك « الزواج العرفي».

أما منع الزواج حتى تبلغ الفتاة الثامنة عشر من عمرها فهذا تحكم فارغ وتجبر واسع ومصادمة لشرع وواقع، فقد تزوج النبي ﷺ من أم المؤمنين عائشة ﵂ وهي دون هذا السن، والمرأة مستعدة للزواج في سن مبكر، وواقع الأمهات والجدات شاهد على ذلك، فإذا أتاها الكفؤ فمن الذي يمنعها من الزواج، ومن الذي يعوقها (لا عقل ولا فطرة ولا

خبرة ولا واقع وقبل ذلك لا شرع يمنع)، والمصلحة تتحقق بالزواج والمفسدة والمضرة إنما هي في منعه، وتصرف الحاكم منوط بالمصلحة، ولا يجوز إجراء المعاني وفق ما عليه الغرب، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]

والطامة الأخيرة في هذه التصريحات وهذه الآراء: القول بمنع عقوبة الدعارة قبل سن الثامنة عشر، الأمر الذي لا يمكن أن نجد له مبررًا ولا أن نلتمس لصاحبته عذرًا إذا ما انضاف إلى سيل التصريحات المخالفة لشرع الله والمصادمة لمشاعر المسلمين، والمناقضة للعقل والفطرة، كيف يشرع البشر ويسنون القوانين التي تحرم الزواج قبل هذا السن، بينما لا يجرمون الزنى فيه، فمن الأمور التي ينبغي أن لا يختلف عليها في إقامة حد الزنا (العقل والبلوغ والاختيار والعلم بالتحريم)، ويثبت الحد بالإقرار أو الشهود، وبذلك وردت النصوص الشرعية، فلا حد على صغير (ويكتفي بتأديبه تأديبًا زاجرًا)، ولا على مجنون ولا مكره لما روته عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل**» [رواه أحمد وأصحاب السُنن والحاكم، وحسنه الترمذي]، وتحديد سن الثامنة عشرة لن تجده في كتاب من كتب الفقه ولا على لسان عالم من علماء الأمة، فمن أين أتوا به؟!، إلا أن يُقال هؤلاء يفتأتون على دين الله ويشرعون شرعًا لم يأذن به الله، وكل ذلك مردود على صاحبه كائنًا من كان، ونسأل الله تعالى أن يُبرم لهذه الأمة أمر رشد يُعز فيه أهل طاعته ويُذل فيه أهل معصيته، ويؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر، هو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الموت الإكلينيكي وحكم نقل الأعضاء

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه.

أما بعد .. فقد كثر الكلام في الأونة الأخيرة عن الموت الإكلينيكي وحكم نقل الأعضاء البشرية من مريض (موت جذع المخ) دون الاعتداد بباقي مظاهر موته، وقد تخوف البعض من قتل الأحياء من الفقراء، واعتبروا إصدار مثل هذه القوانين يعني قتل المرضى لصالح الأغنياء وتأكيدهم أن هناك العديد من مرضى جذع المخ قد تماثلوا للشفاء، ويتحرج بعض الأطباء في رفع أجهزة الإنعاش مع التشخيص بموت الدماغ كما يتحرج الأهالي وخصوصًا مع التكاليف الباهظة والمعاناة بتكرار رؤية مريضهم جثة هامدة، والوصول إلى درجة الإحباط هذه لمعرفتهم بعدم الجدوى من الجهود المبذولة، وقد يحتاج الطبيب لأجهزة الإنعاش لمريض آخر يكون إنقاذ حياته ممكنًا، وقد سمعنا عن حالات بقيت تحت أجهزة الإنعاش مدة سنين، وربما ظلت الشعوب محكومة بحاكم ميت موضوع تحت أجهزة الإنعاش في غرف العناية المركزة، وقد اطلعت على بحث قيّم في المسائل الطبية المستجدة وهو عبارة عن رسالة دكتوراة لمحمد عبد الجواد حجازي تعرض فيها لحكم رفع أجهزة الإنعاش وغيرها من المسائل المستجدة، ونبدأ بذكر ما جاء في كتابي أخطاء شائعة في البيوع بشأن موضوع زراعة الأعضاء:

الدم وأعضاء الإنسان لا تتقوم بثمن، ولا يملك العبد الحق في بيع أجزائه ولكن يجوز التبرع بها على سبيل الإثابة المحضة في حالات الاضطرار، فإذا لم يجد المضطر متبرعًا جاز له الشراء دفعًا للهلكة عن نفسه ويكون الإثم على البائع، ولو رصدت مبالغ للمتبرعين بالدم ونحوه من قبل المؤسسات والهيئات، فعلى المتبرع أن ينفقها في مصالح المسلمين وقد رأى مجلس المجمع الفقهي أن استدلالات القائلين بالجواز بشأن موضوع زراعة الأعضاء هي الراجحة ولذلك انتهى إلى القرار التالي:

أولاً- أن يأخذ عضو من جسم إنسان حي، وزرعه في جسم إنسان آخر مضطر إليه لإنقاذ حياته، أو لاستعادة وظيفة من وظائف أعضائه الأساسية هو عمل جائز لا يتنافى مع الكرامة الإنسانية بالنسبة للمأخوذ منه، كما أن فيه مصلحة كبيرة وإعانة خيرة للمزروع فيه، وهو عمل مشروع وحميد إذا توفرت فيه الشرائط التالية:

١- أن لا يضر أخذ العضو من المتبرع به ضررًا يخل بحياته العادية، لأن القاعدة الشرعية أن الضرر لا يزال بضرر مثله ولا بأشد منه، ولأن التبرع حينئذٍ يكون من قبيل الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وهو أمر غير جائز شرعًا.

٢- أن يكون إعطاء العضو طوعًا من المتبرع دون إكراه.

٣- أن يكون زرع العضو هو الوسيلة الطبية الوحيدة الممكنة لمعالجة المريض المضطر.

٤- أن يكون نجاح كل من عمليتي النزع والزرع محققًا في العادة أو غالبًا.

ثانيًا- تعتبر جائزة شرعًا بطريق الأولوية الحالات الآتية:

١- أخذ العضو من إنسان ميت لإنقاذ إنسان آخر مضطر إليه بشرط أن يكون المأخوذ منه مكلفًا وقد أذن بذلك حال حياته.

٢- أن يؤخذ العضو من حيوان مأكول ومذكى مطلقًا، أو غيره عند الضرورة لزرعه في إنسان مضطر إليه.

٣- أخذ جزء من جسم الإنسان لزرعه أو الترقع به في جسمه نفسه، كأخذ قطعة من جلده أو عظمه لترقيع ناحية أخرى من جسمه بها عند الحاجة إلى ذلك.

٤- وضع قطعة صناعية من معادن أو مواد أخرى في جسم الإنسان لعلاج حالة مرضية فيه كالمفصل وصمام القلب وغيرهما، فكل هذه الحالات الأربع يرى المجلس جوازها شرعًا بالشروط السابقة.

وهذه القضية من جملة القضايا المعاصرة المستجدة والتي تدلك بوضوح على أن باب الاجتهاد لا يمكن إغلاقه إذ يفتح على من تأهل لذلك، ومن جهة أخرى فهي نموذج من نماذج وفاء الشريعة باحتياجات البشرية في كل زمان ومكان، والحمد لله الذي رضي لنا الإسلام دينًا.

وإليك حكم ما جاء في رفع أجهزة الإنعاش من كتاب المسائل الطبية المستجدة:

الفرع الأول- في حالة الشخص الذي يستفيد من تركيب أجهزة الإنعاش له الشخص في هذه الحالة على صنفين:

الأول- من تعينه الأجهزة على عودة القلب والتنفس واستمرار عودتهما مع استرداد وعيه، وبالتالي استفادته من أجهزة الإنعاش.

الثاني- من تعينه الأجهزة على عودة القلب والتنفس واستمرار عودتهما مع كونه في حالة غيبوبة.

وهي الحالة التي اختلف في تسميتها إلى «الحياة النباتية» و«الحياة الخلوية» و«حياة جسدية» وتنتج عن موت جزء من الدماغ هو «المخ» مركز التفكير والذاكرة والإحساس والحركة والإرادة.

ويمكن للمريض والحالة هذه الاستغناء عن أجهزة الإنعاش كما في حالة «كارين ان كونيلان» التي عاشت حياة نباتية وأوقفت أجهزة الإنعاش عنها بأمر المحكمة في مايو ١٩٧٦ إلا أنها استمرت في حياتها لمدة عشر سنوات تقريبًا، وهي تعيش على التغذية بالمحاليل، وعلى أجهزة الإنعاش من حين لآخر.

الحكم الشرعي لاستعمال أجهزة الإنعاش في هذه الحالة متوقف على معرفة «حكم التداوي» الذي عقدنا له المبحث من هذا الفصل، وبناءً عليه، فقد اختلف في حكم استعمال أجهزة الإنعاش على قولين:

القول الأول- أنه واجب كفائي، وهو قول الشيخ محمد المختار السلامي.

أما كونه:

١ - واجب فذلك أن حالة الإنعاش تختلف عن أي حالة من حالات الاضطرار التي تقلب حتى حكم التحريم إلى الوجوب حفاظًا على الحياة التي هي من المقاصد الضرورية الخمس، واعتبار غير الوجوب في الإنعاش تبعًا لحكم التداوي يلزم منه المغايرة بينها عند الشيخ السلامي.

٢ - كفائي، فإن خاصية الواجب الكفائي أن كل فرد من الأفراد المؤهلين للقيام بالعمل إذا قام به البعض وتحقق سقط الطلب، وهذا يقتضي:

(أ) أن وجود الاختصاصيين في الإنعاش واجب، تأثم الأمة كلها إذا لم تعتن بتخريج هذا النوع من الأطباء.

(ب) أن إعداد الأجهزة وأدوية الإنعاش بالقدر والمُمَكّن من الاستفادة منه هو واجب كفائي أيضًا تتحمله الدولة أولًا.

(جـ) أن واجب الاختصاصي أو المجموعة موالاة رقابة المصاب مراقبة تحقق الهدف من الإنعاش، وهناك يكون كل تقصير متعمد موجبًا لتحمل المقصر مسؤولية نتائج التقصير.

القول الثاني- أنه مندوب، وهو قول الشيخ عبد القديم يوسف.

وذلك من قبيل الأخذ بما ترجح عنده في التداوي وأنه مندوب إليه، يقول: «وإذا عرفنا أن حكم التداوي الندب سهل علينا أن نعرف حكم استعمال أجهزة الإنعاش الطبية الصناعية الحديثة، فيكون حكمها جواز استعمالها، وتكون مندوبة خاصة لمن يرى الأطباء أنها لازمة لتركب على جسمه، ومادام استعمالها مندوبًا فإن بقاءها مشغلة على من ركبت على جسمه حتى تموت أجهزة جسمه الرئيسية ليس بواجب.

الترجيح:

سبق وأن رجح الباحث عند بحث التداوي أنه مندوب، وعليه فإنه يترجح لديه أن استعمال أجهزة الإنعاش للشخص الذي يستفيد من تركيبها له مندوب إليه أيضًا.

حكم رفع أجهزة الإنعاش:

من خلال عرضنا لحكم استعمال أجهزة الإنعاش يظهر منه خلاف في حكم رفعها على قولين:

القول الأول- أنه يحرم.

وهو المتوجه من كلام الشيخ محمد المختار السلامي في حالة حاجة المريض للأجهزة وعملها في إنقاذه لتحقيق هدف الإنعاش.

أما حالة «الحياة النباتية» فقد جعلها الشيخ السلامي مع موت الدماغ وخلط بينهما على أنهما حالة واحدة، وبالتالي لا يستنتج لها من قوله حكم الوجوب في الإنعاش والحرمة في ر فعه.

القول الثاني- أنه يجوز.

وهو المتوجه من كلام الشيخ عبد القديم يوسف، في حالة «الحياة النباتية» عند موت المخ جزء الدماغ.

وعلى ذلك فيظهر أن الخلاف في المسألة شكلي، ونهايته: أن الشخص إذا كان فيه حياة مستقرة واعية لا تنزع عنه الأجهزة ما دامت تحافظ على حياته، أما إن كانت حياته المستقرة غير واعية ويعاني من غيبوبة وهي حالة الحياة النباتية فإنه يجوز رفع الأجهزة ولا يتحمل الطبيب ضمانًا ولا مسؤولية عن ذلك.

الفرع الثاني- في حالة الشخص الذي مات دماغه:

أي مات دماغه بجميع أجزائه أو مات جذع الدماغ فقط.

يرى الأطباء أن جملة من الأضرار تترتب على إبقاء المريض مرتبطًا بجهاز الإنعاش رغم تلف دماغه النهائي، وهي:

أ- أن في ذلك بذل جهد كبير فيما لا طائل تحته بل يقرب من كونه نوعًا من العبث، حيث أثبتت الدراسات العملية أن من توفرت فيه كل شروط تشخيص موت الدماغ قد وصل إلى نقطة اللاعودة، وأن توقف بقية الأعضاء عن العمل لابد أن يحدث بعده بمدة.

ب- غرف العناية المركزة في كل مستشفيات العالم محدودة ومخصصة لإعطاء عناية متواصلة في كل ثانية حتى تستقر حالة المريض الصحية، وهم بحاجة ماسة لمثل هذه المراقبة والعناية، ووجود مريض تلف دماغه نهائيًا على هذه الأجهزة يحجز مكان مريض آخر يكون إنقاذ حياته ممكنًا بإذن الله.

جـ- تكاليف العناية المركزة باهظة سواء تحملتها الدولة أو الفرد، فمن الأولى إنفاقها فيما يعود بالنفع على المريض أو أسرته بدلًا من إهدارها بما لا جدوى منه؟.

د- العاملون في وحدات العناية المركزة يصابون بالإحباط لمعرفتهم بأن مآل جهودهم آلي، يؤثر ذلك على مستوى عنايتهم بالمرضى الآخرين.

هـ- تزداد آلام أقارب المريض وذويه ومعاناتهم بتكرار رؤيتهم له جثة هامدة.

لهذا كله تصدى مجموعة من الباحثين في الفقه لهذه المسألة، وبينوا حكمها الشرعي، فكان اتفاقهم على جواز رفع أجهزة الإنعاش عن الشخص الذي مات دماغه، ومن ذلك ما جاء عن لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف الكويتية في جلستها المنعقدة في ١٩٨١/ ١٢/ ١٤، ورأى كل من د. توفيق الواعي، والشيخ محمد مختار السلامي، والشيخ بكر أبو زيد، ود. محمد سعيد رمضان البوطي، والباحثة ليلى أبو العلا.



وعليه قرر مجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وقرار المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي.

وقد اشترط هؤلاء لجواز رفع الأجهزة، شرطين:

الأول- أن يكون الشخص ميئوس منه، ولا يوجد أدنى أمل في شفائه، وأنه لا يعيش أكثر من عدة أيام مع وضع هذه الأجهزة عليه، وهذا القرار للأطباء على وجه القطع في الإخبار.

وقد اشترط المجمع الفقهي الإسلامي للرابطة أن يكون هذا القرار من لجنة مكونة من ثلاثة أطباء اختصاصيين خبراء، في حين لم يأت قرار مجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي على ذكر العديد، وينبغي أن يكون قرار الأطباء متضمنًا بيان أن جميع وظائف دماغه قد تعطلت تعطلًا نهائيًا وأن هذا التعطل لا رجعة فيه، وزاد مجمع الفقه الإسلامي للمنظمة أن يأخذ دماغه في التحلل.

أما الشيخ بكر أبو زيد، فقد نص على اعتبار قرار «الطبيب المختص المتجرد من أي غرض أن الشخص ميئوس منه».

فإن كان الشخص غير ميئوس منه أو هناك أدنى أمل في شفائه فلا ترفع الأجهزة حتى يصل إلى حد اليأس أو يصل إلى السلامة.

الثاني- توفر الداعي لفصل الأجهزة.

وهو أحد أمرين:

(أ) إذا كانت أجهزة الإنعاش التي خصصت لهذا الذي مات دماغه والتي أبقيناها على هذا الجسم قد وجد من هو أحوج لهذه الأجهزة منه من حيث تحقق شفائه بها أو وجود حياة كاملة فيه.

(ب) إذا كانت النفقات التي يتطلبها مواصلة الإنعاش تلتهم من الرصيد المالي ما يعود بالضرر على مستوى العلاج لبقية المرضى كحالة الدول التي لا تمتلك قوة مالية.

فإن توفر الداعي عند القائل به جاز رفع الأجهزة، ويكون الأمر متروكًا للطبيب إن شاء أبقاه تحت هذه الأجهزة أو صرفها عنه.

وقد استدلوا للجواز بما يلي:

(أ) أنه برفع الأجهزة لا يوقف علاجًا يرجى منه شفاء، وإنما يوقف إجراء لا طائل من ورائه في شخص محتضر.

(ب) أن فيه إنهاء لما يؤلمه من حالة النزع والاحتضار.

الفرع الثالث- في حالة الشخص الذي مات تمامًا.

أي بموت أجهزته من الدماغ والقلب ومفارقة الحياة لهما، ففي هذه الحالة يتوقف القلب والتنفس ولا يعودان للاستجابة لأجهزة الإنعاش، وبالتالي يحكم بموت هذا الشخص.

ويتفق الأطباء والفقهاء على رفع الأجهزة لتحقق الوفاة.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

ضرب التلاميذ في المدارس

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فمن الأخبار المألوفة أن تسمع بين حين وآخر عن تلميذ وقع صريعًا بسبب ضرب المدرس له، ورغم الأوامر المشددة بمنع الضرب في المدارس إلا أن الحوادث لا تكاد تنتهي، وكنا قد قرأنا عن الطفلة التي ماتت بسبب الخوف من الضرب مما يوضح مدى العنف في العقوبة وما يترتب على ذلك من معاناة وترويع الأولاد في هذه السن الصغيرة.

وتظل الدوافع والمبررات في هذا الضرب الذي قد يُفضي إلى الموت، أن المدرس كان يقصد التأديب والتربية ولم يكن يتصور أن الضرب سيصل بالتلميذ إلى هذا الحد، والبعض لربما سمع عن الضرب في الكتاتيب أو أقام نفسه مقام الوالد.... وكلها شبهات لا ترتقي ولا تصلح عذرًا لصاحبها في ارتكاب هذه الجناية وممارسة هذا الغشم الذي يُحوّل الأولاد إلى جثة هامدة، ومرتكب هذا الفعل يدور بين قتل العمد وشبه العمد وأحسن الأحوال أن يُقال قتل خطأ (وفيه الدّية مائة من الإبل في الذكر، والأنثى على النصف من ذلك، كما أن فيه الكفارة وهي عبارة عن صيام شهرين متتابعين).

وقديماً قالوا: «ما عُصي الله إلا بالتأويل»، إن صور التربية والتأديب كثيرة وعديدة، وإذا وصل الوالد والمعلم إلى مرحلة الضرب فعلى جهة الشفقة والرحمة لا على جهة التشفي والانتقام كما هو الواقع، والضرب كما يقرر العلماء قد يكون بمثل الفوطة والسواك بحيث لا يُحدث عاهة وإذا استخدم الإنسان السوط كما في إقامة الحدود، فلا يصح أن يرفع الضارب يده بحيث يُرى بياض إبطه، ولا أن تكون اليد ملتصقة بالجنب -أي بين بين- وخير الأمور أوسطها، وقد ذكرت في كتاب «الإشكالية المعاصرة في

تربيية الطفل المسلم» بعض المعاني المتعلقة بتأديب وتربية الأطفال وكيف يكون التدرج في العقوبة، وهذا نصه:

ضوابط المصلحة في إنكار المنكر

الصبي الذي لم يبلغ، ليس من أهل التكليف، ولا يأثم ولا يصير عاصيًا بشربه الخمر أو لبسه الحرير والذهب مثلًا، وإن كانت هذه الأشياء تُعد من جملة المنكرات في حقه ويجب علي والديه أو ولي أمره، أن يقوم بإزالتها وإلا لحقه الإثم هو دون الصبي، وإزالة المنكر تكون بحيث تتحقق المصلحة وتندفع المضرة والمفسدة، وذلك لا يتم إلا بمعرفة فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراعاة ضوابط وآداب الإنكار، وقد استخلص العلماء قواعد كثيرة من نصوص الكتاب والسُنة تتعلق بهذا الجانب مثل درء المفسدة مقدم علي جلب المصلحة، وتحصيل أعظم المصلحتين بدفع أدناهما عند المعارضة وعدم إمكان الجمع وكذلك التزام أخف المفسدتين بتفويت أعظمهما في حالة عدم الاستطاعة على دفع كليهما، وقاعدة: الضرر يزال، والضرورات تبيح المحظورات، والضرورات تقدر بقدرها.

فالتزام نصوص الشريعة من شأنه أن يحقق مصلحة الكبير والصغير في العاجل والآجل، فإذا كانت المنكرات قد زادت وغلبت علي الأوضاع مما أوجد الكثير من الإشكاليات، فالواجب علينا أن لا ننكر المنكر بمنكر أعظم أو أشد، وليس لنا أن نثبت المنكرات ونأتي بالمزيد منها، أو أن نتلف النفس في غير مصلحة شرعية، أو أن نجر الأذي والمضرة علي الأهل والإخوان بإنكارنا المنكرات، فجانب الإنكار علي الصغير أو الكبير لا يخضع للحماسات أو العاطفيات أو النوايا الطيبة فحسب، فلابد فيه من نية وصحة أو إخلاص ومتابعة، وهذا يتطلب منا معرفة أصول التربية الإسلامية والإلمام بجميع جوانبها حتي يقوموا بها خير قيام.

وجوب تأديب الأولاد:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

قال عليّ: علموهم وأدبوهم، وقال الحسن: مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير. وفي المسند وسنن أبي داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع**».

قال سفيان الثوري: ينبغي للرجل أن يُكره ولده علي طلب الحديث فإنه مسؤول عنه، وقال: إن هذا الحديث عِزٌّ، ومن أراد به الدنيا وجدها، ومن أراد به الآخرة وجدها، وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أدِّب ابنك فإنك مسؤول عنه، ماذا أدبته وماذا علمته؟ وهو مسؤول عن برِّك وطواعيته لك، وقال البعض: لاعبه سبعًا وأدبه سبعًا وصاحبه سبعًا.

وقال سعيد بن منصور: حدثنا حزم، قال: سمعت الحسن وسأله كثير بن زياد عن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] فقال: يا أبا سعيد: ما هذه القرة للأعين، أفي الدنيا، أم في الآخرة؟ قال: لا، بل والله في الدنيا، قال: وما هي؟ قال: والله أن يُري الله العبد من زوجته، من أخيه، من حميمه طاعة الله، لا والله ما شيء أحب إلى المرء المسلم من أن يرى ولدًا، أو والدًا، أو حميًا، أو أخًا مطيعًا لله عَزَّ وَجَلَّ.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ « **كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير راعٍ علي الناس وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع عن أهل بيته، وامرأة الرجل راعية علي بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع علي مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته** » [رواه البخاري]، فعلينا أن نحسن اسم الصبي وأدبه وإذا بلغ ينبغي إعانته علي الزواج.

أقوال نافعة في التأديب والتربية:

لقد أدي انفصال الدنيا عن الآخرة في عهود الغربة إلي ضياع معني التأديب والتربية فأصبح المؤدب والمربي يدرس فنون الإيتيكيت وعلوم النفس بينما يجهل الكثير من معاني التربية التي وردت في كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ وأنَّى لنفس أن تتربى بعيدًا عن شرع ربها، ولذلك لما قيل للبعض: هل قرأت أدب النفس لأرسطو، قال: بل قرأت أدب النفس لمحمد بن عبد الله ﷺ، ومن المعلوم أن النبي ﷺ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

وعلي هذا النبع الصافي «الكتاب والسُنة» تربي صحابة النبي ﷺ ومن تابعهم بإحسان، وحرص الأفاضل على تربية أولادهم عليه، وكان عندهم من فنون التربية وأصولها ما هو أعظم مما وجد عند الفلاسفة ومما أُخذ من التجارب الحيوانية من نظريات، ومن جملة ما ذُكر:

١ - أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنيّ إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلمهم سير الحكماء وأخلاق الأدباء وتهددهم بي، وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتي يعرف الداء ولا تتكلن على عذر مني، فإني قد اتكلت على كفاية منك.

٢ - ولما دفع هارون الرشيد ولده الأمين إلى المؤدب قال له: يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة وطاعتك له واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروِّه الأشعار، وعلمه السُنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، ولا تُمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا

تمعن في مسامحته، فيستحلي الفراغ ويألفه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة.

٣- وقال عبد الملك بن مروان ينصح مؤدب ولده: علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، واحملهم على الأخلاق الجميلة، وروِّهم الشعر يشجعوا وينجدوا، وجالس بهم أشراف الرجال وأهل العلم منهم، وجنبهم السفلة والخدم فإنهم أسوأ الناس أدبًا، ووقرهم في العلانية وأنبهم في السر، واضربهم على الكذب، إن الكذب يدعو إلى الفجور، وإن الفجور يدعو إلى النار.

٤- وقال أحد الحكماء لمعلم ولده: لا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن إحكاك العلم في السمع وازدحامه في الوهم مضلة للفهم.

٥- وذكر البعض في تربية الولد: أن يكون مع الصبي في مكتبه صِبيةٌ حسنةٌ آدابُهم، مرضيةٌ عاداتُهم لأن الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذُ وبه آنسُ.

٦- وقال هشام بن عبد الملك لسليمان الكلبي مؤدب ولده: إن ابني هذا هو جلدة ما بين عيني، ولقد وليتك تأديبه، فعليك بتقوى الله، وأدِّ الأمانة، وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله ثم روِّه من الشعر أحسنه، ثم تخلل به في أحياء العرب، فخذ من صالح شعرهم وبصره طرفًا من الحلال والحرام، والخطب والمغازي.

٧- خير ما نختم به هذه الوصايا عظة لقمان لولده، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٦ - ١٩].

التدرج في عقوبة الطفل:

يلجأ بعض الناس إلي ضرب الصبي بل وتحريقه بالنار أو تخويفه بها مع كل خطأ يقع فيه، وهذا لا يصح مع الكبير فضلًا عن الصغير، فإذا كان التأديب ضرورة تربوية، فلابد من التدرج في تأديب الطفل، ولابد بداية من تصحيح خطأ الطفل فكريًا ثم عمليًا.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :أخذ الحسن بن عليّ رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ: «**كخْ. كخْ. ارم بها، أما علمت أنّا لا نأكل الصدقة**».

وروي أبو دواد عن عبد الرحمن بن أبي علقمة: عن أبيه، وكان مولي من أهل فارس، قال: « **شهدت مع النبي ﷺ أحدًا فضربت رجلًا من المشركين فقلت: خذها وأنا الغلام الفارسي، فالتفت إليّ رسول الله ﷺ فقال:** « **هلا قلت وأنا الغلام الأنصاري ابن أخت القوم منهم** ».

وروى أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: « **أن رسول الله ﷺ مر بغلام يسلخ شاة ما يُحسن فقال له رسول الله ﷺ: «تنح حتي أريك، فأدخل يده بين الجلد واللحم فدخَسَ بها حتى دخلت إلي الإبط ثم مضى فصلي للناس ولم يتوضأ»** .

فإذا أصر الطفل على ارتكاب الخطأ بعد تعليمه وتفهيمه فلا بأس بإظهار السوط له، فقد روى البخاري في « الأدب » عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ « **أمر بتعليق السوط في البيت** »، ولا حرج في شد أذنه، لما ورد في كتاب ابـن السني عن عبد الله بن يُسْر المازني الصحابـي رضي الله عنه قال: « **بعثتني أمي إلى رسول الله ﷺ بقطف من عنب فأكلت منه قبل أن أبلغه إياه، فلما جئت أخذ بأذني وقال: يا غُدر**» .

فإذا لم يرتدع الصبي جاز ضربه دون إتلاف، ولابد من مراعاة قواعد الضرب الصحيحة التي وردت في السُنن، كأن يكون ابتداء الضرب في سن العاشرة، وأقصى الضربات عشر، ولا يضرب الوجه أو الفرج أو الرأس، وليحذر الغضب الذي يخرجه

عن حد الاعتدال، وليتجنب السب والشتم البذيء، وأن يكون الضرب مفرقًا معتدلًا لا يحدث عاهة أو يكسر عضوًا، فإذا ذكر الطفل ربه، فارفع يدك عنه لما رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ضرب أحدُكم خادمه فذكر الله فارفعوا أيديكم** »، وكذلك الأمر بالنسبة للصبي، فالضرب ليس للانتقام والتشفي، وإنما هو للتأديب ولا يصح التحريق بالنار لورود النهي عنه وقد نهى النبي ﷺ عن المُثلة.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

اشتراط موافقة القاضي على أمر التعدد !!!

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد .. فمن المطالبات التي يريدون إقرارها أن يتقدم الرجل الذي يريد التعدد بدعوى قضائية يبرر فيها مدى احتياجه لزوجة ثانية، وللقاضي وحده حق تقدير هذه الحاجة والسماح لصاحبها بالزواج بالثانية أو رفض الدعوى !!! وهذا الكلام وإن وافق عليه البعض إلا أنه يعتبر شاذ وغريب لعدة أسباب منها:

أولاً- تصرف الحاكم منوط بالمصلحة ولا مصلحة للأمة في حملها على ترك مستحب ولا بد هنا من التفريق بين تصرف الأفراد وتصرف الحاكم، فالفرد قد يترك أمر التعدد لسبب أو لآخر ولا يجب عليه التعدد، أما بالنسبة للحاكم فلا يجوز له وضع التشريعات التي تمنع أو تحد من تعدد الزوجات، شبيه بذلك مسألة تحديد النسل، فالمرأة قد تتعاطى وسيلة للتحديد بالضوابط الشرعية، وهذا يجوز لحديث جابر: «**كنا نعزل والقرآن ينزل فلو كان شيئًا يُنهى عنه، لنهى عنه القرآن**»، ولكن لا يجوز للحاكم أن يحمل الأمة على تقليل نسلها، ففي الحديث «**تناكحوا تناسلوا، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**»، وكذلك يجوز للناس أن يصلوا خلف كل بر وفاجر، فالعدالة ليست شرط في صحة الإمامة، ولكن لا يجوز للحاكم أن يوالي على الناس إمامًا فاسقًا.

ثانيًا- مَن الذي أعطى الحاكم أو القاضي هذه الوصاية على الأفراد ؟، فمن المعلوم أن الذين يعطى قد يمنع، والذي يوافق قد يرفض، وتقدير الاحتياج يتفاوت، والناس يلجأون إلى التعدد لأسباب عديدة، منها: حدة الشهوة والرغبة في كثرة الأولاد الأمر الذي لا تقوى عليه الزوجة، وقد يسافر الرجل ولا تستطيع امرأته السفر معه، ويخاف على نفسه من الفتنة، وقد تكون الزوجة مريضة فيرغب في التزوج عليها، وعقب الحروب يزيد عدد النساء على الرجال، بسبب القتل الذي يعتمل في الرجال خاصة، والنساء مستعدات للزواج وليس كل الرجال عندهم نفس الاستعداد، فالرجل هو الذي ينفق

ويُسكن وقد تزيد نسبة المواليد من الإناث على نسبة المواليد من الذكور، كما هو مشاهد، فيبقى أعداد كبيرة من النساء بلا زوج الأمر الذي يترتب عليه إشاعة الفاحشة، وقد ورد في أخبار الساعة أن الرجل يتبعه أربعون وخمسون امرأة، والحاصل أن الدواعي كثيرة والتعدد لمصلحة الرجل والمرأة والمجتمع، فكيف يقدر القاضي حدة الشهوة أو خوف الفتنة عند من أراد التعدد؟!!، وما يكون الشأن لو كانت سياسة الدولة تحديد النسل، فهل سيوافق القاضي على التعدد لهاذا السبب ؟!!.

ثالثًا- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَانكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ [النِّسَاءِ :٣] ، والأمر في الآية للإباحة لا للوجوب، فمن خاف الجور والتعدي فليمسك واحدة وليس له التعدد حتى لا يأتي يوم القيامة وإحدى شقيه مائل، والعدل أساس الملك، وبه قامت السموات والأرض، والعدل الواجب إنما هو في النفقة، والمبيت والسكنى لا في الحب والإتيان، إذ القلوب لا يملكها إلا الله، وهذا هو الذي ينطبق عليه قوله تعالى: «ولن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة» ولا معارضة بين الآيات فقدخرجت من مشكاة واحدة، والآية لا تعني معنى التعدد، وقد كان النبي ﷺ يعدل بين نسائه في النفقة والمبيت والسكنى ويقول: «**اللهم هذا قسَمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك**» راجع كتابي: نظرات في مسألة تعدد الزوجات».

رابعًا- التعدد موجود في حياة الأنبياء والمرسلين كداوود وسليمان ونبينا-صلوات الله وسلامه عليهم- فقد طاف نبي الله سليمان على مائة امرأة، وكان للنبي ﷺ تسع من النسوة، وهذه خصوصية له ﷺ وإلا فقد أبيح التعدد لرجال الأمة على ألا يزاد على الأربع، وقد كان التعدد معمولًا به في الجاهلية، فقد أسلم غيلان الثقفي وتحته تسع من النسوة فأمره النبي ﷺ أن يمسك أربعة وأن يفارق الباقين، ومن الصحابة من تزوج بأكثر من واحدة، ومنهم من تزوج بواحدة وشغلته العبادة عن توفيتها حقها كعبد الله

بن عمرو بن العاص، فقد اشتكته امرأته إلى أبيه وقالت: صالح غير أنه لم يطأ لنا فرشًا من خمسة عشر يومًا، واشتكاه الأب بدوره لرسول الله ﷺ، ومن الصحابة من لم يستطع الزواج بواحدة كبعض أهل الصُّفة ممن كانوا يسكنون مؤخرة المسجد على عهد رسول الله ﷺ، ولم يتزوج الإمام النووي ولا شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان عمر يقول لمن امتنع عن الزواج (ما يمنعك إلا عجزٌ أو فجور).

خامسًا- انقضت قرون كثيرة متطاولة ولم نسمع بمثل هذا التشريع أو هذا الاشتراط، ولا يجوز إدخاله تحت بند المصالح أو القوانين الإدارية، فالمفسدة فيه واضحة وخصوصًا مع غربة الحال وانحراف الأوضاع، وإيصال البلاد والعباد لحالة مشابهة لحالة أهل الغرب الذين شاعت فيهم الرذيلة حتى قيل عن بابا الڤاتيكان في روما أنه كانت له ألف عشيقة، فالشرع المُطهر أباح تعداد الزوجات لا تعدد العشيقات، ولا يجوز العمل بالتشريعات المصادمة للكتاب والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، وقال: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، وقال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، وقال النبي ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا، كتاب الله وسُنَّتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض**»، وفي الحديث «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»، والباب الواسع هو تعليم الأمة ما جهلته من دين الله حتى نأمن الحيف والجور وحتى يصطلح كل فريق على حقه، لا التحكم بمثل هذه القوانين المقيدة والتي قد تمنع أمر التعدد وتفرض وصاية القاضي على الخلق، فماذا يصنع من تزوج بأخرى دون علم القاضي، هل سيبطل زواجه؟! وفي أي كتاب من كتب الفقه نجد عدم صحة التعدد إلا باشتراط موافقة القاضي؟!! وما حكم التعدد الذي تم في الماضي قبل صدور القانون؟!!! هل سيقام حد الزنى أو يحبس من تزوج بأخرى دون علم القاضي، وما حكم الأولاد، والطلاق والميراث.... ؟!!!

وإذا كان القانون الوضعي لا يرتب عقوبة على الزناة بالتراضي؟!! فماذا سيصنع مع من تزوج بأخرى وفق شرع الله؟!!

سادسًا-كل إنسان يؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ «وما منا إلا ورد ورُد عليه، والمؤمن رجّاع ولوّام، لا يصر على خطأ، والحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها التقطها وبدلًا من إشغال الأمة تارة بختان البنات، وتارة أخرى بتولية المرأة رئيسة ووزيرة وثالثة بالنّقاب. ...وعاشرة بعرض مسألة التعدد على القاضي، أقول بدلًا من ذلك: ياليتنا كحكام ومحكومين نطبق ما جاء في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ بحيث نصدر في سياستنا واجتماعنا وأخلاقنا واقتصادنا وحربنا وسلمِنا. ...عن دين الله، فالحلال ما أحله الله والحرام ما حرّمه الله والدّين ما شرّعه الله، وليس لنا إلا أن نقول: «سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»، وفّق الله الجميع للعمل بكتابه ولاتّباع سُنَّة نبيّه ﷺ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ



المحكمة الجنائية الدولية تطلب اعتقال البشير

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد.. فقد كان لصدور قرار المحكمة الجنائية الدولية باعتقال الرئيس السوداني البشير أصداء واسعة وردود أفعال متباينة، تكلم البعض عن إمكانية تنفيذ القرار، وخرج الرئيس السوداني في مظاهرة حاشدة يندد بالقرار ويتحداه بأنه سيكسر الحظر ويحضر بطائرته إلى مؤتمر القمة بقطر، ويعتبر البشير أول رئيس عربي يُتهم بارتكاب جرائم حرب، وجرائم ضد الإنسانية في دارفور، وتطالب المحكمة الدولية بتوقيفه ومثوله أمامها، وقد تم التمهيد لهذا القرار منذ فترة.

ولا يخفي أطماع الغرب والأمريكان واليهود في الاستيلاء على ثروات أفريقيا والتحكم في منابع نهر النيل، وقد اكتشفت في الأونة الأخيرة ثروات ضخمة من البترول وغيره من الموارد الطبيعية بالسودان، هذا بالإضافة إلى أن هذا البلد يشكل عمقًا أمنيًا استراتيجيًا بالنسبة لمصر، والسودان لو أحسن استثماره لكان بمثابة سلة غذاء للعرب جميعًا ووسيلة لتحقيق الاكتفاء في هذا الجانب، ولذلك فالتدخلات الأجنبية وتزويد أطراف النزاع بالسلاح أمر يتم في وضح النهار.

لقد تم تقسيم السودان إلى شمال وجنوب، وها هي الصراعات والحروب الأهلية تتفجر في هذا البلد كما حدثت من قبل في الكنغو ورواند وزيمبابوي لتكون ذريعة للتدخل والهيمنة ونهب الثروات والاستيلاء على البلاد والعباد ولمزيد من إبعاد هذه الأمة عن دين ربها، وما حدث في السودان ومن قبل في العراق لا يُستبعد حدوثه في مصر والسعودية، فالأمة ككل مستهدفة، وأعداء الأمس هم أعداء اليوم، لا يعدمون الذرائع والمبررات ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾، ولذلك كان لابد من الحيطة والحذر تجاه ألاعيب وأطماع هؤلاء الأعداء، وبعيدًا عن الفرحة والابتهاج والشماتة التي أبداها

البعض تجاه القرار ومعاني الشجب والتنديد والاستياء التي أظهرها الفريق الآخر، لنا عدة ملاحظات تتعلق بهذا الحدث، نرجو أن تكون موضعًا للاهتمام والانتباه:

أولاً- الأمم المتحدة ومنظمة العدل الدولية والمحكمة الجنائية.. جهات مغرضة مشبوهة تكيل بمكيالين، وتعاني من ازدواجية المعايير، تغض الطرف عن الجرائم والمذابح التي تُرتكب في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان.. بينما تقف بالمرصاد للأخطاء التي تُرتكب في السودان ومصر والسعودية، يرسلون قطعًا من الأسطول السادس لنجدة كلب في المحيط في الوقت الذي قتلوا فيه مليون طفل عراقي بدم بارد، والجندي الأمريكي له حصانة ولا يُقدّم للمحاكمة إذا قتل الأبرياء المسلمين هنا وهناك.

ثانيًا -الإبادة الجماعية أو قتل بريء إجرام سواء فعله حاكم أو محكوم وأشد من ذلك الكفر بخالق الأرض والسموات، ويدخل في ذلك الجهات المشبوهة التي ذكرناها، وكل من تعدى معاني الحق والعدل، وأعان على قتل المسلمين وانتهاك أعراضهم من الأمريكان والأوروبيين واليهود والمنافقين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾، وقال: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، والإجرام فِعل أو تَرْك نصت الشريعة على تحريمه والعقاب عليه ومن ثم يشمل الإجرام فعل المحظورات كالسرقة والزنا والقتل وما أشبهها وترك المأمورات من نحو ترك الصلاة والامتناع عن دفع الزكاة أو ترك الدين بالكلية كالارتداد.

ثالثًا- نحتاج لإقامة محكمة عدل إسلامية ترجع لكتاب الله ولسُنَّة رسول الله ﷺ تأخذ على يد السفيه وتقيم موازين الثواب والعقاب وفق شرع الله لا وفق أهواء البشر وتحافظ على أمن وسيادة البلاد والعباد وتكون مرهوبة الجانب لما لها من الصلاحية والتأييد وبحيث تتوافر معاني التثبت والحيطة فلا تهمة إلا ببينة أوضح من شمس النهار.

رابعًا- نصرة المظلوم مشروعة، والعدل أساس الملك، وبه قامت السموات والأرض ولا تقتصر المسألة على نصرة المسلمين فحسب، بل تتعداهم إلى غيرهم ممن نستطيع دفع

الظلم عنهم، وهذا يتم وفق معاني الحق والعدل لا بظلم وجور، وقد شهد النبي ﷺ حلفًا في دار عبد الله بن جدعان لنصرة المظلوم، قرشيًا كان أو غير قرشي، وكان ذلك قبل البعثة، وقال ﷺ: «**لو دُعيت به في الإسلام لأجبت**»، وقد ذهب فريق من العلماء إلى عدم جواز الاستعانة بالكفار في الحرب مطلقًا، وهو مذهب المالكية وقول الإمام أحمد وإليه ذهب ابن المنذر وغيره من العلماء، لحديث :«**ارجع فلن أستعين بمشرك**» رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها ومن أجاز الاستعانة بالمشركين قيدها بشروط منها:

١- الحاجة إلى الكفار في حالة عدم وجود من يحل محلهم من المسلمين.

٢- الوثوق بهم وغلبة الظن على أمانتهم وعدم مكرهم وأن يكونوا مغلوبين مقهورين بحيث تكون مع الإمام أو الحاكم قوة تقهرهم لسلطانه.

٣- اشترط ابن حزم ألا يتعدى أذاهم لمسلم ولا ذمّي وإلا وجب الصبر.

وبدون هذه الشروط لا تجوز الاستعانة بهم في الغزو، وهي اشتراطات غير موجودة في مثل هذه الظروف التي تفتقر إلى قوة الرد والردع ووسط مخططات قديمة وأطماع جديدة برزت ملامحها على السطح.

خامسًا- ليس كل من استحق العزل يُعزل ولابد من إخضاع الأمر لضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا يستلزم النظر بعين الاعتبار إلى ثلاثة أمور:

١- التحقق من أن الحاكم قد أتى ما يستوجب العزل.

٢- هل عندنا الاستطاعة على عزله أم لا؟، وذلك لأن هذا الواجب يسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾، ولحديث: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» [رواه مسلم].

٣- هل المصلحة متحققة بعزله أم لا، إذ شرع الله مصلحة كله، وإنكار المنكر قد يخلفه منكر أكبر وقد يثبت هذا المنكر ويأتي بمنكر آخر وقد يتسلط الكفار على البلاد بسبب إزاحة الحاكم، وعادة ما تنشأ الفتن وتحدث الثورات وتزهق الأرواح عند عزل الحكام والانقلاب عليهم باستخدام وسائل العنف والسلاح، وفي الحديث الصحيح عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «**بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن نقول الحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم**».

قال ابن حزم رحمه الله: فهو الإمام الواجب طاعته ما قادنا بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسول الله ﷺ «**فإن زاغ عن شيء منهما منع من ذلك وأقيم عليه الحد والحق، فإن لم يؤمن أذاه إلا بخلعه خُلع ووليَ غيره**».

وقال بعض الفقهاء: «وللأمة خلع الإمام وعزله بسبب يوجبه مثل أن يبدر منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين وانتكاس أمور الدين كما كان لهم نصبه وإقامته لانتظامها وإعلائها»؟

ولا يتصور أن يقوم الأمريكان والأوروبيون واليهود بمثل ذلك، والعراق وفلسطين وأفغانستان من الشواهد على ذلك ومن السخف أن يصبح المتهم والجاني بمنزل القاضي.

سادسًا- لابد من عودة هذه الأمة إلى دين ربها وتطبيق الحكام والمحكومين لشرع الله، وإحكام مفهوم الولاء والبراء والحذر من تسليم رقاب البلاد والعباد للكفار، وذلك حتى تعود لنا قوتنا وهيبتنا ونلاحق مجرمي الحرب والسلم ممن عاثوا في الأرض فسادًا، وانتهكوا الأعراض وقتلوا الشيوخ الرُّكع والأطفال الرضع ونشروا الكفر والضلال، وإلا فانعكاس الأوضاع وتسلط الكفار وإذلال العباد لا سبب له إلا الانحراف عن منهج الله ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ...

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

فتوى هامة تتعلق بالمقاطعة والصلح مع اليهود في فلسطين

ورد في كتاب مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية ص ٣٨٢ تحت عنوان الصلح مع اليهود في فلسطين. .. والمعاهدات مع الدول الاستعمارية المعادية للعرب والمسلمين المؤيدة لليهود في عدوانهم ما نصه:

المبادئ:

١- هجوم العدو على بلد إسلامي يوجب على أهلها الجهاد ضده بالقوة، وهو في هذه الحالة فرض عين.

٢- يتعين الجهاد في ثلاثة أحوال: عند التقاء الزحفين، أو عند نزول الكفار ببلد، وعند استنفار الإمام لقوم للجهاد حيث يلزمهم النفير.

٣- الاستعداد للحروب الدفاعية واجب على كل حكومة إسلامية.

٤- ما فعله اليهود بفلسطين اعتداء على بلد إسلامي يوجب على أهله أولًا رده بالقوة، كما يوجبه ذلك ثانيًا على كل مسلم في البلاد الإسلامية.

٥- الصلح مع العدو على أساس رد ما اعتدى عليه إلى المسلمين جائز، أما إن كان على أساس تثبيت الاعتداء فهو باطل شرعًا.

٦- موادعة أهل الحرب أو جماعة منهم جائزة شرعًا، ولكن بشرط أن تكون لمدة معينة، وأن يكون فيها مصلحة للمسلمين، فإن لم تكن فيها مصلحة فهي غير جائزة بالإجماع.

٧- قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]، وإن كانت مطلقة لكن إجماع الفقهاء على تقييدها برؤية مصلحة للمسلمين في ذلك أخذًا من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥].

٨- المعاهدات التي يعقدها المسلمون مع دول أخرى غير إسلامية جائزة شرعًا إذا كانت فيها مصلحة للمسلمين، أما إذا كانت لتأييد دولة معتدية على بلد إسلامي فإنها تكون تقوية لمن اعتدى، وذلك غير جائز شرعًا.

٩- لليهود في فلسطين موقف خاص، فهم موجودون بها بحكم سياسي هو الهدنة التي فرضتها الدول على الفريقين، ونزلت الحكومات الإسلامية على حكمها إلى حين وجود حل عادل للمسألة.

١٠- ما فعله المسلمون من منع السلاح والذخيرة عن اليهود بعدم السماح بمرور ناقلاتها في بلادهم جائز ولا شيء فيه، وإن كان اليهود يعتبرون ذلك اعتداء عليهم.

سؤال من السيد / .... قال:

ما بيان الحكم الشرعي في الصلح مع دولة اليهود المحتلة وفي المحالفات مع الدول الاستعمارية والأجنبية المعادية للمسلمين والعرب والمؤيدة لليهود في عدوانهم؟.

أجاب: يظهر من السؤال أن فلسطين أرض فتحها المسلمون وأقاموا فيها زمنًا طويلًا، فصارت جزءً من البلاد الإسلامية أغلب أهلها مسلمون، وتقيم معهم أقلية من الديانات فصارت دار إسلام تجري عليها أحكامها وأن اليهود اقتطعوا جزءً من أرض فلسطين وأقاموا فيه حكومة لهم غير إسلامية وأجْلوا عن هذا الجزء أكثر أهله من المسلمين، ولأجل أن نعرف حكم الشريعة الإسلامية في الصلح مع اليهود في فلسطين المحتلة دون نظر إلى الناحية السياسية يجب أن نعرف حكم هجوم العدو على أي بلد من بلاد المسلمين هل هو جائز أو غير جائز وإن كان غير جائز فما الذي يجب على المسلمين عمله إزاء هذا العدوان، **الجواب**: إن هجوم العدو على بلد إسلامي لا تجيزه الشريعة الإسلامية مهما كانت بواعثه وأسبابه، فدار الإسلام يجب أن تبقى بيد أهلها ولا يجوز أن يعتدي عليها أي معتد، وأما ما يجب على المسلمين في حالة العدوان على أي بلد إسلامي فلا خلاف بين المسلمين في أن جهاد العدو بالقوة في هذه الحالة فرض عين على أهلها.

يقول صاحب المغني: يتعين الجهاد في ثلاثة:

الأول- إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان.

الثاني- إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم.

الثالث- إذا استنفر الإمام قومًا لزمهم ا لنفير.

ولهذا أوجب الله على المسلمين أن يكونوا مستعدين لدفع أي اعتداء يمكن أن يقع على بلدهم. قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾.

فالاستعداد للحرب الدفاعية واجب على كل حكومة إسلامية ضد كل من يعتدي عليهم لدينهم، وضد كل من يطمع في بلادهم، فإنهم بغير هذا الاستعداد يكونون أمة ضعيفة يسهل على غيرها الاعتداء عليها والخلاف بين العلماء في بقاء الجهاد أو عدم بقائه وفي أنه فرض عين أو فرض كفاية - إنما هو في غير حالة الاعتداء على بلد إسلامي، أما إذا حصل الاعتداء فعلًا على أي بلد إسلامي، فإن الجهاد يكون فرض عين على أهلها، وقد بحث موضوع الجهاد الحافظ ابن حجر وانتهى إلى أن الجهاد فرض كفاية على المشهور، إلا أن تدعو الحاجة إليه كأن يدهم العدو وإلى أن التحقيق أن جنس جهاد الكفار متعين على كل مسلم إما بيده وإما بلسانه وإما بماله وإما بقلبه، وعلى ضوء هذه الأحكام يحكم على ما فعله اليهود في فلسطين بأنه اعتداء على بلد إسلامي يتعين على أهلها أن يردوا هذا الاعتداء بالقوة حتى يجلوهم عن بلدهم ويعيدوها إلى حظيرة البلاد الإسلامي وهو فرض عين على كل منهم، وليس فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين. ولما كانت البلاد الإسلامية تعتبر كلها دارًا لكل مسلم فإن فريضة الجهاد في حالة الاعتداء تكون واقعة على أهلها أولًا، وعلى غيرهم من المسلمين المقيمين في بلاد إسلامية أخرى ثانيًا لأنهم وإن لم يعتد على بلادهم مباشرة إلا أن الاعتداء قد وقع عليهم بالاعتداء على بلد إسلامي هي جزء من البلاد الإسلامية، وبعد أن عرفنا حكم الشريعة

في الاعتداء على بلد إسلامي يمكننا أن نعرف حكم الشريعة في الصلح مع المعتدي، هل هو جائز أو غير جائز.

والجواب: إن الصلح إذا كان على أساس رد الجزء الذي اعتدى عليه إلى أهله كان صلحًا جائزًا، وإن كان على إقرار الاعتداء وتثبيته فإنه يكون صلحًا باطلًا لأنه إقرار لاعتداء باطل وما يترتب على الباطل يكون باطلًا مثله. وقد أجاز الفقهاء الموادعة مدة معينة مع أهل دار الحرب أو مع فريق منهم إذا كان فيها مصلحة للمسلمين لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]، وقالوا: إن الآية وإن كانت مطلقة لكن إجماع الفقهاء على تقييدها برؤية مصلحة المسلمين في ذلك بآية أخرى هو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥]، فأما إذا لم يكن في الموادعة مصلحة فلا تجوز بالإجماع. ونحن نرى أن الصلح على أن تبقى البلاد التي سلبها اليهود من فلسطين تحت أيديهم وعلى عدم إعادة أهلها إليها لا يحقق إلا مصلحتهم، وليس فيه مصلحة للمسلمين، ولذلك لا نجيزه من الوجهة الشرعية إلا بشروط وقيود تحقق مصلحة المسلمين، أما هذه الشروط والقيود فلا نتعرض لها، لأن غيرنا ممن اشتغل بهذه القضية أقدر على معرفتها وبيانها على وجه التفصيل منا.

والجواب عن السؤال الثاني: أن الأحلاف والمعاهدات التي يعقدها المسلمون مع دول أخرى غير إسلامية جائزة من الناحية الشرعية إذا كانت في مصلحة المسلمين، أما إذا كانت لتأييد دولة معتدية على بلد إسلامي كاليهود المعتدية على فلسطين فإنه يكون تقوية لجانب المعتدى يستفيد منه هذا الجانب في الاستمرار في اعتدائه، وربما في التوسع فيه أيضًا، وذلك غير جائز شرعًا ونفضل على هذه الأحلاف أن يتعاون المسلمون على رد أي اعتداء يقع على بلادهم، وأن يعقدوا فيما بينهم عهودًا وأحلافًا تظهرهم قولًا وعملًا يدًا واحدة تبطش بكل من تحدثه نفسه بأن يهاجم أي بلد إسلامي. وإذا أضيف إلى هذه العهود والمواثيق التي لا يراد منها الاعتداء على أحد وإنما يراد منها منع الاعتداء السعي

الحثيث بكل وسيلة ممكنة في شراء الأسلحة من جميع الجهات التي تصنع الأسلحة، والمبادرة بصنع الأسلحة في بلادهم لتقوية الجيوش الإسلامية المتحالفة فإن ذلك كله يكون أمرًا واجبًا وضروريًا لضمان السلام الذي يسعى إليه المسلم، ويتمناه لبلده ولسائر البلاد الإسلامية بل ولغيرها من البلاد غير الإسلامية، ويظهر أن لليهود موقفًا خاصًا فلم يعقد مع أهل فلسطين ولا أية حكومة إسلامية صلحًا ولم تجل بعد عن الأرض المحتلة وهي موجودة بحكم سياسي، هو الهدنة التي فرضتها الدول على الفريقين، ونزلت على حكمها الحكومات الإسلامية إلى أن يجدوا حلًا عادلًا للمسألة، ولم يرض بها اليهود ونقضوها باعتداءاتهم المتكررة التي لم تعد تخفى على أحد، وكل ما فعله المسلمون واعتبره اليهود اعتداء على حقوقهم هو محاصرتهم ومنع السلاح والذخيرة التي تمر ببلادهم عنهم، ولأجل أن نعرف حكم الشريعة في هذه المسألة نذكر أن ما يرسل إلى أهل الحرب نوعان:

النوع الأول- السلاح وما هو في حكمه.

النوع الثاني- الطعام ونحوه، وقد منع الفقهاء أن يرسل إليهم عن طريق البيع السلاح لأن فيه تقويتهم على قتال المسلمين، وكذا الكراع والحديد والخشب وكل ما يستفاد به في صنع الأسلحة سواء حصل ذلك قبل الموادعة أو بعدها لأنها على شرف النقض والانقضاء فكانوا حربًا علينا ولا شك أن حال اليهود أقل شأنًا من حال من وادعهم المسلمون مدة معينة على ترك القتال، وعلى فرض تسمية الهدنة موادعة فقد نقضها اليهود باعتداءاتهم ونقض الموادعة من جانب يبطلها ويحل الجانب الآخر منها.

وأما النوع الثاني فقد قالوا إن القياس يقضي في الطعام والثوبة ونحوهما بمنعها عنهم إلا أنا عرفنا بالنص حكمه وهو أنه ﷺ أمر ثمامة أن يمير أهل مكة وهم حرب عليه. وقد ورد النص فيمن بالنبي ﷺ صلة الرحم ولذلك أجابهم إلى طلبهم بعد أن ساءت حالتهم، وليس هذا حال اليهود في فلسطين ولذلك نختار عدم جواز إرسال أي

شيء إليهم أخذًا بالقياس، فإن إرسال غير الأسلحة إليهم يقويهم ويغريهم على التشبث بموقفهم الذي لا تبرره الشريعة.

والله تعالى أعلم. والمفتي هنا هو فضيلة الشيخ / حسن مأمون رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٥ جمادى الأولى ١٣٧٥هـ - ٨ يناير ١٩٥٦م).

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

المقاطعة الاقتصادية حقيقتها وحكمها

ورد في كتاب (المقاطعة الاقتصادية حقيقتها وحكمها) للدكتور خالد الشمراني بتصرف:

مقاطعة الكفار اقتصاديًا تعتبر من ضروب الجهاد في سبيل الله إذا كانت بنية التقرب إلى الله تعالى، نظرًا لما تلحقه بالكفار من أضرار سبق ذكر بعضها، مما يجعلها أداة ضغط يمكن أن تسهم في إزالة أو تخفيف الظلم عن المسلمين؛ أو في جلب منفعة ومصلحة لهم.

ولكن الأمر الذي ينبغي أن يكون في الحسبان أن استخدام سلاح المقاطعة الاقتصادية قد يواجه بردة فعل عنيفة من قبل بعض الدول الكافرة التي تتمتع بنفوذ وسيطرة على مستوى العالم، ولا سيما إذا كانت هذه المقاطعة متضمنة لقطع بعض السلع الاستراتيچية التي يلحق المساس بها ضررًا بالمصالح القومية العُليا لهذه الدول، مما قد ينتج عنه إقحام المسلمين في معركة ليسوا مستعدين لخوضها.

لأجل كل ما سبق؛ ولأن الغاية من استخدام سلاح المقاطعة الاقتصادية هو: جلب مصلحة أو درء مفسدة، فينبغي لنا أن نلتفت إلى معنيين، نبني على تحققهما أو انتفائها، أو تحقق أحدهما وانتفاء الآخر، حكم المقاطعة الاقتصادية وهذان المعنيان هما:

١- أن تحقق المقاطعة الاقتصادية مصلحة، تتمثل في: الإضرار بالكفار وإيقاع النكاية بهم.

٢- عدم إفضاء المقاطعة الاقتصادية إلى مفسدة أعظم من المفسدة التي نسعى لإزالتها أو تخفيفها، كأن يترتب على المقاطعة الاقتصادية شنُّ حربٍ على المسلمين لا قدرة لهم على مواجهتها، أو أن يزيد العسف والظلم على المستضعفين من المسلمين، الذين أردنا أن نرفع الظلم عنهم بهذه المقاطعة.

فيحصل لنا من اعتبار هذين المعنيين أربعة أحوال:

الأول- أن يجتمع المعنيان، بأن يغلب على الظن إفضاء المقاطعة إلى الإضرار بالكفار، وألا يترتب عليها مفسدة أعظم من المفسدة التي يُراد إزالتها أو تخفيفها، فهنا يتوجه القول بالوجوب، والله أعلم.

الثاني- أن ينتفي المعنيان، بألا يترتب على المقاطعة الاقتصادية إضرارٌ بالكفار، وتفضي إلى مفسدة راجحة على المفسدة التي يراد إزالتها أو تخفيفها، فهنا يتوجه القول بالتحريم، والله أعلم.

الثالث- أن يتحقق المعنى الأول وينتفي الثاني، بأن يغلب على الظن أن المقاطعة الاقتصادية ستفضي إلى الإضرار بالكفار، إلا أنها ستفضي أيضًا إلى وقوع مفسدةٍ راجحة على المفسدة التي يراد إزالتها أو تخفيفها، فها هنا تتعارض مصلحة ومفسدة تتمثل في إلحاق الضرر بالكفار، والمفسدة تتمثل في دعم درء المفسدة التي يراد إزالتها أو تخفيفها. بل على العكس يترتب على المقاطعة مفسدةٌ أعظم، فإن كانت المفسدة غالبة لم ينظر إلى المصلحة، وإن تساوت المصلحة والمفسدة فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

وقد تقدم معنا أن من العلماء من أنكر وجود مثل هذا في الشريعة.

الرابع- أن ينتفي المعنى الأول ويتحقق الثاني، بألا تفضي المقاطعة الاقتصادية إلى إلحاق ضررٍ بالكفار، ولا تفضي إلى وقوع مفسدة راجحة على المفسدة التي يراد إزالتها بالمقاطعة الاقتصادية، فالذي يظهر أنها تُندب في هذه الحالة، لأنها تكون من وسائل التعبير على الاحتجاج والسخط ضد ممارسات الكفار العدوانية.

هذا ما ظهر في حكم المقاطعة الاقتصادية، والله أعلم.

هذا، وإنه مما ينبغي التأكيد عليه في هذا المقام أن وظيفة الموازنة بين المصالح والمفاسد من وظائف الراسخين في العلم ممن يجمعون بين فقه الدليل وفقه الواقع، ولا مدخل فيها للعوام وأشباههم.

وفي الختام: وبعد الانتهاء من بحث هذه المسألة المهمة، فقد ظهرت لي النتائج الآتية:

١ – أن التعامل مع الكفار اقتصاديًا مباحٌ من حيث الأصل، وإن كان هناك بعض المسائل المستثناة التي وقع فيها خلاف بين أهل العلم.

٢ – أن المقاطعة الاقتصادية ليست وليدة هذا العصر، بل هي أسلوب معروفٌ من أساليب الضغط والاحتجاج، وقد زخر التاريخ الإنساني بالكثير من صورها.

٣ – إذا صدرت المقاطعة الاقتصادية بنية التقرب إلى الله فإنها تعتبر ضربًا من ضروب الجهاد بمفهومه الشرعي العام نظرًا لما يترتب عليها من تحقيق لبعض مقاصد الجهاد.

٤ – المقاطعة الاقتصادية مباحةٌ من حيث الأصل، لكنها قد تكون واجبةٌ أو مندوبةٌ أو محرمة بالنظر لما يترتب عليها من مصالح أو مفاسد.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين

التدين عند المصريين ١٠٠٪

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

ففي البحث الذي أجراه المعهد الأمريكي على تدين الشعوب وجدوا أن الشعب المصري أكثر الشعوب تدينًا وأن نسبة التدين فيه ١٠٠٪ وفقًا للعينة التي أجرى البحث عليها وهي نتيجة لها دلالات كثيرة، ولكن بداية لابد من إثبات عشوائية استطلاع الرأي وعدم دقته ومصادمته للشرع والواقع وإلا فمتى انتهى الكفر والنفاق، وكيف تُدخل في الدين ما ليس منه، ومصر لا تخلو من أهل الكتاب والشيوعيين والبهائيين وعبدة الشيطان... بل المدينة علي عهد النبي ﷺ وُجد بها النفاق فكيف يقال أن نسبة التدين بمصر ١٠٠٪، هذه مغالطة ومغالاة وسوء تقدير إلا أن يقال عن العينة أنها تحب الدين (أي دين) وتريد العودة للدين (حتى ولو كان يهودية أو نصرانية. ...) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وفي الحديث الذي [رواه مسلم]: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا كان من أصحاب النار**»، وعدم دقة الاستطلاع لا تنفي وجود طوفان تدين جارف بمصر، وأن المصريين من أكثر شعوب الأرض تدينًا، حتى بات أمر الحجاب واللحية يُشكل ظاهرة، وانتشر أمر التدين في جميع الأوساط ومنها الفن والرياضة وشَعَر العلمانيون والملاحدة بأنهم لا رصيد لهم في الواقع وعلى الأرض وأن البساط قد سُحب من تحت أقدامهم رغم امتلاكهم لوسائل التعليم والثقافة والإعلام، وحتى صرح بعضهم بأن ٨٠٪ من المصريات في مصر محجبات، وأن من تكشف شعر رأسها تُعرف بأنها نصرانية.

لقد فشل أعداء الإسلام في إبعاد هذه الأمة عن دين ربها رغم ضراوة الحملة وامتلاك وسائل الإجهاز، بل لا نغالي لو قلنا إنهم كانوا من أعظم أسباب عودة هذه الأمة لدينها، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم، وتدبير الكفار تدميرهم وكيدهم يرتد دائماً إلى نحورهم، وإن الله يحفظ دينه بعز عزيز أو بذل ذليل، فهل سيعيد أعداء الإسلام النظر بعد هذا الاستطلاع ويوقفون حملاتهم المستميتة؟ والإجابة: لن يحدث، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾، وقال تعالى: ﴿يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَ﴾، وقال: ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ فسنن التدافع ماضية في الخلق بين الحق والباطل والإيمان والكفر والسنة والبدعة، لا طاقة لأحد بحرب الله.

هل آن لهؤلاء أن يسلموا وجوههم لله وأن يدخلوا في السلم كافة، وأن يطبق شرع الله على هذا الشعب المسلم الذي تقول الاستطلاعات الأجنبية أن نسبة التدين فيه ١٠٠٪، فهو شعب حري بأن يُحكم بالإسلام الذي يدين به ويرتضيه في كل ناحية من نواحي حياته سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية أو أخلاقية وسواء تعلقت بالحرب أم السلم بالمسجد أم بالسوق، أم أن ديمقراطيتهم والتي هي أشبه بوثن يُعبد من دون الله، ستكون كصنم العجوة الذي يصنعه المشرك فإذا جاع أكله، وهؤلاء بدورهم سيقولون لا ديمقراطية لأعداء الديمقراطية حتى ولو كان ١٠٠٪ من الشعب يطالبون بالعودة لدين الله واستئناف حياة إسلامية، وكأني بالعلمانيين وطائفة المثقفين الملاحدة سيصفون الشعب المصري بالغوغاء والعامة وبأنه شعب لا يدرك مصلحته.!!!

وأبادر فأقول بأن شرع الله وتطبيق حكم الله لا يحتاج لاستطلاع رأي، بل يجب أن يطبق على الحاكم والمحكوم وعلى الأكثرية والأقلية، قال تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ

شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ وقال: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾، إن التدين عندنا سابق لحقبة الفراعنة ولم يكن إخناتون أول داعٍ للتوحيد كما يزعم البعض -بل هو داع للكفر والشرك وعبادة الإله رع- فالبشرية بدأت بنبي مُكلم هو نبي الله آدم وتتابع الرسل من بعده لتعبيد الدنيا بدين الله ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾، ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾.

وما من نبي إلا وقال لقومه: ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ فعل ذلك موسى وعيسى ونبينا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فما العجب في أن نُسلم وجوهنا لله فالإسلام دين العقول السليمة والفطر المستقيمة ونتمنى ليس فقط للمصريين بل لجميع شعوب الأرض أن تكون نسبة التدين فيهم ١٠٠٪.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

الكنيسة لن تخضع للقانون المدني لمخالفته للإنجيل

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلي وصحبه ومن والاه..

أما بعد.. فقد صرح البابا شنودة قبل رحيله للعلاج بأنه لن يخضع للقانون المدني لمعارضته للإنجيل إذ أن الطلاق لا يجوز في الإنجيل إلا بعلة الزنى وقد وسع بعض باباوات الكنيسة الأرثوذكسية في الأسباب الداعية إلى الطلاق وخالف كثير من النصارى – قولًا وفعلًا- في هذه المسألة، بل ذهب البعض منهم إلى اتهام امرأته بالزنى حتى تبيح له الكنيسة طلاقها، إلا أن البابا شنودة ظل على موقفه متحديًا ليس فقط هؤلاء بل القانون المدني المعمول به في البلاد، وهذه دعوة صريحة للخروج علي أحكام القانون، في الوقت الذي يتم فيه التكريس للدولة المدنية ويتهكم فيه البعض بالدولة الدينية الثيوقراطية، وقد لا يستطيع كثير من المسلمين مجرد الهمس بمخالفة أحكام القانون الوضعي مخافة العقوبة الرادعة، وقد تكرر هذا التصريح على لسان البابا في مناسبات عديدة، ونحن لا نمنع أهل الكتاب -من اليهود والنصارى- من العمل بأحكام التوراة والإنجيل، وإذا تحاكموا إلينا حكمنا فيهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، والعتب الأكبر إنما هو على المسلمين -حكامًا ومحكومين- كيف ينصرفون عن دين ربهم، وكيف لا يطبقون شريعته سبحانه، وكيف لا يقيمون الحق في الخلق؟!!، ما حاجتنا لاستيراد شريعة فرنسية أو إنجليزية أو هولندية. ...لقد كفانا سبحانه وأغنانا وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ووصفهم بالظلم والفسق في مواضع أخر من كتابه.

إذا كان البابا شنودة يرفض مخالفة الإنجيل فنحن أحق منه بالتمسك بدين الله الذي رضيه للعالمين دينًا ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

نحن أحق برفض القانون المدني إذا خالف الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾.

إن موقف البابا بمثابة صفعة قوية لهؤلاء الذين انسلخوا عن شريعة ربهم وصاروا حربًا عليها، يلمزون ويغمزون في الأحكام الشرعية بزعم التطوروالتحضر ومواكبة العصر، صفعة لكل من طعن في المتدينين ووصفهم بالظلاميين والرجعيين والمتخلفين، هذا الموقف بمثابة درس بليغ لكل من اهتز وتذبذب من دعاة الحق، ولكل من لا يرفع صوته ،طالبًا بالرجوع للكتاب والسنة في حياتنا الخاصة والعامة وفي كل ناحية من نواحي الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾. وإن رفض البعض- من جلدتنا وممن يتكلم بلساننا- أن يتعظ بما جاء في الكتاب والسُنة فليأخذ الدرس من البابا شنودة، ويسلم وجهه لله من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله، قال تعالى» :فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين.

إن لله عبادًا فطنا ... طلّقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحيّ وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنًا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

النهج الديمقراطي المرفوض
في حسم المسائل الشرعية

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ..

دأبت جريدة اليوم السابع منذ ظهورها على عمل استطلاع للرأي في نهاية كل مسألة شرعية تتعرض لها، بحيث تطلب من القراء بأن يُدلوا بالرأي بنعم أو لا، ويتم حصاد الآراء الموافقة والمخالفة ويتم إعلان النتيجة على أساس أن الغلبة للأكثرية كما هو متبع في النظم الديمقراطية، ففي العدد الأخير كان الاستطلاع عن معاملة المرأة كنصف رجل وقبول المشاركين لذلك والإجابة نعم أو لا. وقبل ذلك كان السؤال عن البخاري ومدى القبول لما جاء فيه بنفس الطريقة مما يوضح أنها طريقة مطَردة رآها القائمون على شئون الصفحة الدينية على أنها السبيل لحسم المسائل والقضايا المعروضة، ولا يخفي عليك هلامية وعدم انضباط هذه الطريقة فما هوية المشارك في استطلاع الرأي، هل هو مسلم أم كافر، بر أم فاجر، عالم أم جاهل، هل يصلح للإدلاء بالرأي في القضية المعروضة وعنده أدوات النظر والاجتهاد أم لا ؟!!!

هب أن أغلبية المشاركين قالوا: نرفض صحيح البخاري، ونرضى أن تعامل المرأة كنصف رجل، هل ستعتمد هذه النتيجة وتصير شرعًا ودينًا ؟!، ماذا لو تصادمت الآراء مع نصوص الشريعة فعلى أي شيء يتم التعويل، على كلام البشر أم على كلام خالق البشر ؟!!، وهل الأكثرية عنوان الحق دائمًا؟. ...أسئلة كثيرة تنطرح على هذا المنهج بغض النظر عن القضايا المطروحة ونتيجة الاستطلاع، وها نحن نسوق بعض النصوص والمسائل التي تدعو للتأمل والتفكر والرجوع إلى الحق لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ

وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أمر سبحانه بالاحتكام لكتابه ولسُنَّة نبيه ﷺ وأن نرد حكم ما تنازعنا فيه للكتاب والسُنَّة لا نرده للآراء ولا للأهواء، ولا تصلح الأعراف والبيئات ولا المعتادات، ولا العقول والنشأة مقياسًا وميزانًا لفصل النزاع في المسائل، وألوا الأمر هم العلماء أو الأمراء، وهؤلاء وأولئك لا يتقولون على الله بغير علم، وإنما يتسلحون بأدوات النظر والاجتهاد لحسم المسائل المعروضة عليهم، وليس للبشر حكامًا أو محكومين أن يختاروا مع الله أو مع رسول الله ﷺ، وقد أوضحت نصوص الشريعة أن الأكثرية لا تصلح ميزانًا للحق في كل وقت، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

فاعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف من أتاه، واسلك طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطريق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين، لقد دعا نبي الله نوح قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا وفي النهاية ما آمن معه إلا قليل، لم يزيدوا على المائة على أقصى تقدير، وأتى الطوفان يبتلغ الأخضر واليابس ولم ينج إلا من آمن بنبي الله نوح، وقال سبحانه عن قوم لوط: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ فعامة القوم كانوا يأتون فاحشة اللواط، والديمقراطية نظام لواطي يبيح الشذوذ الجنسي بزعم الحرية الشخصية، ماذا لو عملنا استطلاعًا للرأي مع أشباه قوم لوط، وأين ستكون أكثرية القوم مع إباحة اللواط أم مع منعه ؟!

فإذا أردت أن تعرف عاقبة الأكثرية ومغبة النظم الديمقراطية اللواطية فطالع قوله سبحانه: ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

فيا عباد الله، إذا ورد شرع الله بطل نهر معقل فهل من يعقل؟، وقد قال الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه يوم حجة الوداع: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسُنَّتي**» فعليكم بالرجوع للكتاب والسُنَّة بفهم أعلم الناس بالكتاب والسُّنَّة أي بفهم سلف الأمة ومن نهج نهجهم:

كل خير في اتباع من سلف   وكل شر في ابتداع من خلف

وما لم يكن يومئذٍ دينًا فليس اليوم، ولن يُصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وقد وردت النصوص توضح أن الأمة ستفترق كما افترق اليهود والنصارى من قبل، وأن الطائفة الظاهرة الناجية المنصورة من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة الكرام، فهذا هو المنهج المنضبط لفهم الإسلام، والعمل به وفي الحديث الصحيح: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» وقال ابن مسعود ؓ عن الصحابة الكرام: «كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا»، وما خلت الأرض من قائم لله بحجة، ولا تزال طائفة من الأمة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، فلنرجع لعلماء الأمة المعتبرين في قبول الأحاديث ورفضها وفق الضوابط الشرعية لا وفق الأهواء والآراء، ولنحسم القضايا على ضوء الكتاب والسُنَّة ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾، وها أنتم توقرون الخبير الاقتصادي والطبيب العالمي ولا تعملون استطلاعًا للرأي لعلاج مرضى السرطان مثلًا، وهل يتم ذلك بالجراحة أم الإشعاع؟، ولا يلتفت لغير المختصين بأمر الطب ولا يحسب أي حساب لكثرة أو قلة غير متخصصة، وقس على ذلك أمر الهندسة والزراعة، والصناعة، فكيف تجرأتم على دين الله بهذه الكيفية؟!! إنها الديمقراطية صنم العصر والتي هي دين عند أهلها، وواهم من يظن أنها تقتصر على انتخاب الحاكم، ومخطئ ومقصر من يظن أنها الشورى الموجودة عند المسلمين، (راجع كتاب: الديمقراطية في الميزان).

لقد صارت لوثة الديمقراطية على ألسنة الساسة والأدباء والمثقفين في الجرائد والقنوات. .. طالع قناة الجزيرة على سبيل المثال لا الحصر، ستجد كل برامجها تكرس للديمقراطية، الاتجاه المعاكس، الرأي والرأي الآخر، أكثر من رأي، بلا حدود. ....

لقد صرح صاحب القناة أنه يريد نشر الديمقراطية من المحيط إلى الخليج، وهكذا صارت الديمقراطية التي تروج لها وسائل الإعلام دين عند أهلها، وبديل عن الإسلام الذي رضاه لنا سبحانه دينًا، وقد ينبهرالناس بالجرائد والقنوات وتغيب الموازين والضوابط الشرعية ويصبح رأي شيخ الأزهر كرأي الراقصة، وتتحكم الأغلبية الملحدة في الأقلية المسلمة وتزيف الحقائق وتنطمس المعايير، ويحارب الدين باسم الدين وبدلًا من أن تكون الكلمة أمانة تصبح إلى الخيانة أقرب، ووسيلة لتشويه العقول وتغريب الأمة وإبعادًا لها عن دين ربها الذي به نجاتها وسعادتها في العاجل والآجل.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وهدانا وإياكم صراطًا مستقيمًا

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ



البابا شنودة يرفض إشراف الدولة على أموال الكنيسة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد .. صرح البابا شنودة بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية بأن الدولة ليس لها الحق في الإشراف على أموال الكنيسة لأن هذا يتنافى مع ما في الإنجيل من أنه لا تعلم أيمانهم ما تنفق شمائلهم، وفي حديث السبعة «**الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**» ورغم ورود هذا المعنى في شرعنا إلا أنه لم يمنع من إشراف الدولة على أموال الأفراد والجماعات، فالجمعيات الخيرية وأموال الزكاة وصدقات الأرامل والأيتام. ...... تشرف عليها وزارة الشئون الاجتماعية، بل صار التمويل وملاحقة ما يسمونه بالإرهاب والإسلام السياسي ومصادرة أموال الأفراد والجمعيات، هي قضية العصر التي ينشغل بها الأمريكان والغرب، فكيف نستثنى مليارات الكنيسة من الإشراف فضلًا عن المصادرة إذا لزم الأمر ؟!! وهل الكنيسة دولة داخل دولة ؟!!! ومتى حالت نصوص الكتاب والسُّنَّة عن هذا الإشراف فضلًا عن نصوص الإنجيل ؟!! ما كان ينبغي أن يغيب عن البابا شنودة والكنيسة المصرية وهم يطالبون بالمواطنة الكاملة والمساواة في الحقوق والواجبات أن يحدث التمييز بين المسجد والكنيسة في مسائل التمويل وخصوصًا مع وجود أصابع الاتهام وكثرة الشبهات المحيطة بهذا الأمر الخطير التي تستفحل حدتها بهذا الاستنكاف وهذا الاستعلاء.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الهجوم على غزة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد..

فقد سمعنا من ساعات بهجوم يهودي جبان على المسلمين في غزة راح ضحيته ٢٨٠ قتيلًا وستمائة جريحٍ، مما استدعى فتحَ المعابر لنقل الجرحى إلى المستشفيات، وقد استخدم اليهود الطائرات والصواريخ في هذه الإبادة الجماعية توطئة للاجتياح الشامل لقطاع غزة، وهذا كعادتهم قال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:١٤]، وقد تم هذا الهجوم في يوم السبت، وهو اليوم الذي يمتنع يهود عن العمل فيه، ولكن يبدو أن شهوة اليهود لدماء المسلمين يُستباح لها كل اعتبار، وتتقدم في تحليل الحرام، وهم الذين قالوا: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥]، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة:٨٢].

لقد توالت انتهاكات الكفار لحرمات المسلمين ودمائهم في فلسطين، والعراق، وأفغانستان، وفي كل مرة نسمع عن تبرير جديد، فتارة يتكلمون عن ديكتاتورية صدام، وامتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، وأخرى يحدثوننا عن طالبان الإسلامية وفرضها للحجاب ومنعها للاختلاط، وثالثة عن إمارة غزة الإسلامية، وفي كل مرة يقتلون الشيوخ الركع، والبهائم الرتع، والأطفال الرضع، ولربما انتهكوا الأعراض كما صنعوا في العراق وغيرها.

وهؤلاء الأعداء كما وصفهم ربنا -جَلَّ وَعَلَا-:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة:٢١٧]

ولا يتعاون مع الكفرة الفجرة على إبادة المسلمين وحصارهم وإضعافهم إلا من كان على شاكلتهم ممن أسلم قياده لشياطين الإنس والجن، وباع دينه بدنيا غيره، وصار أداة طيِّعة لأعداء الإسلام والمسلمين، أو إنسان جهول ضعفت بصيرته عن إدراك مخططات الأعداء.

وعلى المرجفين والمخذلين والمثبطين أن يتذكروا رهبة الوقوف بين يدي الله غدًا، وأن الأيام دول، والجزاء من جنس العمل، فالخذلان نصيبهم في مواطن يشتهون نصرة الله لهم فيها.

وكأني بهم وقد فعل اليهود بهم مثل ما فعلوه بالمسلمين في غزة، وكما فعل الأمريكان بالمسلمين في العراق.

ماذا أنت فاعل إذا اسْتَصْرَخْتَ وقُتِلَ الأبُ والأمُ، وانتُهك عرضُ زوجة أو ابنة، ولم يلتفت لصراخك أحد من المسلمين في سوريا والعراق والمغرب، وبماذا تحكم على من يتهمك أنت بالإرهابية لصراخك، وماذا تقول فيمن يمنع الخَلْقَ من نصرتك، ويساعد عدوك؟؟

ستعرف الإجابة حينئذ، وتصير فقيها وتتحسس معنى: «**المؤمن مرآة أخيه**» [رواه البخاري في الأدب المفرد]، «**ولا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» [متفق عليه]، **ومَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**[رواه مسلم] «**الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ**»[رواه أبو داود، وصححه الألباني].

أبي الإسلام لا أبَ لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

لقد أعملت حيلُ الأعداء والوطنياتُ والقومياتُ وسياساتُ "فَرِّقْ تَسُدْ" فينا عملها حتى بتْنا لا نشعر بشعور الجسد الواحد، والبعض لا يفرق بين الجاني والضحية، فالصاروخ الذي يطلقه المسلم على عدوه هو الذي استفز يهود، وأقلق راحة الاغتصاب، وبالتالي فاليهودي معذور إذا اجتاح غزة!!

وكأن صراخ وأنين الضحية صار جريمة يستحق عليها العقاب!!

وهكذا انتكست المفاهيم وضاعت البديهيات، والبعض بلغ في بلادة شعوره أن يكيل بمكيالين، ولا ينتبه إلا إذا اقتربت القضية منه، كهذا الذي قيل له: بال الكلب على الجدار، فقال: يهدم ويُعاد بناؤه، قيل: فالذي بيني وبينك، قال: شيء من الماء يطهره!!

لا يجوز أن نستنجد بالتي هي الداء، أو أن نعلق قلوبنا بأعداء الإسلام والمسلمين، فلا الأمم المتحدة، ولا الاتحاد الأوربي، ولا أمريكا، ولا من دار في فلكهم سيقدم للمسلمين في غزة أو العراق أو أفغانستان شيئًا إلا الخذلان.

لقد بعثت أمريكا بقطع من الأسطول السادس لنجدة كلب في عرض المحيط!!

وتقام جمعيات الرفق بالحيوان هنا وهناك!!

وقد تبرع أحد الحكام بمليون دولار لحديقة الحيوان بلندن!!

كما تقام المحميات الطبيعية وتتخوف على انقراض فصائل من الحيوانات!!

أما بالنسبة للمسلمين فدماؤهم تهدر هنا وهناك، وتُستباحُ أعراضهم، وتُسلبُ حقوقهم تحت سمع وبصر هذه الهيئات والمؤسسات المشبوهة والشرعية الدولية المزعومة.

ونحن نبشرهم بنصر قريب بإذن الله، فالإسلام قادم، وها هم المسلمون يعاودون الالتزام بدين الله قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام:٨٩]، سيفتح بيت المقدس بإذن الله تعال، ويصلي المسلمون فيه، وستكون القدس مقبرة يهود، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء:١٠٤]

ستنتصر الأمة على الغرب -وهم الروم- بإذن الله، وستفتح قسطنطينية ورومية -وهي روما عاصمة إيطاليا- اليوم، كما أخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، قال تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص :٨٨].

وهذا يستلزم أن تعود الأمة قوية في معنوياتها وماديتها وسلاحها وعقيدتها.

وإذا كان اليهود وحلفاؤهم في الغرب وأمريكا قد تمادوا في غيهم وعدوانهم فهذا نذير هلاكهم ودمارهم، فللظالم قاتل لا يموت، قال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء:٣٣]

فلقيام الأمم وهلاكها أسباب ومقدمات، للتعرف عليها لابد من مطالعة صفحات الكتاب المسطور والكون المنظور، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾[العنكبوت:٤٠]، وهو -سبحانه- يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[هود:١٠٢]

وقال أبو بكر رضي الله عنه: «**ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه كُنَّ عليه، (المكر)**: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾، و**(البغي)**: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾، و**(النكث)**: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾».

إن الحقوق المهدرة لا تسقط بالتقادم، ودماء المسلمين لا تضيع هدرًا، ومن سَلَّ سيفَ البغيِ قُتِلَ به.

وعلى كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن يبذل وسعه ويخلِّص رقبته ويبرئ ساحته في نصرة المسلمين المستضعفين في غزة وفلسطين والعراق... إن لم يكن بنفسه فبماله ودعائه ودعوته «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**» [رواه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني].

لابد من توضيح المفاهيم لعموم الخلق وإزالة شبهاتهم، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

والدعاء هو سلاح المؤمن، «**وقد قنت النبي ﷺ شهرًا يدعو على رِعْلٍ وذَكْوَان وعُصَية، يقول: وَعُصَيَّةَ عَصَتِ الله وَرَسُولَهُ**»[متفق عليه]، كما قنت شهرًا يدعو للمستضعفين بمكة: سلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة. والقنوت بحسب النازلة، وفي الصلوات الخمس إما قبل الركوع أو بعده.

لابد من نصرة إخواننا بكل سبيل نستطيعه ونقدر عليه، وليس المقدور عليه كالمعجوز عنه، والواجبات تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦].

اللهم انصر عبادك المجاهدين في كل مكان، اللهم اربط على قلوبهم، وثبت أقدامهم، وسدد رميَهُم، اللهم دمر اليهود ومن شايعهم، اللهم فأحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تغادر منهم أحدًا.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

سكرتير بابا الفاتيكان
يحذر من أسلمة أوروبا

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد فقد حذر السكرتير الخاص لبابا الفاتيكان من أسلمة أوروبا وقال «إن أوروبا لا ينبغي لها أن تتجاهل المحاولات الرامية لإدخال القيم الإسلامية إلى الغرب لأن من شأن ذلك تهديد الهوية المسيحية للقارة الأوروبية» وقال أيضًا: يجب رفض محاولات أسلمة أوروربا .

ونحن نقول نعم المستقبل لهذا الدين شاءت أوروبا أم أبت وسيسود العالم بأسره وليس أوروبا فقط لأن رسول الله ﷺ أخبر بذلك في الحديث: «**إن الله زوى لَي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملكى سيبلغ ما زوي لي منها**» وهى بشارة من رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، وها هي الشواهد والدلالات تبرهن على أن الاسلام قادم وهذه الجاليات الاسلامية أحدثت أثرها وهذه الجهود الضعيفة بورك فيها وصارت مرعبة ومخيفة بالنسبة لهم، والظواهر كلها تشير إلى عودة الناس لدين ربهم، كيف كان الحجاب بالأمس وكيف هوَ اليوم؟ وعدد المعتمرين والحجاج في الشباب اليوم أكثر من كبار السن وهذه المساجد بحمد الله لو قارنتها بما هي عليه الآن ومن قبل كيف كانت وكيف كان عدد المصلين في صلاة المغرب في رمضان وكذلك في صلاة التهجد والتراويح لقد كان نادرًا أن تجد مسجدًا يقرأون بجزء من القرآن في التراويح كل ليلة وكان لا يصلى في المسجد إلا كبار السن

أما هؤلاء القوم فقد ضاقت صدورهم بالصحوة الايمانية وبدخول الناس في الإسلام وهم لا يخافون الآن من العمليات الإرهابية أو من العنف ولكنهم يخافون من دخول الناس في الإسلام ؟! بالرغم من محاربة هذا الدين وبالرغم من التضييق على المسلمين وبالرغم من الأموال الطائلة التي يخصصونها لصد الناس عن سبيل الله وفي الوقت الذى يقول فيه سكرتير البابا يجب رفض محاولات أسلمة أوروبا يرسلون بعثاتهم

التبشيرية في كثير من بلدان المسلمين محاولة منهم لصد الناس عن دين الله وصدق الله إذ يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾، وبابا الفاتيكان هذا رجل مستفز وصاحب عقيدة ويتحرك من منطلق عقيدته ولا نلومه على هذا ولكن نلوم صاحب الحق الذى لا يتحرك ولا ينطلق من عقيدته، وكان عمر يشكو إلى الله جلد الفاجر وعجز الثقة ونحن نرى أهل البدع كيف يبذلون وينشطون ويفتحون بيوتهم من أجل بدعهم ونحن أولى بهذا منهم، وإذا كان بابا الفاتيكان يتخوف على باطله ويصبر عليه ويوصي أوروبا بالثبات على النصرانية، فنحن أولى بالتخوف من تلك الدعوات الهدامة والأفكار المنحرفة ونحن أولى بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر وبالثبات على شرع الله ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ والمسألة لا تقتصر على الخطبة والدرس بل يجب علينا أن ننهض ونقيم شرع الله في أمورنا وحياتنا، الواجب علينا أن نثبت على طاعة الله، إن العمل بدين الله هو الذي يكفل لنا سعادة الدارين ويتحقق به الخير والصلاح في العاجل والآجل فأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له، واحذروا طريق قوم قد ضلوا وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

المفتي وعمرو خالد.. والمضحكات المبكيات

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد، فقد نسب إلى المفتي جمعة قوله في مقال نشره منتدى يهتم بشؤون الأديان، ترعاه صحيفة واشنطن بوست ومجلة نيوزويك وجامعة جورج تاون الأميركية، إن: «الإسلام يكفل لأتباعه حق اختيار دين غيره من دون عقاب دنيوي»، وقال أيضا إن: «وجهة النظر الدينية ترى أن ترك المرء لدينه خطيئة تستوجب عقابًا إلهيًا يوم القيامة وإذا كان السؤال عن رفض الإنسان دينه، فلا عقاب دنيوي...».

ونسبت إلى عمرو خالد قوله: «إن الإسلام لا يجيز العنف دفاعًا عن الحياة أو الأسرة أو الوطن، وما يفعله المفجرون الانتحاريون هو أمر غير إسلامي وظلم محرم ضد النفس والآخرين..» وقال أيضًا «يسمح للمسلم بالتحول إلى دين آخر، وهذا هو ما تعنيه آية ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾». وما هو غير مسموح لهذا الشخص الذي اختار ديانة أخرى هو أن يهين أو يشوه إيمان المسلم بالله أو بأي من رسله فغير المسموح به هو تشويه السمعة والكراهية، وليس اختيار التحول لدين آخر !!!

استدلالات عجيبة ومريبة تظهر كل يوم من أولئك أدعياء العلم وأصحاب الشهرة والفضائيات، يبيعون دينهم وأنفسهم بثمن بخس وما قال أحد من أهل العلم بمثل قولهم وكل ما يفعلونه من تمييع للقضايا ومفهوم الولاء والبراء طلبًا للمناصب والشهرة والجاه لا يروج على بسطاء الناس فضلًا عن غيرهم، ونقول لهم كفاكم لفًا ودورانًا وروغانًا، والسكوت أفضل من التدليس والتلبيس على الناس فلا عذر لكم ولا يجوز وضع النصوص في غير موضعها فالنصوص التي تقول ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ هذا نص تهديد وليس نص تخيير كذلك قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، أما فهمكم هذا أنها حرية وديمقراطية ومن وجهة النظر الدينية؟ فمن أين أتيتم به ولكل انسان وجهة نظر ولا تعدم أن تجد سبعين مليون وجهة نظر فمن نتبع إذن؟ ومن قبل

قالوا للمرأة يكفيها أن تكون محتشمة؟ فما المقصود بالحشمة؟ وهذه الحشمة لها مظهر ومعنى يختلف من وجهة نظر كل انسان لانسان آخر حتى التي ترتدى ملابس البحر ستقول لك أنها محتشمة وأنها أفضل من غيرها فلماذا التمييع؟ هذا كلام غير منضبط واستدلالات في غير موضعها ولا يجوز أن تسقط فرضية الحجاب مثلًا وتستدل بالآية ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ ولو ترك المنظور الديني لكل انسان في فهم القضايا والحريات ستجد العجب العجاب ولنا عبرة من موقف الإمام أحمد بن حنبل لما قيل له: يا إمام إنها كلمة قلها وانج بنفسك! قال: ما يكون لى أن أنجو بنفسي ويهلك هؤلاء، فمتى يعلم الناس الحق إذا تكلم العالم تقية فينبغى ان نخاطب الناس على قدر عقولهم ولا نلوي النصوص لنرضي أناسًا آخرين وقد قال رسول الله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**» وقاتل أبو بكر المرتدين ومانعي الزكاة، وقد تكلم العلماء في كتب الفقه عن الردة والمرتد وحكمه فقالوا:

المرتد: هو من ترك دين الإسلام إلى دين آخر أو إلى غير دين كالملحدين والشيوعيين وهو بالغ عاقل مختار غير مكره.

حكم المرتد: أن يدعى إلى العودة إلى الإسلام ثلاثة أيام ويشدد عليه في ذلك فإن عاد إلى الإسلام وإلا قتل بالسيف حدًا لقوله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**» وقوله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»، وإذا قتل المرتد فلا يُغسَّل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يورث وما ترك من مال يكون فيئًا للمسلمين يصرف في المصالح العامة للأمة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ وهذا بإجماع المسلمين، كما ذكر العلماء أنه لا يقبل الانتقال من دين كفر إلى دين آخر أقل منه كمن ترك النصرانية للمجوسية فلا يقر ولا يقبل منه وإن انتقل من المجوسية للنصرانية أقر وذكروا كذلك ما يكفر به المرء من الأقوال والاعتقدات:

كمن سب الله تعالى أو سب رسولًا من رسله أو ملكًا من ملائكته عليهم السلام فقد كفر، وكل من أنكر ربوبية أو ألوهية الله تعالى أو رسالة رسول من المرسلين أو زعم أن نبيًا يأتي بعد خاتم النبيين ﷺ فقد كفر، وكل من جحد فريضة من فرائض الشرع المجمع عليها كالصلاة أو الزكاة أو الصيام أو الحج أو بر الوالدين أو الجهاد مثلًا فقد كفر وكل من استحل محرمًا مجمعًا على تحريمه معلومًا بالضرورة من الشرع كالزنى والسرقة وشرب الخمر وأيضًا الاستخفاف بالدين والشرع قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ إلى آخر ما ذكره العلماء في هذا الباب.

الحيطة في تكفير المعين: هذا وينبغي الحيطة والحذر في تكفير المعين إلا بعد قيام الحجة الرسالية ويكون الدليل أوضح من شمس النهار ويفعل ذلك الحاكم أو من ينوب عنه وعقوبة المرأة هي عقوبة الرجل في ذلك سواء لا فرق،

تنبيه: من قال كلمة الكفر مكرهًا تحت ضرب أو تهديد وقلبه مطمئن بالإيمان فلا شيء عليه لقوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ومما هو معفو عنه: خاطر النفس

الحكمة في قتل المرتد حفظ الدين وحفظ الأمة وسد الذرائع ومنع الفتنة، وإذا كانت الدول تقتل من خرج عن دستورها فكيف بمن خرج عن دين الله؟

إشاعة التطرف: من أعظم أسباب إشاعة التطرف: كلام هذا المفتي، وستجد من يكفره ونتيجة الحماس ستجد الطرف النقيض والعنف والتكفير بسببه ولكل فعل رد فعل فإذا خرج عمرو خالد وقال أن الإسلام لا يجيز العنف في الدفاع عن الحياة أو الوطن؟ فماذا نصنع إذا دخل الامريكان الديار؟ هل نقول لهم أهلًا وسهلًا ومرحبًا؟ اقتلوا واسرقوا وانهبوا وازنو بنساءنا؟؟!! هل هذه هي ضريبة الشهرة وثمن الجوائز؟

ألم يقل رسول الله ﷺ من قتل دون ماله فهو شهيد؟ وكذلك من قتل دون دينه ودون عرضه؟ ألم يفتى الشيخ نصر فريد واصل أن العمليات الفدائية استشهاد في سبيل الله؟ ألم يكن السكوت أفضل لعمرو خالد وكذلك المفتي؟ وقد سمعنا عمن يريد تدمير مترو الانفاق وما هذا إلا رد فعل لهذا التخاذل والانهزام، ولا يفعل ذلك إلا عدو من أعداء الأمة أو هو إنسان مخبول، ونحن نرد على هؤلاء وهؤلاء

فالدعوة السلفية دعوة مباركة وهذا المنهج معصوم بعصمة الكتاب والسنة وهو الحق والوسط ويرد على هؤلاء المتطرفين الذين يستحلون الدماء المعصومة لأن هذا الشعب مسلم ولا يجوز قتله وما هي جريمته لكي يقتل، قال رسول الله ﷺ « **ألا إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا** » وقال ﷺ « **لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل المسلم** » والنصوص كثيرة في حرمة دماء المسلمين وان حرمته أعظم عند الله من حرمة الكعبة المشرفة وكذلك نرد على هؤلاء المتخاذلين الذين يقرون الردة والتحول عن دين الاسلام بدعوى حرية التدين ويبطلون الدفاع عن الدين والعرض والوطن بالدماء، ولنا في صحابة رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة في الدفاع عن دين الله والجهاد في سبيله ولن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها وما لم يكن يومئذٍ دينًا فليس اليوم بدين، والله سبحانه لا يصلح عمل المفسدين ولا يضيع اجر المحسنين، فعودوا إلى دينكم واستجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال والكافرون هم الظالمون.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الذئاب البشرية والعرض الجماهيري

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد فقد أثار موضوع الطفلة هند التي اغتصبت ضجة كبيرة ولغط في جميع الأوساط وأدلى كلٌّ برأيه والعجيب أن ينحى الشرع جانبًا فلا يعرف ما الداء وما الدواء وما الأسباب التي أدت لمثل هذا وما هي طرق العلاج بل اقترح كل شخص عقوبة مشددة في نظره للقضاء على هذه الظاهرة وأصبحت الأحكام خاضعة للرأي والرأي الآخر، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على لوثة ديمقراطية وهذه البرامج الحوارية التي تعرضها قناة الجزيرة وغيرها من القنوات خطر كبير جدًا وتكريس للديمقراطية وإبعاد عن دين الله تبارك وتعالى مثل برنامج الاتجاه المعاكس، الرأي والرأي الآخر، والمطلوب تطبيق شرع الله لأن كل انسان له عقله وفهمه وقدراته ولا يجوز العرض الجماهيري بدون الرجوع لكتاب الله وسنة رسول الله ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.

فينبغي أن تكون العقوبة وفق شرع الله لا وفق الأهواء، ومن عجيب الأمر أن تجد عقوبة تقبيل المرأة السجن خمس سنوات في حين أن الزنا إن كان برضاء الطرفين فلا عقوبة حينئذ!!؟، وفى الغرب تجد أيضًا الشذوذ في الأحكام وغيرها فيبيحون للبنت أن تزني إذا كانت في الرابعة عشر من عمرها ولا يبيحون الزواج قبل ثمانية عشر عامًا وليس للأب أن يتحكم في ابنته فلا يستطيع أن يمنعها من الزنا وإن فعل فما عليها إلا الاتصال بالشرطة لتمنع أبيها من اعتراضها!! فهل هذه الصور تصلح لمجتمع مسلم وهل تقنين سن الزواج وتأخيره هو الحل؟، البنت إذا حاضت يمكن أن تحمل فلا عجب ان الطفلة تلد طفلة، إذن فلابد من حيطة وحذر والالتزام بالحجاب الشرعي والتأدب بشرع الله من عدم الخلطة والخضوع بالقول والخلوة بالمرأة الاجنبية، وهذه الفعلة سواء الاغتصاب أو الزنا هي جريمة سواء كانت البنت صغيرة أو كبيرة وسواء كان برضاء

الطرفين أو عدم الرضا وإن كانت الدناءة أن تجد البعض لا يشبع ولا يقنع ويحتاج الى الافتراس لفساد طبعه وخبث سريرته، والشفقة الحقيقية أن نأخذ بأيدي الناس إلى دين الله تبارك وتعالى وأن ندعوهم بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأن يطبقوا شريعة الله ويقيموا حدود الله ويتأدبوا بأخلاق رسول الله ﷺ وحينها تنعم الامة بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين



البابا شنودة لا يتكلم في السياسة !!

كانت إجابة البابا شنودة لما سئل عن الوثيقة التي صدرت عن الفاتيكان إجابة ذكية حيث قال: أنا لا أتكلم في السياسة !!؟ وكان البابا بنديكت السادس عشر بابا الفاتيكان أقر وثيقة تقول بأفضلية الكنيسة الكاثوليكية الرومانية على غيرها من الكنائس، وتعتبرها «كنيسة المسيح الحقيقية» و«الطريق الحقيقي الوحيد للخلاص»، في حين تعتبر باقي الكنائس إما «معيبة» أو «غير حقيقية». وكانت هذه الإجابة (إجابة البابا شنودة الثالث بطريرك الإسكندرية والكرازة المرقسية) حتى لا يفتح باب الدمار على عموم النصارى فمن المخطئ؟ ومن المحرف؟ وكل طائفة منهم تكفر الطائفة الأخرى فما اجتمعوا مجتمعًا إلا ولعن بعضهم بعضًا وكفَّر بعضهم بعضًا فكلهم لاعن وكلهم ملعون يقول الإمام ابن القيم: «فلو سألت الرجل وامرأته وابنته وأمه وأباه عن دينهم لإجابك كل منهم بغير جواب الآخر، ولو اجتمع عشرة منهم يتذاكرون الدين لتفرقوا عن أحد عشر مذهبًا مع اتفاق فرقهم المشهورة اليوم على القول بالتثليث وعبادة الصليب. ..».

والكنيسة الكاثوليكية هذه تعتبر دولة دينية داخل الدولة لها علم خاص بها ولها سفراء وتدعى زعامة النصارى وتريد إقامة الدولة العالمية الكبرى، أما الامريكان وهم بروتستنت فيزعمون أنهم أولى منهم بإقامة الدولة العالمية الكبرى لأنهم هم الدولة الدينية وأقاموا حرب على الكنيسة الكاثوليكية وأثبتوا تحريفهم للكتاب...

ومن قبل أصدرت هذه الكنيسة وثيقة تبرىء فيها اليهود من دم المسيح عليه السلام وهذه الوثيقة أيضًا تدمر العقيدة النصرانية القائمة على الصلب والفداء، ونحـن كمسلمين نؤمن أن المسـيح لم يُقتل. وأن الله تعالى ألقى شبه المسيح على يهوذا الخائن، فقتله اليهود ظانين أنهم قتلوا المسيح قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، وهو الآن في السماء ينتظر الإذن بالنزول، فينزل قرب قيام الساعة: يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويحكم بحكم الإسلام، لا ندري ما هي حالة القوم الآن، وما

هي عقيدتهم بعد أن استصدر اليهود وثيقة من الفاتيكان في روما تبرئ ساحتهم من قتل المسيـــح؟! وهل سيتُهـم الفاتيكـــان بالعمالة لليهـود؟!، وهل التآخي معهم من الممكن أن يأتي على حساب العقيدة في أساسها وصلبها، وما موقف الأرثوذكس وغيرهم من طوائف النصارى من فعلة الفاتيكان الكاثوليكي؟ ومَن قتل المسيح إذن في اعتقاد الكاثوليك والفاتيكان، وهل هم مازالوا نصارى؟!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

فتح وحماس: مشاهد متكررة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد، فإن ما يحدث في فلسطين اليوم هو هو نفس الشكل والنمط الذى حدث في العراق وافغانستان بحذافيره، واقرأوا التاريخ، وهو هو قد يحدث غدًا أو بعد غد وستجد الغرب واليهود والأمريكان كلهم يتحدون مع طائفة منا ويستثمرون الخلافات بين المسلمين ويأججون النيران ليفرقوا بين المسلمين، والمشاهد متكررة على اختلاف البلدان والأزمان وستجد أصابع اليهود في بلادنا وبلاد المسلمين، فقد وضعوا الحواجز بين المسلمين ودينهم ثم يستثمرون ويوظفون الأحداث فهؤلاء يتهمون الآخرين بالخيانة وهؤلاء يتهمونهم بالنفاق وموالاة المشركين، والطعن في الاشخاص قد يكون مقبولًا ولكن استغلال بعض المواقف أو التصريحات أو الفتاوى للطعن في الدين غير مقبول، ويظهر ذلك في كلامهم فيقولون الطائفة الظلامية !! والفقه البدوي!! فيجب الانتباه والحذر ولا بد من التأسيس والوقوف على أرضية مشتركة مع المخالف وهذه الارضية هى الرجوع الى الكتاب والسنة، ولكن مع العلمانيين والطاعنين في الدين فلا توجد أرضية نشترك معهم فيها لأنهم يحاربون دين الله ويطعنون فيه.

والاقتتال بين الفلسطينيين فتنة شديدة كيف يقتل المسلم أخاه ولربما قال البعض «اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» وقد يبرر البعض بدفع الصائل وقتال أهل البغى، وهى كلها مقدمات أدخلت الخلق لمتاهة أخرى والنصوص لا بد من تطبيقها على واقعها حتى لا نقع في فتنة أخرى، فمن الباغي؟ ومن المظلوم؟ وتسمع من الطرفين نفس الكلام من رمى الثانى من فوق البناية، والعدل أساس الملك وبه قامت السموات والأرض ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْ﴾ إذن فمن الباغي ومن انقلب على من؟ هل حماس انقلبت على فتح؟ أم أن فتح هي التي انقلبت على حماس؟ والفريقين يستدلون بنفس المقدمة وكلهم منتخب من الشعب ويطالبون

بالشرعية والقانون، ومتى كانت الشرعية والقانون تحق الحق وتبطل الباطل؟ وعندما نجد اليهود والعلمانيين والأمريكان مع حزب واحد فلابد أن ننتبه ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ ومن المعلوم أن أبو مازن هذا بهائي، وأيًا كان فالظلم حرام وحلف الفضول كان لنصرة المظلوم قرشيًا كان أو غير قرشي، إذن لابد من النظر وتطبيق الواقع وضبطه بشرع الله، وهنا عدة مسائل نذكرها باختصار شديد:وهي مذكورة في كتاب «تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد» لفضيلة الشيخ سعيد عبد العظيم؟

١ - هل كل حاكم استحق العزل لا بد وأن يعزل؟

ليس كل من استحق العزل يعزل، وإنما ينظر إلي ما سيترتب علي هذا العزل، فإن ترتب عليه فتنة أكبر لم يجز العزل والخروج عليه، كما لا يجوز إنكار المنكر بمنكر أعظم منه، أما إذا أُمِنَتْ الفتنة وقدر على عزله بوسيلة لا تؤدي إلى فتنة فلا بأس حينئذ. وهذا يستلزم أن ننظر بعين الاعتبار إلى أمور ثلاثة: التحقق من أن الحاكم قد أتى ما يستوجب العزل.

هل عندنا الاستطاعة على عزله أم لا؟ وذلك لأن هذا الواجب يسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة

وهل المصلحة محققة بعزله أم لا ؟

وما حكم الانقلابات العسكرية. ...وهذا المسلك نرفضه ونُخطِّئه لما ينجر بسببه من بلاء وفتنة ومفاسد عظيمة، هذا بالإضافة إلى عدم توافر شروط القتال الإسلامي فيه كالتمايز والإنذار. يقول الشيخ الألباني:: «وكل دعوة إلى إسلامية الدستور في ظل الفساد القائم لا تعدو كونها لفظًا للزينة، إذ ليس من الحكمة معالجة الأمور الشكلية بل الواجب هو العمل للأهم فالأهم، والأهم هنا هو إصلاح عقائد المسلمين وتزكية التقوى والدعوة على أساس التصفية من البدع والتربية علي التوحيد»، هل يجوز الاستعانة بالكفار في الغزو؟ يجوز الاستعانة بالكافر في تعليم المسلم ما لا تعلق له بالدين، كالصناعة والهندسة

والطب وفنون القتال ونحو ذلك، وقد استعان النبي ﷺ بخبرة عبد الله بن أريقط يوم الهجرة، كما استعان بأسرى بدر في تعليم أبناء المسلمين الكتابة كفداء. وقد استعار أدراع وأسياف صفوان بن أمية يوم حنين.

وقد قيد أصحاب القول بجواز الاستعانة بشروط منها :الحاجة إلي الكفار في حالة عدم وجود من يحل محلهم من المسلمين ومنها ـ الوثوق بهم وغلبة الظن على أمانتهم وعدم مكرهم، وأن يكونوا مغلوبين مقهورين بحيث تكون مع الإمام قوة تقهرهم لسلطانه، واشترط ابن حزم ألا يتعدى أذاهم لمسلم ولا ذميّ وإلا وجب الصبر وبدون هذه الشروط لا تجوز الاستعانة بهم.

ولا ينبغي أن نغفل قراءة التاريخ بعد تحكيمنا لنصوص الشريعة فما من مرة استعان فيها المسلمون بالمشركين إلا وحلت النكبات بهذه الأمة، وما ضاعت الأندلس وسقطت خلافة بني عثمان إلا بسبب الاستعانة بالكفار. وفي التاريخ الحديث جربت البلاد الإسلامية الدخول في معاهدات الحماية مع أوروبا فكانت النتيجة لهذه الحماية الاستعمار وخراب الديار ونهب الثمار، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٧٣].

حكم الصائل:

جاء في كتاب سبل السلام، في الصائل وعن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قتل دون ماله فهو شهيد**» [رواه الأربعة وصححه الترمذي]، في الحديث دليل علي جواز الدفاع عن المال وهو قول الجمهور، وشذ من أوجبه فإذا قتل فهو شهيد كما صرح به هذا الحديث، وحديث مسلم عن أبي هريرة: «**أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟، قال: فلا تعطه، قال: فإن قاتلني. قال: فاقتله، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: فهو في النار**».

ضوابط المصلحة في إنكار المنكر:

استخلص العلماء القواعد التي تحقق المصلحة وتدفع المضرة والمفسدة من عشرات النصوص مثل: « درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة » تحصيل أعظم المصلحتين بدفع أدناهما عند المعارضة وعدم إمكان الجمع. «التزام أخف المفسدتين بتفويت أعظمهما في حالة عدم الاستطاعة على دفع كليهما » «الضرر يزال» «الضرورات تبيح المحظورات» «الضرورة تقدر بقدرها».

وكذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فلا يجوز للإنسان أن ينكر منكرًا بمنكر أعظم، أو أن يثبت المنكر ويستجلب منكرًا آخر بإنكاره، ولا يجوز له أن يتلف نفسه في غير مصلحة شرعية أو أن يستلحق المضرة والأذى الشديد بالآخرين من الأهل والأصدقاء والإخوان، إذا أنكر المنكر ولا يشفع له في ذلك كله حسن نيته، أو اكتفاؤه بمعرفة أن هذا منكر، ثم ينكره بأسلوب لا يجيزه الشرع.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

الرد على عمر الشريف: الاسلام غير ديمقراطى !!

في لقاء لعمر الشريف مع بعض المثقفين قال: أن الإسلام غير ديمقراطى وأنه مختلف عن اليهودية والنصرانية وأن الإسلام له دستور يحمل قواعد يجب أن يسير عليه أتباعه وانبرى الآخرون في الدفاع عن الاسلام واثبات انه دين الديمقراطية، ونحن نرد عليه وعلى الآخرين: لا الأول ولا المدافعين،

وليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه، لأن الإسلام ليس ديكتاتورية ولا ديمقراطية، الإسلام هو الإسلام ولا داعي لانبهار عمر الشريف بالديمقراطية فالاسلام يعلو ولا يعلى عليه والديمقراطية شر وفساد كبير نظام وضعي مادى أرضي ليس لله فيه نصيب، وليس لنا به حاجة، وحال أهلها لا يدعو للانبهار إذ أنهم قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الرُّوم : ٧] والحضارة التي عليها الغرب إن صح تسميتها بذلك – هى حضارة القلق، حضارة آيلة للانهيار والسقوط – ونحن لن نبيع ديننا بدنيانا ولا بدنيا غيرنا وما أبعد دعوى الإصلاح الديمقراطي عن الحقيقة والواقع وبالتالى فتصوير الديمقراطية على أنها حلم وأمنية وأنها الجنة الموعودة، وأنهم يعطوننا الديمقراطية بالقطارة!! وينظرون لنا على أننا قصر عندما يطبقونها بالتدريج !! أو أن الديمقراطية هى الحل. ... فكلها عبارات تنطوى على سفه عظيم، وما أجدر أن يقال لأهلها ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ وفى المقابل وجدنا من يهدد ويقول لا ديمقراطية لأعداء الديمقراطية وأن الديمقراطية لها أنياب !! وكأنها العطية والمنة والنعمة !!!

ما أكثر صور الاستخفاف بالعقول والترويج للأباطيل الديمقراطية باستخدام كلمات رنانة كالرأي والرأي الآخر والأغلبية والأكثرية والحرية حرية إنشاء الصحف وإقامة الأحزاب وبدلًا من عرض المسائل على العلماء المعتبرين لمعرفة حكم الشرع فيها تجد الصحفى يسأل الراقصة والمغنى واللاعب والملحد والشيخ عن حكم تولى المرأة

القضاء مثلًا ولن تعدم كثرة من هؤلاء تجيز ذلك ويكون هذا هو حكم الأغلبية الذى يجب أن يطبق، فهذا هو المطلب الشعبى الجماهيري وشيئًا فشيئًا يصبح حكم الدين منزويًا مغمورًا فرأي عالم الدين يتساوى مع رأى الراقصة والمغنية!! مصادامات واضحة لدين الله قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾. فليس لنا أن نختار مع الله أو مع رسول الله ﷺ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾إن الحريات الديمقراطية أشبه شئ بالسيارات التي تنطلق بلا فرامل أما الحرية في الإسلام فهى تصاغ في قالب العبودية لله جل وعلا فإن لم يكن الإنسان عبدًا لله صار عبدًا لهواه أو شيطانه، أو للدنيا، وكثير من المنادين بالحرية هم أسرى العبودية المقيتة للبشر، ففى الوقت الذى يرفضون فيه حكم الله، يقبلون النظم الوضعية والقوانين الطاغوتية الكفرية

ثنائيات ليس للإسلام فيها نصيب ومن عجيب الأمر أن من رفض الديمقراطية قالوا له: إذًا أنت ديكتاتوري، ومن رفض الاشتراكية قالوا له أنت رأسمالي ثنائيات ليس للإسلام فيها نصيب؛ وكأنهم أسقطوه من حساباتهم، حتى ينسى الناس إسلامهم ثم يخجلون من التلفظ باسمه أو التلبس بشعائره، وشبيه بهذا من يتغنى بان إسرائيل هى واحة الديمقراطية في هذه المنطقة !! يا قومنا: لقد رضينا بالله ربا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا.

نحن نرفض الديكتاتورية كما نرفض الديمقراطية وإذا كان البعض قد تجاوز وتعدى باسم الإسلام. فالخطأ مردود عليه، وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ «قل إن ضللت فإنما أضل على نفسى» فالإسلام معصوم بعصمة الله والأفراد ليسوا كذلك وإذا كان هناك من طغى باسم الدين فقد ارتكبت باسم الحرية أفظع الجرائم في الثورة الفرنسية فالمهم صحة المنهج وكيف يفرضون الديمقراطية وهي نظام قائم على الحريات! ! ولنا ديننا الذى نعتز به ولا نرضى به بديلًا.

فالديمقراطية مرفوضة سواء جاءت من الخارج. أو تنادى بها بعض المثقفين من الداخل، وبل لابد من رفضها حتى لو صارت مطلبًا شعبيًا وتنادى بها كل أهل الأرض، فالنبي قد يحشر يوم القيامة وليس معه أحد، وأهل السنة من كان على الحق وإن كان وحده ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾. لابد من حذر متأكد من المناداة بالشرعية الدولية والإجماع الدولى، والقرارات الدولية.... فكل ما خالف الكتاب والسنة لابد من رفضه ورده على صاحبه ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر: ١٣] والإجماع الذي نعرفه هو إجماع العلماء المعتبرين في عصر من العصور على حكم شرعي: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

الإصلاح لا يمكن ان يتحقق الا بالرجوع للكتاب والسنة بفهم سلف الأمة والعودة الصادقة لمنهج الأنبياء والمرسلين قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢] وقال نبي الله شعيب قال تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨] وحذرنا سبحانه من الإفساد في الأرض بالمعاصي والذنوب قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٨٥] والحذر كل الحذر من الإفساد في الأرض باسم الديمقراطية وغيرها ومن التشبه بالمنافقين. إن العمل بدين الله هو الذي يكفل لنا سعادة الدارين ويتحقق به الخير والصلاح في العاجل والآجل فأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له واحذروا طريق قوم قد ضلوا وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين

الحصاد المرّ

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد ..

فقضية أطفال الشوارع لا تحتاج إلي جهود وتكاتف كل الأجهزة والوزارات والجمعيات الأهلية فقط ولكن تحتاج لكل فرد في الامة ويجب الانتباه لها، خاصة وأن عددهم كما يقولون وصل إلى ٢ مليون طفل، هل المشكلة في الفقر أو المرض أو الجهل أو الأخلاق أو البطالة أو التيه، ما هي حجم القنبلة الموقوتة التي ستنفجر أو انفجرت فعلًا من أولاد الشوارع وأولاد أولاد الشوارع، وما حجم المشكلات التربوية والكل يعاني من عقوق الوالدين، وقد كانت المدارس في الماضي هي الملاذ فهل هي كذلك الآن؟ وكيف حال المدرس هل يقوم بواجبه من التربية والتوجيه أم أصبح المدرس هو مكمن الخطر؟ وهل التربية في البيوت تقل عن تربية أولاد الشوارع ونحن نعاني من المخدرات والسرقة والزنا واللواط والبيوت آيلة للانهيار والسنن الكونية أن البناء صعب عسير والهدم سهل يسير، فالحاصل أن المسئولية على المجتمع ككل وإن لم نتحرك فالدائرة ستدور على الجميع، يجب علينا أن ننهض بواجبنا وكل له دور وله مهمة لا ينبغى أن نتخلى عنها، أنت صاحب مهمة ولك دور، وقصور النظر آفة لا تجعلها تعرقلك فنجد البعض يقول: هل الدعوة والتبليغ على حق أم على باطل؟

والجواب: اخرج انت وانهض انت وقم بتبليغ الحق إلى الخلق ولا تكتفي بالخطبة والدرس ولكن اذهب الى الناس، تستطيع أن تذهب إلى المستشفيات وإلى الملاجئ ودور المسنين وهم يحتاجون إلى الدعوة والتبصير بدين الله والتفقه في الدين، لماذا لا تذهب إلى المقابر وتنصح الناس وهم بالآلاف يوميًا يشيعون الأموات في لحظات صدق ويقول النبي ﷺ «**بلِّغوا عني ولو آية**»، ولا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلق أخاك بوجه طلق، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل وأنت صاحب دعوة لا ينبغي أن تتخلى

عنها ويجب أن تتحلى بسعة الصدر وشمولية النظرة وعلو الهمة والأمر لا يحتاج الى كثير من العلم بقدر ما يحتاج إلى صدق مع الله والعلم يزكو بالنفقة، فتستطيع أن تعلم الأولاد الصلاة والأخلاق وتحفظهم قدرًا من القرآن والدعوة لكل الناس وليست حكرًا على أحد ويجب تبليغ كل الخلق قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ والربانيون هم الذين يبلغون كل الناس الرجل والمرأة، الكبير والصغير، الغني والفقير، يجب الاهتمام بالنساء ودعوتهن وبالأطفال وتربيتهم، ولو أنصفنا فنحن السبب في أولاد الشوارع يوم أن منعنا الأولاد من دخول المساجد وتخلينا عن واجبنا وتركت المرأة حجابها ودخلت الأفلام والأغانى كل بيت فماذا تنتظر إلا الضياع والانحراف عن منهج الله، فجاهدوا أنفسكم واستعينوا بالله واستشعروا أنه لا حول ولا قوة إلا به سبحانه.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

اللهم اجعل د ستورنا الكتاب والسنه

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. . أما بعد،

منذ أيام وأنا داخل لصلاة الظهر – في إحدى المناطق – سمعت رجلًا كفيف البصر، كبير السن، قبل أن يدخل في الصلاة يقول: «اللهم اجعل د ستورنا الكتاب والسنه».

قلت: سبحان الله، انتابنى والله شعور غريب فبعض «فلاسفة المسلمين» عندما يسمعون كلمة الدستور يحتارون يا ترى إيه الدستور ؟؟

وما هي المواد التي ينطوي عليها الدستور ؟؟

– بينما رجل كفيف كبير في السن قال اللهم اجعل دستورنا الكتاب والسنه قلت: سبحان الله هذا الرجل فقيه، الرجل فقيه ببساطه، ذلك أن الفقه عند البعض سار ككلام فلاسفه، لابد ان تقول ألغاز لكى تكون فقيهًا.

لا والله وأنت تتعامل مع الله وبعد ذلك تخاطب القوم على قدر عقولهم، وما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنه، حدثوا الناسَ بما يعرفون أتحبون ان يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُه، فما من نبى إلا وبعث بلسان قومه، أنا لا أ حتاج أن أتشبه بالشيوعين فأقول ألغاز، والكلمه الأولى غير مفهومة، والعاشرة مثلها وستظل أنت طوال الخطبة والدرس تقول الكلمة التي قالها هذه ماذا كان معناها؟ وتصبح الخطبة كلها ألغاز !!!!!!! تقول أحيانًا بسبب الجهل كما حكى لي في يوم من الأيام أحد الإخوة أن أحد خطباء الجمعة تكلم عن الظلم، والخطبة من ورقة واحدة يقول وهو يخطب عن الظلم ويحكي عن قصة الصياد الذي اصطاد سمكه، وكان هذا الصياد ظالمًا!! يقول فسمعته يقول فلتوت السمكه وعضَّت الصياد، يقول ظللت منشغلًا طوال الخطبة إيه معنى فلتوت السمكه؟؟ أى والله طوال الخطبة منشغل نسى موضوع الظلم وماذا قال هذا الرجل الطيب، يقول ظللت طوال الخطبة وأنا منشغل بكلمة فلتوت السمكة

وبعدما انتهت الخطبة عدت وأدركت ان فلتوت السمكة بمعنى التوت السمكة – من الالتواء –

والله مشكلة فالبعض كما ذكرنا ممعن أحيانًا في الألغاز يأتيك بالألغاز حتى لا تفهمها تمامًا كالشيوعين، والبعض منا يسلك نفس المسلك انت انظرمن تخاطب أنت تخاطب أناسًا أكثرهم لا يعرف القراءة ولا الكتابة – فضلًا عن أن يفهم الألغاز – خاطب الناس ما يعرفون فلا مانع مع التبسيط مع المحافظة على المعاني الشرعية فالنبي ﷺ بعث بلسان قومه ليبين لهم وكذلك إخوانه من الأنبياء والمرسلين كلهم كلموا أقومهم وخاطبوهم بما يفهمون.

نرجع إلى الرجل البسيط الذي قال في بدايه صلاته: «اللهم اجعل دستورنا الكتاب والسنة».

فمع كثرة التلبيسات والملبسين – من المغرضين أو من الطيبين ولكنهم جهال – يأتي هذا الرجل البسيط بلا فلسفة أو تقعر ويختصر ما شغل الكثيرين في جملة واحدة:

«اللهم اجعل دستورنا الكتاب والسنة»

فسواء كنا حكامًا أو محكومين فالكل مطالب ومأمور أن يرجع وأن يرد الأمور كل الأمورإلى ما جاء في كتاب الله عز وجل وإلى سنة النبي ﷺ ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾

هذا الرجل – الكفيف البسيط – ذكرني حقيقة وهو يتكلم ببساطه هكذا أن البعض ممن يطلق عليهم وصف فلاسفة المسلمين وبعدما قضى عمره في الشك والحيرة – كشأن سائر الفلاسفة – يقول عند موته: «ها أنا أموت على عقيدة عجائز نيسابور»

لماذا؟ لأن العجائز والأمهات أخذوا الأمور ببساطة بدون فلسفة للأمور ولا تعقيد، عودة إلى الفطرة النقية التي لم تتلوث.

بالنسبه للرجل وهو يقول اللهم اجعل دستورنا من الكتاب والسنه باختصار شديد مع أنه داخل في الصلاة ولكنه وعظ وذكر والتذكره لنا.

و إلا فأحب أن تسأل نفسك ماذا سأقول للناس حين أرى في الشارع منكرات خذ الأمور ببساطة ،كلمة من رضوان الله لست مطالب بخطبة عريضة، أنت لن تقف مع الناس ساعة، لو أنت وقفت مع الناس ساعة فالناس ليس عندهم وقت وأحيانًا في المؤتمرات وغير المؤتمرات يقولون لك تكلم دقيقة واحدة، دقيقة واحدة لو تكلمت بعدها سيقطع عليك الكلام، فأنت محتاج إلى فقه نفس حتى توصل المعنى في مدة دقيقه واحدة، أوجز وأجمل ولا بأس أن يكون الكلام كلام عجائز وعقيدة أمهات، لا داعي أبدًا للانبهار بكلمات فلسفية الزمن دقيقه أقول فيها كلمة: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾.

أقول كما قال هذا الرجل – الكفيف البسيط:- «اللهم اجعل دستورنا الكتاب والسنه».

وهذه المسالة: لو اتسع الوقت لأتكلم ساعة لا إشكال وأفسر أنا ما هي الأحكام التي وردت في الكتاب والسنة في الحرب والسلام والسياسة والاقتصاد وغيرها... لو اتسع الوقت نسترسل ونفسر ولكن لا تغيير ولا تبديل.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

التعليق على خبر كسوف الشمس يوم الأربعاء

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ..

فقد أعلنوا عن كسوف الشمس يوم الأربعاء ٢٩ من صفر الموافق ٢٩مارس بحيث يظهر في الساعة الحادية عشر ونصف صباحًا بالسلوم وستكون نسبته ١٠٠٪ وسيحدث الكسوف بالإسكندرية في الساعة ١٢,٥ ظهرًا وتكون نسبته ٩٢٪ وستقام احتفالية سياحية في مطروح لهذا الحدث وتم إغلاق طريق السلوم تحسبًا لحالة الظلمة وما قد يترتب على ذلك من حوادث وسرعان ما انتشر الخبر هنا وهناك وكثرت الأسئلة حول هذا الموضوع، وتجدر الإشارة إلى عدة مسائل:

الأولى- النذر تواجه بطاعة الله لا باحتفالية سياحية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ «**وقد كان النبي ﷺ إذا تغير الجو أو هبت ريح يتغير ويدخل الحجرة ويخرج كل ذلك مخافة عذاب وذلك لأن الريح الذى يأتي بالمطر قد يأتي بالعذاب**» قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ والتناسب واضح بين حالة الكون وحالة البشر فإذا حدث الكسوف أو الخسوف للشمس أو للقمر فهذا نذير والنذر لا تواجه بلعب واحتفالات سياحية وإنما تواجه بإنابة واستقامة وصلاة وتوبة ودعاء قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾.

الثانية- عظيم قدرة الله في خلقه:

عندما تظلم الشمس ويحدث لها الكسوف فهذه آية دالة على عظيم قدرته سبحانه ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ فهو القادر على خرق السنن والنواميس والشمس التي من شأنها أن تطلع من المشرق وتغيب في المغرب ستطلع في آخر الزمان

من المغرب وتغيب في المغرب وسيؤمن الناس جميعًا وذلك حين لا ينفع نفسًا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا[و]الشمس من شأنها أن تنير وتبعث بأشعتها ويأتي عليها وقت تظلم فيه ويحدث لها الكسوف وكل ذلك يتم وفق أمر الله [ف]الكون من حولنا مخلوق ومربوب قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾.

الثالثة- البشرية بحاجة لنور:

لا بأس بإغلاق طريق السلوم لكسوف الشمس تخوفًا من الحوادث وإزهاق الأرواح بسبب الظلمة فالنور شأنه عظيم وبه تتحقق سلامة النفوس وأعظم صوره نور الوحي قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا وفي قبره وللمرور من على الصراط ومن كانت بضاعته النفاق أعطاه الله نورًا على قدر ع نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ والإنسان بحاجة لهذا النور في حياته مله الظاهر فإذا توسط الجسر المضروب على متن جهنم أطفئ ما بيديه من نور فيطلب المنافقون نورًا يسيرون به فلا بد لهم من نور ويقولون لركب الإيمان: انظرونا نقتبس من نوركم فيقول لهم ركب الإيمان ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وهو الذي يلي المؤمنين) وظاهره من قبله العذاب (وهو الذى يلي المنافقين) فيقولون: ألم نكن معكم نصلي كما تصلون ونصوم كما تصومون؟ فيقول لهم المؤمنون: بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانيُّ حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور وتخطفهم كلاليب جهنم فتهوى بهم في قعرها ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ تذكر حاجتك للنور وشدة الظلمة عليك ومحبتك لحياة النور كما تدعى فأنت بحاجة لنور حقيقي يستمد من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ .



الرابعة- رب ضارة نافعة:

انتشر الخبر بسرعة البرق هنا وهناك وكثرت الأسئلة حوله وهذا من جراء ثورة الاتصالات فقد أصبحت الدنيا أشبه بحجرة صغيرة، ولقد تخوف البعض من النت والقنوات الفضائية والسماوات المفتوحة وأنت صاحب دعوة فهل من الممكن تكثير الخير والصلاح وتقليل الشر والفساد، وهل من الممكن استخدام هذه الوسائل المتاحة في إبلاغ الحق للخلق وتعبيد الدنيا بدين ربها؟ نحن لا نخلق الفرص وأيضًا لا نضيعها فهل من الممكن إذا حدث كسوف الشمس أن توضح المفاهيم وننشر السنن أم سنظل نتكلم على القنوات الإباحية والهدم والتخريب الذي يسعى إليه أعداء الإسلام عن طرق الغزو الفكري فإذا كان الأعداء يهدمون فعليك أنت أن تبني وأنت موفق ومسدد، إذا كان هؤلاء ينشرون تاريخ الراقصة والممثلة وكيف صعدت طريق النجومية وتركت البيت لعالم الشهرة والأضواء ويطمسون حياة علماء الأمة وصالحيها فانهض أنت ورد الحق لنصابه وجاهدهم بدين الله جهادًا كبيرًا ونعم الوسائل لو استخدمت في نشر الخير والفضيلة والرجوع لمنهج الأنبياء والمرسلين واعلم أن الدال على الخير كفاعله ولأن يهدى الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمر النعم والدعوة لا تقتصر على الخطبة والدرس ولا على حيز المسجد، ومحيطها أوسع من الملتحين والمنقبات، دعوتك دعوة عالمية فارتفع لمستواها قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ دعوتك دعوة حقه وسط غثاء فارتفع لمستواها تأدية لشكر هذه النعمة ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾.

الخامسة- هل حدث الكسوف فعلًا أم هو مجرد حسابات؟

قد نقطع بصحة الحساب ونقول الكسوف سيحدث فعلًا في ساعة كذا في يوم كذا ويكون الشأن والحال كشأن أمارات الساعة الآتية التي نقول فيها لا داعي للتكلف والتعجل بل نترك الواقع يفسر لنا الأمارات والعلامات وأنها لا بد وأن تقع وفق خبر

الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه وحساب الكسوف أو الخسوف قد يصدق وقد يخطيء ومدار الأمر على الثبوت والحدوث والوقوع فإذا كسفت الشمس عندنا ورأينا الحدث شرعت صلاة الكسوف أما قبل ذلك فلا تشرع والعبادات توقيفية تؤخذ دون زيادة ودون نقصان والنبي ﷺ لم يصل صلاة الكسوف إلا عندما شاهد كسوف الشمس فالعبرة بالظهور والمشاهدة لا بمجرد الحساب والتوقع.

السادسة: صلاة الكسوف وما ينبغي على المرء فعله:

جاء في فقه السنة ما نصه: اتفق العلماء على أن صلاة الكسوف سنة مؤكدة في حق الرجال والنساء وأن الأفضل أن تصلي في جماعة وإن كانت الجماعة ليست شرطًا فيها وينادي لها: الصلاة جامعة والجمهور من العلماء على أنها ركعتان في كل ركعة ركوعان فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**خسفت الشمس في حياة النبي ﷺ فخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فقام فكبر وصف الناس وراءه فاقترأ قراءة طويلة ثم كبر فركع ركوعًا طويلًا هو أدنى من القراءة الأولى ثم رفع رأسه فقال سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد. ثم قام فاقترأ قراءة طويلة هي أدنى من القراءة الأولى، ثم كبر فركع ركوعًا هو أدنى من الركوع الأول ثم قال: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد. ثم سجد ثم فعل في الركعة الأخرى مثل ذلك حتى استكمل أربع ركوعات وأربع سجدات وانجلت الشمس قبل أن ينصرف ثم قام فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة**» [رواه البخاري ومسلم]

ورويا أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خسفت الشمس فصلى رسول الله ﷺ **فقام قيامًا طويلًا نحوًا من سورة البقرة ثم ركع ركوعًا طويلًا، ثم رفع فقام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول. ثم سجد ثم قام قياما طويلا، وهو دون القيام الاول ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون**

الركوع الأول ثم رفع فقام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول ثم سجد ثم انصرف وقد تجلت الشمس.

فقال «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله**».

قال ابن عبد البر: هذان الحديثان من أصح ما روي في هذا الباب وقال ابن القيم: السنة الصحيحة الصريحة المحكمة في صلاة الكسوف تكرار الركوع في كل ركعة لحديث عائشة وابن عباس وجابر وأُبي بن كعب وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري كلهم روى عن النبي ﷺ تكرار الركوع في الركعة الواحدة والذين رووا تكرار الركوع أكثر عددًا وأجل وأخص برسول الله ﷺ من الذين لم يذكروه.

وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد، وذهب أبو حنيفة إلى أن صلاة الكسوف ركعتان على هيئة صلاة العيد والجمعة لحديث النعمان بن بشير قال: «**صلى بنا رسول الله ﷺ في الكسوف نحو صلاتكم يركع ويسجد ركعتين ركعتين ويسأل الله حتى تجلت الشمس**»، وفى حديث قبصة الهلالى أن النبي ﷺ قال «**إذا رأيتم ذلك فصلوها كأحدث صلاة صليتموها من المكتوبة**» [رواه أحمد والنسائى] وقراءة الفاتحة واجبة في الركعتين كلتيهما ويتخير المصلى بعدها ما شاء من القرآن، ويجوز الجهر بالقراءة والإسرار بها إلا أن البخاري قال: إن الجهر أصح .

ووقتها من حين كسوف الشمس إلى التجلي، وصلاة خسوف القمر مثل صلاة كسوف الشمس. قال الحسن البصري: خسف القمر وابن عباس أمير على البصرة فخرج فصلى بنا ركعتين في كل ركعة ركعتين (أي ركوعين) ثم ركب وقال: إنما صليت كما رأيت النبي ﷺ [رواه الشافعى في المسند] .

ويستحب التكبير والدعاء والتصدق والاستغفار لما رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت**

أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبِّروا وتصدقوا وصلوا » وروي عن أبي موسى قال: خسفت الشمس فقام النبي ﷺ فصلى وقال: «**إذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره**».

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين

الصورة التي أذهلت العالم

بسم الله والحمد لله أما بعد ...

ففي آخر رحلة أطلقت فيها وكالة (ناسا NASA الفضائية) مركبة فضائية لتصوير الأرض من الفضاء بدت الأرض كالمعتاد كلها مظلمة ما عدا بقعتين اثنتين ظهرتا مضيئتين بنور ساطع واضح وهما الكعبة المشرفة بمكة المكرمة والمسجد النبوى الشريف في المدينة المنورة وهذه الصورة تناقلتها وكالات الأنباء وقد أذهلت مركز ناسا للفضاء وعندما نشرت أذهلت العالم أجمع وهذه الصورة تحمل في طياتها عدة مسائل تحتاج لتوضيح وبيان.

أولًا- *التثبت في نقل الأخبار*:

الدنيا أشبه بقرية صغيرة وما من يوم إلا وتسمع فيه عشرات الأخبار المثيرة وقد حذرنا سبحانه من نقل الكلام على عوانه فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ فلابد من التثبت والحيطة وهذه الأمة التي نتشرف بالإنتساب لها هى أمة إسناد والإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء، ما شاء قال تعالى بشأن قصة الإفك: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ ولما سمع أبو بكر من المشركين أن رسول الله ﷺ قد أسرى به قال: إن كان قال فقد صدق. ويخطئ كثير من الناس حين يحرصون على أن يتضمن القرآن كل نظرية علمية وكلما ظهرت نظرية جديدة التمسوا لها محملًا في آية يتأولونها بما يوافق هذه النظرية، وهذه النظريات ليست حقائق يقينية بل قد تتبدل وتتغير وشأن المسلم أن يصدق شرع الله ويُكّذب الواقع إن خالف ذلك ولسان حاله ينطق «**آمنت بالله وكذبت عيني**» وقد أخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه عن فُشُوِّ الكذب قرب قيام الساعة فقال: « **سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا أباؤكم فإياكم وإياهم** »[رواه مسلم]، وقال: «**إنها ستأتى على**

الناس سنون خداعات يُصدَّق فيها الكاذب ويُكذَّب فيها الصادق...» الحديث رواه أحمد وقال ابن كثير: إسناده جيد.

ثانيًا- صور الإعجاز كثيرة:

برهن سبحانه على صحة القرآن وأنه تنزيل من رب العالمين وقد دعا سبحانه الإنس والجن عبر العصور وكر الدهور على الإتيان بسورة من مثل هذا القرآن فما استطاعوا مواجهة التحدي وبث في كتابه الكريم الكثير من صور الإعجاز الطبى والفلكي والتشريعي..... ولا زالت الحقائق العلمية وغيرها تتكشف وليس فيها ما يخالف آية من كتاب الله تعالى وكون القرآن كتاب هداية لا يمنع من ورود إشارات علمية سيقت مساق الهداية، هذه الإشارات تعقد من أجلها المؤتمرات بين حين وآخر ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فُصِّلَتْ : ٥٣] وقد أمر جل وعلا عباده بإطلاق البصر للتدبر والتأمل في الآيـ ت المبثوثة على صفحات الكون وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد .

ولا شك أن العصر الذى نعيشه هو عصر الانبهار بالعلم والافتتان به فبيان هذا الإعجاز العلمي من دواعي الإيمان بالقرآن والتصديق بأنه تنزيل من رب العالمين والآيات التي تضمنت اشارات علمية تزداد عظمة ووضوحًا كلما تقدم العلم ولا يخفى أن الحق مقبول من كل من جاء به والباطل مردود على صاحبه كائنًا من كان والحق ما وافق الكتاب والسنة والكل يعلم مدى عجز البشرية عن إدراك الكثير من أسرار هذا الكون رغم إدعاءات التطور والتقدم والتحضر .

ثالثًا- الآيات كثيرة واضحة فلماذا لا يؤمنون ؟؟

لا يسعك إلا أن تردد وتقول نعوذ بالله من الخذلان فرغم كثرة الآيات ووضوحها ورغم أن الصور والمشاهد تلوي الأعناق وتدعو للإيمان إلا أن هؤلاء يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ما زال الناس في أوربا يجثون أمام صورة

العذراء، وفي روسيا يطوفون حول قبر لينن وفي أفريقيا يعبدون الأصنام ما زال البعض يعبد البقر والأحجار والأشجار والبعض الآخر يزعم أن الدماء الزرقاء تجري في عروقه فيجيز لنفسه أن يُشرع مع الله. إن مظاهر الجاهلية الأولى وصور الشرك القديمة مازالت موجودة ويضاف إليها الفلسفات العصرية التي انبهرت بها البشرية كالديمقراطية وغيرها والكثرة من هؤلاء لم تعرض عن الحق لعدم معرفتها به أو لعدم رؤيتها للآيات الداعية إلى الإيمان كلا فقد شابهوا أوائلهم في الضلال والخذلان قال تعالى في فرعون وقومه﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ أى أنهم كانوا على يقين من أن موسى عليه السلام على الحق المبين ولذلك قال موسى لفرعون﴿ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴾ ووصف سبحانه الكفار بأنهم يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبنائهم وأنهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها فهل تابعوا النبي ﷺ أو شكروا نعمة الله عليهم ؟! وصفحات الكتاب المتلو المقروء مملوءة بالآيات البينات فهل رفعوا بها رأسًا وما من يوم يمر إلا ونسمع عن مؤتمر بالإعجاز الطبى أو العلمي. . .فهل آمنوا بالله ربًا أو بالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا وهل استطاعوا مواجهة التحدي في الماضي والحاضر والمستقبل رغم ادعاءات العلم والتطور وقد قيل لهم ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤] فقطع القرآن بأنهم لن يفعلوا وبذلك ثبت عجزهم عن مواجهة التحدي وإذا كان هذا هو شأن المخذولين أيضًا قرب قيام الساعة فكثرة من الجهال والأعراب والنساء ستتابع الدجال على كفره وضلاله، ورغم أن الصادق المصدوق ﷺ أخبر عن أحواله وأنه أعور العين اليمنى ومكتوب بين عينيه كافر !! وستطلع الشمس من مغربها ويشاهدها الناس ويصبح الغيب شهادة ورغم ذلك لن تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ولن تقوم الساعة وأحد في الأرض يقول الله الله فاثبت أنت على إيمانك وأسلم وجهك لله ولا تنبهر بكثرة زائفة ولا تتردد إذا رأيتهم رغم وضوح الايات لا يؤمنون فهؤلاء لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها الآيات الواضحات ولهم آذان لا يسمعون بها داعى الحق

ظلموا أنفسهم بانحرافهم عن منهج الله وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

رابعًا- الدنيا مظلمة طالما خلت من نور الوحي:

من أسمائه سبحانه وتعالى: النور وقد وصف جل وعلا كتابه بالضياء ومن أعرض عن الوحي المنزل فهو في الظلمات سواء كان فردًا أو دولة قال تعالى ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ فالظلم ظلمات وأعظم الظلم أن تجعل لله ندًا وهو خلقك والبشرية اليوم تعاني من غربة شديدة وظلم وظلام دامس نتيجة الكفر بخالق الأرض والسموات ولا سبيل لأن تثوب إلى رشدها وتُهدى إلى صراط مستقيم إلا بأن تستنير بنور الوحي الذي أنزله الله وآمن به المؤمنون فأحياهم به وجعلهم يمشون به بين الناس وهذا النور أصله في قلوبهم، ثم تقوى مادته فتتزايد حتى تظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم بل وثيابهم ودورهم يبصره من هو من جنسهم وإن كان سائر الخلق له منكرون فإن كان يوم القيامة برز ذلك النور وصار بإيمانهم يسعى بين أيديهم في ظلمة الجسر حتى يقطعوه وهم فيه على حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيا ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

نهاية العالم خلال ٥٠ عامًا

بسم الله والحمد لله. أما بعد ..

فالخبر: عبارة عن تقرير أمريكي يتنبأ بنهاية العالم في الخمسين سنة القادمة بناءً على دراسات استمرت أكثر من ١٢ سنة رصدت تغيرات مناخية سوف تؤدي إلى فناء دول وأن البشرية ستعود بدائية وأن نيازك مدمرة ستضرب الأرض وأن الاحتباس الحراري سيؤدي إلى نقص الأكسجين وموت الآلاف وكثرة الأمراض الجديدة وأن الطاقة المعتمة بدأت التحرك على الرغم من سكونها منذ عشرات البلايين من السنين وأن ٨٠٪ من الأراضي الأمريكية مهددة بالغرق في الأطلنطي وأن الشرق الأوسط سيكون الأكثر أمانًا وأن مخزون الأسلحة النووية سيصيب البشر بكوارث صحية و....إلخ

التعليق:

أولاً- نهاية قريبة فماذا أعددنا لها؟!

أخبار مفزعة نسمعها كل يوم في عصر العلم والاكتشافات !! فهل غيرت فينا قدر أنملة ؟! وهل اهتزت لها شعرة !! هل ترك الكافر كفره؟ وهل تركنا الظلم والبغي وعملنا بطاعة الله؟ فتارك الصلاة والمتبرجة والمنهمك في لعبه وغيه كلٌ على حاله وهذا الحال يقرب للأذهان كيف ستقوم الساعة ولا أحد في الأرض يقول الله الله ولن تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخصية وحتى تعبد اللات والعزى ولن تقوم الساعة إلا على شرار الناس رغم معاينة الناس لأمارات الساعة الصغرى والكبرى ورغم أن الغيب يصبح شهادة ونعوذ بالله من الخذلان وقد أخبرنا سبحانه بقرب قيام الساعة فقال﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴾ ومع اقتراب الساعة وظهور مثل هذه النذر المخوفة لا يبقى إلا الاستعداد للقاء الله وإحسان المسير إلى الله وإلا فالموت قريب والكل سيلقى ربه حتمًا لا محالة وإن لم تقم عليه الساعة أتى أعرابى لرسول الله ﷺ يسأله بصوت جهورى ويقول: يا محمد متى الساعة؟ فأجابه النبي ﷺ بنحو من صوته

وقال له: ها ؤم إن الساعة لآتية فماذا أعددت لها " وقد حذر ربنا جل وعلا الخلق والعباد فقال ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ لا داعى للتطاول على الله ولا داعى للعربدة والطغيان والتجبر في الأرض فإن الله يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ والتخوف ما يقتصر على هذه النذر التي وردت في الأبحاث والدراسات فقد يأتى الهلاك من مكمن الأمن فإن العماليق قوم عاد لما رأوا الريح استبشروا الخير وتوسموا أن تأتيهم بالمطر فكان فيها هلكتهم قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ فلا تعصى ربك وترجو رحمته فإن لكل مقدمة نتيجة ولكل عقيدة تأثير قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾.

ثانيًا- دلت الأمارات على عودة الحياة بدائية:

يستلفت النظر ونحن نطالع أمارات الساعة أن الحرب مع الروم في آخر الزمان ستدور على الخيول وبالسيوف وأن الكعبة ينقضها ذو السويقتين حجرًا حجرًا بمسحاته، وأن يأجوج ومأجوج يرمون بنشابهم إلى السماء ففى الحديث الذى رواه مسلم أن المسلمين يأتيهم الصريخ أن الدجال قد خلفهم في ذراريهم فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة قال رسول الله ﷺ «**إني لأعرف أسمائهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذٍ أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذٍ**»[رواه مسلم] وحديث هدم الكعبة في الصحيحين وورد

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكر الحديث عن يأجوج ومأجوج وفيه «**ويخرجون على الناس فيستقون المياه ويفر الناس منهم فيرمون سهامهم في السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا أهل الأرض وغلبنا من في السماء قوة وعلوا قال: فيبعث الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم نغفًا في أقفائهم فيهلكهم والذى نفس محمدٍ بيده إن دواب الأرض لتسمن وتبطر وتشكر شكرًا وتسكر سكرًا من لحومهم**» [رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه الألبانى] هذه النصوص وغيرها تدل على عودة الحياة بدائية في آخر الزمان فلا طائرات ولا صواريخ عابرة القارات.... مما جعل البعض يقول أن واقع عصرنا وما فيه من مظاهر التطور قد ينتهى بحرب نووية تعود الإنسانية بعدها إلى بدايتها الأولى.

ثالثًا- نترك الواقع يفسر لنا علامات الساعة فلا داعي للتكلف:

كان ابن مسعود يقول لأصحابه أنتم في زمان خيركم المسارع في الأمر وسيأتي على الناس زمان خيرهم المتوقف المتثبت لكثرة الشبهات.

تتزايد الأراجيف حدة فما من يوم يمر إلا وتسمع إدعاء جديدًا: فهذا يزعم أن الرياح التي هبت على مصر وأظلمت بسببها القاهرة هى الدخان المذكور ضمن أمارات الساعة وأن السلعوة التي عقرت الناس هى دابة الأرض !! ونقلوا أن بحيرة طبرية قد جفت وأن نخل بيسان قد قطع وأن المهدى قد ظهر وأن فلانًا حاول اللحاق به ولم يدركه!! وأن الحجر والشجر قد نطق!! وبين حين وآخر تطالعنا وسائل الإعلام بأن نهاية العالم سنة كذا وكذا تحديدًا ويذكرون في ذلك نبؤات لا حصر لها جعلت البعض ينتحر أو يهاجر أو يترك عمله!! والخطر كبير في نقل الأخبار دون تثبت وخصوصًا مع سهولة الاتصال.

والواجب علينا أن نترك الواقع يفسر لنا أمارات وعلامات الساعة فهى ستحدث بإذن الله حتمًا لا محالة وفق خبر الصادق المصدوق ﷺ فلا داعي للتكلف والتعجل ولا يجوز التعويل على كلام العرافين والكهان ولا اعتماد المنامات في التحديد ولا يصح الجزم

والقطع وادعاء معرفة الغيب قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل ١٥]

وقد رأينا ما جرته منامات ظهور المهدى من شر وفساد فلا يجوز مصادمة الشرع بكلمات المنجمين والكهان ولا يصح التعويل على الكشوفات والفتوحات والمنامات فالعلم والإيمان يقوم على الوحي المنزل بل حتى الأبحاث والنظريات العلمية لابد من إخضاعها لكتاب الله وسنة رسول الله فلسان حال المسلم ينطق آمنت بالله وكذبت عيني فإذا صارت المسائل حقائق يقينية فلن نجد فيها مخالفة لشرع الله ولا يتصور وجود تعارض بين نصٍ صحيح وعقل صريح

رابعًا- لن تقوم الساعة حتى تستوفى جميع الأمارات:

لا يعلم متى تقوم الساعة وتنتهي الدنيا ولا متى تظهر الأمارات إلا الله قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ ولما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن وقت الساعة قال له النبي ﷺ « **ما المسئول عنها بأعلم من السائل**» [رواه البخارى] فلا يجوز الرجم بالغيب ولا تحديد عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة ولا يجوز تحديد ظهور المهدى ولا غيره من العلامات استنادا لما عند أهل الكتاب وعلينا أن نعلم أن الساعة لن تقوم حتى تستوفى جميع الأمارات الصغرى والكبرى وما حدث ووقع منها كطاعون عمواس وانشقاق القمر ونار الحجاز. ..فهو معجزة وما لم يقع منها كظهور المهدي وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وخروج يأجوج ومأجوج والدابة...... فالإيمان به واجب والله أعلم بزمان وظروف وكيفية وقوعه إن ورد في ذلك نص قلنا به وإلا فالخوض فيما طُوي عنا نوع من التكلف والسلامة تركه.

والواجب علينا أن نعيش طاعة الوقت وأن نحرص على طلب العلم النافع ومتابعته بعمل صالح وأن نتعرف على السنن الشرعية والسنن الكونية حتى نكون على بصيرة من أمرنا وأمر الناس

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين

زلزال المحيط
(غضب الطبيعة أم سخط الإله)

بسم الله والحمد لله. أما بعد ..

فالدمار الهائل الذي أحدثه زلزال قاع المحيط الهندي، والذي يعد من أخطر الزلازل التي ضربت البشرية مما جعل العالم يحبس أنفاسه ويتابع تطوراته، فقد أغرق مدنًا وقرى وأباد جزر وجرف عشرات الألوف في أعماق المياه، فقتل ما لا يقل عن ١٥٠ ألف قتيل وشرد الملايين وما بين ٢ مليون مفقود.

و هذا الخطر لا يزال قادرًا على العودة ليضرب بعنف في مناطق أخرى من العالم، وقد بلغت قوة هذا الزلزال نحو ٩ درجات بمقياس ريختر، ويعد ثاني زلزال مدمر في العالم بعد زلزال «ألاسكا» عام ١٩٦٤م، ويقولون سببه تصادم صفائح في الأرض يطلق عليها صفائح تكتونية، وقد يكون ذلك طبيعيًا باعتبار هذه المنطقة أساسًا تقع في حزام النار وهى منطقة معرضة لمثل هذا النوع المدمر من الزلازل، أو بسبب التجارب والتفجيرات النووية حيث دأبت الهند في الفترة الأخيرة على إجراء أكثر من ٧ تجارب خلال أشهر قليلة في محاولة لتقوية البرنامج النووي الهندي في مواجهة البرنامج النووي الباكستاني، فقد حصلت الهند مؤخرًا على تقنية عالية من التكنولوجيا النووية ساهم فيها عدد من خبراء الذرة الإسرائيليين وبعض المراكز العلمية الأمريكية، وقد أثبتت التقارير تصادم صفائح الأرض في الهند واستراليا مع صفائح الأرض الأوربية والأسيوية. والزلازل في هذه المنطقة تضرب دائمًا في قاع البحار وهذا بسبب دفعات هائلة من الأمواج التي يطلق عليها « أمواج تسونامي» وهذا الزلزال يقع مركزه الأصلي تحت قاع المحيط الهندي بنحو ٤٠ كيلو متر وعلى بعد ١٢٦٠ كيلو مترًا شمال غرب العاصمة الإندونيسية «جاكرتا» والبعض يرجح تعرض الصفائح الأرضية لتجارب نووية قريبة جدًا نسبيًا وأن هذا يمثل خطرًا على البشرية وليس على سكان هذه الدول فقط. فحلقة النار هذه قد تؤثر في

منطقة وادي الصدع وهى التي تسبب الزلازل في مصر، ولذلك فقد انتقلت آثار هذه الزلال إلى سواحل عمان واليمن حيث ارتفعت المياه إلى أكثر من ١٥٠ مترًا عند محافظة المهرة في سلطنة عمان، ووادي الصدع أو ما يطلق عليه الفالق الأناضولي يمثل خطرًا كبيرًا على مصر والدول العربية الأفريقية وهو أشبه بقنبلة ذرية يمكن أن تنطلق في أي وقت لتضرب العديد من الدول، والتقارير تقول: إن هذا الزلزال قد يمثل مقدمة لزلزال أكبر سيقع في المستقبل، ولأن هذا التحرك قد يكون بداية لتحريك الصفائح الأوربية لتصطدم بالقشرة الأرضية في الفالق الأناضولي، والفاصل بين الدول الأوربية الساحلية والدول العربية والأفريقية هو البحر المتوسط فقط، والتقديرات العلمية قد تكون أخطأت في مدة خمس سنوات أو أقل عندما تنبأت بوقوع هذا الزلزال ومركز التصادم بين الصفائح الأرضية ينتقل في كل مرة من منطقة إلى أخرى، وبالتالي فمحاولات طمأنة النفس والناس بأننا بعيدون عن حزام الزلازل كلام وهمي يتنافى مع الواقع والتقارير العلمية من جهة كما يتنافى مع الشرع من جهة أخرى وهذا هو الأهم.

وترجح التقارير أن تصادم الصفائح القادم سيقع خلال الشهور أو السنوات القليلة القادمة وسيكون أقوى من زلزال آسيا لأنه سيصبح ١٠ درجات بمقياس ريختر وبالتالي يمكن أن يمسح مدنًا أوسطية من على الخريطة. وأن الحركة الزلزالية ستبدو أكثر عنفًا في أثيوبيا والسودان ومصر وفيما يتعلق بمصر فالتأثيرات ستكون كبيرة على السواحل كالإسكندرية وسواحل البحر الأحمر، والسد العالي قد يكون في مرمى الزلزال القاري المتوقع والذي قد يفضي إلى انهياره وتدميره مما قد يحدث فيضانات واسعة تؤثر على أجزاء كبيرة من البلاد خاصة صعيد مصر، وتخلص التقارير إلى أن ما حدث وما يتوقع حدوثه يشكل تطورًا مهما وخطيرًا يهدد البشرية بالفناء والمنشغلون بالكوارث الطبيعية والبيئية يرون أن حدث أول العام هو زلزال إيران وحدث آخر العام زلزال إندونيسيا وجنوب شرق آسيا والساحل الأفريقي، والمنشغلون بالأحداث السياسية وبحصاد العام الميلادي

المنصرم ٢٠٠٤ على عادتهم يتكلمون عن زلازل أخرى مستخدمين الصور البلاغية في تشبيه الأحداث بالهزات الأرضية كأحداث فلسطين والعراق والسودان واتفاقيات التجارة الحرة وموت الشيخ ياسين وعرفات والشيخ زايد.....

ولكن سيبقى زلزال المحيط زلزالًا في اللغة والواقع، أي زلزال بكل معاني الكلمة مما جعل البعض يصفه بيوم الأهوال وكالعادة جرى الحديث عن غياب نظام الإنذار المبكر وأنه كانت هناك فجوة ثلاث ساعات بين الزلازل والأعاصير كافية في حالة التنبؤ والاستعداد لنقل الآلاف، وعدم وجود الإمكانيات لبناء مرصد لمراقبة تسانومى بوصفه جزء من المأساة، وأن على الحضارة الإنسانية والمجتمع الدولي بالإضافة لإقامة نظام الإنذار المبكر مطالب بإيجاد قوة جاهزة ومدربة قادرة على إنقاذ ونقل آلاف البشر في ساعات، كما تسارع البعض بتقديم المعونات للمنكوبين هنا وهناك، ووجه فريق العتاب بأن مساعداتهم عبارة عن كلفة نصف يوم حرب في العراق. هذا هو مجمل الحدث، بمختصر الكلمات والتعليقات والتقارير التي احتفت به، ولنا عدة تعليقات نراها هامة تدور حول ما حدث وما ذكر.

أولًا- تعددت الأخطار التي تحدق بنا وتنوعت، وكل يوم يحدثوننا عما يسمونه سيناريوهات فناء العالم، الانهيار المطري وارتطام كوكب كذا بالأرض....... واليوم عن تصادم الصفائح الأرضية وحلقة النار والفالق الأناضولي أو وادي الصدع مما يتسبب في حدوث الزلازل، وتنبؤات كثيرة تقرب البشرية من لقاء ربها، ومثل ابن آدم (تسع وتسعون منية إن أخطأته أدركه الهرم، وكما قالوا: تعددت الأسباب والموت واحدٌ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ والكل يموت بأجله، وكان حاتم الأصم يقول: رأيت الموت يأتي بغتة فقلت أبادره، ومن لم يمت قامت عليه الساعة وكما قال سبحانه: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ والعجب كل العجب ممن يوقن الموت ويتكلم عن سيناريوهات فناء البشرية ثم لا يستعد للقاء الله وللعمل لما بعد الموت

وإن أمرًا هذا الموت أوله لحقيق أن يخاف آخره، وإن أمرًا هذا الموت آخره لحقيق أن يزهد في أوله. ولأن تصحب أقوامًا يخوفونك حتى تدرك أمنًا خير لك من أن تصحب أقوامًا يؤمنونك حتى تدركك المخاوف كما يقول الحسن، والزجر والتخويف والوعيد ليس فقط في الكتاب والسنة وفي أقوال أهل العلم بل أيضًا على ألسنة علماء المادة التجريبيين، والواقع يصدق فالمؤمن يزداد إيمانًا والملحد يقلع عن إلحاده وكفرانه ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ وكم من مستقبل يومًا لا يستكمله ومنتظر غدًا لا يبلغه، لو أدركتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره. فماذا تنتظرون، فالروية في كل أمر خير إلا ما كان من أمر الآخرة، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ احذروا الهوى وطول الأمل، وكان عمر بن عبد العزيز يقول: «ما رأيت يقينًا أشبه بشك من الموت يعلمه الناس ثم لا يستعدون له، وكم ممن ركب البحر ثم ركبه البحر، وكم ممن ساروا على وجه الأرض ثم صارت لهم قبرًا ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴾.

ثانيًا- المعونات مواساة طيبة ففي كل ذي كبد رطبة أجر، والكافر يرحم بالرحمة العامة، والمؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم، وإقام نظام الإنذار المبكر وقيام المجتمع الدولي بإقامة الفريق المدرب على الإنقاذ السريع....... كله من قبيل الأخذ بالأسباب، وكله مطلوب ولكنه قاصر والعجب من حيرة البشرية فسواء تم التنبؤ بهذه المهالك أو حدث العجز، ففي كثير من الأحيان لا نستطيع مواجهة الزلزال أو الفيضان.....فضلًا عن الانهيار المطري وارتطام كوكب بالأرض، مما يتكلمون عنه وتذكره التقارير وتذكر معه عجز البشرية عن مواجهته، وفيما يتعلق بالزلازل يتكلمون عن تصادم الصفائح الأرضية وانتقالها من مكان إلى آخر، مما بات يهدد البشرية بالخطر والفناء، ومقياس ريختر صورة مادية لا تزيد على صور القصور

والعجز المشاهدة، ففي كل مرة تقع فيها الزلازل وتدمر فيها المدن يكون خط مقياس ريختر والعاملين عليه أن يقولوا لنا مركز الزلازل كذا وقوته كذا والكوارث لا تقتصر على الزلازل، انظروا ما حدث لأمريكا المتطورة والمتقدمة بسبب إعصار أندرو وفيضان المسيسبي!! ألا يمكن ونحن نقدم المعونات ونأخذ بالأسباب أن نقول للبشر عودوا إلى ربكم، أسلموا وجوهكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله، أنقذوا أنفسكم من النار، اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل، من يؤمن بالله يهدِ قلبه ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ أم صرنا نفسر الماء بعد العسر بالماء، وحتى إن نجونا في الدنيا، فكيف يتحقق الأمن والأمان غدًا مع الكفر بخالق الأرض والسماوات والإعراض عن شرع رب العالمين، إن الجزاء من جنس العمل، وما نزل بلاء إلا بذنب والكوارث والزلازل ليست غضب طبيعة بل هي سخط الله، ويا قوم لا ينفع حذر من قدر، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا، إن هذه الأسباب المادية لن تغني عنكم من الله شيئًا، فلا تعصوا ربكم وترجوا رحمته، واعلموا أن أعظم سبب يربط الأرض بالسماء ويصل الدنيا بالآخرة هو الإيمان، فما عند الله من خير وبركة وأمن وأمان لا نناله إلا بطاعتنا له.

ثالثًا- قامت دعوة الرسل على تعبيد الخلق بدين الله ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ وما من نبي إلا قال لقومه ﴿ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ فهذا هو الأمر الذي تتحقق به السعادة في الدارين ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ والأمن لا يتحقق إلا بالإيمان بخالق السماوات والأرض ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ إن البشرية لم تفرط اليوم في نظام الإنذار المبكر، ولم تقصر في معامل الأمان الزلزالي ولم تنسى إعداد الجيوش الجرارة، ومصيبتها تكمن في نسيان دينها وربها وخالقها ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ

نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لقد شيد من قبلكم الحصون، وأقام قوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقوم لوط حضارات على غير دين الله، عمروا الأرض وأقاموا القلاع والمصانع...... وكل ذلك دمره الكفر والمعاصي ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ وقال سبحانه ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ والرب قدير أغرق فرعون، وأرسل على العماليق قوم عاد ريحًا صرصرًا عاتية ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا فترى القوم كأنهم أعجاز نخل خاوية. وأهلك أبرهة الحبشي بالطير الأبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول. وقلبت الملائكة سدوم على من فيها فكان عاليها سافلها وأمطرهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد، وأبد لهم بسدوم بحيرة منتنة، قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ والابتلاء بالنسبة للمؤمن رحمة وبالنسبة للكافر نقمة، فهلا ركزنا على دعوة الأنبياء والمرسلين، ووضحنا للخلق طريق النجاة، هذا هو الرفق الحقيقي.

رابعًا- وضع الخالق سبحانه في مظاهر الطبيعة قوى هائلة، وقد نقلت أجهزة الإعلام مشاهد مرعبة وأهوال مخيفة ففي خلال لحظات ابتلع البحر كل شئ تقريبًا، وانتقل الناس من الاستمتاع والاستجمام إلى باطن المحيط شاهدوا الموجات العاتية التي تبتلع الأخضر واليابس وتحولت مناطق شاسعة على امتداد آلاف الكيلومترات إلى هشيم، وانتقلت جزر من أماكنها وابتلعت أخرى، رأوا صور المساجد الأربعة الناجية، ولا يبعد ذلك كله، ولسنا بمأمن، وما زالت أقوى دول العالم تقف عاجزة ويبقى أن نعلم أن البحر مأمور والسماء مأمورة والأرض أيضًا مأمورة، ولا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، هو سبحانه الذي أنجى نوحًا ومن آمن معه من الطوفان كما أنجى سائر

الأنبياء والمرسلين ومن آمن معهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. وإذا كان البعض قد وصف زلزال المحيط بيوم الأهوال فماذا يقول عن يوم تبدل فيه الأرض غير الأرض والسماوات، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ وتدبر الزلزلة الأعظم التي عناها القرآن بقوله: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ ولعل ما يوصف بيوم الأهوال يقرب من حس البشرية مايحدث يوم القيامة فتكون الإنابة إلى الله ويقول كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾.

خامسًا- تتوالى الكوارث والمشاهد المأسوية، ولابد من تكرار الوعظ والتذكير وإذا كان علماء الفلك والطبيعة يتحدثون عن نهاية العالم ويطرحون تصوراتهم (سيناريوهات) لفناء الدنيا، فأولى بهم أن يرجعوا لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ، والأمور كلها على ما عند ربك، ونحن حتمًا سننتقل بإذن الله من حياة دنيوية إلى حياة برزخية إلى حياة أخروية، ويسبق قيام الساعة أمارات وعلامات كنزول المسيح وظهور الدجال وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس تكلمهم، وثلاث خسوفات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب....... وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن أبين تطرد الناس إلى محشرهم تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا....... ويرسل الله ريحًا طيبة تقبض المؤمنين ويبقى شرار الناس

عليهم تقوم الساعة والساعة لن تقوم وأحد في الأرض يقول الله الله.

و لن تقوم القيامة حتى تستوفى جميع الأمارات والعلامات التي أخبر عنها الصادق المصدوق - صلوات الله وسلامه عليه - «**و إن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون، فأعدوا للأمر عدته وتأهبوا للقاء الله وأحسنوا المسير إليه، فليس من أطاع كمن عصى، ولا من آمن كمن كفر** » ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ والحمد لله الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولإن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليمًا غفورًا، اللهم إنا نسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا والأهل والمال، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا ونعوذ بك أن نغتال من تحتنا. إنك ولي ذلك والقادر عليه.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين

اعتزال الفنانات

بسم الله والحمد لله، أما بعد..

فمن اللافت للنظر ظاهرة اعتزال الفنانات في السنوات الأخيرة، وتواكب ذلك مع ارتداء الحجاب وإعلان التوبة من الكثيرات وما تكاد الفنانة تعتزل إلا وتنهال عليها الأسئلة في السياسة والاقتصاد، ما رأيها في تعاملات البنوك والحرب الدائرة في مكان كذا... !! وقد اقترنت هذه الظاهرة برؤية منام أو بتأدية العمرة أولًا، وانقسم الناس بشأنها بين مؤيد ومعارض وبين من يحاول التعقل وإمساك العصى من وسطها كما يقولون، فسمعنا من يصف الفنانة فلانة بأنها قبضت الملايين لكي تعتزل وتلبس الحجاب، أو أنها اقترفت من الفواحش والآثام ما دعاها لذلك والمقصد أنها وسائر الفنانات لم يقترفن مثل هذه الذنوب وبالتالي فلا داعي للاعتزال والتوبة وذكر البعض أن الفن المعهود في الذهن هو الرقص والغناء والتمثيل...

وهذا من الحرام البين الذي لا يختلف عليه اثنان لما يحدث فيه ولا ينفك عنه، فوقف هذا الفريق موقف التأييد لاعتزال الفنانات مستدلًا بنصوص الكتاب والسنة، وذكر الفريق الثالث أن الفن رسالة هادفة، والحياة تستحيل بلا فنون، والمرأة لها دورها في الحياة ولابد من مشاركتها في الفن ولكن بلا إسفاف ولا ابتذال. وهكذا تنوعت وتعددت الآراء في دنيا أصبحت أشبه بقرية صغيرة يعرض فيها الكل بضاعته، تختلف المشارب ولكل وجهة هو موليها، وكواقع استمر البعض في طريقه واعتزل فريق، ورجع آخرون إلى ما يسمى بالفن الهادف الملتزم، لقد أخذت هذه القضية الخط الأكبر والنصيب الأوفر من الصخب والضجيج ويبدو أن السبب هو عالم الشهرة والأضواء، وأن اعتزال الفنانات وحجابها له انعكاساته الكبيرة على المجتمع، فبعض الناس أكثر تأثيرًا من بعض، وقد شاهدنا البعض يترك مهنة الطب ويشتغل بالأدب أو التمثيل والبعض يترك شهادته وتخصصه ويعمل بالتجارة...

ولم يحرك ذلك ساكنًا وكثرة من النساء قد تترك عملها للاعتناء بزوجها وبيتها وأولادها ولا تجد تقديرًا أو ترحيبًا، ولكن اختلفت المسألة في اعتزال الفنانات لاقترانها بمعاني التدين والالتزام وتخطئة الفن، وبينما يكفر البعض ويلحد ويعيث الفساد في البلاد والعباد وينشر العري والخلاعة والفسق والفجور فإذا اعترض معترض قالوا: حرية شخصية، حرية رأي، حرية فكر، كن ديمقراطيًا !! فإذا ارتدت الفنانة الحجاب وتركت الرقص والغناء والتمثيل قامت الدنيا ولم تقعد وانهالت الاتهامات: رجعية، تخلف وتزمت، هوس ديني قبضت الملايين...

وسمعنا العبارة الفلسفية: الفنان ليس ملكًا لنفسه بل هو ملك للمجتمع. فهل تدمر الفنانة نفسها وتعصى ربها إرضاءً لجمهورها ومعجبيها !! يا قوم إن الأمر إما جنة وإما نار والمسلم لا يرضى أحدًا بسخط الله وكانت الآيات تتنزل على رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾، بل لا يليق أن يكون الإنسان كشمعة تنير الطريق للآخرين وتحرق نفسها، فما بالكم بمن يحرق ويهلك نفسه ويدمر الناس من حوله وهذا هو واقع الفن والفنانين، وحتى يصطلح كل فريق على حقه نحتاج لشيء من التوضيح والتفصيل بعد هذا الإجمال والاختصار ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة.

وقبل أن نتكلم على الفن لابد من التذكير بعدة معان فالمرأة مكانها البيت ومسئوليتها فيه كبيرة ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ «والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها». المرأة نصف المجتمع وهي تلد النصف الآخر، ووراء كل عظيم امرأة، حريتها في أن تقيم واجب العبودية لله لا في أن تتعرى وتختلط بالرجال، والنساء شقائق الرجال في الأحكام إلا ما استثنته الأدلة الشرعية وما هو من خصائص النساء كالحيض والنفاس والحمل والرضاع....... والنصوص في حقها تأمرها بالصيانة والتحفظ والتحجب والتستر ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ والواجب علينا أن نقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. وما ترك النبي ﷺ

فتنة بعده أخطر على الرجال من النساء وقال: إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء، ولا شك أن فتنة هذه الأمة بالمرأة المتهتكة الخليعة لا تقل عن فتنة بني إسرائيل لقد تابعناهم حذو النعل بالنعل، حتى ولو دخلوا جحر ضب لدخلناه ورائهم. لقد كان من أسباب هلاك بنى إسرائيل أن تصل المرأة شعرها بشعر غيرها (كالباروكة ونحوه) ولذلك صعد معاوية ﵁ درج مسجد النبي ﷺ بالمدينة وقال: «**يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ إنما اهلك الله بنى إسرائيل عندما اتخذت هذه نساؤهم «واخرج كبة شعر من جيبه»**» فكيف يكون الحال، إذا كان الانحراف يشمل ذلك وغيره، والشرع لا يفرق بين المتساويين، لقد حرص أعداء الإسلام على إخراج المرأة من بيتها واستدراجها لتكون فتنة لنفسها وفتنة لغيرها، فيهلك المجتمع بأسره، قال بورقيبة: لابد وأن نجعل المرأة رسولًا لمبادئنا التحررية ونخلصها من قيود الدين، ولما قامت الثورة الصناعية في أوربا، وتم ذلك برأس مال يهودي وعقلية يهودية، شاركت المرأة في العمل بنصف أجر الرجل فأوعز إليها اليهود أنه لكي تنالي نفس أجر الرجل أضربي وتظاهري، ففعلت ولم تأخذ شيئًا، فقيل لها أدخلي البرلمان لكي تنالي حقوقك ففعلت ولم تحدث استجابة، فقيل لها: لابد من المشاركة في التعليم الجامعي وغيره على قدم المساواة مع الرجال حتى تكوني وزيرة ورئيسة فهذا هو السبيل، فانجرفت المرأة وراء هذا المكر اليهودي، وما حدث هناك يحدث هنا بحيث تصبح المرأة سلعة رخيصة تكون سببًا في دمار الأسرة وهلاك المجتمع ووبالًا على نفسها.

إن الفنان ملك لله وليس ملكًا لأحد، كما أن الأرض ملك لله يصرفها كيف يشاء، فلا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، ونبدأ بحول الله وقوته في مناقشة المطالبين بالفن الهادف الملتزم الخالي من الإسفاف والابتذال، وهو كلام في مجمله طيب ولكن لا واقع له ولا رصيد، وهو شبيه باستخدام الاحتشام كتعبير بدلًا من مصطلح الحجاب الشرعى

الوارد في الكتاب والسنة وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن الاحتشام كلمة فضفاضة مطاطة واسعة يمكن لكل امرأة أن تصف بها نفسها حتى من ارتدت ملابس البحر والبنطلون الضيق..... أما الحجاب فيعني الثوب الذي يضرب من الرأس حتى القدم ويكون فضفاضًا غير ضيق ولا يصف حجم العظام ولا يشف عما تحته من البدن ولا يكون ثوب شهرة ولا زينة ولا يشابه زي الرجال ولا الكافرات، ونفس الكلام يقال لأصحاب الفن الملتزم ما الذي تقصدونه، صفوا لنا فنانة ترقص أو تغنى أو تمثل بلا إسفاف ولا ابتذال، فإن قالوا لا مانع من حركة ولفتة وإيماءة تستثير بها زوجها، أو أن تنشد في بيتها مع زوجها وأولادها كلامًا طيبًا بلا موسيقى أو أن تقوم بدور الأم والزوجة والأخت والابنة في بيتها، أو أن تخضع بقولها مع زوجها..... قلنا معكم لا مانع ولا حرج في ذلك كله، فهذه الأمور بعيدة عن محل النزاع ولا توصف بوصف الفن المعهود في الذهن، وإن كانت من تقوم بذلك يطلق عليها وصف فنانة بالمعنى الصحيح لا بمعنى الفن المبتذل، كما يقال: طبيب فنان أو مهندس فنان بمعنى ماهر في عمله متقن له.

وإن قصد أصحاب الفن الملتزم الهادف الأغنية الدينية والوطنية والحماسية والموسيقى الخفيفة، والأفلام الدينية أو التي تنطوي على هدف نبيل..... قلنا لهم هذا اختيار منكم لأهون الشرين وأقل المضرتين وأدنى المفسدتين، وكأننا مضطرين للفن اضطرارًا، كاضطرارنا لأكل الميتة، وهذا إلزام بما ليس بلازم، فلسنا بحاجة لهذا الترقيع والحياة سارت وتسير بدون الرقص والموسيقى والغناء والتمثيل والتطور والتقدم والحضارة تتم بإقامة واجب العبودية ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ وما نحتاج في ذلك لإقحام المرأة في كل عمل حتى ولو كان تمثيلًا وغناءً ورقصًا، وما ساد سلفنا الصالح وقادوا الأمم بمثل ذلك، وصعود القمر وإقامة الدولة العالمية ما يتطلب ذلك إن مثل هؤلاء وأشباههم كما قال الشاعر:

نرفع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرفعه

فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

نقول كيف تقف امرأة ترقص أمام الجماهير بلا إسفاف والله يقول: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾، ويقول سبحانه: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ فما يحل لها ذلك حتى ولو رقصت بجلبابها وكيف تغنى أمام الرجال الأجانب بلا ابتذال، والله يقول ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ وهل يحل لها أن تنظر إلى الرجال وينظرون إليها حال غنائها، نبئونا بعلم، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾ والعين تزنى وزناها النظر والنظرة بريد الزنا وهي سهم من سهام إبليس هذه أمور لا تنفك عن الغناء بالإضافة للمكياج وإبداء الزينة والملابس الجميلة، حتى لو كانت الأغنية دينية أو وطنية أو حماسية، قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾.

والموسيقى إذا كانت تشبب النفوس وتدعو لمواقعة الفواحش فهي محرمة باتفاق العلماء وإلا فجملتها محرمة على قول جمهور العلماء إسنادًا للنصوص الناهية عن استخدام آلات الطرب واللهو مثل «**ليأتين أناس من أمتى يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤوسهم بالمعازف والقينان (أى المغنيات)**». وورد «**ليأتين أناس من أمتى يستحلون الحرى (أى الزنى) والحرير والخمر والمعازف**». أما التمثيل الهادف الملتزم الذي يراد للمرأة أن تشارك فيه ولا تعتزله، بل ستكون العنصر الأساسي فيه كما هي في غيره فينطبق عليه ما سبق أن ذكرناه، بل هو نوع لا وجود له في الواقع إلا بالمقارنة مع غيره ولا يخلو في النهاية من إسفاف وابتذال وعدم التزام، وكما هو معلوم فإن الغاية لا تبرر الوسيلة، ونسوق مثلًا على ذلك بالأفلام أو التمثيليات الدينية، وهى أرقى صورة يطالب بها البعض، ولا تكاد تخلو من الكثير من المخالفات الشرعية، فالفنانة تبدو فيه بكامل زينتها في البدن والثوب أى أنها متبرجة حتى وإن غطت شعرها وبدنها بثوب

طويل، وقد تتقمص دور الكافرة التي تجترئ على انتهاك حرمات ربها، أو فاجرة غانية تتحلل من كل شرع ودين وتخضع بقولها. والفنانة في الفيلم الديني قد تكون أما أو أختًا أو زوجة أو أبنة، فلا حرج على الفنان الأجنبى فيها أن ينظر إليها ويقبلها ويمسها....... فهل الشريعة أباحت هذه الصور للممثلين وحرمها على غيرهم ؟!! إن النبي ﷺ «كان لا يصافح النساء . وما مست يده امرأة، وما بايع النساء إلا كلامًا، وقال: «**لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**»، وقال: «**ما أحب أنى حكيت إنسانًا**»، ولما قالت له أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : حسبك من صفية أنها قصيرة، قال لها النبي ﷺ: «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»، وهل يجوز تقمص دور الأنبياء والصحابة والعلماء في الأفلام الدينية، وهل يرضى الأفاضل بتقليدهم على هذه النحو.

لقد بلغ الإسفاف غايته في قصة الذبيح عندما قام رجل في مقام الإله تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، هذه الأشياء وغيرها كالسهر بعد العشاء واختلاط المشاهدين والتشخيص المتقن للفنانة والذي يدعو للانبهار بها ومتابعتها والتطلع إليها مما يستحيل معه إطلاق وصف الالتزام وعدم الابتذال والإسفاف فهى كلمات تفقد قيمتها وحقيقتها على صخرة الواقع المر للتمثيل، ولا ننخدع بكلمة العمل الفني الهادف المؤثر، الذي تموت بطلته في نهاية الفيلم أو يدخلونها السجن بعد الرقص والغناء والعربدة والفجور طيلة الفيلم!!.... ولا نتطرق لسفر الفنانة بدون محرم وسهرها وبياتها خارج بيتها للقيام بالعمل الفني وتأديته على خير وجه كما يقولون ثم تدريبها ومراجعة المخرج لها ومصاحبتها لزملائها في العمل الفني........ سيل منهمر من المخالفات والانحرافات البعيدة عن الالتزام فيما يسمى بالفن الهادف ولا يسعنا الحديث عن النساء العاريات في فنون الباليه والرقص الشرقي وغناء العشق والغرام والحب مع الحركات الخليعة والإيماءات الرقيعة، أو الفنانة والممثلة التي تعيش مخمورة تنتقل من هذا الرجل إلى ذاك ويطلق عليها وصف البطلة ويراد بها أن تكون معبودة الجماهير وقدوة لبنات المسلمين... كلها صور لا تخلو

من إسفاف وانحطاط تأباها العقول السليمة والفطر المستقيمة، وهي معلومة الحرمة من دين الله بالضرورة، وبالتالي فاعتزال الفن والتوبة منه والعودة للحجاب الشرعي متصور فالأمة في العري والخلاعة والفسق والفجور لا يمكن أن تنهض أمام الشعور بحلاوة وبرد اليقين في الصلاة والحجاب... ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ إن الدنيا لا تصلح عوضًا عن معنى الإيمان، وركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها، وبالتالي فملايين الدنيا لا تشبع الجوعة الموجودة في النفس وهذه التوبة التي بادرت الفنانات المعتزلات ما تحتاج منامًا أو رؤيا وما تتأخر لحج أو عمرة فتأخير التوبة ذنب يجب التوبة منه، وقد دعا سبحانه إلى التوبة من هاجر وجاهد في سبيله فقال ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ وكان النبي ﷺ يقول: «**إنه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم سبعين مرة**» وقال ابن عمر رضي الله عنهما: **إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة يقول: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**».

فالفنانة وغيرها مدعوة للتوبة فهي بداية الطريق ووسطه ونهايته، ولابد من الاستغفار من الذنوب ما ظهر منها وما بطن، ورد الحقوق لأصحابها، والمنامات ليست مكمن أدلة استنباط الأحكام وغاية ما فيها أن يستأنس بها وإلا فالتعويل على ما جاء في الكتاب والسنة، والاختلاط والتبرج ونشر الرذيلة في البلاد والعباد دلت الشريعة على حرمتها والواجب على الفنانة وغيرها أن تعظم شعائر الله وأن تقول سمعنا وأطعنا ولا تنتظر منامًا حتى تنتهي عن الحرمات. والحذر من شهوة الكلام والتقول على الله بغير علم فحسنًا فعلت الراقصة والمغنية والممثلة عندما تابت وارتدت الحجاب ولكن هل بمجرد ذلك صارت فقيهة في دين الله، تتكلم في قضايا لو عرضت على عمر لجمع لها أهل بدر، يكفيها أن تقول فيما لا تعلمه لا أدري أو أن ترد السائل لعالمه، وما تتقنه تتكلم فيه وفق الضوابط الشرعية. وياليتنا نرفق بالفنانات المعتزلات ولا نعرضهن لما لا طاقة لهن به،

وأحذر أشد من الاستجابة لمحاولات الابتزاز وزخرفة الباطل وتسمية الانحرافات بغير اسمها انجرافًا مع أهواء النفوس وتلبيسات شياطين الإنس والجن طلبًا لشهرة زائفة ما هي إلا لذة ساعة وألم دهر، شهرة هي أشبه شيء بالسراب ﴿ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

طلوع الشمس من مغربها على المريخ

بسم الله والحمد لله، وأما بعد ..

فقد ذكر علماء الفلك أن كوكب المريخ كان قد تباطئت سرعته في الاتجاه الشرقي حتى وصل إلى مرحلة التذبذب ما بين الشرق والغرب. .. وفي يوم الأربعاء ٣٠ يوليو توقفت حركة المريخ عن السير في الاتجاه الشرقي وبعد ذلك في شهري أغسطس وسبتمبر تحول المريخ بالانطلاق بشكل عكسي نحو الغرب. .. وذلك إلى نهاية شهر سبتمبر. وذلك يعنى أن الشمس طلعت من مغربها على المريخ وهذه الظاهرة العجيبة تسمى RETROGRADE MOTION أو الحركة العكسية ويقول العلماء: إن كل الكواكب سوف تحدث لها هذه الظاهرة مرة على الأقل !!!! ومن بينها كوكبنا !! أي أن الأرض سوف تحدث لها هذه الحركة العكسية يومًا ما وسوف تطلع الشمس من مغربها على الأرض !!؟؟

هذا هو الخبر وإليك التعليق:

أولاً- الحق مقبول من كل من جاء به:

لا بد من التثبت والحيطة في نقل الأخبار وضابطنا في القبول والرفض هو كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ فما وافق الحق قُبل وما خالف الحق مردود على صاحبه كائنًا من كان والحق أبلج وعليه نور والباطل لجلج وهو ظلمات بعضها فوق بعض ثم الاكتشافات والأبحاث والنظريات وسائر صور التقدم العصري إن استخدمت في الخير والصلاح ولم تتصادم مع الكتاب والسنة فهي مقبولة ولا حرج في العمل بمقتضاها، وكذلك الأمر بالنسبة لأخبار أهل الكتاب نثبتها إذا وافقت الشريعة المطهرة ونردها إذا خالفت الحق وإذا لم نعلم موافقتها أو مخالفتها ذكرناها على جهة الاستئناس والاستشهاد وشريعة ربنا لا تحتاج إلى تعضيد ولا تدعيم من هنا أو هناك إذ هى شريعة رب العالمين العليم الخبير خالق الخلق ومالك الملك لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وأحاط

بكل شيء علمًا، علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وابتعث نبيه ﷺ حجة على العالمين ومحجة للسالكين وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى ونحن في مقام الدعوة وتذكير البشرية بالعودة لدين ربها ما نحتاج إلى أن نسلك مسالك القصاص الذين أخرجهم عليّ من المساجد فقد كانوا ينتحلون القصص الخيالى المكذوب في الوعد والوعيد وفى الحق كفاية ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ والتطابق واقع بين صفحات الكتاب المتلو المقروء وبين صفحات الكون من حولنا وما علينا إلا أن نتعرف على السنن الكونية والسنن الشرعية حتى نكون على بصيرة من أمرنا وأمر الناس وحتى نقوم بإبلاغ الحق للخلق أتم قيام

ثانيًا- الشمس مأمورة والكون من حولنا مأمور:

الكون يسير وفق نظام محكم ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ لما كان يوم الحديبية بركت ناقة رسول الله ﷺفقالوا خلأت القصواء فقال النبي ﷺ: «**ما خلأت القصواء وما هو لها بخلق إنما حبسها حابس الفيل عن مكة - فالقصواء مأمورة والفيل مأمور والسحاب مأمور وقد حبست الشمس على يوشع بن نون حتى دخل الأرض المقدسة وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين والشمس تطلع كل يوم من المشرق وتغيب في المغرب فإذا كان آخر الزمان أمرها سبحانه أن تطلع من المغرب فعن أبي ذر أن النبي ﷺ قال يومًا: «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: إن هذه تجرى حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئًا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك فتصبح من مغربها فقال رسول الله ﷺ :أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها**

لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا» [رواه البخارى ومسلم] وهذا من جملة الغيب الذى أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ وما آمن أحد إيمانًا أفضل من إيمان بغيب كما قال بن مسعود رضي الله عنه وما أحوجنا إلى أن نصبغ العلوم العصرية صبغة إيمانية تهدى الحيارى في عصر الطغيان المادى وفى مواجهة لوثة الإلحاد .

ثالثًا- الشمس ستطلع من مغربها بإذن الله تعالى ولا بد:

من علامات الساعة أن تطلع الشمس من المغرب وتغيب في المغرب وذلك قرب نهاية الزمان فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بادرو بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها** » [رواه البخارى ومسلم] وعنه أيضًا رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه: لا أرب لى به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتنى مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعين، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا** » [رواه البخارى ومسلم] وفى الحديث «**إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها** » [رواه أحمد ومسلم] أي أول العلامات العشر الكبرى المؤذنة بتغير العالم العلوي.

رابعًا- البدار إلى التوبة قبل حلول النقمة:

تقبل توبة العبد ما لم يغرغر أى قبل أن تتردد الروح في الحلقوم ولذلك لما قال فرعون حال الغرق: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ قيل له ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ

خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ فلم تقبل توبة فرعون وهذا بالنسبة لعمر الإنسان أما بالنسبة لعمر الزمن فتقبل توبة العبد ما لم تطلع الشمس من مغربها قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها** » [رواه مسلم] وروى ابن جرير بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :«التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها » وروى الطبري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إذا اخرج أول الآيات طرحت الأقلام وحبست الحفظة وشهدت الأجسام على الأعمال » [رواه ابن جرير] بسند جيد فالبدار إلى التوبة قبل حلول النقمة عساها ترد ما قد يُرد فإن البر لا يبلى والذنب لا يُنسى والديان لا ينام اعمل ما شئت كما تدين تدان.

فيا عباد الله......

فيا عباد الله استعدوا للقاء الله في كل آن وحين فلن ينجو من فتنة الدجال وفتنة المحيا والممات وغيرها إلا من وفقه الله واعتصم بالوحي الصادق وتعلم العلم النافع وتابعه بعمل صالح واغتنم فرصة اللحظات وتاب إلى الله توبة نصوحة قبل أن يغرغر وقبل أن تطلع الشمس من مغربها وأقبل على ربه بكل ما يحبه سبحانه ويرضاه من الأقوال والأفعال فإن ظهور كثير من أشراط الساعة دليل على خراب هذا العالم وأنه قريب نهايته وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

المحتويات


تم بحمد الله